سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٧٤)

وليتلطف

اللّطف

في كتب التفسير و الرقائق والمواعظ

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"يقول الحق جل جلاله : ﴿وكذلك﴾ أي : وكما أنمناهم وحفظنا أجسادهم من البلاء والتحلل ، وكان ذلك آية دالة على كمال قدرتنا ، ﴿بعثناهم﴾ من النوم ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ أي : ليسأل بعضهم بعضا ، فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة ، أو : ليتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم ، فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ، ويستبصروا أمر البعث ، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم.﴿قال قائل منهم﴾ هو رئيسهم ، واسمه : " مكسليمنيا " : ﴿كم لبثتم﴾ في منامكم ؟ لعله قال ذلك ؛ لما رأى من مخالفة حالهم ، لما هو المعتاد في الجملة ، ﴿قالوا﴾ أي : بعضهم : ﴿لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ ، قيل : إنما قالوا ذلك ؛ لأنهم دخلوا الكهف غدوة ، وكان انتباههم آخر النهار ، فقالوا : ﴿لبثنا يوما﴾ ، فلما رأوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا : ﴿أو بعض يوم﴾ ، وكان ذلك إخبارا عن ظن غالب ، فلم يعزوا إلى الكذب.﴿قالوا﴾ أي : بعض آخر منهم ، بما سنح له من الأدلة ، ولما رأى من طول أظافرهم وشعورهم : ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ أي : أنتم لا تعلمون مدة لبثكم ، وإنما يعلمها الله – سبحانه – ، وهذا رد منهم على الأولين بأجمل ما يكون من حسن الأدب ، ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة﴾ ، أعرضوا عن البحث عن المدة ، وأقبلوا على ما يهم في الوقت ، والورق : الفضة ، مضروبة أو غير مضروبة ، ووصفها باسم الإشارة يقتضي أنها كانت معينة ليشتري بها قوت ذلك اليوم ، وحملها دليل على أن التزود لا ينافي التوكل ، وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتزود لغار حراء ليتعبد فيه. ثم قالوا : ﴿فلينظر أيها﴾ أي : أي أهلها ﴿أزكى طعاما﴾ أي : أحل وأطيب ، أو أكثر وأرخص ، ﴿فليأتكم برزق منه﴾ أي : من ذلك الأزكى طعاما ، ﴿وليتلطف﴾ : **وليتكلف اللطف في** دخول المدينة وشراء الطعام ، لئلا يعرف ، ﴿ولا يشعرن بكم أحدا﴾ ؛ ولا يخبر بكم ولا بمكانكم أحدا من أهل المدينة ، أو : لا يفعل ما يؤدي إلى ذلك.." (١)

" الكهف ٢٠ ٢١ والمجاوبة وإلا لقيل ثم قالوا ربنا أعلم بما لبثنا فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة قالوه إعراضا عن التعمق في البحث وإقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة أو غير مضروبة ووصفها باسم الإشارة يشعر بان القائل ناولها بعض أصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وإدغام القاف في الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الإدغام وحملهم لها دليل على أن التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى فلينظر أيها أي أهلها أزكى أحل وأطيب أو أكثر وأرخص طعاما فليأتكم برزق منه أي من ذلك الأزكى **طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف في** المعاملة كيلا يغبن أو في الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم أحدا من أهل المدينة فإنه يستدعى شيوع أخباركم أي لا يفعلن ما يؤدي إلى ذلك فالنهي على الأول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للأمر بالتلطف إنهم تعليل لما سبق من الأمر والنهي أي ليبالغ في التلطف وعدم الإشعار لأنهم إن يظهروا عليكم أي يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للأهل المقدر في أيها يرجموكم إن ثبتم على ما أنتم عليه أو يعيدوكم في ملتهم أي يصيروكم إليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى أو لتعودن في ملتنا وقيل كانوا أولا على دينهم وإيثار كلمة في على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار الذي هو أشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الإعادة لأن الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي إليه وضمير الخطاب في المواضع الأربعة للمبالغة في محل المبعوث على الاستخفاء وحث

---

(١) البحر المديد ، ٤/٢١٢

الباقين على الاهتمام بالتوصية فإن محاض النصح أدخل في القبول واهتمام الإنسان بشأن نفسه أكثروا أوفر ولن تفلحوا إذا أي إن دخلتم فيها ولو بالكره والإلجاء لن تفوزوا بخير أبدا لا في الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التشديد في التحذير مالا يخفى وكذلك أي وكما أنمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم في مراتب اليقين أعثرنا أي أطلعنا الناس عليهم ليعلموا أي الذين أعثرناهم عليهم بما عاينوا من أحوالهم العجيبة أن وعد الله أي وعده بالبعث أوموعوده الذي هو البعث أو أن كل وعده أو كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث أو البعث الموعود دخولا أوليا حق صادق لا خلف فيه أو ثابت لا مرد له لأن نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وأن الساعة أي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فإن من شاهد أنه جل وعلا توفي نفوسهم وأمسكها ثلثمائة سنة وأكثر حافظا أبدانها من التحلل والتفتت ثم أرسلها إليها لا يبقى له شائبة شك في أن وعده تعالى حق وأنه يبعث من في القبور فيرد إليهم ." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٨ ، ص : ٤٩١« بورقكم ». أى : بدراهمكم المضروبة من الفضة ، إلى المدينة التي يوجد بها الطعام الذي نحن في حاجة إليه ، والتي هي أقرب مكان إلى الكهف.قالوا : والمراد بها مدينتهم التي كانوا يسكنونها قبل أن يلجئوا إلى الكهف فرارا بدينهم.فلينظر أيها أزكى طعاما أى : ومتى وصل إلى المدينة ، فليتفقد أسواقها ، وليتخير أى أطعمتها أحل وأطهر وأجود وأكثر بركة.فليأتكم برزق **منه وليتلطف أى** : فليأتكم بما يسد جوعكم من ذلك الأزكى طعاما ، فيكون الضمير في « منه » للطعام الأزكى.ويصح أن يكون للدراهم المضروبة المعبر عنها « بورقكم » ، أى : فليأتكم بدلا منها بطعام تأكلونه **، وليتلطف** ، أى : **وليتكلف اللطف في** الاستخفاء ، والدقة في استعمال الحيل حال دخوله وخروجه من المدينة ، حتى لا يعرفه أحد من أهلها.و لا يشعرن بكم أحدا أى : ولا يفعلن فعلا يؤدى إلى معرفة أحد من أهل المدينة بنا.وقوله : إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا تعليل للأمر والنهى السابقين.أى : قولوا لمن تختارونه لشراء طعامكم من المدينة : عليه أن يتخير أزكى الطعام ، وعليه كذلك أن لا يخبر أحدا بأمركم من أهل المدينة ، لأنهم إن يظهروا عليكم أى : يطلعوا عليكم. أو يظفروا بكم.وأصل معنى ظهر. أى : صار على ظهر الأرض. ولما كان ما عليها مشاهدا متمكنا منه ، استعمل تارة في الاطلاع ، وتارة في الظفر والغلبة ، وعدى بعلى.يرجموكم أى إن يعرفوا مكانكم ، يرجموكم بالحجارة حتى تموتوا أو يعيدوكم في ملتهم الباطلة التي نجاكم الله – تعالى – منها.و لن تفلحوا إذا أبدا أى : وإن عدتم إليها بعد إذ نجاكم الله – تعالى – منها وعصمكم من اتباعها ، فلن تفلحوا إذا أبدا ، لا في الدنيا ولا في الآخرة.وهكذا نجد هاتين الآيتين تصوران لنا بأسلوب مؤثر بليغ حال الفتية وهم يتناجون فيها بينهم ، بعد أن استيقظوا من رقادهم الطويل.." (٢)

"و كذلك كما فعلنا بهم ما ذكرنا بعثناهم أيقظناهم ليتسائلوا بينهم عن حالهم ومدة لبثهم قالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم لأنهم دخلوا عند طلوع الشمس ، وبعثوا عند غروبها ، فظنوا أنه غروب يوم الدخول ، فقولهم مبني على غالب ظنهم

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢١٤/٥

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٤٩١/٨

لأن النائم لا يحصي مدة لبثه ، لذا أحالوا العلم إلى الله تعالى ، فقالوا : ربكم أعلم بما لبثتم ويجوز أن يكون ذلك قول ج ١٥ ، ص : ٢١٣بعضهم ، وهذا إنكار الآخرين عليهم. ولما علموا أن الأمر ملتبس مجهول عليهم اتجهوا إلى ما يهمهم وقالوا : فابعثوا أحدكم بورقكم بفضتكم ، الورق : الفضة ، مضروبة كانت أو غيرها إلى المدينة هي طرسوس أو أفسوس فلينظر أيها أزكى طعاما فلينظر أي أطعمة المدينة أحل وأطيب ، وأكثر **وأرخص وليتلطف وليتكلف اللطف في** المعاملة حتى لا يغبن أو في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم أحدا ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور.إنهم إن يظهروا عليكم إن يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم ، والضمير لأهل المدينة يرجموكم يقتلوكم بالرجم أو يعيدوكم في ملتهم يصيروكم إليها كرها ، من العود بمعنى الصيرورة ولن تفلحوا إذا أبدا إن عدتم في ملتهم.." (١)

" الزيادة حسية دنيوية أيضا زعم بعضهم أنهم عنوا بالأزكى الأرز وقيل التمر وقيل الزبيب وحسن الظن بالفتية يقتضي أنهم تحروا الحلال والنظر يحتمل أن يكون من نظر القلب وأن يكون من نظر العين وأي استفهام مبتدأ و أزكى خبره والجملة معلق عنها الفعل للاستفهام

وجوز أن يكون أي موصولا مبنيا مفعولا لينظر و أزكى خبر مبتدأ محذوف هو صدر الصلة وضمير أيها إما للمدينة والكلام على تقدير مضاف أي أي أهلها وإما للمدينة مرادا بها أهلها مجازا وفي الكلام استخدام ولا حذف وأما لما يفهم من سياق الكلام كأنه قيل فلينظر أي الأطعمة أو المأكل أزكى طعاما فليأتكم برزق منه أي من ذلك الأزكى طعاما فمن لابتداء الغاية أو التبعيض وقيل الضمير للورق فيكون من للبدل ثم إن الفتية إن لم يكن تحروا الحلال سابقا فليكن مرادهم بالرزق هنا الحلال وإن لم يكن مختصا به عندنا

واستدل بالآية وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يعلم منه ما فيه على صحة الوكالة والنيابة قال ابن العربي : وهي أقوى ءاية في ذلك وفيها كما قال الكيا دليل على جواز خلط دراهم الجماعة والشراء بها والأكل من الطعام الذي بينهم بالشركة وإن تفاوتوا في الأكل نعم لا بأس للأكول أن يزيد حصته من **الدراهم وليتلطف أي وليتكلف اللطف في** المعاملة كيلا تقع خصومة تجر إلى معرفته أو **ليتكلف اللطف في** الاستخفاء دخولا وخروجا وقيل ليتكلف ذلك كي لا يغبن فيكون قوله تعالى : ولا يشعرن بكم أحدا ٩١ أي لا يفعلن ما يؤدي إلى شعور أحد من أهل المدينة بكم تأسيسا على هذا وهو على الأولين تأكيد للأمر بالتلطف وتفسيره بما ذكر من باب الكناية نحو لا أرينك ههنا وفسره الإمام بلا يخبرن بكم أحدا فهو على ظاهره وقرأ **الحسن وليتلطف بكسر** لام الأمر وعن قتيبة **الميال وليتلطف بضم** الياء مبنيا للمفعول وقرأ هو وأبو صالح ويزيد بن القعقاع ولا يشعرن بكم أحد ببناء الفعل للفاعل ورفع أحد على أنه الفاعل إنهم تعليل لما سبق من الأمر والنهي والضمير للأهل المقدر في أيها أو للكفار الذي دل عليه المعنى على ما اختاره أبو حيان وجوز أن يعود على أحد لأنه عام فيجوز أن يجمع ضميره كما في قوله تعالى : فما منكم من أحد عنه حاجزين

إن يظهروا عليكم أي يطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم أو يظفروا بكم وأصل معنى ظهر صار على ظهر الأرض ولما كان ما عليها يشاهد ويتمكن منه استعمل تارة في الاطلاع وتارة في الظفر والغلبةوعدى بعلى وقرأ زيد بن علي يظهروا

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٢٥/١٥

بضم الياء مبنيا للمفعول يرجموكم إن لم تفعلوا ما يريدونه منكم وثبتم على ما أنتم عليه والظاهر أن المراد القتل بالرجم بالحجارة وكان ذلك عادة فيما سلف فيمن خالف في أمر عظيم إذ هو أشفى للقلوب وللناس فيه مشاركة وقال الحجاج : المراد الرجم بالقول أي السب وهو للنفوس الأبية أعظم من القتل أو يعيدوكم في ملتهم أي يصيروكم إليها ويدخلوكم فيها مكرهين والعود في الشيء بهذا المعنى لا يقتضي التلبس به قبل وروي هذا عن ابن جبير وقيل العود على ظاهره وهو رجوع الشخص إلى ما كان عليه وقد كان الفتية على ملة قومهم أولا وإيثار كلمة في على كلمة إلى قال بعض المحققين للدلالة على الاستقرار الذي هو أشد كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الإعادة لأن الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي إليه وضمير الخطاب في المواضع الأربعة للمبالغة في حمل المبعوث على ما أريد منه والباقين على الاهتمام بالتوصية فإن إمحاض النصح أدخل في القبول واهتمام الانسان بشأن نفسه أكثر وأوفر ." (١)

"بعثناهم : أي أيقظناهم ، لبثتم : أي أقمتم ، والورق : الفضة ، مضروبة كانت أو غير مضروبة ، وأزكى : أجود وأطيب ، **وليتلطف** : أي **يتكلف اللطف فى** المعاملة ، كى لا تقع خصومة تجرّ إلى معرفته ، ولا يشعرنّ : أي لا يفعلنّ ما يؤدى إلى شعور أحد من أهل المدينة بكم ، إن يظهروا عليكم : أي إن يطّلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم وأصل العثور السقوط للوجه ، يقال عثر عثورا وعثارا : إذا سقط لوجهه ، ويقال فى المثل « من سلك الجدد أمن العثار » ، ثم استعمل فى الاطلاع على أمر من غير طلب له ، والساعة : يوم القيامة حين يبعث الله الخلائق جميعا للحساب والجزاء ، والتنازع : التخاصم ، والذين غلبوا على أمرهم : هم رؤساء البلد ، لأنهم هم الذين لهم الرأى فى مثل هذا ، والمسجد :معبد المؤمنين من تلك الأمة وكانوا نصارى على المشهور ، والرجم : القول بالظن ويقال لكل ما يخرص : رجم فيه وحديث مرجوم ومرجّم كما قال :و ما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجّم الغيب : ما غاب عن الإنسان فالمراد أن يرمى الإنسان ما غاب عنه ولا يعرفه بالحقيقة ، كما يقال فلان يرمى بالكلام رميا : أي يتكلم من غير تدبر ، والمراد هنا القول بالظن والتخمين ، والمراء : المحاجة فيما فيه مرية وتردد ، والمراد الظاهر : ما لا تعمّق فيه بألا يكذّبهم فى تعيين العدد ، بل يقول هذا التعيين لا دليل عليه ، فيجب عدم الجزم به ولا تستفت : أي لا تطلب الفتيا منهم.." (٢)

"وقال مجاهد : احترزوا من المغصوب لأن ملكهم كان ظلما . وقيل : أيها أطيب وألذ . وقيل : الرخص ﴿ **وليتلطف** ﴾ **وليتكلف اللطف فيما** يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن . والأظهر أنهم **طلبوا اللطف في** أمر التخفي حتى لا يعرف . يؤيده قوله ﴿ ولا يشعرون بكم أحد ﴾ أي لا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور ويسبب له ﴿ إنهم إن يظهروا ﴾ يطلعوا على مكانكم أو ﴿ عليكم يرجموكم ﴾ يقتلوكم أخبث القتلة وهي الرجم وكأنه كانت عادتهم ﴿ أو يعيدوكم في ملتهم ﴾ بالإكراه العنيف . وقال في الكشاف : العود في معنى الصيرورة أكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت أفعل كذا يريدون ابتداء الفعل . قلت : يحتمل أن يكون العود ههنا على معناه الأصلي لاحتمال أن يكون أصحاب الكهف على ملة أهل المدينة قبل أن هداهم الله . وفي « أذن » معنى الشرط كأنه قال : إن رجعتم إلى دينهم فلم تفلحوا أبدا ، قال المحققون : لا خوف

---

(١) روح المعاني، ٢٣١/١٥

(٢) مفردات القرآن للشيخ المراغي، ص/٥١٣

على المؤمن الفار بدينه أعظم من هذين . ففي الأول هلاك الدنيا ، وفي الثاني هلاك الآخرة . وإنما نفى الفلاح على التأبيد مع أن كفر المكره لا يضر ، لأنهم خافوا أن يجرهم ظاهر الموافقة إلى الكفر القلبي ، وكما أنمناهم وبعثناهم ﴿ أعثرنا عليهم ﴾ سمى الإعلام إعثارا والعلم عثورا لأن من كان غافلا عن شيء فعثر به نظر إليه وعرفه وكان الإعثار سببا لحصول العلم واليقين . وفي سبب الإعثار قولان : أحدهما أنه طالت شعورهم وأظفارهم طولا مخالفا للعادة وتغيرت بشرتهم فعرفوا بذلك . والأكثرون قالوا : إن ذلك الرجل لما ذهب بالورق إلى السوق وكانت دارهم دقيانوسية اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به إلى الملك فقال له : من أين وجدت هذه الدراهم؟ قال : بعت به أمس شيئا من التمر . فعرف الملك أنه ما وجد كنزا وأن الله بعثه بعد موته فقص عليه القصة . ثم ذكر سبحانه غاية الإعثار فقال : ﴿ ليعلموا أن وعد الله حق ﴾ يروى أن ملك ذلك العصر من كان ينكر البعث إلا أنه كان مع كفره منصفا فجعل الله أمر الفتية دليلا للملك . وقيل : بل اختلفت الأمة في ذلك الزمان فقال بعضهم : الجسد والروح يبعثان جميعا . وقال آخرون : الروح تبعث وأما الجسد فتأكله الأرض . ثم إن ذلك الملك كان يتضرع أن يظهر له آية يستدل بها على ما هو الحق في المسألة فأطلعه الله تعالى على أمر أصحاب الكهف حتى تقرر عنده صحة بعث الأجساد ، لأن انتباههم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت ثم يبعث . فالمراد بالتنازع هو اختلافهم في حقيقة البعث . والضمائر في قوله : ﴿ إذ يتنازعون بينهم أمرهم ﴾ تعود إلى تلك الأمة . وقيل : أراد إذ يتنازع الناس بينهم أمر أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم ، أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق إليهم .." (١)

"فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى – ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما الغم به عليهم فعلى هذا اللام لام العلة وقال البغوي اللام لام العاقبة لانهم لم يبعثوا للسوال قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ وهو رئيسهم مكسلمينا كَمْ لَبِثْتُمْ فى نومكم وذلك انهم استكثروا طول نومهم – ويقال انهم راعهم ما فاتهم من الصلوات فقالوا ذلك قالُوا لَبِثْنا يَوْماً وذلك انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا عشيّة فقالوا لبثنا يوما – ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية فقالوا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ وهذا الجواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل على ان القول بغالب الظن جائز – فلما نظروا إلى شعورهم واظفارهم علموا انهم لبثوا دهرا قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ وقيل ان رئيسهم مكسلمينا لما سمع الاختلاف قال دعوا الاختلاف فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ يعنى تمليخا ..... بِوَرِقِكُمْ قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر ساكنة الراء والباقون بكسرها ومعناهما واحد وهى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة هذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ قيل هى طرطوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فسموها فى الإسلام طرطوس – وفى حملهم الورق معهم

"عُبَيْدَة يَقُولُ: تَقْدِيْرُ هذَيْنِ الاسْمَيْن، تَقْدِيْرُ: نَدْمَانٍ (١)، ونَدِيْم، مِنَ الْمُنَادَمَةِ.

[٢٠] [وَجَاءَ فِي الأَثَر: "أنهما اسمانِ رَقِيْقَانِ أحَدُهُمَا أرَقُّ مِن الآخَرِ".

وَهَذا مُشْكِل، لأن الرِّقَّةَ لَا مَدْخَلَ لَهَا فِي شيءٍ مِن صِفَاتِ اللهِ]–سُبْحَانَهُ– وَمَعْنَى الرقِيْقِ هَا هنَا: اللَّطِيْفُ. يَقُولُ: أحَدُهمَا أَلْطَفُ مِنِ الآخَرِ، وَمَعْنَى اللُّطْفِ فِي هذَا: الغُمُوْضُ دون الصِّغَرِ الذِي هُوَ نعْتٌ فِي الأَجْسَامِ.

---

(١) تفسير النيسابوري، ١٦٢/٥

وَيُقَالُ: إن الرحمنَ خَاصٌّ في التسْمِيَةِ، عَامٌّ في المَعْنَى.

والرحيم: عَام فِي التسْمِيَةِ، خَاص فِي المَعْنَى.

٤ - المَلِكُ (٢): هُوَ التامُّ (٣) المِلْكِ، الجَامِعُ لأصْنَافِ

---

[٢٠] ما بين معقوفين نقله القرطبي عنه في تفسيره ١/ ١٠٦، ونقل بعده مباشرة فقال: "وقال الحسين بن الفضل البجلي: هذا وهم من الراوي؛ لأن الرقة ليست من صفات الله تعالى في شيء، وإنما هما اسمان رفيقان، أحدهما أرفق من الآخر، والرفق من صفات الله عز وجل، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف".

قلت أخرجه الإمام أحمد ٤/ ٨٧، وأبو داود برقم ٤٨٠٧ أدب، ومسلم برقم ٢٥٩٣ كتاب البر والصلة. كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها.

---

(١) في (م): "بزمان" وهو سهو.

(٢) قال الليث: الملك: هو الله، ملك الملوك، وهو مالك يوم الدين. الأزهري ١٠/ ٢٦٩.

وقال الزجاج -المُلك-بالضم- السلطان والقدرة. والمِلك -بالكسر- ما حوته اليد. والمَلْك- المصدر، يقال: ملكت الشيء أملكه ملكاً. زاد المسير ٥/ ٣١٤.

(٣) في (م): "العام".." [1]

"٣٠ - العدل: هُوَ الذِي لَا يَمِيْلُ بِهِ (١) الهَوَى فَيَجُور فِي الحُكْمِ. وَأَصْلُهُ المَصْدَرُ. مِنْ قَوْلكَ (٢): عَدَلَ، يَعْدِلُ، عَدْلاً، فَهْوَ عَادِلٌ. أُقِيْمَ مَقَامَ الإسْمِ، وَحَقِيْقَتُهُ ذو العَدْلِ.

كقَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ (٣) -: (وَأشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) [الطلاق/٢] وَيُقَالُ: عَدَلْتُ الشَيْءَ أعْدلُهُ عَدْلا: إذَا قَوَّمْتَهُ. وَمِنْهُ الاعْتِدَال فِي الأمُورِ، وَهُوَ الاسْتِقَامَةُ فِيْها.

٣١ - اللطِيْفُ: هُوَ البَرُّ بِعِبَاده، الذِي يَلْطُفُ لَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وُيسَبِّبُ لَهُمْ مَصَالِحَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُوْنَ.

كقوله -[سبحانه] (٤) -: (اللهُ لَطِيْفٌ بِعِبَاده يَرْزقُ مَنْ يَشَاءُ وهُوَ القوي العَزِيز] [الشورى/١٩]. وَحَكَى أبو عُمَرَ (٥) عَنْ أبِي العَباسِ عَنِ ابنِ الأعْرَابِي (٦) قَالَ: اللَّطِيْفُ، الذِي يُوصِلُ إلَيْكَ أرَبَكَ فِي رِفْقٍ، وَمِنْ هذَا قَوْلُهُم: لَطَفَ اللهُ لَكَ، أيْ: أوْصَلَ إلَيْكَ مَا تُحبُّ فِي رِفْقٍ. وَيُقَالُ: هُوَ الذي لَطُفَ عَنْ أنْ يُدْرَكَ بِالكَيفِيةِ. وَقَدْ **يَكُونُ اللطْف بِمَعْنَى** الرِّقةِ، والغُمُوضِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى الصِّغَرِ فِي نُعُوْتِ الأجْسَامِ، وذلك مما لَا يَلِيقُ بِصِفَاتِ الباري -سُبْحَانَهُ-.

---

(١) سقطت "به" من (م).

---

(١) شأن الدعاء، الخطابي ص/٣٩

(٢) في (م): "قوله".

(٣) في (م): "عز وجل".

(٤) زيادة من (م).

(٥) هو الزاهد المعروف بغلاف ثعلب. وقد مرت ترجمته ص ٥٤ وأبو العباس هو ثعلب أحمد بن يحيى (٢٠٠ – ٢٩١ هـ).

(٦) ابن الأعرابي هو محمد بن زياد (١٥٠ – ٢٣١ هـ) راوية ناسب، علامة باللغة من أهل الكوفة، له تصانيف كثيرة، منها النوادر. انظر الأعلام ٦/ ٣٦٥.." [١]

"وَاسْتَعْمَلَهُ آخَرُونَ فِي كُلِّ مَا عُرِفَ بِالْعَقْلِ وَالشَّرْعِ قُبْحُهُ (١).

وَقَالَ غَيْرُهُمْ هُوَ أَشْمَلُ مِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ ، هُوَ مَا تُنْكِرُهُ النُّفُوسُ السَّلِيمَةُ وَتَتَأَذَّى بِهِ مِمَّا حَرَّمَهُ الشَّرْعُ وَنَافَرَهُ الطَّبْعُ وَتَعَاظَمَ اسْتِكْبَارُهُ وَقَبُحَ غَايَةَ الْقُبْحِ اسْتِظْهَارُهُ فِي مَحَلِّ الْمَلَأِ (٢) فعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الأَنْصَارِىِّ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ فَقَالَ «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِى صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» (٣).

وَالْمُنْكَرُ مِنْهُ مَا هُوَ مَكْرُوهٌ ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مَحْظُورٌ وَهُوَ الْمُسَمَّى عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ بِكَرَاهَةِ التَّحْرِيمِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنَ الْمَكْرُوهِ عِنْدَ إطْلَاقِهِمْ ، وَعِنْدَ غَيْرِهِمْ يُسَاوِي الْمُحَرَّمَ ، وَيُسَمَّى أَيْضًا مَعْصِيَةً وَذَنْبًا (٤) وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَكْرُوهِ وَالْمَحْظُورِ ، أَنَّ الْمَنْعَ مِنَ الْمُنْكَرِ الْمَكْرُوهِ مُسْتَحَبٌّ ، وَالسُّكُوتُ عَلَيْهِ مَكْرُوهٌ ، وَلَيْسَ بِحَرَامٍ ، وَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ الْفَاعِلُ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ وَجَبَ ذِكْرُهُ لَهُ ، فَإِنَّ لِلْكَرَاهَةِ حُكْمًا فِي الشَّرْعِ يَجِبُ تَبْلِيغُهُ إلَى مَنْ لَا يَعْرِفُهُ. أَمَّا الْمَحْظُورُ فَالنَّهْيُ عَنْهُ وَاجِبٌ وَالسُّكُوتُ عَلَيْهِ مَحْظُورٌ إذَا تَحَقَّقَ شَرْطُهُ ، وَبِهَذَا اشْتَرَطَ صَاحِبُ الْفَوَاكِهِ الدَّوَانِي أَنْ يَكُونَ الْمُنْكَرُ مُجْمَعًا عَلَى تَحْرِيمِهِ ، أَوْ يَكُونَ مُدْرَكُ عَدَمِ التَّحْرِيمِ فِيهِ ضَعِيفًا (٥).

---

(١) – لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٣٩٩و معالم القربة ٢٢

(٢) – المفردات في غريب القرآن مادة نكر والنهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ١١٥ وغذاء الألباب ١/ ١٨١ والآداب الشرعية ١/ ١٧٤ وإتحاف السادة المتقين ٧/ ٣٤

(٣) –صحيح مسلم (٦٦٨٠) والترمذي برقم (٢٠٦٥)

وفي تحفة الأحوذي – (ج ٦ / ص ١٧٦)

قَوْلُهُ: (فَقَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم –:الْبِرُّ) أَيْ أَعْظَمُ خِصَالِهِ أَوْ الْبِرُّ كُلُّهُ مُجْمَلًا

(حُسْنُ الْخُلُقِ) أَيْ مَعَ الْخُلُقِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْبِرُّ يَكُونُ بِمَعْنَى الصِّلَةِ **وَبِمَعْنَى اللُّطْفِ وَالْمَبَرَّةِ** وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْعِشْرَةِ، وَبِمَعْنَى الطَّاعَةِ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ هِيَ مَجَامِعُ حُسْنِ الْخُلُقِ.

---

(١) شأن الدعاء، الخطابي ص/٦٢

وَقَالَ الطِّيبِيُّ: قِيلَ فَسَّرَ الْبِرَّ فِي الْحَدِيثِ بِمَعَانٍ شَتَّى، فَفَسَّرَهُ فِي مَوْضِعٍ بِمَا اِطْمَأَنَّتْ إلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إلَيْهِ الْقَلْبُ، وَفَسَّرَهُ فِي مَوْضِعٍ بِالْإِيمَانِ، وَفِي مَوْضِعٍ بِمَا يُقَرِّبُك إلَى اللَّهِ، وَهُنَا بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَفَسَّرَ حُسْنَ الْخُلُقِ بِاحْتِمَالِ الْأَذَى وَقِلَّةِ الْغَضَبِ وَبَسْطَ الْوَجْهِ وَطِيبَ الْكَلَامِ، وَكُلُّهَا مُتَقَارِبَةٌ فِي الْمَعْنَى

(وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِك) أَيْ تَحَرَّكَ فِيهَا وَتَرَدَّدَ، وَلَنْ يَنْشَرِحْ لَهُ الصَّدْرُ، وَحَصَلَ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ الشَّكُّ، وَخَوْفُ كَوْنِهِ ذَنْبًا. وَقِيلَ يَعْنِي الْإِثْمُ مَا أَثَّرَ قُبْحُهُ فِي قَلْبِك أَوْ تَرَدَّدَ فِي قَلْبِك، وَلَمْ تُرِدْ أَنْ تُظْهِرَهُ لِكَوْنِهِ قَبِيحًا وَهُوَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: (وَكَرِهْت أَنْ يَطَّلِعَ النَّاسُ عَلَيْهِ) أَيْ أَعْيَانُهُمْ وَأَمَاثِلُهُمْ، إذْ الْجِنْسُ يَنْصَرِفُ إلَى الْكَامِلِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّفْسَ بِطَبْعِهَا تُحِبُّ اِطِّلَاعَ النَّاسِ عَلَى خَيْرِهَا، فَإِذَا كَرِهْت الِاطِّلَاعَ عَلَى بَعْضِ أَفْعَالِهَا فَهُوَ غَيْرُ مَا تَقَرَّبَ بِهِ إلَى اللَّهِ، أَوْ غَيْرُ مَا أَذِنَ الشَّرْعُ فِيهِ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا بِرَّ فَهُوَ إذًا إثْمٌ وَشَرٌّ.

(٤) – إتحاف السادة المتقين ٧/ ٥٢ – ٥٣ والإحكام في أصول الأحكام للآمدي ١/ ٨٦ والفواكه الدواني ٢/ ٣٩٤

(٥) – إحياء علوم الدين ٢/ ٤٢٨ وشرحه إتحاف السادة المتقين ٧/ ٥٢ – ٥٣ والفواكه الدواني ٢/ ٣٩٤." (١)

"لم يجب عليه؛ لقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (٩) سورة الأعلى، وعَنْ عُتْبَةَ بْنِ أَبِى حَكِيمٍ قَالَ حَدَّثَنِى عَمْرُو بْنُ جَارِيَةَ اللَّخْمِىُّ حَدَّثَنِى أَبُو أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِىُّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِىَّ فَقُلْتُ يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ كَيْفَ تَقُولُ فِى هَذِهِ الآيَةِ (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ) قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِى رَأْىٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ – يَعْنِى بِنَفْسِكَ – وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ» (١).

خامسها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له ثلاث حكم:

إقامة حجة الله على خلقه؛ كما قال تعالى: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٦٥) سورة النساء.

وخروج الآمر من عهدة التكليف بالأمر بالمعروف؛ كما قال سبحانه ﴿وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٦٤) سورة الأعراف، وقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ (٥٤) سورة الذاريات.

ورجاء النفع للمأمور؛ كما قال سبحانه ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٦٤) سورة الأعراف، وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٥) سورة الذاريات

سادسها: من أعظم أنواع الأمر بالمعروف كلمة حق عند سلطان جائر؛ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ﴿«إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»﴾ رواه أبو داود والترمذي (٢).

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى: واعلم أن الحديث الصحيح قد بيّن أن أحوال الرعية مع ارتكاب السلطان ما لا

---

(١) الحسبة لابن تيمية ت الشحود، ابن تيمية ص/٤٤

ينبغي ثلاث:

الأولى: أن يقدر على نصحه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر من غير أن يحصل منه ضرر أكبر من الأول، فآمره في هذه الحالة مجاهد سالم من الإثم، ولو لم ينفع نصحه، ويجب أن يكون نصحه له بالموعظة الحسنة مع **اللطف**؛ لأن ذلك هو مظنة الفائدة (٣).

الثانية: ألا يقدر على نصحه لبطشه بمن يأمره وتأدية نصحه لمنكر أعظم، وفي هذه الحالة يكون الإنكار عليه بالقلوب، وكراهة منكره والسخط عليه، وهذه الحالة هي أضعف الإيمان.

---

(١) – سنن أبي داود برقم (٤٣٤٣) حديث حسن

(٢) – سنن النسائى برقم (٤٢٢٦) و مسند أحمد برقم (١١٤٤٢) وسنن أبي داود برقم (٤٣٤٦) وسنن الترمذى برقم (٢٣٢٩) وهو صحيح لغيره

(٣) – قال تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٤٤) سورة طه." [١]

"هي من جملة الواجبات ولا بد وأن يكون المحتسب عالماًّ بمواقع الحسبة وأن يكون ورعاً حسن الخلق إذ العلم والورع لا يكفي **في اللطف والرفق** ما لم يكن لصاحبه حسن الخلق، ومن آدابها تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه ويقطع الطمع حتى تزول عنه المداهنة، وهذا العلم من العلوم المتعلقة بالعادات ذكره في مدينة العلوم وقد تقدّم الكلام عليه أيضا في علم الاحتساب (١).

شروطُ المحتسب:

وأجمل الفقهاء المسلمون وفي مقدّمتهم الشيزري صاحب كتاب (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) الشروط الواجب توفّرها في المحتسب ومنها (٢):

أن يكون فقيهاً عارفاً بأحكام الشريعة، وأن يعمل بما يعلم بحيث لا يكون فعله مخالفاً لقوله، وأن يقصد في قوله وفعله وجه الله تعالى، وطلب مرضاته، مخلصاً النية، لا يشوبه في طوّية رياء ولا مراء، وأن يكون مواظباً على سنن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، مع القيام على الفرائض والواجبات، وأن يكون من شيمته الرفق، ولين القول، وطلاقة الوجه، وسهولة الأخلاق عند أمره للناس ونهيهم، وأن يكون عفيفاً عن أموال الناس، متورّعاً عن قبول الهديّة من المتعيّشين وأرباب الصناعات لأنّها رشوة، وعليه أن يلزم أعوانه وغلمانه بما التزمه بهذه الشروط.

بالغاً، عاقلاً، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة، وان يكون عالماً من أهل الاجتهاد، عفيفاً منزّهاً عن قبول الرشوة.

مهمّة المحتسب:

إذا كانت الحسبة وظيفة دينيّة من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا ينبغي أن يقصر أمرها ونهيها على حقوق

---

(١) الحسبة لابن تيمية ت الشحود، ابن تيمية ص/٩٢

الله، وما حدّه من حدود، بل يشملان في الحسبة حقوق البشر، والحقوق المشتركة بين الله وعباده.
وقد أجمل الدكتور القوصي مهام المحتسب في التالي: مراقبة التجار وأرباب الحرف، كإجبار الطبيب على دفع ديّة المريض الذي يموت بسبب سوء علاجه، ووضع الشروط على الحرف التي تتطلب النظافة، وتتصل بالطعام والشراب، كالعجّانين والسقائين والجزّارين والحلوانيين وغيرهم، ومراقبة الأسعار والموازين، ومنع التلاعب في الأسعار، أو الغش في الكيل والميزان، ومنع الاحتكار، ومراقبة أبنية السوق وطرقاته، وأن يجعل لكل صنعة سوقاً، وأن يجعل على أهل كل صنعة عريفاً من صالح أهلها، خبيراً بصيراً بغشوشهم وتدليسهم، ومراقبة الأخلاق العامّة، كمنع شرب الخمر، ومنع تعرّض الرجال للنساء في السوق، وعدم طرح الأقذار على جوانب الطريق، وإرسال الماء من المزاريب إلى الطريق، ومراقبة العبادات إذ يأخذ المسلمين لصلاة الجمعة والجماعات والأعياد، ويمنعهم من الإفطار

---

(١) – أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ج ٢ ص ٣٦ صديق حسن خان.
(٢) – معالم القربة في طلب الحسبة – (ج ١ / ص ٣) ونهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة – (ج ١ / ص ٢)."
(١)

"وهي أن يدل العالم على مقترف المنكر بعلمه، فيكون هدفه إثبات تفوقه عليه، فإن كان الباعث هذا فهذا منكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه.
٢. النهي بالوعظ، والنصح والتخويف بالله تعالى، ويكون فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكراً، أو فيمن أصرَّ عليه بعد أن عرف كونه منكراً، ويباشر المحتسب النصح في هذا المقام من غير عنف ولا غضب.
٣. السب والتعنيف بالقول الخشن: ويكون ذلك عند العجز عن منعه **باللطف**، وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح، وليس المقصود بالسب أن يرميه بهجر القول والفاحشة، بل يقتصر على السب الخفيف الذي يصدق على واقع الحال، كأن يقول له: يا من لا يتقي الله، يا فاسق يا جاهل ... إلخ، وهنا ينبغي مراعاة ما يلي:
أ. أن لا يقدم على التعنيف إلا عند الضرورة والعجز بالطريقة الأولى.
ب. أن لا ينطق إلا بصدق، ولا يسرف في الكلام، بل يقتصر على قدر الحاجة.
٤ . التهديد والتخويف: وشرط ذلك أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه، كقوله: لأنهبن دارك، أو لأسبين زوجتك، وما يجري مجراه فهذا حرام إن قصد فعله، وكذب إن لم يقصد إليه.
ج. الإنكار الفعلي: وهو نوعان:
(أ) الإنكار باليد فيما دون استخدام السلاح
(ب) الإنكار باليد بالخروج والسلاح عند الضرورة.
إن الأمر والنهي دين وشرع وليس مشاعر خاصة ولا حماسة طارئة ولا رد فعل عارض، فلابد من الانضباط الشرعي،

---

(١) الحسبة لابن تيمية ت الشحود، ابن تيمية ص/٩٧

ومراعاة المصالح والمفاسد على أساس شرعي، مع اليقين التام والتسليم الكامل بأن ما في الشرع هو المحقق للمصالح الدنيوية والأخروية، وهو الأجدى، والأنفع للفرد والمجتمع، ومن هنا نقول:

أ. الإنكار القلبي إنكار تغييري بدليل أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:"فليغيره" ثم ذكر وسائل التغيير "بقلبه" وفيه فوائد:

* إبقاء جذوة الإيمان متقدة.

* التفريق بين المؤمن والمنافق فكلاهما لم يغير باليد، لكن الأول كاره والثاني راض.

*المحاصرة النفسية والعملية لفاعل المنكر؛ حتى لا يجد من يعينه أو يهون عليه المنكر، بل يرى نفسه مهجوراً مذموماً.

ب. الإنكار القولي: وهو جهاد الدعوة ومداه واسع وأثره كبير وفوائده عديدة ووسائله متنوعة والتقصير فيه كبير، ويمكن أن يكون تأثيره كبيراً في تغيير كثير من المنكرات.." (١)

"وَقَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم –: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ». (١)

وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ» (٢).

وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ .. » (٣).

---

(١) – صحيح البخارى برقم (٥٩٩٧) ومسلم برقم (٦١٧٠) عَنِ الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – قَالَ قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا. فَقَالَ الأَقْرَعُ إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – ثُمَّ قَالَ «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ».

وفي فتح الباري لابن حجر – (ج ١٧ / ص ١٢٩)

قَوْله: (مَنْ لَا يَرْحَم لَا يُرْحَم) هُوَ بِالرَّفْعِ فِيهِمَا عَلَى الْخَبَر، وَقَالَ عِيَاض: هُوَ لِلْأَكْثَرِ، وَقَالَ أَبُو الْبَقَاء " مَنْ " مَوْصُولَة وَيَجُوز أَنْ تَكُون شَرْطِيَّة فَيُقْرَأ بِالْجَزْمِ فِيهِمَا، قَالَ السُّهَيْلِيُّ: جَعْله عَلَى الْخَبَر أَشْبَه بِسِيَاقِ الْكَلَام، لِأَنَّهُ سِيقَ لِلرَّدِّ عَلَى مَنْ قَالَ: " إِنَّ لِي عَشَرَة مِنْ الْوَلَد إِلَخْ " أَيْ الَّذِي يَفْعَل هَذَا الْفِعْل لَا يُرْحَم، وَلَوْ كَانَتْ شَرْطِيَّة لَكَانَ فِي الْكَلَام بَعْض اِنْقِطَاع لِأَنَّ الشَّرْط وَجَوَابه كَلَام مُسْتَأْنَف. قُلْت: وَهُوَ أَوْلَى مِنْ جِهَة أُخْرَى لِأَنْ يَصِير مِنْ نَوْع ضَرْب الْمِثْل، وَرَجَّحَ بَعْضهمْ كَوْنهَا مَوْصُولَة لِكَوْنِ الشَّرْط إِذَا أَعْقَبَهُ نَفْي يُنْفَى غَالِبًا بِلَمْ، وَهَذَا لَا يَقْتَضِي تَرْجِيحًا إِذَا كَانَ الْمَقَام لَائِقًا بِكَوْنِهَا شَرْطِيَّة. وَأَجَازَ بَعْض شُرَّاح " الْمَشَارِق " الرَّفْع فِي الْجُزْءَيْنِ وَالْجَزْم فِيهِمَا وَالرَّفْع فِي الْأُولَى وَالْجَزْم فِي الثَّانِي وَبِالْعَكْسِ فَيَحْصُل أَرْبَعَة أَوْجُه، وَاسْتُبْعِدَ الثَّالِث، وَوُجِّهَ بِأَنَّهُ يَكُون فِي الثَّانِي بِمَعْنَى النَّهْي أَيْ لَا تَرْحَمُوا مَنْ لَا يَرْحَم النَّاس، وَأَمَّا الرَّابِع فَظَاهِر وَتَقْدِيره مَنْ لَا يَكُنْ مِنْ أَهْل الرَّحْمَة فَإِنَّهُ لَا يُرْحَم، وَمِثْله قَوْل الشَّاعِر: فَقُلْت لَهُ اِحْمِلْ فَوْق طَوْقك إِنَّهَا مُطَوَّقَة مَنْ يَأْتِهَا لَا يَضِيرهَا وَفِي جَوَاب النَّبِيّ – صلى الله عليه وسلم – لِلْأَقْرَعِ إِشَارَة إِلَى أَنَّ تَقْبِيل الْوَلَد وَغَيْره مِنْ الْأَهْل الْمَحَارِم وَغَيْرهمْ مِنْ الْأَجَانِب إِنَّمَا

---

(١) الحسبة لابن تيمية ت الشحود، ابن تيمية ص/١١٠

يَكُون لِلشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَة لَا لِلَّذَّةِ وَالشَّهْوَة، وَكَذَا الضَّمّ وَالشَّمّ وَالْمُعَانَقَة.

(٢) – سنن الترمذى برقم (٤٥٥) صحيح لغيره.

تحفة الأحوذي – (ج ١ / ص ٤٨٩)

(إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ) قَالَ فِي النِّهَايَةِ: الْوِتْرُ الْفَرْدُ وَتُكْسَرُ وَاوُهُ وَتُفْتَحُ، فَاَللَّهُ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ لَا يَقْبَلُ الِانْقِسَامَ وَالتَّجْزِئَةَ، وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ فَلَا شِبْهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ، وَاحِدٌ فِي أَفْعَالِهِ فَلَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مُعِينَ

(يُحِبُّ الْوِتْرَ) أَيْ يُثِيبُ عَلَيْهِ وَيَقْبَلُهُ مِنْ عَامِلِهِ. قَالَ الْقَاضِي: كُلُّ مَا يُنَاسِبُ الشَّيْءَ أَدْنَى مُنَاسَبَةٍ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُ تِلْكَ الْمُنَاسَبَةُ

(فَأَوْتِرُوا) أَمْرٌ بِصَلَاةِ الْوِتْرِ وَهُوَ أَنْ يُصَلِّيَ مَثْنَى مَثْنَى ثُمَّ يُصَلِّيَ فِي آخِرِهَا رَكْعَةً مُفْرَدَةً أَوْ يُضِيفَهَا إِلَى مَا قَبْلَهَا مِنْ الرَّكَعَاتِ كَذَا فِي النِّهَايَةِ. قَالَ اِبْنُ الْمَلَكِ: الْفَاءُ تُؤْذِنُ بِشَرْطٍ مُقَدَّرٍ كَأَنَّهُ قَالَ: إِذَا اِهْتَدَيْتُمْ إِلَى أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْوِتْرَ فَأَوْتِرُوا اِنْتَهَى

(يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ) أَيْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِهِ، فَإِنَّ الْأَهْلِيَّةَ عَامَّةٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ سَوَاءٌ قَرَأَ أَمْ لَمْ يَقْرَأْ، إِنْ كَانَ الْأَكْمَلُ مِنْهُمْ مَنْ قَرَأَ وَحَفِظَ وَعَلِمَ وَعَمِلَ شَامِلَةٌ مِمَّنْ تَوَلَّى قِيَامَ تِلَاوَتِهِ وَمُرَاعَاةَ حُدُودِهِ وَأَحْكَامِهِ.

(٣) – صحيح مسلم برقم (٢٧٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ».

البطر: التكبر على الحق فلا يقبله = الغمط: الاحتقار والاستهانة

شرح النووي على مسلم – (ج ١ / ص ١٩٤)

أَمَّا قَوْله – صلى الله عليه وسلم –: (لَا يَدْخُل الْجَنَّة مَنْ فِي قَلْبه مِثْقَال ذَرَّة مِنْ كِبْر)

فَقَدْ اُخْتُلِفَ فِي تَأْوِيله. فَذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ فِيهِ وَجْهَيْنِ أَحَدهمَا: أَنَّ الْمُرَاد التَّكَبُّر عَنْ الْإِيمَان فَصَاحِبه لَا يَدْخُل الْجَنَّة أَصْلًا إِذَا مَاتَ عَلَيْهِ. وَالثَّانِي أَنَّهُ لَا يَكُون فِي قَلْبه كِبْر حَال دُخُوله الْجَنَّة، كَمَا قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورهمْ مِنْ غِلّ﴾ وَهَذَانِ التَّأْوِيلَانِ فِيهِمَا بُعْد فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيث وَرَدَ فِي سِيَاق النَّهْي عَنْ الْكِبْر الْمَعْرُوف وَهُوَ الِارْتِفَاع عَلَى النَّاس، وَاحْتِقَارهمْ، وَدَفْع الْحَقّ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَل عَلَى هَذَيْنِ التَّأْوِيلَيْنِ الْمُخْرِجَيْنِ لَهُ عَنْ الْمَطْلُوب. بَلْ الظَّاهِر مَا اِخْتَارَهُ الْقَاضِي عِيَاض وَغَيْره مِنْ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّهُ لَا يَدْخُل الْجَنَّة دُون مُجَازَاةٍ إِنْ جَازَاهُ. وَقِيلَ: هَذَا جَزَاؤُهُ لَوْ جَازَاهُ، وَقَدْ يَتَكَرَّم بِأَنَّهُ لَا يُجَازِيه، بَلْ لَا بُدّ أَنْ يَدْخُل كُلّ الْمُوَحِّدِينَ الْجَنَّة إِمَّا أَوَّلًا، وَإِمَّا ثَانِيًا بَعْد تَعْذِيب بَعْض أَصْحَاب الْكَبَائِر الَّذِينَ مَاتُوا مُصِرِّينَ عَلَيْهَا. وَقِيلَ: لَا يَدْخُل مَعَ الْمُتَّقِينَ أَوَّل وَهْلَة.

وَأَمَّا قَوْله: (قَالَ رَجُل إِنَّ الرَّجُل يُحِبّ أَنْ يَكُون ثَوْبه حَسَنًا)

وَقَوْله – صلى الله عليه وسلم –: (إِنَّ اللَّه جَمِيل يُحِبّ الْجَمَال) اِخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، فَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ كُلّ أَمْره سُبْحَانه وَتَعَالَى حَسَنٌ جَمِيلٌ، وَلَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى، وَصِفَات الْجَمَال وَالْكَمَال. وَقِيلَ: جَمِيلٌ بِمَعْنَى مُجَمِّل كَكَرِيمٍ وَسَمِيع بِمَعْنَى مُكَرِّم وَمُسَمِّع. وَقَالَ الْإِمَام أَبُو الْقَاسِم الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّه: مَعْنَاهُ جَلِيل. وَحَكَى الْإِمَام أَبُو سُلَيْمَان الْخَطَّابِيُّ أَنَّهُ بِمَعْنَى ذِي النُّور وَالْبَهْجَة أَيْ

مَالِكهمَا. جَمِيل الْأَفْعَال بِكُمْ، **بِاللُّطْفِ** وَالنَّظَر إِلَيْكُمْ، يُكَلِّفكُمْ الْيَسِير مِنْ الْعَمَل، وَيُعِين عَلَيْهِ، وَيُثِيب عَلَيْهِ الْجَزِيل، وَيَشْكُر عَلَيْهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الِاسْم وَرَدَ فِي هَذَا الْحَدِيث الصَّحِيح وَلَكِنَّهُ مِنْ أَخْبَار الْآحَاد. وَوَرَدَ أَيْضًا فِي حَدِيث الْأَسْمَاء الْحُسْنَى وَفِي إِسْنَاده مَقَالٌ. وَالْمُخْتَار جَوَازُ إِطْلَاقِهِ عَلَى اللَّه تَعَالَى: وَمِنْ الْعُلَمَاء مَنْ مَنَعَهُ. قَالَ الْإِمَام أَبُو الْمَعَالِي إِمَام الْحَرَمَيْنِ رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى: مَا وَرَدَ الشَّرْعُ بِإِطْلَاقِهِ فِي أَسْمَاء اللَّه تَعَالَى وَصِفَاته أَطْلَقْنَاهُ، وَمَا مَنَعَ الشَّرْع مِنْ إِطْلَاقه مَنَعْنَاهُ، وَمَا لَمْ يَرِد فِيهِ إِذْن وَلَا مَنْع لَمْ نَقْضِ فِيهِ بِتَحْلِيلٍ وَلَا تَحْرِيمٍ؛ فَإِنَّ الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّة تُتَلَقَّى مِنْ مَوَارِدِ الشَّرْع، وَلَوْ قَضَيْنَا بِتَحْلِيلٍ أَوْ تَحْرِيمٍ لَكُنَّا مُثْبِتِينَ حُكْمًا بِغَيْرِ الشَّرْع. قَالَ: ثُمَّ لَا يُشْتَرَط فِي جَوَاز الْإِطْلَاق وُرُود مَا يُقْطَع بِهِ فِي الشَّرْع، وَلَكِنْ مَا يَقْتَضِي الْعَمَل وَإِنْ لَمْ يُوجِب الْعِلْم فَإِنَّهُ كَافٍ، إِلَّا أَنَّ الْأَقْيِسَةَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ مُقْتَضَيَات الْعَمَل، وَلَا يَجُوز التَّمَسُّك بِهِنَّ فِي تَسْمِيَة اللَّه تَعَالَى، وَوَصْفه. هَذَا كَلَام إِمَام الْحَرَمَيْنِ وَمَحَلّه مِنْ الْإِتْقَان وَالتَّحْقِيق بِالْعِلْمِ مُطْلَقًا وَبِهَذَا الْفَنّ خُصُوصًا مَعْرُوفٌ بِالْغَايَةِ الْعُلْيَا.

وَأَمَّا قَوْله: لَمْ نَقْضِ فِيهِ بِتَحْلِيلٍ وَلَا تَحْرِيمٍ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُون إِلَّا بِالشَّرْعِ: فَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى الْمَذْهَب الْمُخْتَار فِي حُكْم الْأَشْيَاء قَبْل وُرُود الشَّرْع فَإِنَّ الْمَذْهَب الصَّحِيح عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَصْحَابنَا أَنَّهُ لَا حُكْم فِيهَا لَا بِتَحْلِيلٍ، وَلَا تَحْرِيمٍ، وَلَا إِبَاحَةٍ، وَلَا غَيْر ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْحُكْم عِنْد أَهْل السُّنَّة لَا يَكُون إِلَّا بِالشَّرْعِ. وَقَالَ بَعْض أَصْحَابنَا: إِنَّهَا عَلَى الْإِبَاحَة وَقَالَ بَعْضهمْ: عَلَى التَّحْرِيم، وَقَالَ بَعْضهمْ: عَلَى الْوَقْف. لَا يُعْلَم مَا يُقَال فِيهَا. وَالْمُخْتَار الْأَوَّل. وَاَللَّه أَعْلَم.

وَقَدْ اِخْتَلَفَ أَهْلُ السُّنَّة فِي تَسْمِيَة اللَّه وَتَعَالَى وَوَصْفه مِنْ أَوْصَاف الْكَمَال وَالْجَلَال وَالْمَدْح بِمَا لَمْ يَرِدْ بِهِ الشَّرْع وَلَا مَنَعَهُ فَأَجَازَهُ طَائِفَة، وَمَنَعَهُ آخَرُونَ إِلَّا أَنْ يَرِد بِهِ شَرْعٌ مَقْطُوعٌ بِهِ مِنْ نَصّ كِتَاب اللَّه، أَوْ سُنَّةٍ مُتَوَاتِرَةٍ، أَوْ إِجْمَاعٍ عَلَى إِطْلَاقه. فَإِنْ وَرَدَ خَبَرٌ وَاحِدٌ فَقَدْ اِخْتَلَفُوا فِيهِ فَأَجَازَهُ طَائِفَة، وَقَالُوا: الدُّعَاء بِهِ وَالثَّنَاء مِنْ بَاب الْعَمَل، وَذَلِكَ جَائِز بِخَبَرِ الْوَاحِد. وَمَنَعَهُ آخَرُونَ لِكَوْنِهِ رَاجِعًا إِلَى اِعْتِقَاد مَا يَجُوز أَوْ يَسْتَحِيل عَلَى اللَّه تَعَالَى. وَطَرِيق هَذَا الْقَطْع. قَالَ الْقَاضِي: وَالصَّوَاب جَوَازُهُ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْعَمَل، وَلِقَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وَاَللَّه أَعْلَم.

وَأَمَّا (بَطْر الْحَقّ) فَهُوَ دَفْعه وَإِنْكَاره تَرَفُّعًا وَتَجَبُّرًا.

وَقَوْله – صلى الله عليه وسلم –: (وَغَمْط النَّاسِ) وَمَعْنَاهُ اِحْتِقَارهمْ." (١)

"وإذا اعتقدوا ذلك فقد قل الرجاء من توبتهم ورجوعهم. وقد نقل بعض علمائنا أن العدل إذا تردد إلى باب القاضي يكون ذلك حرجة في حقه وترد به شهادته. فإذا كان هذا في التردد إلى باب القاضي وهو عالم من علماء المسلمين، سالم مجلسه مما يجري من مجالس هؤلاء، فكيف التردد إلى غير القاضي، فمن باب أولى وأوجب المنع من ذلك).

وقال في موضع آخر: (ينبغي للعالم أنه إذا قطع عنه معلوم المدرسة لا يترك ما كان منه من الاجتهاد ولا يتبرم، ولا يضجر لأنه قد يكون المعلوم قد قطع عنه اختبارا من الله تعالى لكي يرى صدقه في علمه وعمله؛ فإن رزقه مضمون له لا ينحصر في جهة غير أخرى. قال عليه الصلاة والسلام: (من طلب العلم تكفل الله برزقه) (٢٤).

٩٩ – ومعناه يسره له من غير تعب ولا مشقة، وإن كان الله تعالى تكفل برزق الخلق أجمعين، لكن حكمة تخصيص العالم

---

(١) الحسبة لابن تيمية ت الشحود، ابن تيمية ص/٣٩٦

بالذكر أن ذلك ييسر له بلا تعب، ولا مشقة، فجعل نصيبه من التعب والمشقة في الدرس والمطالعة والتفهم للمسائل وإلقائها وذلك من الله تعالى على **سبيل اللطف به** والإحسان إليه وهذا من كرامات العلماء، أعني فهم المسائل وحسن إلقائها، والمعرفة بسياسة الناس في تعلمها، كما أن كرامات الأولياء فيها أشياء أخرى يطول

---

(٢٤) حديث موضوع. أخرجه الخطيب (٣/ ١٨٠) من طريق محمد بن القاسم ابن هاشم عن أبيه عن يونس بن عطاء عن الثوري عن أبيه عن جده عن زياد بن الحارث به.

* وعزاه السيوطي إلي المرهبي في كتاب "فضل العلم" كما في الدر المنثور (٤/ ٣١٣).

** في سنده يونس بن عطاء، قال ابن حبان: يروي العجائب لا يجوز الاحتجاج بخبره.

وقال الحاكم وأبو سعيد النقاش: روى عن حميد الطويل الموضوعات، انظر: الميزان (٤/ ٤٨٢)، واللسان (٦/ ٣٣٣).

... وفي سنده جد الثوري، قال الذهبي: لا أعرف لجد الثوري ذكراً إلا في هذا الخبر، انظر: الميزان (٤/ ٤٨٢).." (١)

"وقد مر من عمري ثلاث أعدها ... وستون في روض **من اللطف أرتع**

ووجهي من ذل التبذل مقفر ... مقل ومن عز القناعة موسع

انتهى

آخر:

لك الحمد والنعماء والملك ربنا ... ولا شيء أعلا منك مجدا وأمجد

مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنوا الوجوه وتسجد

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ... ومن هو فوق العرش فرد موحد

ومن لم تنازعه الخلائق ملكه ... وإن لم تفرده العباد فمفرد

مليك السموات الشداد وأرضها ... وليس بشيء عن قضاه تأود

هو الله باري الخلق، والخلق كلهم ... إماء له طوعا جميعا وأعبد

وأنى يكون الخلق كالخالق الذي ... يميت ويحيي دائبا ليس يهمد

تسبحه الطير الجوانح في الخفا ... وإذ هي في جو السماء تصعد

ومن خوف ربي سبح الرعد فوقنا ... وسبحه الأشجار والوحش أبد." (٢)

"فاعمل لنفسك من قبل الممات ولا ... تعجل وتكسل فإن المرء جهاد

لا ينفع العبد إلا ما يقدمه ... فبادر الفوات واصطد قبل تصطاد

---

(١) ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين، السيوطي ص/٦٥

(٢) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ١٢/١

والموت للمؤمن الأواب تحفته ... وفيه كل الذي يبغي ويرتاد

لقا الكريم تعالى مجده وسما ... مع النعيم الذي ما فيه أنكاد

فضل من الله إحسان ومرحمة ... فالفضل لله كالآزال آباد

فالظن بالله مولانا وسيدنا ... ظن جميل مع الأنفاس يزداد

نرجوه يرحمنا نرجوه يسترنا ... فمنه للكل إمداد وإيجاد

ندعوه نسأله عفوا ومغفرة ... مع حسن خاتمة فالعمر نفاد

وقد رضينا قضاء الله كيف قضى ... **واللطف** نرجو وحسن الصبر إرشاد

انتهى

آخر:

وما الناس إلا راحلون وبينهم ... رجال ثوت آثارهم كالمعالم." [١]

"آخر: ناظم الفقه ابن عبد القوي

ولا بأس شرعا أن يطبك مسلم ... وشكوى الذي تلقى وبالحمد فابتدي

وترك الدوا أولى وفعلك جائز ... ولم تتيقن فيه حرمة مفرد

ورجح على الخوف الرجا عند يأسه ... ولاق بحسن الظن ربك تسعد ...

وتشرع للمرضى العيادة فأتهم ... تخض رحمة تغمر مجالس عود

فسبعون ألفا من ملائكة الرضا ... تصلي على من عاد ممسي إلى الغد

وإن عاده في أول اليوم واصلت ... عليه إلى الليل الصلاة فأسند

فمنهم مغبا عد وخفف ومنهم الـ ... ذي يؤثر التطويل من متودد

ففكر وراع في العيادة حال من ... تعود ولا تكثر سؤالا تنكد

وذكر لمن تأتي وقو فوآد ... ومره بأن يوصي إذا خفت وارشد

وند بماء أو شراب لسانه ... ولاقنه عند الموت قول الموحد

ولا تضجرن بل إن تكلم بعده ... فعاود بلفظ **واسأل اللطف واجهد**." [٢]

"من آية مرت بنا وآية ... في بعضها لمن وعى كفاية

ونحن في ذا كله لا نعتبر ... ولا نخاف غيبها فنزدجر

أليس هذا كله تأديبا؟ ... فما لنا لا نتقي الذنوبا

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ١/١٢٧

(٢) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ١/١٤٧

لكن قسى قلب وجفت أدمع ... إنا إلى الله إليه المرجع

فنسأل الرحمن ستر ما بقي ... وعفوه **واللطف** فيما نتقى

فكم وكم قد أظهر الجميلا ... وستر القبيح جيلا جيلا

حتى متى لا ترعوي بالوعظ ... وأنت تنبو كالغليظ الفظ

سر سير من غايته السلامة ... وعد على نفسك بالملامة

بادر بخير إن نويت واجتهد ... وإن نويت الشر فازجر واقتصد

خذ في عتاب نفسك الأمارة ... فإنها غدارة غرراة

خالف هواك تنجح منه حقا ... والنفس والشيطان كي لا تشقى

نفسي عما سرني تدافع ... وهي إلى ما ضرني تسارع

قد أسرتها شهوة وغفلة ... تنكر شيئا ثم تأتي مثله

فمن حبى حسانها فقد ظفر ... ومن حباها غفلة فقد خسر

قدم ليوم العرض زاد المجتهد ... ثم الجوب للسؤآل فاستعد

تطوي الليالي العمر طيا طيا ... وأنت لا تزداد إلا غيا

فلا تبت إلا على وصية ... فإنها عاقبة مرضية

هيهات لابد من النزوح ... حقا ولو عمرت عمر نوح

فنسأل الله لنا السلامة ... في هذه الدنيا وفي القيامة

أعدد لجيش السيئات توبة ... فإنها تهزم كل حوبة

وارجع إلى ربك فاسألنه ... ولا تحد طرفة عين عنه

أفضل زاد المرء تقوى الله ... سبحانه جل عن التناهي

عليك بالتقوى وكل واجب ... وترك ما يخشى وشكر الواهب." (١)

"فسوف تشرب بالكأس الذي شربوا ... بها إن يكن نهل منها وإن علل

فاغنم بقية عمر مر أكثره ... في غير شيء فمهلا أيها الرجل

انتهى

آخر:

كرهت وعلام الغيوب حياتي ... وأصبحت أرجو أن تحين وفاتي

فشا السوء إلا في القليل من الورى ... وخاضوا بحار اللهو والشهوات

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٢٤٦/١

وضاعت لديهم حرمة الدين واغتدت ... نفوسهمو في الفسق منغمسات

وقد فسدت أخلاقهم وتغيرت ... وأضحت خلال الخزي منتشرات

وسار الخنا فيهم فلست أرى سوى ... كتائب فساق وجمع طغاة

فمنهم كذوب في الوداد مخادع ... أراه صديقي وهو رأس عداتي

يقابلني بالبشر واللطف عندما ... يراني ويدعو لي بطول حياتي

وإن غبت عنه سبني وأهانني ... وعد عيوبي للورى وهناتي

ومنهم شقي همه الفسق والزنا ... ولو كان عقباه إلى الهلكات

تلاقيه يجري خلف مسلمة بلا ... حيآء ولا خوف من اللعنات." (١)

"وقال بعضهم في مدح اللطيف الخبير جل وعلا وذكر بعض ألطافه:

أحاط بتفصيل الدقائق علمه ... فأتقنها صنعا وأحكمها فعلا

فمن لطفه حفظ الجنين وصونه ... بمستودع قد مر فيه وقد حلا

تكنفه باللطف في ظلماته ... ولا مال يغنيه هناك ولا أهلا

و يأتيه رزق سابغ منه سائغ ... يروح له طولا ويغدو له فضلا

وما هو يستدعي غذاء بقيمة ... ولا هو ممن يحسن الشرب والأكلا

جرى في مجاري عرقه بتلطف ... بلا طلب جريا على قدره سهلا

وأجرى له في الثدي لطف غذائه ... شرابا هنيئا ما ألذ وما أحلا

وألهمه مصا بحكمة فاطر ... له الحمد والشكر الجزيل بما أولا

وأخر خلق السن عنه لوقتها ... فأبرزها عونا وجاء بها طولا

وقسمها للقطع والكسر قسمة ... وللطحن أعطى كل قسم لها شكلا." (٢)

"وبادر الأمر فما غائب ... أسرع إتيانا من الموت

كم شائد بيتا ليغنى به ... مات ولم يفرغ من البيت

انتهى

اللهم وفقنا لصالح الأعمال، ونجنا من جميع الأهوال، وأمنا من الفزع الأكبر يوم الرجف والزلزال، واغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

تضرع إلى رب العزة والجلال:

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ١/٣٢٨

(٢) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ١/٤٢٦

يا رب يا من هو العلام في الأزل ... بالسر والجهر من قولي ومن عملي

ثبت بفضلك قلبي يا رحيم وجد ... لي بالرضا واعف يا رحمن عن زللي

(جرائمي لست أحصيها لكثرتها ... أرجوك يا سيدي عنها تجاوز لي

حسبي رضاك ولا أرجو سواك ولا ... أحصي ثناك وإني فيك ذو أمل)

خلقتنا من تراب ثم من علق ... وسوف تبعثنا للموقف الجلل

ذنبي عظيم وقلبي خائف وجل ... ومنك يرجى أمان الخائف الوجل

رب اكفني شر نفسي واللعين وهب ... لي توبة واهدني قبل انقضى أجلي

زادت عيوبي فآمن روعتي وأقل ... يا ربنا عثرتي وانظر بلطفك لي

سهل بفضلك رزقي واغنني أبدا ... عن سائر الخلق يا من لا يزال علي

شغلت باللهو عن ذكر الاله ول ... كن عفوه يرتجيه كل مبتهل

صبابتي عظمت إذ مقلتي حرمت ... طيب الكرى ونما ياسيدي زللي ...

ضيعت عمري في لهو وفي لعب ... وفي فتور وفي عجز وفي كسل

أرجوك عفوك يا من قد تنزه عن ... ضد وند وعن كيف وعن مثل

ظني جميل به أرجو النجاة غدا ... والعفو عما مضى يا منتهى أملي

عاملتني منك بالألطاف والمنن ... مذ كنت طفلا **ومنك اللطف لم** يزل." (١)

"شق حجب الكون للمعبود لا ... تلتفت إلا إليه يقبلك

صن عن الدنيا لسانا ويدا ... وفؤادا وله اخلص عملك

ضم أحشاك على توحيده ... فهو نور يذهب الداجى الحلك ...

طب له واقنع به عن غيره ... فهو كاف فضله قد شملك

ظن خيرا تلق ما قد ترتجي ... من جميع الخير حتى يقبلك

عد إليه كلما حل البلا ... عل تسلم من رجيم سولك

خض بحار العذر في جنح الدجى ... لكريم بالعطايا خولك

فاترك التدبير والعلم له ... اسأل المولى يصفي منهلك

قل بذل: يا رحيم الرحما ... يا منجي بالعطايا من هلك

كن مجيرا ونصيرا وحمى ... لعبيد مذنب قد سألك

لذت بالباب فحاشا أن أرى ... تعبا والأمر والتدبير لك

مر عيشي والخطا أبعدني ... واعتقادي الصفح عما كان لك

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٥١٦/١

نجنا من كل كرب وبلا ... يوم يلقى العبد مكتوب الملك

هب لنا الستر ولا تفضح لنا ... يا إلهي واعف عمن ساءلك

يا مجيب العفو يسر أمرنا ... واقض عنا ما لمخلوق ولك

وتحنن بالعطايا كرما ... أنت مولانا وأولى من ملك

انتهى

آخر:

دوام حال من قضايا المحال ... **واللطف** موجود على كل حال

والنصر بالصبر محلى الظبى ... والجد بالجد مريش النبال

وعادة الأيام معهودة ... حرب وسلم والليالي سجال

وما على الدهر انتقاد على ... حال فإن الحال ذات انتقال

من لليالي بائتلاف وكم ... من اعتبار باختلاف الليال

أخذ عطاء، محنة منحة ... تفرق جمع، جلال جمال

حال انتظام وانتثار معا ... كأنما هذي الليالي لأل." (١)

"تنادينا المنية كل وقت ... وما نصغي إلى قول المنادي

وأنفاس النفوس إلى انتقاص ... ولكن الذنوب إلى ازدياد

إذا ما الزرع قارنه إصفرار ... فليس دواؤه غير الحصاد

كأنك بالمشيب وقد تبدي ... وبالأخرى مناديها ينادي

انتهى

آخر:

أبدا تفهمنا الخطوب كرورها ... ونعود في عمه كمن لا يفهم

تلقى مسامعنا العظات كأنما ... في الظل يرقم وعظه من يرقم

وصحائف الأيام نحن سطورها ... يقرا الأخير ويدرج المتقدم

لحد على لحد يهال ضريحه ... وبأعظم رمم عليها أعظم

من ذا توفاه المنون وقبلنا ... عاد أطاحهم الحمام وجرهم

والتبعان تلاحقا ومحرق ... والمنذران ومالك ومتمم

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٥٢٩/١

اللهم أنا نسألك من النعمة أتمها، ومن العصمة عن المعاصي دوامها، ومن رحمتك شمولها، ومن العافية حصولها، ومن العيش أرغده، ومن العمر أسعده، ومن الإحسان أتمه، ومن الإنعام أعمه، ومن الفضل أعذبه، **ومن اللطف أقربه**، ونسألك أن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

آخر:

لا تحسدن غنيا في تنعمه ... قد يكثر المال مقرونا به الكدر

تصفو العيون إذا قلت مواردها ... والماء عند ازدياد النيل يعتكر." (١)

"كيف يلتذ بالحياة لبيب ... فوقت نحوه المنية أسهم

ليس يدري متى يفاجيه منها ... صائب يقصف الظهور ويقصم

ما لغصني ذوى وكان نضيرا ... ولظهري انحنى وكان مقوم

ولحدي نبا وكان مبيرا ... ولجيشي انثنى وكان عرمرم

ولدهري أدال شرخ شبابي ... بمشيب عند الحسان مذمم

فأنا اليوم عن هواهن سال ... وقديما بهن كنت متيم!

لو بروق الزمان ينطح يوما ... ركن ثهلان هده فتهدم!

نحن في منزل الفناء ولكن ... هو باب إلى البقاء وسلم

ورحى الموت تستدير علينا ... أبدا تطحن الجميع وتهشم

وأنا موقن بذاك عليم ... وفعالي فعال من ليس يعلم

وكذا أمتطي الهوينا إلى أن ... أتوفى فعند ذلك أندم!

فعسى من له أعفر وجهي ... سيرى فاقتي إليه فيرحم

فشفيعي إليه حسن ظنوني ... ورجائي له، وأني مسلم

وله الحمد أن هداني لهذا ... عدد القطر ما الحمام ترنم

إليه ضراعتي وابتهالي ... في معافاة شيبتي من جهنم

آخر:

يا رب حقق توبتي بقبولها ... واشف القلوب بأمرك الفعال

وامح الشقاوة بالسعادة والغنى ... بكفاية يرتاح منها بالي

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٥٧٦/١

أرجوك في الدارين قطع علائقي ... عمن سواك فأنت أولى وال

عودتني اللطف الجميل تكرما ... فاجعله دوما يا عظيم نوالي." (١)

"وانصح له نصح الصديق الصادق ... ولاقه في الأمر كالموافق

إلا إذا أتى الردى أو قال به ... فرده **باللطف** حتى ينتبه

ولا ترد من جليسك الخبر ... ولا تضعفه فذا له ضرر

وإن أتى بهفوة في المجلس ... فاستر عليه ستر خل مؤنس

ولا تعقبه بذكراها أبد ... فالحر لم يشمت ولم يفضح أحد

وجاهد النفس على حمل الأذى ... من مسلم تكن إماما يحتذى

واجهر إذا لقيت بالسلام ... بذاك وصى سيد الأنام

لا تجعلن إشارة تحيه ... تكن عدو السنة السنيه

إن السلام هيئة الأبرار ... ومن يشير تابع الكفار

واحذر من التصفيق بعد الخطب ... كهيئة الإماء عند اللعب

فقد نهى الرجال سيد البشر ... عن فعله فذاك شيء محتقر ...

واعرف كرامات الرجال باللحى ... سودا وبيضا كالصباح اتضحا

فهي لهم فضل على النساء ... ميزا وحسنا عند كل رائى

وأمر الرسول أن توفرا ... فحلقها يعد قبحا منكرا." (٢)

"فإنهمو قد بايعوك على الهدى ... ولم يجعلوا لله في الدين من ند

وقد هجروا ما كان من بدع ومن ... عبادة من حل المقابر في اللحد

فما لك في سفك الدما قط حجة ... خف الله واحذر ما تسر وما تبدي

وعامل عباد الله **باللطف** وادعهم ... إلى فعل ما يهدي إلى جنة الخلد

ورد عليهم ما سلبت فإنه ... حرام ولا تغتر بالعز والجد

ولا بأناس حسنوا لك ما ترى ... فما همهم إلا الأثاث مع النقد

يريدون نهب المسلمين وأخذ ... ما بأيديهمو من غير خوف ولا حد

فراقب إله العرش من قبل أن ترى ... صريعا فلا شيء يفيد ولا يجدي

نعم واعلموا أني أرى كل بدعة ... ضلالا على ما قلت في ذلك العقد

ولا تحسبوا أني رجعت عن الذي ... تضمنه نظمي القديم إلى نجد

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٢/١٣٥

(٢) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٢/٢٢٩

بلى كل ما فيه هو الحق إنما ... تجاريك من سفك الدما ليس من قصد

وتكفير أهل الأرض لست أقوله ... كما قلته لا عن دليل به تهدي

وها أنا أبرا من فعالك في الورى ... فما أنت في هذا مصيب ولا مهدي

ودونكها مني نصيحة مشفق ... عليك عسى تهدى لهذا وتستهدي

وتغلق أبواب الغلو جميعها ... وتأتي الأمور الصالحات على قصد

وهذا نظامي جاءوا لله حجة ... عليك فقابل بالقبول الذي أبدي

أقول لعمرى ما أصبت ولم تكن ... على منهج ينجيك عن زورك المردي

فقد كان شيخ المسلمين محمدا ... على المنهج الأسنى وكان على الرشد

فسار على منهاج سنة أحمد ... ومنهج أصحاب النبي ذوي المجد." (١)

"ولكنهم في غيهم وضلالهم ... وطغيانهم لا يهتدون لمن يهدي

نعم كان منهم من أجاب تزندقا ... وحاد أخيرا عن موافقة الرشد

إلى الكفر والإشراك بالله جهرة ... فقاتلهم عمدا وقصدا لذي القصد

فخاف من المولى عقوبة تركهم ... على كفرهم حتى يفيئوا لما يبدي

وعامل أهل الحق **باللطف** والذي ... يحيد عن الإسلام بالصارم الهندي

وقد قام يدعوهم إلى الله برهة ... من الدهر لم يأل اجتهادا بما يبدي

وعاملهم **باللطف** والرفق داعيا ... إلى فعل ما يهدي إلى جنة الخلد

فلما أبوا واستكبروا وتمردوا ... عن الدين واستعدوا غواة ذوي جحد

أحل بهم ما قد أحل نبيهم ... بمن كفروا بالله من كل ذي طرد

إلى أن أنابوا واستجابوا وأذعنوا ... لمن قام يدعوهم إلى منهج الرشد

فنالوا به عزا وحمدا ورفعة ... ودان لهم بالدين من صد عن جهد

وقولك فاردد ما نهبت تحكم ... ثكلتك هل تدري غوائل ما تبدي

أيرجع أموالا أبيحت بكفرهم ... إليهم وهل هذي مقالة ذي نقد

أهذا حرام ويل أمك أو أتى ... بذلك وحي مستبين لذي رشد

فلو أن ما تحكي من الزور كائن ... لكان حراما لا يباح ولا يجدي

وما عز شمس الدين في نصرة الهدى ... تعززه بالجاه والعز والجد ...

ولا بأناس حسنوا البغي بالهوى ... ولا همهم إلا الأثاث مع النقد

كما قلته فيما تهورت قائلا ... بما لم يقل أهل الدراية في نجد

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٢/٥١٤

وما قلتمو بالمين من هذيانكم ... كقولك تمويها على الأعين الرمد

يريدون نهب المسلمين وأخذ ما ... بأيديهمو من غير خوف ولا حد." (١)

"هذا وذاك بسمعه وبعلمه ... لو شاء عاجلهم بكل هوان

لكن يعافيهم ويرزقهم وهم ... يؤذونه بالشرك والكفران

«فصل»

وهو الرقيب على الخواطر واللوا ... حظ كيف بالأفعال بالأركان

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيل ... بحفظهم من كل أمر عان

وهو اللطيف بعبده ولعبده ... واللطف في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرة ... واللطف عند مواقع الإحسان

فيريك عزته ويبدي لطفه ... والعبد في الغفلات عن ذا الشان

«فصل»

وهو الرفيق يحب أهل الرفق بل ... يعطيهم بالرفق فوق أمان

وهو القريب وقربه المختص ... بالداعي وعابده على الإيمان

وهو المجيب يقول من يدعو أجبه ... أنا المجيب لكل من ناداني

وهو المجيب لدعوة المضطر إذ ... يدعوه في سر وفي إعلان

وهو الجواد فجوده عم الوجو ... د جميعه بالفضل والإحسان

وهو الجواد فلا يخيب سائلا ... ولو أنه من أمة الكفران

وهو المغيث لكل مخلوقاته ... وكذا يجيب إغاثة اللهفان

«فصل»

وهو الودود يحبهم ويحبه ... أحبابه والفضل للمنان

وهو الذي جعل المحبة في قلو ... بهم وجازاهم بحب ثان

هذا هو الإحسان حقا لا معا ... وضة ولا لتوقع الشكران

لكن يحب شكورهم وشكورهم ... لا لاحتياج منه للشكران." (٢)

"آداب العلاقة بالعوام المجهولين

فإن بليت بالعوام المجهولين فآداب مجالستهم: ترك الخوض في حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم، والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم، والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة إليهم، والتنبيه على منكراتهم باللطف، والنصح عند رجال القبول منهم،

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٢/٥١٦

(٢) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٢/٥٨٥

واستعذ بالله دائماً من صحبة البطالين.

*******." (1)

"وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((ما تحاب اثنان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه)) (١).

وآداب الصحبة:

الإيثار بالمال، فإن لم يكن هذا، فبذل الفضل من المال عند الحاجة. والإعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير إحواج إلى التماس. وكتمان السر. وستر العيوب.

والسكوت على تبليغ ما يسوؤه من مذمة الناس إياه. وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه.

وحسن الإصغاء عند الحديث، وترك المماراة فيه. وأن يدعوه بأحب أسمائه إليه. وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه إن لم يخش مفسدة. وأن يشكره على صنيعه في وجهه.

وأن يذب عنه في غيبته إذا تُعرِّض لعرضه كما يذب عن نفسه.

وأن ينصحه **باللطف** والتعريض إذا احتاج إليه. وأن يعفو عن زلته وهفوته ولا يعتب عليه. ... وأن يدعو له في خلوته في حياته وبعد مماته. وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته.

وأن يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئًا من حاجاته. ويروح قلبه من مهماته.

---

(١) رواه أبو يعلى (٦/ ٣٤١٩) من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – وقال المنذري وتبعه الهيثمي (١٠/ ٢٧٦): "رواته رواة الصحيح إلا مبارك بن فضالة" وهو صدوق يدلس وقد صرح بالتحديث كما عند البخاري في "الأدب المفرد" (٥٤٤)؛ فالإسناد حسن، وصححه ابن حبان (٥٦٦) واللفظ المزبور له، والحاكم (٧٣٢٣). وله شاهد من حديث أبي الدرداء – رضي الله عنه – عزاه المنذري للطبراني وقال: "إسناده جيد قوي".

تنبيه: قال الشيخ الألباني (رحمه الله وطيب ثراه) في "الصحيحة" (٤٥٠) بعد تخريجه للحديث وعزوه إياه لابن حبان وغيره: "تنبيه": جميع روايات الحديث بلفظ (رجلان). وأما الغزالي فذكره في "الإحياء" (٢/ ١٣٩) بلفظ (اثنان). ولم أجده في شيء من هذه الروايات "اهـ. وأقول: اللفظ الذي ذكره الإمام الغزالي –رحمه الله– هو لفظ ابن حبان (٥٦٦ – إحسان)، وبهذا اللفظ أورده الحافظ السيوطي في "الجامع الصغير" (٧٨٦٧) وعزاه للبخاري في "الأدب المفرد"، وابن حبان، والحاكم. ورمز لصحته. والله الموفق لا رب سواه.." (٢)

"أن يأكل صاحب المنزل مع الضيف

وكذلك من آداب الطعام: أنه إذا كان الضيف يستحي من الأكل لوحده فإنه ينبغي على صاحب المنزل أن يأكل معه، وجرى في عادات بعض الناس أنهم يضعون الطعام ويمشون، وقد يصيب الحرج الآكلين ويريدون أن يجلس معهم صاحب

---

(١) بلوغ الغاية من تهذيب بداية الهداية، ص/١١٥

(٢) بلوغ الغاية من تهذيب بداية الهداية، ص/١٢٠

البيت، ليأنسوا ولا يشعروا بالحرج لكن هو يصر على العادات والتقاليد ويمشي من المكان.

وهذا ليس من الدين في شيء، هذا يرجع إلى حال الضيوف فإن كانوا ممن يرون أن تجلس معهم اجلس معهم، وإن كانوا لا مانع عندهم أن تذهب اذهب، لكن أن تقول: أنا سأحكم العادات والتقاليد، ونحن عاداتنا ما نجلس مع الضيف عند الأكل، ولو كان الضيف يريدك أن تجلس، إذا هذا من قلة الأدب وليس من الأدب في شيء، ضع العادات على جنب وخذ ما جاء في الشريعة التي أمرت أو حثت على الإيناس **واللطف** وحسن العشرة، فإذا كان من حسن العشرة أن تجلس مع الضيوف فاجلس معهم وكل معهم، وآنسهم.." (١)

"ذكر ما جاء في الإخلاص ومحبة المدح والطمع فيما عند الناس

الحمد لله رب العالمين حمد عباده الشاكرين الذاكرين، حمدا يوافي نعم الله علينا ويكافئ مزيده، وصلاة وسلاما على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، اللهم صل وسلم وبارك عليه صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد: ندعو الله عز وجل أن يجعل جمعنا هذا برحمته جمعا مرحوما، وتفرقنا من بعده تفرقا معصوما.

اللهم لا تجعل بيننا شقيا ولا محروما، فك اللهم الكرب عن المكروبين، اللهم فك الكرب عن المكروبين، اللهم فك الكرب عن المكروبين.

واشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم أمواتنا وأموات المسلمين، وإن أردت بعبادتك فتنة فاقبضنا إليك معافين غير فاتنين ولا مفتونين، وغير خزايا ولا ندامى ولا مبدلين.

اللهم لا تدع لنا في هذه الليلة العظيمة وفي هذا الشهر العظيم ذنبا إلا غفرته، ولا مريضا إلا شفيته ولا عسيرا إلا يسرته، ولا كربا إلا أذهبته، ولا هما إلا فرجته، ولا دينا إلا قضيته، ولا طالبا إلا نجحته، ولا صدرا ضيقا إلا شرحته، ولا ضالا إلا هديته، ولا مظلوما إلا نصرته، ولا ظالما إلا قصمته، ولا صاحب حاجة إلا قضيتها له، ولا ضالا إلا هديته ولا ميتا إلا رحمته، ولا مسافرا إلا غانما سالما لأهله رددته.

اللهم اطرد عن بيوتنا شياطين الإنس والجن، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، كن لنا ولا تكن علينا، ثقل بهذه المجالس موازيننا يوم القيامة.

اللهم ثقل بها موازيننا يوم القيامة، اللهم اجعلها خالصة لوجهك الكريم، واغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، اجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: ما زلنا مع ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه العظيم الفوائد، فاللهم اجعله لنا فوائد في الدنيا والآخرة يا أكرم الأكرمين!

يقول ابن القيم رحمه الله: [لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة النفس والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت].

إن ابن القيم يجمع بين المتضادات، والمتضادات لا تجتمع أبدا، فهو يريد أن يقول: إنك لا تجمع الماء مع النار، ولا تجمع الضب مع الحوت، ولا تجمع الأسود مع الأبيض، كذلك لا تستطيع أن تجمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء،

---

(١) سلسلة الآداب – المنجد، محمد صالح المنجد ٥٤/٩

يعني: إن أحببت أن يمدحك الناس ويثنوا عليك فأنت لست مؤمنا.

إذا: هذه علامة جديدة من علامات المخلص، فالإنسان المخلص سواء مدحه الناس أو لم يمدحوه فإنه لا يتغير، وإنما هو مجبول على الإخلاص لله عز وجل.

وإخلاص العبد فيه ثلاث صفات: أن العبد لا يطلع عليه فيعجب به، ولا الشيطان يطلع على إخلاص العبد فيفسده ولا الملك المقرب يكتبه، إنما المطلع الوحيد على إخلاص العبد هو الله.

ف ابن قيم الجوزية يضيف علامة جديدة من علامات إخلاص القلب لله عز وجل، أن الإنسان وهو يعمل لله لا يريد ثناء من العبد ولا مدحا، بل بالعكس يحب عدم المدح أكثر من المدح؛ ولذلك قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب)، وكان سيدنا أبو بكر إذا مدحه أحدهم يقول: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون واجعلني خيرا مما يظنون، يعني: هناك أشياء لا يعرفها الناس عنه، ولذلك من كرم الله سبحانه وتعالى أن جعل الستر، ومن كرمه سبحانه أن العبد الذي يستره الله في الدنيا لم يفضحه يوم القيامة وهذا من ستر الله أيضا، وهذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى سيكرم العبد؛ لأنه إن ستره في الدنيا فلن يفضحه على رءوس الأشهاد يوم القيامة، اللهم يا من سترت في الدنيا! لا تفضحنا على رءوس الأشهاد يوم القيامة آمين يا رب العالمين! هكذا كان يدعو أبو بكر في صلاته، فإن فضيحة الآخرة مسألة لا علاج لها، نسأل الله السلامة، ونسأل الله أن يسترنا وإياكم دنيا وأخرى، وأن يجعل كل أعمالنا مستورة عنده عيبها وشرها وانحرافها، إنه سبحانه على ما يشاء قدير.

وقد صلى الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات زرافات ووحدانا، يعني: جماعات وفرادى، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني)، يعني: لا تمدحوني، وقد كان بعض الصالحين إذا مدح يقول: اللهم أنت أعلم مني بنفسي فاغفر لي ما لا يعلمون واجعلني خيرا مما يظنون، وأخذوا هذا الدعاء من أبي بكر رضوان الله عليه.

ولذلك يقول الله عز وجل: يا ابن آدم إذا أصبتك بمصيبة شكوتني إلى عوادك وزوارك، وكم من عمل قبيح منك يصعد إلي في الليل والنهار فلا أشكوك إلى ملائكتي.

فالله سبحانه وتعالى يعاملنا بهذا اللطف ونحن نتعامل معه بهذا الأسلوب، هو لا يشكونا إلى ملائكته، قال أحد الصالحين: ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك لاحتقرت الموصوف وأنت لا تعرف أنه أنت، أي: لو أن شخصا وصف لك نفسك لقلت: إن هذا سيئ، قال سبحانه: ﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ [المعارج:٣٨]، وطلب الجنة بلا عمل إثم من الآثام، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، فالإيمان تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان.

إذا: لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة النفس والثناء والطمع فيما عند الناس، فالإنسان إذا كان يطمع فيما عند الناس، فليس عنده إخلاص، فإنه لو كان عنده إخلاص لا يطمع إلا فيما عند الله، فإذا طمع الإنسان فيما عند الله، فقد طمع في الخير كله، ومادام ربنا سبحانه وتعالى بيده خزائن ومفاتيح السماوات والأرض، فاللهم افتح لنا أبواب رحمتك يا أكرم الأكرمين! قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولا فاذبحه بسكين

اليأس].

بدأ ابن القيم أسلوبه بهذه الطريقة، يقول: أتريد أن تكون مخلصا مقدما على الإخلاص؟ اذبح الطمع الذي يعتريك بسكين اليأس من الناس والأمل في الله.

ومادام أنني يئست من الناس فإن أملي يكون في الله فقط.

قال: [فأقبل على الطمع أولا فاذبحه بسكين اليأس وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة].

دخل رجل على هارون الرشيد رحمه الله، فرأى القصور والجواري، وكانت ثياب هذا الرجل ليست مناسبة للمقام، فقال هارون الرشيد: إنك لرجل زاهد، قال الرجل: يا أمير المؤمنين! أنت أزهد مني، قال: كيف ذلك؟ قال: أنا زهدت في دنيا فانية، وأنت زهدت في آخرة باقية! وللأسف الشديد نجد أن تاريخ المسلمين كتبه علماء الغرب المستشرقون الذين يكنون للإسلام كل شر، فصوروا لنا هارون الرشيد أنه لا يسمع إلى العلماء، مع أنه كان مجلسه مجلس علم وفقه وأدب وقد دخل عليه هذا وقال له أمير المؤمنين ما قال، ورد الرجل على أمير المؤمنين ولم يغضب أمير المؤمنين، لكن لو أن واحدا من زماننا هذا قال لرئيس دولة ذلك فلا ندري ما الذي سيحصل لهذا المسكين؟! فذاك يقول: أنا ابن رجل من القريتين عظيم، والثاني: يقول: أنا ابن أمير المؤمنين، لكن لسان حال هذا المسكين يقول: أما أنا فابن من أمر الله الملائكة أن تسجد له.

قال الشاعر: ومما زادني فخرا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا دخولي تحت قولك يا عبادي وأن أرسلت أحمد لي نبيا يعني: يا رب أنا من ضمن عبادك، وأرسلت أحمد لي نبيا، وأنا أتبعه صلى الله عليه وسلم.." (١)

"ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب» (١).

وباب التوبة مفتوح على مصراعيه تنسم منه نسمات الرحمة **واللطف** والنعم؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا * جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦٠، ٦١].

فالتوبة التي تنشئ الإيمان والعمل الصالح، فتحقق مدلولها الإيجابي الواضح .. تُنجي من ذلك المصير فلا يلقى أصحابها ﴿غيًا﴾، إنما يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا.

فما أعظم بركات الاستغفار والإنابة إلى الله، بهما تُستنزل الرحمات، وتبارك الأرزاق، وتكثر الخيرات، ويعطي الله الأموال والبنين، ويغفر الذنب، ويمنح القوة والسداد والرشاد.

والله عفو غفور تواب، يقبل التوب ويغفر الذنب،

---

(١) «سنن ابن ماجه» ج٢/ ١٢٥٤، رقم (٣٨١٩) ورواه «أبو داود» (١٥١٨) والإمام أحمد في «المسند» ١/ ٢٤٨

---

(١) شرح كتاب الفوائد، عمر عبد الكافي ٢/١٤

وفي سنده الحكم بن مصعب القرشي المخزومي: متكلمٌ فيه، لكن صححه العلامة أحمد شاكر (٢٢٣٤) حيث ترجم البخاري للحكم في «تاريخه الكبير» ولم يذكر فيه جرحًا فهو ثقة عنده.." (١)

"إبراهيم عليه السلام وأدب الضيافة

وقد ضرب إبراهيم الخليل صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم المثل العظيم في إكرام الضيف، فقد جاءه ضيف، قال تعالى: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون * فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة﴾ [الذاريات:٢٤ - ٢٨].

هذه الآيات اشتملت على آداب الضيافة من قبل إبراهيم الخليل عليه السلام؛ فتعالوا بنا ننهي هذا الموضوع باستعراض بعض الفوائد في الضيافة التي حصلت من إبراهيم الخليل عليه السلام:- أولا: أنه قرب الطعام إليهم، ولم يأمرهم أن يتقدموا إلى الطعام وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿فقربه إليهم﴾ [الذاريات:٢٧] حتى يكفيهم مئونة الإتيان إلى الطعام، وهو من مزيد التكريم، أن تقدم الطعام للضيف؛ لكن مع كثرة الأطعمة التي نضعها اليوم، يمكن أن يجلس الواحد نصف ساعة وهو يقدم الأطعمة إلى الضيف، ولذلك لو أنه جهز السفرة ثم قربهم إليها، فلا بأس بذلك.

ثانيا: من آداب الضيافة: السرعة في الإتيان بالطعام أخذناه من قوله تعالى: ﴿فجاء بعجل سمين﴾ [الذاريات:٢٦] (فجاء) بحرف الفاء، ولم يقل: ثم جاء، ولكن (فجاء).

ثالثا: إحضار الطعام بدون إعلامهم أو بدون استئذانهم لئلا يحرجوا وبعض الناس يقول: هل نأتي لكم بغداء؟! معنى ذلك أنه لا يريد أن يأتي لهم بشيء؛ لأنه لو كان صادقا لأتى بالغداء قبل أن يستأذنهم أو يستأمرهم، وهكذا فعل إبراهيم الخليل؛ فإن الله تعالى قال عنه: ﴿فراغ إلى أهله﴾ [الذاريات:٢٦] و (راغ) أي: ذهب خفية لئلا يحرجهم، وما أحسوا به لما ذهب من الباب، فانسل خفية وأتاهم بالطعام.

رابعا: اختيار أحسن الطعام قال تعالى: ﴿فجاء بعجل سمين﴾ [الذاريات:٢٦] والآية الثانية: ﴿بعجل حنيذ﴾ [هود:٦٩] والحنيذ هو اللحم المشوي على الرضخ، والرضخ هي الحجارة المحماة، وهو ألذ الطعام وأصحه، فاللحم المشوي على الحجارة المحماة أصح شيء، وهو في القمة واسأل به خبيرا! وليس ذلك أنا، فإني لم أشو على الحجارة أبدا، لكن المقصود أنك تسأل الذين يشوون على الحجارة، ويقال: إن طعام الكبراء من هذا النوع، أكثره على الحجارة المحماة، فهو جيد من ناحية الصحة، ومن ناحية اللذة والنضج على الحجارة.

سادسا: أسلوب العرض جميل قال تعالى: ﴿قال ألا تأكلون﴾ [الذاريات:٢٧] لما قربه إليهم ما مدوا أيديهم ﴿قال ألا تأكلون﴾ [الذاريات:٢٧] أسلوب في غاية **اللطف**.

سابعا: حسن الاستقبال فإبراهيم كان بابه مفتوحا ﴿إذ دخلوا عليه﴾ [الذاريات:٢٥] والكريم دائما بابه مفتوح.

ثامنا: أنهم لما قالوا له: سلاما، قال: سلام سلاما: جملة فعلية، وسلام: جملة اسمية.

سلاما: مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره نسلم سلاما.

---

(١) التوبة إلى الله، صالح السدلان ص/١٦

سلام: خبر ﴿سلام قوم منكرون﴾ [الذاريات:٢٥] فهي جملة اسمية، والجملة الاسمية تفيد استقرار المعنى وثباته أكثر مما تفيده الجملة الفعلية ﴿فقالوا سلاما قال سلام﴾ [الذاريات:٢٥].

قال تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ [النساء:٨٦].

تاسعا: لم يسألهم عن أسمائهم، إنما أشعرهم بأن قال: ﴿سلام قوم منكرون﴾ [الذاريات:٢٥] أي: أهلا بالضيوف الذين لا أعرفهم، فهو يرحب بمن يعرف وبمن لا يعرف، وهذا من كرمه صلى الله عليه وسلم، فهو الذي يكرم الجميع، فقد جاء بعجل حنيذ لأناس لا يعرفهم، وهذا من إكرام أبي الأنبياء عليه السلام.

عاشرا: أن الإنسان يراقب أحوال الضيف حتى يأتيه أو يعينه على المقصود قال تعالى: ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة﴾ [هود:٧٠] وفي الآية الأخرى: ﴿قال ألا تأكلون﴾ [الذاريات:٢٧] فإن الإنسان يراعي أحوال الضيف: ماذا ينقصه؟ ربما ينقصه ماء، ربما ينقصه شيء؛ والآن بعض الناس يضعون السفرة ويمشون، ولا يدري عن الضيوف ماذا ينقصهم، وماذا يحتاجون، فتفقد أحوال الضيوف على المائدة من إكرام الضيوف.

الحادي عشر: المبالغة ذبح لهم عجلا، لم يذبح لهم ثورا، أو جاموسا قاسي اللحم، إنما ذبح العجل الذي هو صغار البقر، وهذا يكون لحمه طريا طيبا.

الثاني عشر: من إكرام الضيف أن الإنسان يحادثه:- يحادث ضيفه؛ ليحصل الاستئناس، ولذلك رخص النبي صلى الله عليه وسلم في السمر للمصلي والمسافر والذي عنده ضيف، لا بأس أن يسمر معه الإنسان في الليل، وإلا فإن الأصل أن بعد العشاء نوم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كره السهر، إلا لمصل، أو مسافر، أو صاحب ضيف يسمر معه ويحادثه.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.." (١)

"المبحث العشرون: الرفق واللين

أولاً: تعريف الرفق واللين:

الرفق لغة: اللطف ولين الجانب (١)، وهو ضد العنف (٢)، واللين: ضد الخشونة (٣)، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٤).

ومعنى ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾: سهَّلت لهم أخلاقك، وكثرة احتمالك، ولم تسرع إليهم بالغضب فيما كان منهم (٥).

فظهر من هذه التعريفات اللغوية أن الرفق واللين يتضمن: لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل والأيسر وحسن الخلق، وكثرة الاحتمال، وعدم الإسراع بالغضب والتعنيف (٦).

ويُطلق الرفق واللين على المداراة إذا كان في ذلك دفع برفق، يُقال: ((دَارَأْهُ)) أي لاينه واتقاه (٧)، ودفعه (٨)، ولاطفه ولاينه اتقاءً لشرِّه (٩)، وفي الحديث: ((أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يصلي فجاءت بهمة

---

(١) سلسلة القصص - المنجد، محمد صالح المنجد ٤/٢٥

(١) القاموس المحيط، ص١٤٥، والمعجم الوسيط، ١/ ٣٦٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٢/ ٢٤٦.

(٢) مختار الصحاح، ص١٠٥.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٥) انظر: تفسير البغوي، ١/ ٤٤٩.

(٦) انظر: فتح الباري، ١٠/ ٤٤٩.

(٧) مختار الصحاح، ص٨٥، مادة ((دَرَأَ)).

(٨) القاموس المحيط، ص٥٠.

(٩) المعجم الوسيط، ١/ ٢٧٦.." [١]

"حقيقة التلطف ومعناه وضوابطه من خلال فعل أصحاب الكهف له

قوله: ﴿وليتلطف﴾ [الكهف:١٩] **اللطف**: هو التعامل بخفاء في مثل حال أصحاب الكهف، فهم لا بد أن يستعينوا على قضاء حاجتهم بالكتمان؛ حتى لا يتضح أمرهم ويردوا إلى قومهم، فالكتمان في هذا الموضع مأمور به، وهو من الحذر الواجب، ومن الأخذ بالأسباب، وليس من الشجاعة أن يعلن قلة من الضعفاء أمرهم أمام جيوش الأقوياء، وليس من الجبن أن يكون مختفيا، كما قال سبحانه وتعالى عن موسى: ﴿فخرج منها خائفا يترقب﴾ [القصص:٢١]، فالإنسان إذا كان في خطر فينبغي له أن يكون متلطفا وألا يظهر نفسه حتى يصطاده أعداؤه، وفي الكتمان من المصالح ما لا يحصى كثرة إذا استعمل في موضعه.." [٢]

"وهي تقتضي محبته لعبده وتقريبَه إليه، وإجابةَ دعائه، وإنجاءه من الشدائد، وهي المشار إليها بقوله – صلى الله عليه وسلم – فيما يحكى عن ربِّه: (ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّه، فإذا أحببتُه، كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصرُ به، ويدَه التي يبطِشُ بها، ورجلَه التي يمشي بها، فلئن سألني، لأُعطِيَنَّهُ، ولئن استعاذني لأعيذنَّه)، وفي رواية: (ولئن دعاني لأجيبنّه).

– من ثمرات التعرف على الله في الرخاء:

– قال ابن رجب: فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، عامله الله **باللطف** والإعانة في حال شدَّته.

– عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – قال: (من سرَّه أنْ يستجيب الله له عندَ الشَّدائد، فليُكثرِ الدُّعاءَ في الرَّخاء) رواه الترمذي.

– وقال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرَّخاء، يذكركُم في الشِّدَّة، وإنَّ يونس – عليه السلام – كان يذكُرُ الله تعالى،

---

(١) الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٢٩

(٢) القصص القرآني – ياسر برهامي، ياسر برهامي ١١/٨

فلمَّا وقعَ في بطن الحوت، قال الله – عز وجل –: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وإنَّ فرعون كان طاغياً ناسياً لذكر الله، فلما أدركه الغرق، قال: آمنت، فقال الله تعالى: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾

– وقال رجل لأبي الدرداء: أوصني، فقال: اذكر الله في السرَّاء يذكرك الله – عز وجل – في الضَّرَّاء.

– أعظم الشدائد:

– وأعظمُ الشدائد التي تنْزل بالعبد في الدنيا الموتُ، وما بَعده أشدُّ منه إنْ لم يكن مصيرُ العبد إلى خيرٍ.." (١)

"فَنَفَضْتُ التُّرَابْ * خَوْفاً مِنَ العُيُون * وَصِحْتُ يَا سَتَّارْ

o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o*o

أُمُّ عُرْوَة:

لَسْتُ أَدْرِي إلى مَتى * ذَلِكَ الدَّاءُ يَسْتَمِرْ

أَشْهُرٌ وَهَذَا الدَّاءُ * عَن عُرْوَةَ لاَ يَنحَسِرْ

قَدَّرْتَهُ يَا إِلَهِي * فَامْنَحِ اللُّطْفَ فِي القَدَرْ

﴿هَاشِمٌ الرِّفَاعِي / فِي مَسْرَحِيَّةٍ شِعْرِيَّةٍ عَن عُرْوَةَ بْنِ حِزَام · بِتَصَرُّف﴾

هُصَر:

لاَ تُرَاعِي فَإِنَّهَا * وَعْكَةٌ مِنْ طُولِ السَّفَرْ

وَغَدَاً لاَ نَرَى لَهَا * بِإِذْنِ اللهِ مِن أَثَرْ

﴿هَاشِمٌ الرِّفَاعِي / فِي مَسْرَحِيَّةٍ شِعْرِيَّةٍ عَن عُرْوَةَ بْنِ حِزَام · بِتَصَرُّف﴾

عُرْوَةُ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ حَيْثُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى إِجَابَتِهِ مِنَ المَرَض:

وَعْكَةٌ آهِ إِنَّهَا * طَعْنَةُ الدَّهْرِ وَالعُمُرْ." (٢)

"فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَة، حَتىَّ أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُواْ مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَة، فَهَلَكَ مَن هَلَك، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُول؛ فَقَدِمْنَا المَدِينَة؛ فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرَاً، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْك، وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنيِّ لاَ أَرَى مِنَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَض، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم:

"كَيْفَ تِيكُمْ " . . ؟." (٣)

---

(١) دروس تربوية من الأحاديث النبوية، خالد الحسينان ص/٤١

(٢) موسوعة الرقائق والأدب – ياسر الحمداني، ياسر الحمداني ص/٢٣٨١

(٣) موسوعة الرقائق والأدب – ياسر الحمداني، ياسر الحمداني ص/٥١٧١

"(قد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعا، والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى سلامة رأس المال، والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح، ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله فكذا في معاملات الآخرة.

ولا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان وقد قال الله تعالى: وأحسن كما أحسن الله إليك [القصص: ٧٧] وقال عز وجل: إن الله يأمر بالعدل والإحسان [النحل: ٩٠] وقال سبحانه: إن رحمت الله قريب من المحسنين [الأعراف: ٥٦] وينال المعامل رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور:

الأول: في المغابنة فينبغي أن لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادة، فأما أصل المغابنة فمأذون فيه لأن البيع للربح ولا يمكن ذلك إلا بغبن ولكن يراعى فيه التقريب، ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة.

الثاني: في احتمال الغبن، والمشتري إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئا من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا في قوله عليه السلام: رحم الله سهل البيع وسهل الشراء (١)، وأما احتمال الغبن من الغني فليس محمودا بل هو تضييع مال من غير أجر ولا حمد، وكان كثير من السلف يستقصون في الشراء ويهبون من ذلك الجزيل من المال، فقيل لبعضهم في ذلك فقال: إن الواهب يعطي فضله، وإن المغبون يغبن عقله.

الثالث: في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالإمهال والتأخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد، وكل ذلك مندوب إليه ومحثوث عليه، وفي الخبر: من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله، فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة (٢)، ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يلازم رجلا بدين فأومأ إلى صاحب الدين بيده أي: ضع الشطر ففعل، فقال للمديون: قم فأعطه. (٣).

الرابع: في توفية الدين، ومن الإحسان فيه حسن القضاء وذلك بأن يمشي إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشي إليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم: خيركم أحسنكم قضاء، ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته، وإن عجز فلينو قضاءه مهما قدر، ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليتحمله وليقابله **باللطف** اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لما ردد عليه كلامه صاحب الدين فهم به أصحابه فقال: دعوه فإن لصاحب الحق مقالا (٤)، ومن الإحسان أن يميل الحكم إلى من عليه الدين لعسره.

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٦) بلفظ: (رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. ورواه الطبراني في ((الأوسط)) (٦/ ١٠٧) بلفظ: (رحم الله سهل الشراء، سهل القضاء، سهل التقاضي) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) ذكره الغزالي في ((إحياء علوم الدين)) (٢/ ٨١).

(٣) رواه البخاري (٤٧١)، ومسلم (١٥٥٨) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٢٣٠٦)، ومسلم (١٦٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.." [1]

"أقوال السلف والعلماء في الكرم والجود والسخاء

- قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء (١).

- وعنه رضي الله عنه: الجود حارس الأعراض) (٢).

- و (قال علي رضي الله عنه: السخاء ما كان ابتداء، فأما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم) (٣).

- وروي عنه مرفوعا: الكرم أعطف من الرحم (٤).

- (وقيل لحكيم: أي فعل للبشر أشبه بفعل الباري تعالى، فقال: الجود) (٥).

- وقال يحي البرمكي: (أعط من الدنيا وهي مقبلة، فإن ذلك لا ينقصك منها شيئا. فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول: لله دره! ما أطبعه على الكرم وأعلمه بالدنيا!.) (٦).

- و (قال محمد بن يزيد الواسطي: حدثني صديق لي: «أن أعرابيا انتهى إلى قوم فقال: يا قوم أرى وجوها وضيئة، وأخلاقا رضية، فإن تكن الأسماء على أثر ذلك فقد سعدت بكم أمكم، تسموا بأبي أنتم، قال أحدهم: أنا عطية، وقال الآخر: أنا كرامة، وقال الآخر: أنا عبد الواسع، وقال الآخر: أنا فضيلة، فأنشأ يقول:

كرم وبذل واسع وعطية ... لا أين أذهب أنتم أعين الكرم

من كان بين فضيلة وكرامة ... لا ريب يفقؤ أعين العدم

قال: فكسوه وأحسنوا إليه وانصرف شاكرا) (٧).

- و (قال أبو سليمان الداراني: جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل في قلبه خصالا: الكرم والسخاء والحلم والرأفة والشكر والبر والصبر) (٨).

- و (كان يقال: من جاد بماله جاد بنفسه، وذلك أنه جاد بما لا قوام لنفسه إلا به) (٩).

- و (قال الماوردي- رحمه الله تعالى-: اعلم أن الكريم يجتزي بالكرامة **واللطف**، واللئيم يجتزي بالمهانة والعنف، فلا يجود إلا خوفا، ولا يجيب إلا عنفا، كما قال الشاعر:

رأيتك مثل الجوز يمنع لبه ... صحيحا ويعطي خيره حين يكسر

فاحذر أن تكون المهانة طريقا إلى اجتدائك، والخوف سبيلا إلى عطائك، فيجري عليك سفه الطغام، وامتهان اللئام، وليكن جودك كرما ورغبة، لا لؤما ورهبة) (١٠).

- و (عن حسن بن صالح، قال: سئل الحسن عن حسن الخلق، فقال: الكرم، والبذلة، والاحتمال) (١١).

- (وقال جعفر بن محمد الصادق: إن لله وجوها من خلقه، خلقهم لقضاء حوائج عباده، يرون الجود مجدا، والإفضال مغنما، والله يحب مكارم الأخلاق) (١٢).

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦٨/١

- وقال بكر بن محمد العابد: (ينبغي أن يكون المؤمن من السخاء هكذا، وحثا بيديه) (١٣).
- وقال بعض الحكماء: (أصل المحاسن كلها الكرم، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام، وجميع خصال الخير من فروعه) (١٤).
- وقال ابن المبارك: (سخاء النفس عما في أيدي الناس أعظم من سخاء النفس بالبذل) (١٥).
- وقال بعض العلماء: (الكرم هو اسم واقع على كل نوع من أنواع الفضل، ولفظ جامع لمعاني السماحة والبذل) (١٦).
- وقالوا: (السخي من كان مسرورا ببذله، متبرعا بعطائه، لا يلتمس عرض دنياه فيحبط عمله، ولا طلب مكافأة فيسقط شكره، ولا يكون مثله فيما أعطى مثل الصائد الذي يلقى الحب للطائر، ولا يريد نفعها ولكن نفع نفسه) (١٧).

---

(١) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزمخشري (٤/ ٣٥٧).
(٢) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزمخشري (٤/ ٣٥٧).
(٣) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزمخشري (٤/ ٣٨٠).
(٤) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزمخشري (٤/ ٣٥٧).
(٥) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) للراغب الأصفهاني (ص٢٨٧).
(٦) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزمخشري (٤/ ٣٦٨).
(٧) ((مكارم الأخلاق)) للخرائطي (ص٢٠٠).
(٨) ((عدة الصابرين)) لابن قيم الجوزية (ص١٤٣).
(٩) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزمخشري (٤/ ٣٦٥).
(١٠) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص٢٠٠).
(١١) ((الكرام والجود وسخاء النفوس)) للبرجلاني (ص٥٥).
(١٢) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزمخشري (٤/ ٣٥٧).
(١٣) ((مكارم الأخلاق ومعاليها)) للخرائطي (ص١٧٩).
(١٤) ((المستطرف في كل فن مستظرف)) للأبشيهي (ص١٦٨).
(١٥) ((ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)) للزمخشري (٤/ ٣٥٧).
(١٦) ((عين الأدب والسياسة)) لأبي الحسن بن هذيل (ص١٠٥).
(١٧) ((صلاح الأمة في علو الهمة)) لسيد العفاني (٢/ ٦١٦ - ٦١٧).." (١)

"معنى الرفق لغة واصطلاحا

معنى الرفق لغة:

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٧٦/١

قال ابن منظور: (الرفق ضد العنف رفق بالأمر وله وعليه يرفق رفقا ورفق يرفق ورفق لطف ورفق بالرجل وأرفقه بمعنى وكذلك ترفق به) (١).

معنى الرفق اصطلاحا:

قال ابن حجر في تعريف الرفق: (هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف) (٢).

وقال القاري: (هو المداراة مع الرفقاء ولين الجانب **واللطف** في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها) (٣).

---

(١) ((لسان العرب)) لابن منظور (١٠/ ١١٨)

(٢) ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٤٤٩).

(٣) ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (٨/ ٣١٧٠).." [1]

"الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها

للمحبة أسباب جالبة لها، توجب لك المحبة في قلوب الآخرين؛ نذكر منها ما يلي:

١. خدمة الآخرين والسعي لمنفعتهم.
٢. تقديم الهدية للآخرين.
٣. التواضع للآخرين.
٤. الإحسان إلى الآخرين.
٥. التحلي بصفة الصمت.
٦. البشاشة والابتسامة.
٧. البدء بالسلام.
٨. الجود والكرم.
٩. الابتعاد عن الحسد.
١٠. التعامل بصدق وأمانة.
١١. الوفاء بالعهد.
١٢. زيارة الآخرين وتفقد أحوالهم
١٣. إنزال الناس منازلهم.
١٤. الالتزام بالأخلاق الإسلامية.

وذكر ابن قيم الجوزية عشرة أسباب جالبة للمحبة فقال: (الأسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه. ليتفهم مراد صاحبه

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٥٢/١

منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض. فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال. فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه، وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها. وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبه لا محالة. ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة. فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى. وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه. ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر. ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدا لحالك، ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل) (١).

وقال ابن حمدون: (عشر يورثن المحبة: كثرة السلام، **واللطف** بالكلام، واتباع الجنائز، والهدية، وعيادة المرضى، والصدق، والوفاء، وانجاز الوعد، وحفظ المنطق، وتعظيم الرجال) (٢).

---

(١) ((مدارج السالكين)) لابن قيم الجوزية (٣/ ١٧ – ١٨).

(٢) ((التذكرة الحمدونية)) لابن حمدون البغدادي (٢/ ٢٢٥).." [1]

"فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهرا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه **وسلم اللطف الذي** كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم، ثم يقول: كيف تيكم، ثم ينصرف، فذلك يريبني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت حين نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع، وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، قالت: وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر، خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا؟ فقالت: أي هنتاه

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢١/٢

ولم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت: ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت: فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم، ثم قال: كيف تيكم، فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: يا أمتاه، ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية، هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلا كثرن عليها، قالت: فقلت: سبحان الله، أولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، قالت: ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك، ولا نعلم إلا خيرا، وأما علي فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، فقال: أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟. قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق، ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، قالت: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي، وهو على المنبر، فقال: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما يدخل على أهلي إلا معي. قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل، فقال: أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه، وهو سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، قالت: وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل.." (١)

"٧ – تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه، فإن الله تعالى يقول: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم [الشورى: ٣٠] وقال لصحابة نبيه صلى الله عليه وسلم: أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم [آل عمران: ١٦٥] فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما علمه وعمله أضعاف ما يذكره.

٨ – الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد، فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق، وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملا فيه **باللطف** والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة.

٩ – إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشرا وبغيا وحسدا، ازددت إليه إحسانا وله نصيحة وعليه شفقة، وهذا من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله، قال تعالى: ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/١٣٤

صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم [فصلت: ٣٤ – ٣٦]. واعلم أن لك ذنوبا بينك وبين الله، تخاف عواقبها، وترجوه أن يعفو عنها، ويغفرها لك، ويهبها لك. ومع هذا ينعم الله عليك، ويكرمك، ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله، فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك، فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه، وتقابل به إساءتهم؛ ليعاملك الله هذه المعاملة فإن الجزاء من جنس العمل.

١٠ – تجريد التوحيد والانتقال بالفكر إلى المسبب العزيز الحكيم، والعلم بأن الحسد لا يضر ولا ينفع إلا بإذنه، فهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه، قال تعالى: وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رآد لفضله [الأنعام: ١٧]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ((واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك)) (١). (٢).

وقال الجاحظ: (فإذا أحسست –رحمك الله– من صديقك بالحسد، فأقلل ما استطعت من مخالطته، فإنه أعون الأشياء لك على مسالمته، وحصن سرك منه تسلم من شره وعوائق ضره، وإياك والرغبة في مشاورته، ولا يغرنك خدع ملقه، وبيان ذلقه، فإن ذلك من حبائل نفاقه) (٣).

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣) (٢٦٦٩). قال: حسن صحيح. وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٧٩٥٧).

(٢) ((بدائع الفوائد)) لابن قيم الجوزية (ص٢٣٨ – ٢٤٥) بتصرف.

(٣) ((الرسائل)) للجاحظ (٣/ ١٦).." [1]

"آثار قسوة القلب والغلظة والفظاظة

قال ابن القيم: (سبحانه الذي جعل بعض القلوب مخبتا إليه وبعضها قاسيا وجعل للقسوة آثارا وللإخبات آثارا فمن آثار القسوة:

١ – تحريف الكلم عن مواضعه وذلك من سوء الفهم وسوء القصد وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب.

٢ – نسيان ما ذكر به وهو ترك ما أمر به علما وعملا) (١).

قال تعالى: فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به [المائدة: ١٣].

٣ – زوال النعم ونزول المصائب والنقم والهلاك.

قال تعالى: ولقد أرسلنآ إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون [الأنعام: ٤٢ – ٤٤].

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٢٧/٢

٤ - القلب القاسي أضعف القلوب إيمانا، وأسرعها قبولا للشبهات والوقوع في الفتنة والضلال وقوله تعالي: ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد [الحج: ٥٣].

٥ - سبب في الضلال واستحقاق لعنة الله وسخطه وعقابه:

قال تعالى: فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين [الزمر: ٢٣].

٦ - الفتور عن الطاعة والوقوع في المحرمات وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧ - الوحشة والخوف الدائم وعبوس الوجه والكآبة.

٨ - التنافر بين القلوب وشيوع الكراهية والبغضاء.

قال تعالى: ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك [آل عمران: ١٥٩].

و (إن الفظاظة تنفر الأصحاب والجلساء وتفرق الجموع والحشم) (٢).

٩ - غلظة القلب من علامة الشقاوة في الدنيا والآخرة.

قال أبو سعيد الخادمي: (من كان فيه الرحمة في هذه الدار فسيرحمه الله تعالى في تلك الدار على قدر رحمته فمن سلب منه ذلك بالقسوة والغلظة، **وعدم اللطف بضعيف** وشفقة بمبتلى فقد شقي حالا وكان ذلك علامة على شقوته مآلا نعوذ بالله تعالى) (٣).

قسوة القلب والغلظة والفظاظة من صفات الظلمة المتكبرين.

١٠ - قسوة القلب والغلظة والفظاظة سبب في دخول النار.

فعن حارثة بن وهب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: ((أهل النار كل جواظ عتل مستكبر)) (٤).

---

(١) انظر ((شفاء العليل)) لابن قيم الجوزية (١/ ١٠٦).

(٢) ((سراج الملوك)) لأبي بكر الطرطوشي (ص٥٠).

(٣) ((بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية)) لأبي سعيد الخادمي الحنفي (٤/ ١٥١).

(٤) رواه البخاري (٦٦٥٧).." [1]

"أسباب اليأس والقنوط

١ - الجهل بالله سبحانه وتعالى:

قال ابن عادل: (القنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا عند الجهل بأمور:

أحدها: أن يجهل كونه تعالى قادرا عليه.

وثانيها: أن يجهل كونه تعالى عالما باحتياج ذلك العبد إليه.

وثالثها: أن يجهل كونه تعالى، منزها عن البخل، والحاجة.

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٤٥٧

والجهل بكل هذه الأمور سبب للضلال، والقنوط من رحمة الله كبيرة، كالأمن من مكره) (١).

وقال ابن القيم: (الكبائر: .. القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله .. وتوابع هذه الأمور إنما تنشأ من الجهل بعبودية القلب، وترك القيام بها) (٢).

٢ – الغلو في الخوف من الله سبحانه وتعالي:

قال ابن القيم: (لا يدع الخوف يفضي به إلى حد يوقعه في القنوط، واليأس من رحمة الله. فإن هذا الخوف مذموم، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – يقول: حد الخوف ما حجزك عن معاصي الله. فما زاد على ذلك: فهو غير محتاج إليه، وهذا الخوف الموقع في الإياس: إساءة أدب على رحمة الله تعالى، التي سبقت غضبه، وجهل بها) (٣).

ولغلبة هذا الخوف على قلب اليائس أسباب منها: (إدراك قلبه من معاني الأسماء والصفات ما يدل على عظمة الله وجبروته وسرعة عقابه وشدة انتقامه، وحجب قلبه عن الأسماء الدالة على الرحمة **واللطف** والتوبة والمغفرة ... الخ، فيسيطر على القلب الخوف فيسلمه ذلك إلى اليأس من روح الله والقنوط من رحمته) (٤).

٣ – مصاحبة اليائسين والقانطين والمقنطين:

فإن مصاحبة هؤلاء تورث اليأس والقنوط من رحمة الله إما مشابهة أوعقوبة للاختلاط بهم.

٤ – التعلق بالأسباب:

قال فخر الدين الرازي: (الكافر يعتقد أن السبب في حصول تلك النعمة سبب اتفاقي الاتفاق أو بسبب أن الإنسان حصلها بسبب جده وجهده، فحينئذ لا يشتغل بشكر الله تعالى على تلك النعمة، ثم إنه يستبعد حدوث ذلك الاتفاق مرة أخرى فلا جرم يستبعد عود تلك النعمة فيقع في اليأس) (٥).

٥ – التشدد في الدين وترك الأخذ بالرخص المشروعة:

قال المناوي: (قال الغزالي رحمه الله: هذا قاله — يقصد حديث إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته– تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف إلى اليأس والقنوط فيتركوا الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما أرسل إلا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف درجاتهم وأصنافهم) (٦).

٦ – قلة الصبر واستعجال النتائج:

إن ضعف النفوس عن تحمل البلاء والصبر عليه واستعجال حصول الخير يؤدي للإصابة باليأس والقنوط لاسيما مع طول الزمن واشتداد البلاء على الإنسان، فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يزال يستجاب للعبد، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء)) (٧).

قال القرطبي: (والقائل قد دعوت فلم أر يستجاب لي ويترك قانطا من رحمة الله وفي صورة الممتن على ربه ثم إنه جاهل بالإجابة فإنه يظنها إسعافه في عين ما طلب فقد يعلم الله تعالى أن في عين ما طلب مفسدة) (٨).

---

(١) ((اللباب في علوم الكتاب)) لابن عادل (١١/ ٤٧١).

(٢) ((مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)) لابن قيم الجوزية (١/ ١٣٣).

(٣) ((مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)) لابن قيم الجوزية (٢/ ٣٧١).

(٤) ((أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة)) لعبد الله الجربوع (٢/ ٤٨٠).

(٥) انظر: ((مفاتيح الغيب)) للرازي (١٧/ ٣٢٢ - ٣٢٣) بتصرف يسير.

(٦) ((فيض القدير شرح الجامع الصغير)) لعبد الرؤوف المناوي (٢/ ٢٩٦).

(٧) رواه مسلم (٢٧٣٥).

(٨) ((المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم)) للقرطبي (٧/ ٦٣).." (١)

"الوسائل المعينة للتخلص من اليأس والقنوط

١ - الإيمان بأسماء الله وصفاته:

أن العلم والإيمان بأسماء الله وصفاته وخاصة التي تدل على الرحمة والمغفرة والكرم والجود تجعل المسلم لا ييأس من رحمة الله وفضله، قال علوي السقاف: (إذا علم العبد وآمن بصفات الله من الرحمة، والرأفة، والتوب، **واللطف**، والعفو، والمغفرة، والستر، وإجابة الدعاء؛ فإنه كلما وقع في ذنب؛ دعا الله أن يرحمه ويغفر له ويتوب عليه، وطمع فيما عند الله من ستر ولطف بعباده المؤمنين، فأكسبه هذا رجعة وأوبة إلى الله كلما أذنب، ولا يجد اليأس إلى قلبه سبيلا، كيف ييأس من يؤمن بصفات الصبر، والحلم؟! كيف ييأس من رحمة الله من علم أن الله يتصف بصفة الكرم، والجود، والعطاء) (١).

٢ - حسن الظن بالله ورجاء رحمته:

قال السفاريني: (حال السلف رجاء بلا إهمال، وخوف بلا قنوط. ولابد من حسن الظن بالله تعالى) (٢).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شبرا، تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلي ذراعا، تقربت إليه باعا، وإذا أقبل إلي يمشي، أقبلت إليه أهرول)) (٣).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، لأتيتك بقرابها مغفرة)) (٤).

قال الشافعي:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي دون عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٢/٣

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما
فإن تنتقم مني فلست بآيس ... ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما
ولولاك لم يغوى بإبليس عابد ... فكيف وقد أغوى صفيك آدما
وإني لآتي الذنب أعرف قدره ... وأعلم أن الله يعفو ترحما (٥)

٣ - تعلق القلب بالله والثقة به:

لا بد على المرء أن يعلق قلبه بالله ويجعل الثقة به سبحانه وتعالى في كل أحواله و (لا يليق بالمسلم أن ييأس من روح الله ولا يقنط من رحمته، ولا يكون نظره مقصورا على الأمور المادية والأسباب الظاهرة، بل يكون متلفتا في قلبه في كل وقت إلى مسبب الأسباب إلى الكريم الوهاب متحريا للفرج واثقا بأن الله سيجعل بعد العسر يسرا ومن هنا ينبعث للقيام بما يقدر عليه من النصح والإرشاد والدعوة ويقنع باليسير إذا لم يمكن الكثير وبزوال بعض الشر وتخفيفه إذا تعذر غير ذلك) (٦).

٤ - أن يكون بين الخوف والرجاء:

قال تعالى في مدح عباده المؤمنين: إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين [الأنبياء: ٩٠].

---

(١) ((صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة)) لعلوي السقاف (١/ ٣٦).

(٢) ((غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)) للسفاريني (١/ ٤٦٦).

(٣) رواه البخاري (٧٤٠٥)، مسلم (٢٦٧٥) واللفظ له.

(٤) رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (٥/ ١٦٧) (٢١٥١٠). قال الترمذي: حسن غريب. وصحح إسناده الضياء في ((المختارة)) (٤/ ٣٩٩)، وصححه السيوطي في ((الجامع الصغير)) (٦٠٦٥).

(٥) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١٠/ ٧٦).

(٦) انظر: ((الهمة العالية)) لمحمد الحمد (١/ ٥٠).." [١]

"وعنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يزال يستجاب للعبد، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل)) (١).

قال القرطبي:- ينبغي - (استدامة الدعاء وترك اليأس من الإجابة وداوم رجائهما واستدامة الإلحاح في الدعاء فإن الله يحب الملحين في الدعاء) (٢).

والمرء مع إلحاحه في الدعاء عليه أن يوقن بأن (النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا) (٣).

٨ - الأخذ بالأسباب:

يظهر لنا جليا في قصة يوسف عليه السلام الأخذ بالأسباب وترك الاستسلام لليأس فقد قال نبي الله يعقوب عليه السلام لأولاده لما أبلغوه فقد ابنه الثاني: يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٤/٣

إلا القوم الكافرون [يوسف: ٨٧].

قال السعدي: (ورد النهي عن تمني الموت للضر الذي ينزل بالعبد، من مرض أو فقر أو خوف، أو وقوع في شدة ومهلكة، أو نحوها من الأشياء. فإن في تمني الموت لذلك مفاسد.

.. منها: أنه يضعف النفس، ويحدث الخور والكسل. ويوقع في اليأس، والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به. وذلك موجب **لأمرين**: **اللطف الإلهي** لمن أتى بالأسباب المأمور بها، والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه .. فيجعل العبد الأمر مفوضا إلى ربه الذي يعلم ما فيه الخير والصلاح له، الذي يعلم من مصالح عبده ما لا يعلم العبد، ويريد له من الخير ما لا يريده، ويلطف به في بلائه كما يلطف به في نعمائه) (٤).

٩ - الزهد في الدنيا:

فمن أسباب اليأس والقنوط الأساسية تعلق القلب بالدنيا والفرح بأخذها والحزن والتأسف على فواتها بكل ما فيها من جاه وسلطان وزوجة وأولاد ومال وعافية .. الخ فاعلم أن الله سبحانه يعطي الدنيا لمن لا يحب ومن يحب ولا يعطي الآخرة إلا لمن أحب وقد منع أحب الخلق إليه وأكرمهم عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الدنيا وما فيها فخرج وما ملأ بطنه من خبز البر ثلاث أيام متواليات، وأن المرء لن يأخذ أكثر مما قدر له فلا ييأس ولا يقنط لفوات شيء.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٥).

(٢) ((المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم)) للقرطبي (٧/ ٦٣).

(٣) رواه أحمد (١/ ٣٠٧) (٢٨٠٣)، والطبراني (١١/ ١٢٣) (١١٢٤٣)، والبيهقي في ((الاعتقاد)) (١٤٧)، والضياء في ((الأحاديث المختارة)) (١٠/ ٢٣) (١٣). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال البيهقي في ((الاعتقاد)): [له] شواهد عن ابن عباس، وصححه عبدالحق الإشبيلي في ((الأحكام الشرعية الكبرى)) (٣/ ٣٣٣)، وقال ابن رجب في ((جامع العلوم والحكم)) (١/ ٤٥٩): حسن جيد، وحسنه ابن حجر في ((موافقة الخبر الخبر)) (١/ ٣٢٧)، وقال السخاوي في ((المقاصد الحسنة)) (١٨٨): حسن وله شاهد، وحسنه محمد الغزي في ((إتقان ما يحسن)) (١/ ٢٠٠)، وقال السفاريني في ((شرح كتاب الشهاب)) (١١١): بمجموع أسانيده يصل إلى درجة الحسن، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (٤/ ٢٨٧).

(٤) انظر ((بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار)) للسعدي (١/ ١٧٥ - ١٧٦) بتصرف يسير.." (١)

"المبحثُ التاسع عشر

الترغيب في كلمات يقولهن من مات له ميت

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٦/٣

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – «إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوِ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ». قَالَتْ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ قَالَ «قُولِى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً». قَالَتْ فَقُلْتُ فَأَعْقَبَنِي اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا – صلى الله عليه وسلم –. رواه مسلم (١)

قال النووي رحمه الله: فِيهِ النَّدْب إِلَى قَوْل الْخَيْر حِينَئِذٍ مِنَ الدُّعَاء وَالِاسْتِغْفَار لَهُ **وَطَلَب اللُّطْف بِهِ** وَالتَّخْفِيف عَنْهُ وَنَحْوه، وَفِيهِ حُضُور الْمَلَائِكَة حِينَئِذٍ وَتَأْمِينهمْ.

وعَنْ سَعْدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحَ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ سَفِينَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». قَالَتْ فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –. رواه مسلم (٢)

قَوْلُهُ مَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ هَذَا اللَّفْظُ مَوْضُوعٌ فِي أُصَلِّ كَلَامِ الْعَرَبِ لِكُلِّ مَنْ نَالَهُ شَرٌّ أَوْ خَيْرٌ وَلَكِنَّهُ مُخْتَصٌّ فِي عُرْفِ الِاسْتِعْمَالِ بِالرَّزَايَا وَالْمَكَارِهِ وَقَوْلُهُ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ لَمْ يُرِدْ لَفْظَ الْأَمْرِ بِهَذَا الْقَوْلِ؛ لِأَنَّهُ إنَّمَا وَرَدَ الْقُرْآنُ بِتَبْشِيرِ مَنْ قَالَهُ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُشِيرَ إلَى غَيْرِ الْقُرْآنِ فَيُخْبِرَ – صلى الله عليه وسلم – عَنْ أَمْرِ الْبَارِي لَنَا بِذَلِكَ وَلِذَلِكَ وَصَلَهُ بِقَوْلِهِ اللَّهُمَّ

---

(١) – برقم (٩١٩) وأبو داود (٣١١٥) والترمذي (٩٩٣) ونص (١٨٣٦) وابن ماجة (١٥١٤) وأحمد ٦/ ٢٩١ (٢٧٣٦٧) أعقب: بدل وعوض

(٢) – برقم (٩١٨) وأحمد (١٦٧٨٤) و ٦/ ٣٠٩ (و٢٧٤٨٠) ومالك (٥٦٤)." [1]

"المبحثُ الثامن والعشرون

ضمة القبر

عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِياً مِنْهَا نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» أخرجه أحمد (١)

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى قدر ضمة القبر على كل ميت، ولو كان أحد ناجياً منها لفضله عند ربه وقربه منه لكان سعد بن معاذ رضي الله عنه من الناجين من ذلك. وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا القول عند موت سعد رضي الله عنه لمكانته في الإسلام، وبلائه في سبيل الله ونصرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، بل قال – صلى الله عليه

---

(١) الاستعداد للموت، علي بن نايف الشحود ص/٢٥٥

وسلم – فيه أيضاً "اهتز العرش لموت سعد بن معاذ" رواه البخاري و مسلم وغيرهما عن جابر رضي الله عنه. وهناك أحاديث كثيرة في فضل هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه وأرضاه

وقال الإمام الذهبي رحمه الله: " قُلْتُ: هَذِهِ الضَّمَّةُ لَيْسَتْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ فِي شَيْءٍ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ يَجِدُهُ المُؤْمِنُ، كَمَا يَجِدُ أَلَمَ فَقْدِ وَلَدِهِ وَحَمِيْمِهِ فِي الدُّنْيَا، وَكَمَا يَجِدُ مِنْ أَلَمِ مَرَضِهِ، وَأَلَمِ خُرُوْجِ نَفْسِهِ، وَأَلَمِ سُؤَالِهِ فِي قَبْرِهِ وَامْتِحَانِهِ، وَأَلَمِ تَأَثُّرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَأَلَمِ قِيَامِهِ مِنْ قَبْرِهِ، وَأَلَمِ المَوْقِفِ وَهَوْلِهِ، وَأَلَمِ الوُرُوْدِ عَلَى النَّارِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذِهِ الأَرَاجِيْفُ كُلُّهَا قَدْ تَنَالُ العَبْدَ، وَمَا هِيَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَلاَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ قَطُّ، وَلَكِنَّ العَبْدَ التَّقِيَّ يَرْفُقُ اللهُ بِهِ فِي بَعْضِ ذَلِكَ أَوْ كُلِّهِ، وَلاَ رَاحَةَ لِلْمُؤْمِنِ دُوْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ. قَالَ اللهُ -تَعَالَى-: ﴿وَأَنْذِرْهُم يَوْمَ الحَسْرَةِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ، إِذِ القُلُوْبُ لَدَى الحَنَاجِرِ﴾.

فَنَسْأَلُ اللهَ -تَعَالَى- العَفْوَ **وَاللُّطْفَ** الخَفِيَّ، وَمَعَ هَذِهِ الهَزَّاتِ، فَسَعْدٌ مِمَّنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَرْفَعِ الشُّهَدَاءِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

---

(١) - ٦/ ٥٥ (٢٥٠١٥و٢٥٤٠٠) والمجمع ٣/ ٤٦ (٤٢٥٥) وهب (٤٢٥) الصحيحة (١٦٩٥) وله شاهد عن جابر عند أحمد ٣/ ٣٦٠ و ٣٧٧ وعن ابن عباس عبد ابن سعد ٣/ ٤٣٠ وهو حديث صحيح مشهور.." [1]

"الفصل الثاني

من أدب الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام

قال الرازي في " مفاتيح الغيب " مشيرًا إلى قول موسى للخَضرِ عليهما السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾: (اعلم أن هَذه الآيات تدل على أن موسى عليه السلام راعى أنواعًا كثيرة من الأدب **واللطف** عندما أراد أن يتعلم من الخضر.

فأحدها: أنه جعل نفسه تبعًا له، لأنه قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾.

ثانيها: أنه استأذن في إثبات هذه التبعية، فكانه قال: " هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعًا لك؟ " وهذه مبالغة عظيمة في التواضع.

ثالثها: أنه تعالى (١) قال: (عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ) وهذا إقرار له على نفسه بالحاجة إلى ما عند أستاذه من العلم.

رابعها: أنه تعالى قال: (مِمَّا عِلِّمْتَ) وصيغة " من " للتبعيض، فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله، وهذا أيضًا مشعر بالتواضع، كانه يقول له: " لا أطلب منك أن تجعلني مساويًا في العلم لك، بل أطلب منك أن تعطيني جزءًا من أجزاء علمك "، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزءًا من أجزاء ماله.

خامسها: أن قوله تعالى: (مِمَّا عُلِّمْتَ) اعتراف بأن الله علَّمه ذلك العلم.

---

(١) الاستعداد للموت، علي بن نايف الشحود ص/٢٩٣

(١) هكذا نسب الرازي القول إلى الله تعالى هنا، وفي عدة مواضع مما يأتي، والأولى أن يقول: " قال تعالى على لسان موسى عليه السلام "، والله أعلم.." [١]

"اعلم أن الناس ثلاثة أصناف:

١ - مجاهيل.

٢ - معارف.

٣ - أصدقاء.

الصنف الأول: المجاهيل:

فعليك أيها الطالب للعلم إن بليت بالعوام المجهولين، فآداب مجالستهم:

١) ترك الخوض في حديثهم، وترك الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم.

٢) الاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة إليهم.

٣) التنبيه على منكراتهم **باللطف** والنصح عند رجاء القبول منهم.." [٢]

"((لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما؛ إن كان ظالما فلينهه، فإنه له نصر، وإن كان مظلوما فلينصره)) (١).

إن المسلم الحق لا يتخلى عن أخيه ظالما كان أو مظلوما؛ ذلك أن الإسلام علمه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وما دام لا يحب لنفسه أن يكون ظالما أو مظلوما، فهو لا يحب ذلك لأخيه أيضا، ولذلك فهو يقف إلى جانبه إن كان مظلوما فينصره ويدفع عنه، ويقف إلى جانبه يكفه عن الظلم إن كان ظالما، ولعمري إن هذه هي النصيحة الخالصة، وإن هذا هو البر الصادق، وإنهما لخليقتان يتصف بهما المسلم الحق البر الوفي الذي صاغه الإسلام، أيان عاش، وحيثما كان.

رفيق بإخوانه:

والمسلم الحق المتمثل أحكام دينه وقيمه لطيف المعشر مع إخوانه، رفيق بهم، آلف لهم، مألوف لديهم، وهو في ذلك كله يستقي من توجيهات الإسلام التي تحض على مكارم الأخلاق.

فالله تبارك وتعالى يصف المؤمنين بقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢). وفي ذلك من اللين والتواضع وحسن التعامل مع الأخوة المؤمنين ما يصل إلى درجة متناهية في **اللطف**، هي أشبه بالذلة.

ويأتي بعد ذلك التوجيه النبوي العالي في تحبيب الرفق إلى المسلم تحبيبا يجعله زينة كل شيء في الحياة، وذلك في قول الرسول الكريم.

((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)) (٣).

---

(١) الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، محمد إسماعيل المقدم ص/١٥١

(٢) الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية، أحمد بن يوسف الأهدل ص/٢٠٧

(١) رواه مسلم.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) رواه مسلم.." (١)

"المسلم عن غيره بالإخلاص العميق في الأخلاق التي يتصف بها، وبثبات هذه الأخلاق وديمومتها فيه، مهما تقلبت الأيام به وتغيرت الأحوال؛ ذلك أنها صادرة عن وجدان حي مرهف يستحيي من مقارفة الخيانة، وحياؤه من الله المطلع على الخبيء من أسراره، قبل حيائه من الناس المطلعين على الظاهر من أخباره، وهذا الحياء من الله هو مفرق الطريق بين أخلاق المسلم وأخلاق غير المسلم.

رفيق بالناس:

والمسلم الحق لطيف متأن رفيق بالناس، حين يحسن **اللطف**، ويستحب الرفق، وتحمد الأناة؛ ذلك **أن اللطف والرفق** والأناة خصال حميدة، يحبها الله في عباده المؤمنين، لأنها تكسب من تحلى بها دماثة الخلق، ورقة الجانب، وحسن العشرة، وتجعله قريبا من نفوس الناس، محببا إلى قلوبهم: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (١).

ولقد جاءت النصوص متضافرة متتابعة، تحبب في الرفق، وتحض عليه، وتؤكد أنه خلق عال ينبغي أن يسود مجتمع المسلمين، ويتصف به كل مسلم عاش في هذا المجتمع، ووعى أحكام دينه، واستنار بهديه اللألاء، وحسب المسلم أن يعلم أن الرفق من صفات الله تعالى العليا التي أحبها لعباده في الأمور كلها:

((إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله)) (٢).

(١) فصلت: ٣٤، ٣٥.

(٢) متفق عليه.." (٢)

"«أي: يرجعون إلى ما يحبّه ويرضاه من الإقرار للّه بالتوحيد، وبأن عيسى عبد اللّه ورسوله، عمّا كانوا يقولونه: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ عن ما صدر منهم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر ذنوب التائبين، ولو بلغت عنان السماء، ويرحمهم بقبول توبتهم، وتبديل سيئاتهم حسنات.

وصدر دعوتهم إلى التوبة بالعرض الذي هو **غاية اللطف واللين** في قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾» (١).

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، محمد علي الهاشمي ص/١٥٠

(٢) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، محمد علي الهاشمي ص/١٧٨

عاشراً: العفو والصفح تغفر بذلك الذنوب:

١ – قال الله – عز وجل –: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

«﴿وَلا يَأْتَلِ﴾ أي: لا يحلف ﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾.

كان من جملة الخائضين في الإفك «مسطح بن أثاثة»، وهو قريب لأبي بكر الصديق – رضي الله عنه –، وكان مسطح فقيراً من المهاجرين في سبيل الله، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه؛ لقوله الذي قال، فنزلت

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٦٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٢.." [١]

"قال ابن القيم – رحمه الله –: (هذا الصِّدِّيق يمسك بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد!، وعمر يناشد حذيفة: هل أنا منهم؟!، والمخلِّط على بساط الأمن!.

يا من يستعظم أحوال القوم تنقل في المراقي تصل، مَن جمع بين العلم بالسنة ومتابعتها أَنْتَجَا لَهُ المعاني البديعة، فهي تنادي على رؤوس الأشهاد: وُلدتُ من نكاح لا من سفاح!، ومَن قرَن بين البدعة والهوى أنْتجا له ضروب الهذيان، فهي تنادي على رؤوس الأشهاد: أيها الفَطِن لا تغتر!.

تقف في صلاتك بجسدك وقد وجّهت وجهك إلى القبلة ووجهت قلبك إلى قِطْرٍ آخر!، ويْحك ما تصلح هذه الصلاة مهر الجنة فكيف تصلح ثمناً للمحبة؟!، إما أن تصلي صلاةً تليق بمعبودك وإما أن تتخذ معبوداً يليق بصلاتك.

استغث بمقلب القلوب يُعينك، فإن تأخرت الإجابة فابْعث رائد الانكسار خلفها تجده عند المنكسرة قلوبهم!.

اللطف مع الضعف أكثر، فتضاعف ما أمكنك.

لا تنس العناية بالسحرة جاءوا يحاربونه ويحاربون رسله وخُلَعُ الصُّلح قد فُصِّلت وتيجان الرضى قد وُضعِت.." [٢]

"آداب الهاتف من آداب دخول البيوت

لا تقل آداب الهاتف عن آداب دخول البيت، بل تزداد أهمية آداب الهاتف، لأن الرؤية العينية لمن تحدثه تكون غالبًا مقرونة بالحياء، بينما يقل ذلك عن طريق الهاتف، من أجل ذلك رأيت بعد بضعة عشر عامًا من إصدار الكتاب أن ألحق به – بعد استخارة اللَّه تعالى – رسالة أدب الهاتف لأخينا في اللَّه الشيخ: بكر بن عبد اللَّه أبي زيد مع اختصار وتصرف يسيرين

(١) قال أثابه اللَّه تعالى مشيرًا إلى تلك الآداب:

صحة الرقم أولاً:

---

(١) مكفرات الذنوب والخطايا وأسباب المغفرة من الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٢٤

(٢) منازل الحور العين في قلوب العارفين برب العالمين، عبد الكريم الحميد ص/٥٦

تأكد أولاً من صحة الرقم قبل الاتصال حتى لا تقع في غلط، فتوقظ نائمًا، أو تزعج مريضًا، أو تُشغل غيرك عبثًا، فلا تتصل إلا بعد توفر أمرين: رقم مكتوب أمام بصرك، أو متأكدًا منه في ذاكرتك، ولا تضع إصبعك على رقم الهاتف إلا وتُتبعه البصر، فإن حصل خطأ، فتلطف بالاعتذار، وقل: «معذرة».

ويا أيها المتصل عليك لا [تغضب] حينما يحصل شيء من ذلك فتحمله، ولا تعنف، وإن قلت له: «فضلاً: الرقم غلط» فإنه إن كان غالطًا حقيقة، فهو غير آثم، وقد أدخلت عليه السرور ولا سبيل لك عليه شرعًا.

وإن كان متعمدًا الإيذاء، فقد نفذه سهم **اللطف**، ولك الأجر، وعليه الوزر.

وقت الاتصال:

إذا كان لك حاجة في الاتصال فاذكر أن للناس أشغالاً وحاجات، ولهم أوقات طعام، وأوقات نوم وراحة، فهم والحال ما ذكر، أولى بالعذر منك لضرورة أو حاجة.

ولهذا منحت الشريعة الشخص المُزَار، ومثله المتَّصل عليه: حق الاعتذار، دون اللجوء إلى الكذب: فلان ليس في الدار، وهو فيها. قال الله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨].

وانظر كيف أمرت الشريعة، الأرقاء، والصغار بالاستئذان في ثلاثة أوقات: قبل صلاة الفجر، ووقت الظهيرة، وبعد صلاة العشاء، أما الأحرار البالغون فيجب عليهم الاستئذان في كل الأوقات، كما في سورة النور (٢) [٥٨ – ٥٩].

---

(١) مع مراعاة ما أشرتُ إليه في المقدمة، أنني إذا أردت عمل شيء داخل الأصل، وضعته بين هاتين العلامتين هكذا []. (قل).

(٢) سيأتي إن شاء الله تعالى بيان ذلك بالتفصيل عند الكلام عن (استئذان الأقارب بعضهم على بعض). (قل).." [1]

"عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ – إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠]، وقال في حق الصديق يوسف – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه. فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال لخير الخلق، وهم أصحاب نبيه دونه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فما سلط على العبد ما يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها. وما ينساه مما عمله أضعاف ما يذكره.

وفي الدعاء المشهور: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم» (١).

فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه. فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب.

---

(١) ففروا إلى الله – القلموني، أبو ذر القلموني ص/٢٢١

ولقي بعض السلف رجل فأغلظ له ونال منه، فقال له: قف حتى أدخل البيت، ثم أخرج إليك. فدخل فسجد لله وتضرع إليه وتاب، وأناب إلى ربه. ثم خرج إليه فقال له: ما صنعت؟ فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به عليَّ.

وسنذكر إن شاء الله تعالى أنه ليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها. فإذا عوفي العبد من الذنوب عوفي من موجباتها. فليس للعبد إذا بغي عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح.

وعلامة سعادته: أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه، فيشتغل بها وبإصلاحها وبالتوبة منها. فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به، بل يتولى هو التوبة وإصلاح عيوبه. والله يتولى نصرته وحفظه، والدفع عنه ولا بد.

فما أسعده من عبد، وما أبركها من نازلة نزلت به، وما أحسن أثرها عليه، ولكن التوفيق والرشد بيد الله، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. فما كل أحد يوفق لهذا، لا معرفة به، ولا إرادة له، ولا قدرة عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه. فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء، ودفع العين، وشر الحاسد. ولو لم يكن في هذا إلا بتجارب الأمم قديمًا وحديثًا لكفى به. فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق، وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملاً فيه **باللطف** والمعونة والتأييد. وكانت له فيه العاقبة الحميدة.

السبب التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس، وأشقها عليها، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله – وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه.

فكلما ازداد أذىً وشرًّا وبغيًا وحسدًا ازددت إليه إحسانًا، وله نصيحة، وعليه شفقة. وما أظنك تصدق بأن هذا يكون، فضلاً عن أن تتعاطاه، فاسمع الآن قوله عز وجل: ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ – وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ – وَإِمَّا

---

(١) صحيح – الحكيم عن أبي بكر – انظر «صحيح الجامع» رقم (٣٧٣١): «الشرك فيكم ... ». (قل).." [١]

"لأن فساد روحه وألمها لم يفارقها بل زاد بزيادة المخالفة لكنه متخدّر لا يشعر، وإنما يذهب الألم وتحصل العافية بالتوبة.

الخلاصة أن الروح طول الحياة تُمدّها وتُعِدّها مادتان: مادة حُسْن وجمال وكل ما فيه كمال، تُعَدّ بذلك وتُهَيّأ للرضوان وسكنى الجنان.

ومادة قبح وأنتان وكل ما فيه ذلّ وهَوَان تُعَدّ بذلك لسكنى النيران، والعبد لِمَا غلب عليه.

ثم إن الآثار في كِلا الحالتين تظهر على الأبدان، لكن هذا يعرفه ويميزه من نوّر الله قلبه بنور الإيمان الذي يُثمر له هذا التمييز والفرقان.

---

(١) ففروا إلى الله – القلموني، أبو ذر القلموني ص/٢٩١

إذا ظهر هذا ظهرت الحكمة من الأمر والنهي **وأنه اللطف والرحمة** وحقيقة النعمة.

وظهرت أيضاً حكمة أن ما تعارف من الأرواح." (١)

"ظهور آثارها كما أراد ظهور آثار صفة الرحمة **واللطف** والكرم والجود وغير ذلك من صفاته قدّر الكفر والمعاصي لِحِكم باهرة، ظهورها أحبّ إليه من عدمه ولِما يُعقّب ذلك من عواقب حميدة هو سبحانه يعلمها، ولأجل ما قَدّره من الكفر والمعاصي خلق إبليس والشياطين وخلق جهنم وليست هي مُرادة له لذاتها، وإنما خلقها لحكمة وهي إصلاح ما فسد من الخليقة في النهاية وزاجر رادع عن المخالفة في البداية وغير ذلك من حِكم لا يحيط بها سوى علمه.

هذا هو اللائق بجلال المحسن الكريم الرحمن الرحيم وهو أن تكون الغاية من خلقه مَنْ خلق هو الإحسان والإنعام، وواجبٌ تنزيهه عما سوى ذلك.

ومن عرفه في غضب دائم بدوامه وعذاب دائم بدوامه فما قدره حق قدره، ولا يستطيع إثبات حكمة." (٢)

"الإله في خلق الشرور أبداً، إن معرفته سبحانه قبل خلقه المخلوقات وما يتصف به تُهَوِّن فهم ما تقدم وتفتح باب المحبة التي هي لبّ العبادة لأن العلم بالله أشرف العلوم على الإطلاق لكن العلم به وبأمره لابد أن يطابق المعلوم.

إن معرفة الرب بأنه غضبان منتقم أراد خلق بشر يُقدر عليهم الكفر والذنوب لينفذ فيهم غضبه بأن أعدّ لهم ناراً أشد حراً من نار الدنيا سبعين مرة يدوم عذابهم فيها بدوامه معرفة تفتح أبواب نفي رحمته وحكمته باتساع لنفاة ذلك، بل إنها معرفة مُنَفِّرة من أرحم الراحمين يُنَزّه سبحانه عن ذلك، كما ينزه عن سائر ما يصفه به من لم يَقْدُره قدْره.

إن الغاية من الخلق والإيجاد والإعداد والإمداد هو الإحسان فهو الأصل كذلك الرحمة **واللطف** والكرم، أما الغضب فإنما هو حاصل لوجود مُتَعلَّقه الدخيل الطارئ." (٣)

"رأس المال، كالعبد الخائن إذا خلا له الجو وانفرد بالمال، ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها؛ فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى، وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشهداء، فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا مع أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى.

وصية حكيم

قال بعض الحكماء لابنه: يا بني لا تشغل قلبك من الدنيا إلا بقدر ما تتحققه من عمرك، ولتكن جرأتك على المعاصي بقدر صبرك على النار، وإذا أردت أن تعصي الله تعالى فانظر موضعا لا يراك الله فيه، وانظر إلى نفسك فإن كانت عزيزة فلا تذلها، وإن كانت ذليلة فلا تزدها على ذلها ذلا.

كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد.

---

(١) عوائق في طريق العبودية، عبد الكريم الحميد ص/٦٥

(٢) عوائق في طريق العبودية، عبد الكريم الحميد ص/٧٨

(٣) عوائق في طريق العبودية، عبد الكريم الحميد ص/٧٩

ويقول ابن الجوزي: تفكرت في نفسي يوما تفكر محقق، فحاسبتها قبل أن تحاسب، ووزنتها قبل أن توزن، **فرأيت اللطف الرباني**، فمنذ الطفولة وإلى الأن أرى لطفا بعد لطف، وسترا على قبيح، وعفوا عما يوجب عقوبة، وما أرى لذلك شكرا إلا باللسان.

النفس اللوامة

قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ [القيامة: ٢]:

لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه، ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه.

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: رحم الله عبدا قال لنفسه: ألست صاحبة كذا، ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمها ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا.

ونقل عن توبة بن الصمة –وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه– أنه حسب يوما فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتى! ألقي الملك بأحد وعشرين ألف ذنب، فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؟ ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت، فسمعوا قائلا يقول: يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى!

فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل." [١]

"برهما واجباً على كل حال – إنما كان ذلك لشدة حاجتهما إليه؛ ولضعفهما عن القيام بكثير من مصالحهما، فيبادر الولد اغتنام فرصة برهما؛ لئلا تفوته بموتهما فيندم على ذلك)) (١).

وقد خص الله حالة الكبر للوالدين بمزيد من الأمر بالإحسان، والبر، **واللطف**، والشفقة والرحمة؛ لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره؛ لتغير الحال عليهما بالضعف، والكبر، فألزم سبحانه وتعالى في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل؛ لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلًّا عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه؛ ولهذا خص هذه الحالة بالذكر، وأيضاً فطول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء عادة، ويحصل الملل، ويكثر الضجر، فيظهر غضبه

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٥١٨).." [٢]

"قصيدة شعرية في الوصية

قمت منذ سنوات وترجمت هذا الكلام في أبيات من الشعر، ولعلها حين تطبع وتوزع عليكم ستجدونها إن شاء الله، يقول القائل: وإذا أتاني الموت تلك وصيتي بالله لا تبغوا لها تبديلا أرجو حضور الصالحين فإنهم يرجون يوما للحساب ثقيلا

---

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ١/١٦٧

(٢) بر الوالدين، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٦

يستغفرون لي الإله لعلني يوم الوداع أفوتكم مقبولا وشهادة التوحيد دوما لقنوا فقد اطمئن بها الفؤاد طويلا بصري يغمض تلك روحي قد سمت فادعوا إلها غافرا مأمولا الآن غطوني بثوب آخر وسلوا **الإله اللطف والتسهيلا** دفني يعجل لا تخلوا جيفتي من بينكم روحي تروم طويلا لا تلطموا، لا تصرخوا، لا تكفروا سأكون عن أخطائكم مسئولا وقضاء ديني فاحذروا إهماله مما تركت فقد أردت قبولا أثواب تكفيني تكون ثلاثة بيضا وهذي فضلت تفضيلا ودعوا الحرير فإن ذاك محرم ولم الغلو فلن يدوم طويلا وأيا نساء محارمي وقرابتي أجبن ربكم أطعن رسولا بالبيت قرن لا تزرن مقابرا لا تلتمسن لقوله تأويلا صلوا علي ثم اكشفوا نعشي وأحيوا سنة وتبتلوا لإلهكم تبتيلا وإذا خرجتم تتبعون جنازتي فالصمت حينئذ يكون جميلا ولتسرعوا بجنازتي يا إخوتي رب العباد غدا لنا مأمولا باسم الإله كذا على دين الرسول ضموا الرفات ولا أريد عويلا استغفروا لأخيكم وكذا اطلبوا تثبيته فعسى يحوز قبولا مالي يقسم قسمة شرعية يا وارثي فنفذوا ما قيلا والثلث للفقراء قدر جائز إن تفعلوا كان الثواب جميلا يا من أخذتم للسرادق محفلا من أجلكم كان العذاب وبيلا وكذا الولائم فاتركوها واجعلوا حبل الصلاة بربكم موصولا وبرئت من شر ابتداع يبتغي عن سنة لا تبتغوا تحويلا.

هذه هي الوصية.." [1]

"٣٠ – وقال الشيخ أبو بكر بن سالم باعلوي (١) رحمه الله تعالى:

(اللهم:

يا عظيم السلطان، يا قديم الإحسان، يا دائم النعم، يا كثير الخير، يا واسع العطايا، يا باسط الرزق، يا خفيَّ **اللطُف**، يا جميل الصُنع، يا جميل الستر، يا حليماً لا يعجل، يا كريماً لا يبخل ...

اللهم:

يا ميسرَ كلِّ عسير، ويا جابر كلِّ كسير، ويا صاحب كلِّ فريد، ويا مغني كلِّ فقير، ويا مقويَ كلِّ ضعيف ...) (٢).

٣١ – وقال السيد محمد البكري (٣) رحمه الله تعالى:

(يا منفِّسَ كُربة كلِّ مكروب، ويا كاشف الضُرِّ والبلوى عن

---

(١) المرشد الرباني، أبو بكر بن سالم بن عبد الله، الحسيني. ولد بمدينة تريم سنة ٩١٩، وتفي سنة ٩٩٢ رحمه الله تعالى، وله عدة رسائل وكتب، وله شعر كثير. انظر ترجمته . بتفصيل لا بأس به . في ((تاريخ الشعراء الحضرميين)) ١/ ١٦٧ . ١٧١.

(٢) ((مخ العبادة)) ١٩١.

(٣) محمد بن محمد بن محمد البكري الصديقي، أبو المكارم شمس الدين. من علماء المتصوفين. ولد بمصر سنة ٩٣، وكان

---

[1] الدار الآخرة – عمر عبد الكافي، عمر عبد الكافي ٣/ ١٠

له شعر جيد. وله كتب ورسائل في التصوف والعبادات، وله حزب معروف باسم حزب البكري. توفي بمصر سنة ٩٩٤ رحمه الله تعالى. انظر ((الأعلام)): ٧/ ٦٠.." (١)

"والله عز وجل هو المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة، لما اتصف به من صفات الكمال والجلال والجمال.

والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإله، الذي اشتق منه اسم (الله).

واسم (الله) دال على كونه مألوها معبودا، تألهه الخلائق محبة وتعظيما، وخشوعا وخضوعا، وتفزع إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمن لكمال الملك والحمد.

وذلك مستلزم لجميع صفات كماله سبحانه وتعالى.

فصفات الجلال والجمال أخص باسم (الله).

وصفات الخلق والفعل، والقدرة والقوة، ونفوذ المشيءة، والتفرد بالنفع والضر، والعطاء والمنع، وتدبير أمر الخلائق أخص باسم (الرب).

وصفات الإحسان والإنعام، والجود والبر، **واللطف** والحنان، والمنة والرأفة أخص باسم (الرحمن).

واسم (الله) ما أطلق على غير الله وحده، فلا يوجد أحد اسمه الله سوى الله وحده: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا (٦٥)﴾ [مريم: ٦٥].

وقال الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا (١١٠)﴾ ... [الإسراء: ١١٠].

فهذان الاسمان (الله، والرحمن) أعظم الأسماء، واسم الله أعظم من اسم الرحمن، لأن الله قدمه في الذكر، ولأن اسم (الله) يدل على كمال الرحمة، وكمال القهر والغلبة، وكمال العظمة والعزة، واسم (الرحمن) يدل على كمال الرحمة، ولا يدل على كمال القهر والغلبة، والعظمة والعزة، فثبت أن اسم الله تعالى أعظم.

والله عز وجل هو المستحق للعبادة، لأنه تعالى هو المنعم بجميع النعم أصولها وفروعها، وكل موجود فإنما حصل بإيجاد الله له، وما حصل للعباد من أقسام." (٢)

"اللطيف

ومن أسمائه الحسنى عز وجل: اللطيف.

قال الله تعالى: ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز (١٩)﴾ [الشورى: ١٩].

وقال الله تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (١٤)﴾ [الملك: ١٤].

الله تبارك وتعالى هو اللطيف، الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن، الذي لا تخفى عليه خافية، ووصل علمه إلى كل خفي.

---

(١) تسبيح ومناجاة وثناء على ملك الأرض والسماء، محمد بن موسى الشريف ص/١٧٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١/١٣١

وهو سبحانه اللطيف، البر بعباده، الذي يلطف ويرفق بهم من حيث لا يعلمون، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، والذي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر من حيث لا يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب بأسباب لا تخطر على باله، حتى أنه يذيقه المكاره ليتوصل بها إلى المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة: ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز (١٩)﴾ [الشورى: ١٩].

وهو سبحانه العالم بكل شيء، الذي لا يفوته من العلم شيء وإن دق وصغر وخفي، حتى الخردلة التي لا وزن لها لا تخفى عليه، لأنه اللطيف الخبير كما قال سبحانه: ﴿يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير (١٦)﴾ ... [لقمان: ١٦].

وإذا علم العبد أن ربه متصف بكمال العلم بكل صغيرة وكبيرة، حاسب نفسه على أقواله وأفعاله، وراقب ربه في حركاته وسكناته، فإن العبد مكشوف بين يدي اللطيف الخبير، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء كما قال سبحانه: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور (١٣) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (١٤)﴾ [الملك: ١٣، ١٤].

والله عز وجل هو اللطيف بعباده، **كثير اللطف بهم**، بالغ الرأفة بهم، لا يفوته من." [(١)]

"وما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم، فإنه يخبر به عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العلا.

وأسماء الله عز وجل منها ما يطلق عليه مفردا، أومقترنا بغيره، وهو غالب الأسماء كالعزيز والحكيم، والسميع والبصير، والعفو والغفور، فتقول مثلا سبحان العزيز، أو سبحان العزيز الحكيم.

ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده، بل مقرونا بمقابله كالمعطي المانع، والنافع الضار، والمعز المذل ونحوها.

فهذه أسماء مزدوجة يجري الاسمان منها مجرى الاسم الواحد، لأنه يراد بها المتفرد بالربوبية، وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاء ومنعا، نفعا وضرا، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجئ مفردة، ولم تطلق عليه إلا مقترنة.

وقد تجلى الله تبارك وتعالى في كتابه لعباده بأسمائه الحسنى وصفاته العلا:

فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة، والجلال والجبروت، فتخضع الأعناق، وتنكسر كبرياء النفوس، وتخشع الأصوات، ويذوب الكبر كما يذوب الملح في الماء.

وتارة يتجلى سبحانه بصفات الجمال والكمال، وهو جمال الأسماء، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، الدال على كمال الذات، فيستنفذ حبه من قلب العبد قوة الحب كلها، بحسب ما عرفه من ذلك، فيصبح فؤاده فارغا إلا من محبة الله، وتصير المحبة له طبعا لا تكلفا.

وإذا تجلى سبحانه بصفات البر والرحمة، **واللطف** والإحسان، انبعثت قوة الرجاء من العبد، وانبسط أمله، وانشرح صدره،

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١/١٩٧

وقوي طمعه، وكلما قوي الرجاء جد في العمل، وتلذذ به، وأكثر منه.

وإذا تجلى عز وجل بصفات السمع والبصر، انبعثت من العبد قوة الحياء." (١)

"والقيوم: من أسماء الله عز وجل.

والتعبد به: بإحسان تدبير من اعتمد بعد الله عليك، أو فوض الله أمره إليك، بإحسان رعايته، والقيام بمصالحه، وقضاء حوائجه.

والقهار: من أسماء الله عز وجل، وهو الذي يقهر عباده على تنفيذ مراده.

والتعبد به: بأن تقهر نفسك عن كل شر، وتقهر عدوك عن الظلم، وتقهر نفسك عن كل قاطع يقطعك عن طاعة مولاك، وإصلاح أخراك.

وثمرة معرفته: الخوف الشامل، والوجل الكامل.

والتعبد بصفة الانتقام لمن ابتلي بشيء من الولايات، بالانتقام من الجناة والبغاة بالحدود والتعزيرات، والعقوبات المشروعات.

والتعبد بصفة العدل: أن يعدل فيما حكم به، مسويا في حكمه بين الغني والفقير، والقوي والضعيف، والقريب والبعيد، وأن ينصف في وصله وقطعه، وبذله ومنعه.

والتعبد بصفة الفتح: أن يعدل في جميع أحواله، ويبذل ما يقدر عليه من الأرزاق في رضا الخلاق.

والتعبد بصفة **اللطف**: يكون بخوفك ومهابتك وحيائك ممن لا يخفى عليه شيء، ولا يعزب عنه شيء.

والتعبد بصفة الرفق: يكون بالرفق بكل من أمرت بالتعامل معه من إنسان وحيوان، والرفق بنفسك أن تضل أو تزل أو تهلك، والرفق في كل عمل تؤديه.

والتعبد بصفة الشكر: يكون بطاعة الله، وشكره على نعمه، وشكر كل من أحسن إليك في جلب خير، أو دفع شر.

والغني: من أسماء الله عز وجل.

والتعبد به: يكون بأن تغني كل محتاج بما تقدر عليه من علم ومال وغيرهما، فتذكر الغافل، وتعلم الجاهل، وتطعم الجائع، وتواسي المحتاج، وتحلم على السفيه.." (٢)

"وما لم يشأ لم يكن كما قال سبحانه: ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون (١١٢)﴾ [الأنعام: ١١٢].

الرابعة: الخلق، بأن يؤمن العبد أن الله خالق كل شيء، ومدبره ومالكه، حتى فعل المخلوق، لأن فعل المخلوق من صفاته، وهو وصفاته مخلوقان كما قال سبحانه: ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل (٦٢)﴾ [الزمر: ٦٢].

وينبغي أن يعلم الإنسان أن القدر له كالطبيب مع المريض.

فإن قدم إليه الطعام فرح وقال: لولا أنه علم أن الغذاء ينفعني ما قدمه.

وإن منعه الطعام فرح وقال: لولا أنه علم أن الغذاء يؤذيني لما منعني.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١/٣٨٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١/٤٠٤

وهذا غاية اللطف من الله تعالى، ومن لم يعتقد هذا لم يصح توكله على الله عز وجل.

والدعاء لا يناقض الرضا بالقدر، فقد تعبدنا الله به، وأمرنا به.

وأمرنا به، وإنكار المعاصي وعدم الرضا بها قد تعبدنا الله به، وذم الراضي به.

فإن قيل: وردت الأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى، والمعاصي بقضائه فكراهتها كراهة لقضائه؟.

وجواب هذا أن يقال: المعاصي لها وجهان:

الأول: وجه إلى الله تعالى من حيث أنها اختياره وإرادته، فنرضى بها من هذا الوجه، تسليما للملك إلى مالك الملك سبحانه.

الثاني: وجه إلى العبد، من حيث أنها كسبه ووصفه، وعلامة لكونه ممقوتا عند الله، بغيضا عنده، حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت، فهو من هذا الوجه منكر ومذموم.

والإيمان بالقدر على درجتين:

الأولى: الإيمان بأن الله سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر، وطاعة ومعصية، قبل خلقهم وإيجادهم، وأهل الجنة منهم، وأهل النار منهم، وأعد لهم الثواب والعقاب قبل خلقهم، وكتب ذلك عنده، وأن أعمال العباد تجري على." (١)

"ويذهله.

ولكن يمضي مع قدر الله في طواعية ورضى، رضا العارف المدرك أن ما هو كائن هو الذي ينبغي أن يكون.

وهذه درجة عالية قد لا يستطيعها ولا يصل إليها إلا القليلون من البشر.

فأما سائر المؤمنين فالمطلوب منهم ألا يخرجهم الألم للضراء ولا الفرح بالسراء عن دائرة التوجه إلى الله، وذكره بهذه وبتلك.

ولن يجد أحد طعم الأيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، أن ما كان لا بد أن يكون.

ومن يتوكل على الله في أمر دينه ودنياه ويفعل ما أمره الله به فهو حسبه وكافيه، لأنه الغني القوي العزيز، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخير طلبه إلى الوقت المناسب له، فأمر الله لا بد من نفوذه، ولكن له وقت مقدر لا يتعداه ولا يقصر عنه: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا (٢) ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا (٣)﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وكل ما يفعله الله ويقضيه ويقدره على خلقه فيه مصالح وحكم:

فما يفعله سبحانه من المعروف والإحسان دال على رحمته.

وما يفعله من البطش والانتقام دال على غضبه.

وما يفعله من اللطف وا لإكرام دال على محبته.

وما يفعله من الإهانة والخذلان دال على بغضه ومقته.

وما يفعله بمخلوقاته من النقص ثم الكمال، والحياة بعد الموت، دال على وقوع المعاد.

وخلق الله لا يبدله أحد، فما جبل الله الناس عليه من الفطرة لا يبدل كما قال سبحانه: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١/٩٠٥

لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣٠)﴾ [الروم: ٣٠].

وما سبق به القدر من الكفر والإيمان لا يقع خلافه، ولكن ذلك لا يقتضي أن." [١]

"وأوامر الله عز وجل كلها رحمة وإحسان، وشفاء ودواء، وغذاء للقلوب، وزينة للظاهر والباطن، وحياة للقلب والبدن.

وكم في ضمنها من مسرة وفرحة، ولذة وبهجة.

فما يسميه بعض الناس تكاليف إنما هو قرة للعيون .. وبهجة للنفوس .. وحياة للقلوب .. وإحسان تام إلى النوع الإنساني .. أعظم من إحسانه إليه بالصحة والعافية، والطعام والشراب.

فنعمته سبحانه على عباده بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم، وتعريفهم بأمره ونهيه، وما يحبه وما يبغضه، أعظم النعم وأجلها وأعلاها وأفضلها.

بل لا نسبة لرحمتهم بالشمس والقمر، والغيث والنبات، والطعام والشراب، إلى رحمتهم بالعلم والإيمان، والشرائع، ومعرفة الحلال والحرام.

ولولا ذلك لكان الناس بمنزلة البهائم يتهارجون في الطرقات، ويتسافدون تسافد الحيوانات بين الملأ، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، ولا يمتنعون من قبيح، ولا يهتدون إلى رشد.

فاللهم لك الحمد، حمدا كثيرا طيبا مباركا، ملء السماء، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد.

والأمكنة والأزمنة التي خفيت فيها آثار النبوة أو ضعفت ساد فيها الجهل والظلم، والكفر والشرك، وعمت فيها المنكرات والقبائح والفواحش.

فالإسلام غذاء للأصحاء، وشفاء للمرضى، وعافية للقلوب، وزينة للجوارح: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (٨٥)﴾ [آل عمران: ٨٥].

والفرق بين النعمة والفتنة، أن على الإنسان أن يفرق بين النعمة التي يرى بها الإحسان **واللطف**، ويعان بها على تحصيل سعادته الأبدية، وبين النعمة التي يرى به الاستدراج إلى العقوبة والعذاب.." [٢]

"وملأ سبحانه سماواته من ملائكته، واستعملهم في تسبيحه وتقديسه، والاستغفار للمؤمنين في الأرض، واستعمل حملة العرش منهم في الدعاء لعباده المؤمنين، والاستغفار لذنوبهم، وطلب وقايتهم من عذاب الجحيم، والشفاعة إليه بإذنه أن يدخلهم جناته: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم (٧) ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم (٨) وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم (٩)﴾ [غافر: ٧ - ٩].

فما أعظم هذه العناية من الرب جل جلاله .. وما أجمل هذا الإحسان .. وما أعظم نعمه على عباده .. وما أعظم هذه

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١/٩٢٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١/٩٩٧

الرحمة .. وهذا التحنن والعطف والتحبب إلى العباد .. **واللطف** التام بهم.

ومع هذا كله بعد أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وتعرف إليهم بأسمائه وصفاته، وآلائه ونعمه، ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يسأل عنهم، ويستعرض حوائجهم بنفسه، ويدعوهم إلى سؤاله.

فيدعو مسيئهم إلى التوبة، ومريضهم إلى أن يسأله الشفاء، وفقيرهم إلى أن يسأله الغنى، ومحتاجهم إلى أن يسأله قضاء حاجته، وذلك كل ليلة.

قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني، فأغفر له» متفق عليه (١).

فباب النعم والإحسان باب عظيم، يدخل منه كل أحد إلى محبته سبحانه، فإن نعمه على عباده مشهودة لهم، يتقلبون فيها على عدد الأنفاس واللحظات، وهي

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).." [1]

"وملء ما شاء من شيء بعد.

وهو سبحانه مالك الملك، لا ينازعه في ملكه منازع، ولا يعارضه فيه معارض، وتصرفه في الملك والممالك والمماليك دائر بين العدل والإحسان، والحكمة والمصلحة، والرحمة **واللطف**، فلا يخرج تصرفه عن ذلك.

فله الحمد كله على خلقه وأمره وتدبيره.

والملك والحمد في حقه متلازمان، فكل ما شمله ملكه شمله حمده، فهو المحمود في ملكه، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وكما يستحيل خروج شيء من الموجودات عن ملكه وقدرته، يستحيل خروجها عن حمده وحكمته.

ولهذا يحمد سبحانه نفسه عند خلقه وأمره، فهو المحمود على كل ما خلقه وأمر به حمد شكر وعبودية، وحمد ثناء ومدح، ويجمعها التبارك كما قال سبحانه: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤)﴾ [الأعراف: ٥٤].

والحمد أوسع الصفات وأعم المدائح، لأن جميع أسمائه حمد، وصفاته كلها حمد، وأحكامه حمد، وأفعاله حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله في إحسانه إلى أوليائه حمد.

والله عز وجل هو الملك الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السموات والأرضين، ولكمال ملكه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

العالم بكل شيء، الذي لكمال علمه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، يعلم دبيب الخواطر في القلوب، حيث لا يطلع عليها الملك، ويعلم ما سيكون منها حيث لا يطلع عليه القلب.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٠٢٦/١

البصير الذي لكمال بصره يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة، ويرى جريان دمها في عروقها وعظامها النحل، ويسمع ويرى دبيب الذرة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.." (١)

"وإذا كان الرب قد اختار العبد لنفسه، وارتضاه لمعرفته ومحبته، وبنى له دارا في جواره وقربه، وجعل ملائكته خدمه، يسعون في مصالحه في يقظته ومنامه، وحياته وموته، وسخر له ما في السموات وما في الأرض.

ثم إن العبد لجهله أبق عن سيده ومالكه، معرضا عن رضاه.

ثم لم يكفه ذلك حتى خامر عليه، وصالح عدوه الشيطان، ووالاه من دونه، وصار من جنده، مؤثرا لمرضاته على مرضاة وليه وخالقه ومالكه، فقد باع نفسه التي اشتراها منه إلهه ومالكه، وجعل ثمنها جنته والنظر إلى وجهه، على عدوه الشيطان، أبغض خلقه إليه، واستبدل غضب ربه برضاه، ولعنته برحمته ومحبته.

فأي مقت خلى هذا المخدوع عن نفسه لم يتعرض له من ربه؟

﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين (١٥)﴾ [الزمر: ١٥].

وإذا أراد الله عز وجل خذلان من عصاه استدرجه، والاستدراج معناه أن يعامل الله العصاة والمجرمين **باللطف** والإحسان، مع تماديهم في الغي والإجرام.

وذلك بأن يزيد الله نعمه عليهم، فيظنون أنها لطف من الله تعالى بهم، فيزدادون بطرا وانهماكا في الغي، حتى تحق عليهم كلمة العذاب كما قال سبحانه: ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (١٨٢) وأملي لهم إن كيدي متين (١٨٣)﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

فكلما أحدثوا ذنبا، فتح الله عليهم بابا من أبواب الخير والنعم، فيزدادون بطرا وإمعانا في الغي والفساد، ثم يأخذهم الله تعالى أغفل ما يكونون: ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (١٨٢) وأملي لهم إن كيدي متين (١٨٣)﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

فالتوفيق أن لا يكل الله العبد إلى نفسه، بل يتولاه ويعينه ويدافع عنه.

والخذلان أن يخلي الله تعالى بين العبد ونفسه ويكله إليها.

والعبد مطروح بين الله، وبين عدوه إبليس.." (٢)

"وكيوم حنين حين ولى المؤمنون مدبرين من شدة بأس الكفار، كما قال سبحانه: ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (٢٦)﴾ [التوبة: ٢٦].

وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوب المؤمنين من تحكم الكفار عليهم: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما (٤)﴾ [الفتح: ٤].

وأما سكينة الوقار فهي نوع من السكينة، وسكينة الوقار كالضياء لتلك السكينة، كما يحصل الضياء عن الشمس.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١/١٠٦٨

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢/١٢١٩

وسكينة الوقار لها ثلاث درجات:

الأولى: سكينة الخشوع عند القيام للخدمة رعاية وتعظيما وحضورا، فالخشوع في العبادة يكون برعاية حقوقها الظاهرة والباطنة، وتعظيم الخدمة وإجلالها، وذلك تبع لتعظيم المعبود وإجلاله ووقاره.

فعلى قدر تعظيمه في قلب العبد وإجلاله، يكون تعظيمه لخدمته وإجلاله ورعايته لها.

وحضور القلب فيها بمشاهدة المعبود كأنه يراه، ويتقدم من مقام الإيمان إلى مقام الإحسان كما قال سبحانه: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون (١٦)﴾ [الحديد: ١٦].

الثانية: السكينة عند المعاملة:

وتحصل بمحاسبة النفس، وملاطفة الخلق، ومراقبة الحق سبحانه.

فمحاسبة النفس حتى تعرف ما لها وما عليها، وزكاتها وطهارتها موقوف على محاسبتها.

وبمحاسبة النفس، يطلع على عيوبها ونقائصها، فيمكنه السعي في إصلاحها. وملاطفة الخلق بمعاملتهم بما يحب أن يعاملوه به من **اللطف**، ولا يعاملهم." (١)

"بالعنف والشدة والغلظة، فإن ذلك ينفرهم عنه، ويغريهم به، ويفسد عليه قلبه ووقته وحاله مع الله.

فليس للقلب شيء أنفع من معاملة الناس **باللطف** واللين، والحلم والرحمة.

فإن معاملة الناس بذلك ثمرته:

إما أجنبي تكسب مودته ومحبته .. وإما صاحب وحبيب فتستديم صحبته ومودته .. وإما عدو ومبغض فتطفئ بلطفك جمرته وتستكفي شره.

أما مراقبة الله سبحانه، فهي الموجبة لكل صلاح، وخير عاجل أو آجل، ومراقبة الحق سبحانه توجب إصلاح النفس، **واللطف** بالخلق.

الثالثة: السكينة التي تثبت الرضا بالقسم، وتمنع من الشطح، وتوقف صاحبها عند حده من رتبة العبودية.

فهذه الرتبة توجب لصاحبها أن يرضى بالمقسوم، ولا تتطلع نفسه إلى غيره، وهي من أعظم مواهب الحق جل وعلا، ومن أجل عطاياه.

ولهذا لم يجعلها الله في القرآن إلا لرسوله وللمؤمنين، والسكينة كأنها رداء ينزل، فيثبت القلوب الطائرة، ويهدئ الانفعالات الثائرة.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك .. وصرفها في طاعتك .. واهدنا لأحسن الأقوال والأعمال .. إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.." (٢)

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٣٣٠/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٣٣١/٢

"١٧ – مداخل الشيطان إلى القلب

قال الله تعالى: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (١٦) ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين (١٧)﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا (١٢٠) أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا (١٢١)﴾ [النساء: ١٢٠، ١٢١].

سبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكا، وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطانا.

واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقا، والذي يتهيأ به لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا.

والملك عبارة عن خلق خلقه الله من نور، شأنه إفاضة الخير، وإفادة العلم، وكشف الحق، والوعد بالخير، وكمال الطاعة، والأمر بالمعروف، وقد خلقه الله وسخره لذلك.

والشيطان عبارة عن خلق خلقه الله من نار، وشأنه ضد عمل الملك، فعمله الوعد بالشر، والأمر بالفحشاء والمنكر، والتخويف عند الهم بالخير بالفقر، وإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس، والأمر بالسوء، وتزيين المعاصي للعباد، وهو عدو بني آدم قاطبة: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (٦)﴾ [فاطر: ٦].

والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك .. ولقبول آثار الشيطان .. صلاحا متساويا.

ويترجح أحد الجانبين على الآخر باتباع الهوى، والانغماس في الشهوات، أو الإعراض عنها ومخالفتها.

فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة، ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى، وصار القلب عش الشيطان ومعدنه، لأن الهوى مرعى الشيطان ومرتعه.." (١)

"فلا بد للعبد الضعيف العاجز .. الفقير المحتاج .. الظلوم الجهول .. الذي لا يستغني عن ربه طرفة عين أن يعرف ربه الذي يربيه بنعمه الظاهرة والباطنة، وأن يعرف إلهه ومعبوده الذي تكفل بكل ما يحتاجه العباد: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون (١٨٦)﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني، فأغفر له» متفق عليه (١).

لا بد لهذا العبد أن يعرف أن ربه هو القوي وحده؛ ليستعين به وحده.

ويعرف أن ربه هو الغني وحده؛ ليطلب منه وحده كل ما يحتاجه.

ويعرف أن ربه هو العفو وحده؛ فيطلب منه مسامحته.

ويعرف أن ربه هو الغفور وحده؛ ليطلب منه مغفرة ذنوبه.

ويعرف أن ربه هو الملك وحده؛ فيتوجه إليه بالطاعة والعبودية وحده.

ويعرف أن ربه هو الرحمن؛ ليطلب منه الرحمة.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٣٥٨/٢

ويعرف أن ربه هو اللطيف؛ **ليسأله اللطف به**.

ويعرف أن ربه هو الكريم؛ ليشكره على إحسانه وإنعامه.

ويعرف أن ربه هو العزيز؛ فيطلب منه أن يعزه في الدنيا والآخرة.

ويعرف أن ربه الكبير؛ ليكبره، وأنه العظيم؛ ليعظمه، وأنه الخالق؛ فيخصه بالعبادة وحده دون سواه.

ويعرف أن ربه العليم بكل شيء؛ فيسأله أن يعلمه، ويحذر من معصيته.

ويعرف أن ربه الحي القيوم؛ ليسأله أن يكلأه ويحفظه.

ويعرف أن ربه الرزاق؛ ليسأله أن يرزقه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).." [1]

"ومنهم من يعرفه بالبطش والانتقام.

ومنهم من يعرفه بالعلم والحكمة .. ومنهم من يعرفه بالقوة والقدرة .. ومنهم من يعرفه بالعزة والكبرياء .. ومنهم من يعرفه بالرحمة **واللطف** .. ومنهم من يعرفه بالقهر والملك .. ومنهم من يعرفه بالرقابة والحفظ .. ومنهم من يعرفه بإجابة دعوته، وإغاثة لهفته، وقضاء حاجته.

وأكمل هؤلاء من عرفه بجميع أسمائه وصفاته، ونعوت جلاله.

فرأى ربه فعالا لما يريد، فوق كل شيء، قادرا على كل شيء، خالقا لكل شيء، أكبر من كل شيء، وبيده كل شيء، وخزائنه مملوءة بكل شيء: ﴿قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون (٦٨)﴾ [يونس: ٦٨].

وأحب العباد إلى الله وأكرمهم عليه العارفون بما يستحقه مولاهم من أوصاف الجلال ونعوت الكمال، وبما أسداه إلى عباده من الإنعام والإفضال، وبما يستحيل عليه سبحانه من العيوب والنقائص، والتحول والزوال، وما يجوز له فعله من الأمر والنهي، والوعظ والزجر، والبعث والإرسال، والتبشير والإنذار، والحشر والنشر، والثواب والعقاب، والإهانة والإجلال.

فهم لا يعبدون سواه، ولا يبغون إلا رضاه.

قد أحضرهم لديه، فلا يشكون إلا إليه، ولا يتوكلون إلا عليه، فهم في رياض معرفته حاضرون، وإلى كمال صفاته ناظرون:

إن نظروا إلى جلاله هابوه .. وإن نظروا إلى جماله أحبوه.

وإن نظروا إلى إحسانه شكروه .. وإن نظروا إلى شدة نقمته خافوه.

وإن نظروا إلى سعة رحمته رجوه .. وإن نظروا إلى آلائه وإنعامه حمدوه.

وإن نظروا إلى أمره ونهيه أطاعوه .. وإن نظروا إلى ندائه أجابوه.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٥١١/٢

وإن نظروا إلى توحده بالأفعال لم يتكلوا إلا عليه.

وإن نظروا إلى اطلاعه عليهم استحوا أن يخالفوه.." (١)

"من قلب العبد قوة الحب كلها، ويصبح فؤاده فارغا إلا من محبته.

وإذا تجلى سبحانه بصفات الرحمة والبر، واللطف والإحسان، انبعثت قوة الرجاء في العبد فسار إلى ربه، وكلما قوي الرجاء جد في العمل.

وإذا تجلى الرب بصفات العدل والانتقام، والغضب والعقوبة، انقمعت النفس الأمارة بالسوء، وبطلت أو ضعفت قواها من الشهوة والغضب، واللهو واللعب، والحرص على المحرمات.

وإذا تجلى سبحانه بصفات الأمر والنهي، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع الشرائع، انبعثت من النفس قوة الامتثال والطاعة، وتنفيذ أوامره، والتبليغ لها، والتواصي بها.

وإذا تجلى بصفة السمع والبصر والعلم انبعثت من العبد قوة الحياء، فيستحي من ربه أن يراه على ما يكره، أو يسمع منه ما يكره، أو يخفي في سريرته ما يمقته عليه.

فتبقى حركاته وأقواله وأفعاله موزونة بميزان الشرع.

وإذا تجلى سبحانه بصفات الكفاية، والقيام بمصالح العباد، وسوق أرزاقهم، ودفع المصائب عنهم، ونصره لأوليائه، انبعثت من العبد قوة التوكل على ربه، والتفويض إليه، والرضى به.

وإذا تجلى جل جلاله بصفات العز والكبرياء، انبعثت من العبد صفات الذل لعظمة الله، والانكسار لعزته، والخضوع لكبريائه، وخشوع القلب والجوارح لجلاله، فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه.

والله عز وجل يدعو عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين:

أحدهما: النظر في مخلوقاته ومفعولاته.

الثاني: التفكر في آياته وتدبرها.

فتلك آياته المشهودة .. وهذه آياته المسموعة المعقولة.

فالنوع الأول كقوله سبحانه: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل." (٢)

"فكيف لا يحب الإنسان من هذا شأنه؟

وكيف لا يستحي العبد أن يصرف شيئا من محبته إلى غيره؟ ومن أولى بالحمد والثناء والمحبة منه سبحانه؟

ويفرح سبحانه بتوبة العبد إذا تاب إليه أعظم فرح وأكمله، ويكفر عنه سيئاته، ويوجب له محبته بالتوبة، وهو الذي ألهمه إياها، ووفقه لها، وأعانه عليها.

وملأ سبحانه سماواته من ملائكته، واستعملهم في الاستغفار لأهل الأرض، واستعمل حملة العرش منهم في الدعاء لعباده

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٥١٩/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٥٥٣/٢

المؤمنين، والاستغفار لذنوبهم كما قال سبحانه: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم (٧)﴾ [غافر: ٧]

فانظر إلى هذه العناية .. وهذا الإحسان .. وهذا التحنن والعطف .. وهذا التحبب إلى عباده .. **وهذا اللطف التام** بهم.

فما أجدر العبد بطاعة ربه، وعبادته وحده لا شريك، ودوام الحمد والثناء عليه، وإفراده بالمحبة والتعظيم.

ومع هذا كله .. بعد أن أرسل الله إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وتعرف إليهم بأسمائه وصفاته وآلائه، ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا يسأل عنهم، ويستعرض حوائجهم بنفسه، ويدعوهم إلى سؤاله.

فيدعو مسيئهم إلى التوبة، ومريضهم إلى أن يسأله الشفاء، وفقيرهم إلى أن يسأله غناه، وصاحب الحاجة يسأله قضاءها.

ويدعوهم إلى التوبة وقد حاربوه، وعذبوا أولياءه، وأحرقوهم بالنار كما قال سبحانه: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق (١٠)﴾ [البروج: ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (٥٣)﴾ [الزمر: ٥٣].." (١)

"والمحاسب في المجتمع:

إما الحاكم الذي نصبه الله ليقيم شرعه في الأمة.

أو المجتمع الذي يحاسب صاحب الجريمة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،

أو النفس التي تحاسب صاحبها وتلومه وتؤنبه، أو الاعتقاد أنه محكوم أمام عيني خبير لا تخفى عليه خافية، لا يستطيع أن يستتر عنه أحد، وأنه يراقبني وسوف يحاسبني على ما عملت.

فمن لا يرجو حسابا .. ولا يتوقع سؤالا في الدنيا والآخرة، فإنه يفسد ويهمل العمل للآخرة كما قال سبحانه: ﴿إن جهنم كانت مرصادا (٢١) للطاغين مآبا (٢٢) لابثين فيها أحقابا (٢٣) لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا (٢٤) إلا حميما وغساقا (٢٥) جزاء وفاقا (٢٦) إنهم كانوا لا يرجون حسابا (٢٧) وكذبوا بآياتنا كذابا (٢٨)﴾ [النبأ: ٢١ - ٢٨].

والمحاسبة لها ثلاثة أركان:

أحدها: أن تقايس بين نعم الله عليك وبين جنايتك، وما من الله وما منك، فيظهر لك حينئذ التفاوت، وتعلم أن ليس إلا عفوه ورحمته، أو الهلاك والعطب.

وبذلك يعلم العبد أن كل نعمة من الله فضل، وكل نقمة منه عدل، وأن النفس منبع كل شر، وأساس كل نقص، وأنه لولا فضل الله ورحمته بتزكيته لها ما زكت أبدا، ولولا هداه ما اهتدت.

ثم تقايس بين الحسنات والسيئات، فتعلم أيهما أكثر وأرجح قدرا أو صفة بالعلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والخير والشر، ويبصر به مراتب الأعمال أفضلها وأدناها، ومقبولها ومردودها، وبإساءة الظن بالنفس؛ لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال المراقبة والتفتيش، ويلبس عليه، فيرى المساوئ محاسن، والعيوب كمالا، ويميز بين

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٧٩١/٢

النعمة والفتنة:

فيفرق بين النعمة التي يرى بها الإحسان **واللطف**، ويعان بها على تحصيل سعادته الأبدية، وبين النعمة التي يرى بها الاستدراج، فكم من مستدرج بالنعم." (١)

"إن الله عز وجل يعرض على رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – أحوال الأمم السابقة مع رسلهم، وهو الذي انتهت إليه أمانة الدعوة إلى الله في الأرض كلها إلى آخر الزمان، ووكلت إليه هداية البشرية إلى ربها في العالم كله إلى يوم القيامة.

واضطلع بأكبر عبء كلفه رسول، يعرض عليه بالتفصيل أحوال الأنبياء مع أممهم؛ ليرى في حياة الأنبياء الرحمة بالخلق، والإحسان إليهم، والعفو عنهم، والشفقة عليهم، والصبر على أذاهم، **واللطف** بهم.

ويرى كذلك جهد الأنبياء وتضحيتهم من أجل إعلاء كلمة الله، وإقرار حقيقة الإيمان في الأرض، وتوجيه الخلق إلى عبادة ربهم.

ويطلع منها على عناد البشرية أمام دعوة الحق، وفساد القيادة الضالة، وغلبتها على القيادة الراشدة، ثم رحمة الله بعباده بإرسال الرسل تترى كلما فسدت أحوال البشر، وضلوا عن طريق الإيمان والهدى كما قال سبحانه: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون (٤٤)﴾ [المؤمنون: ٤٤].

وتعرض تلك الأحوال العجيبة كذلك على الأمة المسلمة عامة، فهي الوارثة لدعوة الله في الأرض بعد رسولها – صلى الله عليه وسلم –، وللمنهج الإلهي المنبثق من هذه الدعوة؛ لترى صور الجهاد والكفاح، والتربية والدعوة، والإصرار والثبات من جميع الأنبياء والمرسلين؛ لأقرار حقيقة الإيمان في الأرض.

كما ترى فيها عناية الله بالقلة المؤمنة، وإنجائها من الهلاك الشامل في ذلك الحين: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين (١١٠)﴾ [يوسف: ١١٠].

وتعرض آيات القرآن كذلك تلك الأحوال على الكفار والمشركين ليروا فيها مصير أسلافهم المكذبين، ويدركوا نعمة الله عليهم في إرساله إليهم رسولا رحيما بهم، لم يدع عليهم بالهلاك الشامل، وذلك لما يقدره من الرحمة بهم إلى حين.." (٢)

"إلا سلكها، ولا فرصة سانحة إلا شق طريقه إليها، ولا مناسبة إلا كان له نصيب فيها.

فلم يذر قريبا إلا عرض عليه الإسلام .. ولا بعيدا إلا شد الرحال إليه .. يدنو البعيد بهمته .. وتذلل الصعاب لعزيمته .. يحدوه الأمل فيجد في العمل .. لا يكل ولا يمل.

لا يثنيه تجهم قريب .. ولا صدود بعيد .. ولا سخرية شامت .. ولا كيد حاسد .. ولا ظلم مستكبر .. ولا أذى با غ .. ولا طغيان جبار.

عرض – صلى الله عليه وسلم – نفسه على القبائل .. واجتمع بوفودها في المواسم .. ودعا عامتهم وخاصتهم إلى الإسلام

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٠٠٣/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٢١٥/٣

بالرحمة والشفقة، **واللطف** واللين .. ولم يأل جهدا ولم يدخر وسعا .. حتى ظهر أمر الله .. وعز الإسلام وأهله .. وقامت دولته .. وقويت شوكته .. وكملت شرائعه .. ورفعت أعلامه.

وأقوى سلاح الدعوة وأبلغها أثرا وأعظمها نفعا رحمة الناس، والرفق بهم واللين معهم، ليقبلوا الدين، ويعملوا بأحكامه، ففرعون أشد خلق الله طغيانا وكفرا .. وظلما وكبرا .. وقال ما لم يقله إبليس، نازع الله في الربوبية فقال: ﴿فقال أنا ربكم الأعلى (٢٤)﴾ [النازعات: ٢٤].

ونازع الله في الألوهية فقال: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص: ٣٨].

وادعى ما لا يملك وكفر بنعمة الله فقال: ﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون (٥١) أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين (٥٢)﴾ [الزخرف: ٥١، ٥٢].

واستكبر ورد أمر الله كما قال الله عنه: ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون (٣٩)﴾ [القصص: ٣٩].

ومع هذا كله جاء أمر الله لموسى وهارون بدعوته إلى الله بالقول اللين كما قال سبحانه: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى (٤٣) فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (٤٤)﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].." (١)

"وحصن فرجه». قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. أخرجه أحمد والطبراني (١).

الرابع: ضعيف الإيمان، جاهل بالأحكام.

فهذا نصبر عليه، ونرفق به، ونعرفه بعظمة من يعصيه، ونعلمه الحكم بالرفق **واللطف**، ولا نوبخه ولا نزجره ولا نعنفه، كما فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - مع الأعرابي الذي بال في المسجد.

عن أنس - رضي الله عنه - قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: مه مه. قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تزرموه، دعوه». فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة، وقراءة القرآن». أو كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: فأمر رجلا من القوم، فجاء بدلو من ماء، فشنه عليه. متفق عليه (٢).

فالمعاصي آفات تصيب القلوب والجوارح، ولإزالتها لا بد من تخلية وتحلية، ببيان عظمة الله، وعظمة كتابه، وعظمة أوامره، وعظمة اليوم الآخر.

وبيان خطر المعاصي والسيئات على النفس، وعلى المجتمع، وعلى الأمة، وبيان فضل الطاعات والفضائل وحسن التحلي بها، وبيان خطر المعاصي والرذائل وقبح التلوث بها.

فهل نقوم بوظيفة الأنبياء والمرسلين، ونبتعد عن وظيفة الشياطين والملحدين كما قال سبحانه: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (١٠٤) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٢٨٣/٣

جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥)﴾ [آل عمران: ١٠٤، ١٠٥].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد برقم (٢٢٥٦٤)، وهذا لفظه.

وأخرجه الطبراني في الكبير (٨: ١٦٢)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (٣٧٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢١٩)، ومسلم برقم (٢٨٥)، واللفظ له.." [1]

"سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم وعلى أيديهم.

والله عز وجل إنما بعثهم لهذه التزكية، وولاهم إياها كما قال سبحانه: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين (٢)﴾ [الجمعة: ٢].

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد (١).

والنفس آية من آيات الله العظيمة، وهي موجودة في كل حيوان، وهي في **غاية اللطف والخفة**، موجودة في البدن ولكنها لا ترى، سريعة التنقل والحركة، سريعة التغير والتأثر والانفعالات النفسية من الهم والإرادة، والقصد والحب والبغض، ولولاها لكان البدن مجرد تمثال لا حركة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة كما قال سبحانه: ﴿ونفس وما سواها (٧) فألهمها فجورها وتقواها (٨)﴾ [الشمس: ٧،٨].

وللإنسان مع نفسه حالتان:

الأولى: إما أن يطهر نفسه من الذنوب، وينقيها من العيوب، ويرقيها بطاعة الله، ويعليها بالعلم النافع، ويرفعها بالعمل الصالح، فهذا قد زكى نفسه بما يحبه الله، فهو من المفلحين كما قال سبحانه: ﴿وقد خاب من دساها (١٠)﴾ [الشمس: ١٠].

والناس متفاوتون في الأعمال والأخلاق تفاوتا كبيرا، وذلك بحسب تفاوت الإيمان والأعمال والأخلاق، ومقدارها والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال، هل هي خالصة لله فتقبل وتبقى وتنفع صاحبها؟

أم هي غير خالصة لله فترد وتبطل وتفني، وتضر صاحبها؟

فالناس مختلفون، وأعمالهم وأخلاقهم متفاوتة كما قال سبحانه: ﴿إن سعيكم لشتى (٤)﴾ [الليل: ٤].

---

(١) حسن: أخرجه أحمد برقم (٨٩٥٢).

وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٦)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (٤٥).." [2]

"تمحوها .. أو يدعو له إخوانه المؤمنون .. أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به .. أو يبتليه الله في الدنيا بمصائب تكفر عنه .. أو يبتليه في البرزخ بالصعقة فيكفر بها عنه .. أو يبتليه في عرصات القيامة بما يكفر عنه .. أو يشفع

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٣٤٨/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٦٢٥/٣

فيه نبيه – صلى الله عليه وسلم – .. أو يرحمه أرحم الراحمين .. والله غفور رحيم.

والحسنات تزيد الإيمان، وتزيد نور القلب، والسيئات تنقص الإيمان، وتطفئ نور القلب، والمعاصي للإيمان كالأمراض للبدن سواء بسواء.

وفي اجتناب المعاصي والسيئات عدة فوائد:

الأولى: صون النفس وحفظها وحمايتها عما يشينها ويعيبها ويزري بها، عند الله وملائكته وعباده المؤمنين وسائر خلقه.

فمن كرمت عليه نفسه وكبرت صانها وحماها، ومن هانت عليه نفسه، وصغرت عنده ألقاها في الرذائل.

الثانية: توفير الحسنات، ففي اجتناب السيئات توفير الحسنات، وذلك من وجهين:

أحدهما: توفير زمانه على اكتساب الحسنات، فإنه إذا اشتغل بالقبائح نقصت عليه الحسنات التي كان مستعدا لتحصيلها.

الثاني: توفير الحسنات المفعولة عن نقصانها، فكما أن الحسنات يذهبن السيئات، فكذلك السيئات قد تحبط الحسنات، وقد تستغرقها بالكلية أو تنقصها، فتجنبها يوفر ديوان الحسنات.

الثالثة: كسب مودة الخلق، وذلك بملاطفتهم ومعاملتهم بما يجب أن يعاملوه به من **اللطف**، ولا يعاملهم بالشدة والغلظة والعنف، فإن ذلك ينفرهم عنه، ويغريهم به، ويفسد عليه قلبه وحاله مع الله.

فليس للقلب أنفع من معاملة الناس **باللطف**، فالناس إما أجنبي فتكسب مودته ومحبته، وإما صاحب وحبيب فتستديم صحبته ومودته، وإما عدو ومبغض فتطفئ بلطفك جمرته، وتستكفي شره.." (١)

"الرابعة: مراقبة الله سبحانه، وهي الموجبة لكل صلاح وخير عاجل وآجل، ولا يصح ما قبلها إلا بهذه، وهي المقصود لذاته، فمراقبة الحق سبحانه توجب إصلاح النفس، **واللطف** بالخلق، ورحمتهم، والصبر على أذاهم.

والناس متفاوتون في العلم والعمل، والسؤال والهمم: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق (٢٠٠) ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (٢٠١)﴾ [البقرة: ٢٠٠،٢٠١].

والحسنة المطلوبة في الدنيا:

هي كل ما يحسن وقعه عند العبد من رزق هني واسع حلال، وزوجة صالحة، وأولاد تقربهم العين، وراحة من الهم والكد، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة.

وحسنة الآخرة:

هي الفوز بالنعيم المقيم، وحصول رضا الله، والقرب من الرب الكريم، والسلامة من العقوبات في القبر والموقف والنار.

فقوله سبحانه: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (٢٠١)﴾ [البقرة: ٢٠١].

هذا أجمع دعاء وأكمله وأفضله، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يكثر من الدعاء به.

والله غني كريم يضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ويجزي السيئة بمثلها أو يعفو.

قال الله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون (١٦٠)﴾ [الأنعام:

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٨٨٠/٣

.[١٦٠

وقال تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم (٢٦١)﴾ [البقرة: ٢٦١].." [١]

"الله، وأبو جهل لعنه الله؛ لأنه ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر، وعرف ذلك شرعا.

وإما شخص بعينه كقول: زيد لعنه الله، وهو يهودي مثلا، فهذا فيه خطر؛ لأنه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله، فكيف يحكم بكونه ملعونا؟.

فعلى المسلم أن يصون لسانه عن الكذب والغيبة والنميمة وقول الزور وغير ذلك مما نهى الله ورسوله عنه.

واللسان من نعم الله تبارك وتعالى العظيمة اللطيفة، فهو صغير جرمه، عظيم طاعته ونفعه، وعظيم خطره وجرمه.

فلا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والمعصية.

والكلام ترجمان يعبر عما في الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائر.

وللكلام شروط لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، وهي:

الأول: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه إما في جلب نفع، أو دفع ضرر، ذلك أن ما لا داعي له هذيان، وما لا سبب له هجر.

الثاني: أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته منه، فإن الكلام إن لم ينحصر بالحاجة لم يكن لحده غاية، ولا لقدره نهاية، ومن كثر كلامه كثر سقطه.

الثالث: اختيار الألفاظ التي يتكلم بها؛ لأن اللسان عنوان الإنسان، فلا يتجاوز في مدح، ويسرف في ذم .. ولا تبعثه الرغبة والرهبة في وعد أو وعيد يعجز عنهما .. وإذا قال قولا حققه بفعله .. وإذا تكلم بكلام صدقه بعمله .. ويراعي مخارج كلامه بحسب مقاصده .. فإن كان ترغيبا قرنه باللين **واللطف** .. وإن كان ترهيبا خلطه بالخشونة والخوف .. ولا يرفع صوته بكلام مكروه .. ولا ينزعج له انزعاجا مستهجنا .. ويكف عن حركة تكون طيشا .. ويتجافى هجر القول ومستقبح الكلام .. وليعدل إلى الكناية عما يستقبح صريحه ويستهجن فصيحه .. ؛ ليبلغ الغرض ولسانه نزيه، وأدبه مصون .. ولا يسمع الخنا ولا يصغي إلى فحش ولا يقوله .. ويتجنب أمثال العامة الساقطة .. ولا يذكر في." [٢]

"أحزان قلبي لا تزول لـ (مروان حديد)

أحزان قلبي لا تزول ... حتى أبشر بالقبول

وأرى كتابي باليمين ... وتقر عيني بالرسول

أحزان قلبي

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٨٨١/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣١٤٨/٤

نيران قلبي في اشتعال ... من خوف ربي ذي الجلال

فارحم وسامح يا رحيم ... واغفر ذنوبا كالجبال

أحزان قلبي

يا رب قد أكرمتنا ... **باللطف** قد عاملتنا

رغم الخطايا والذنوب ... فارحم بجودك ضعفنا

يا ربنا

يا رب فاغفر يا كريم ... واقبل بعفوك يا رحيم

من تائب يخشى الذنوب ... ومعاهد أن يستقيم

أحزان قلبي

والعين تبكي في خشوع ... من خشية بين الضلوع

لله رب العالمين ... القلب دوما في ولوع

أحزان قلبي

القلب دوما في سقام ... ما لم يجاهد الطغام

سنطارد الكفر الدخيل ... ونعيد للأرض السلام." (١)

"انقباض وانحجاز وتحفظ في كل كلمة وخطوة، وطبقة من الخاصة يخلع عندهم لباس التشدد، ويلبس لباس الأنسة **واللطفة** والبذلة١ والمفاوضة، ولا يدخل في هذه الطبقة إلا واحدا من الألف، وكلهم ذو فضل في الرأي، وثقة في المودة، وأمانة في السر، ووفاء بالإخاء.

الصغير يصير كبيرا:

وعلى العاقل أن لا يستصغر شيئا من الخطأ في الرأي، والزلل في العلم، والإغفال في الأمور؛ فإنه من استصغر الصغير أوشك أن يجمع إليه صغيرا وصغيرا، فإذا الصغير كبير، وإنما هي ثلم٢ يثلمها العجز والتضييع، فإذا لم تسد أوشكت أن تتفجر بما لا يطاق، ولم نر شيئا قط إلا قد أتى من قبل الصغير المتهاون به، قد رأينا الملك يؤتى من العدو المحتقر به، ورأينا الصحة تؤتى من الداء الذي لا يحفل به، ورأينا الأنهار تنبثق من الجدول الذي يستخف به.

وأقل الأمور احتمالا للضياع الملك؛ لأنه ليس شيء يضيع، وإن كان صغيرا، إلا اتصل بآخر، يكون عظيما.

---

(١) أناشيد أبي مازن، مجموعة من المؤلفين ١/٣

١ أراد بالبذلة: إطلاع من يثق به على أسراره، وما تكنه نفسه.

٢ الثلم، الواحدة ثلمة: الخلل في الجدار، وغيره.." (١)

"تحسن التقدير لما تفيد١، وما تنفق، ولا يغرنك من ذلك سعة تكون فيها، فإن أعظم الناس في الدنيا خطرا٢ أحوجهم إلى التقدير، والملوك أحوج إليه من السوقة٣؛ لأن السوقة قد تعيش بغير مال، والملوك لا قوام٤ لهم إلا بالمال، ثم إن قدرت على الرفق **واللطف** في الطلب، والعلم بوجوه المطالب، فهو أفضل.

وأنا واعظك في أشياء من الأخلاق اللطيفة، والأمور الغامضة التي لو حنكتك٥ سن كنت خليقا أن تعلمها، وإن لم تخبر عنها.

ولكنني قد أحببت أن أقدم إليك فيها قولا؛ لتروض٦ نفسك على محاسنها، قبل أن تجري على عادة مساوئها، فإن الإنسان قد تبتدر إليه٧ في شبيته المساوئ، وقد يغلب عليه ما بدر إليه منها للعادة. وإن لترك العادة مؤونة شديدة، ورياضة صعبة.

---

١ تفيد: تستفيد.

٢ الخطر: الشرف، وارتفاع القدر.

٣ السوقة: الرعية التي يسوسها الولاة.

٤ قوام الأمر: نظامه وعماده الذي يقوم به.

٥ حنكتك: راضتك، وهذبتك.

٦ راضه: ذلله، وجعله مطيعا.

٧ تبتدر إليه: تسبق إليه.." (٢)

"١٤٨١ - حدثنا عبد الله، حدثنا أحمد، حدثنا سعيد بن عامر، عن حزم، عن عمار قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، ما البر؟ قال: البذل **واللطف**، قلت: فما العقوق؟ قال: أن تحرمهما وتهجرهما، قال: أما علمت أن ﷺنظرك في وجه والديك أو والدتك عبادة "." (٣)

"وقال بهرام بن بهرام المروءة اسم جامع للمحاسن كلها وكان يحيى بن خالد يقول المروءة سعة المنزلة وكثر الخدم ووطاءة الفراش وطيب الرائحة والاحسان الى الحاشية والافضال على الاخوان

وكان الحسن بن سهل يقول المروءة والشرف في البشر ولا يصلح للصدر والا واسع الصدر

وكان الفضل البلعمى يقول المروءة الجمع بين الدين والدنيا والتوقى وسخط الخالق وذم المخلوقين

وكان عبد الله بن احمد بن يوسف يقول المروءة الكبرى واطعام الطعام ومجالسة الكرام

---

(١) الأدب الصغير والأدب الكبير ابن المقفع ص/٢٣

(٢) الأدب الصغير والأدب الكبير ابن المقفع ص/٦٧

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل أحمد بن حنبل ص/٢١٣

وقال المهلب المروءة عشرة اجزاء تسعة منها في المائدة وجزء منها في سائر الاشياء

وقال أبو منصور الثعلبي لا مروءة لمن لا يجتمع الإخوان على خوانه، ولا تقع الجفان على جفانه

وقال بعضهم المروءة إدامة الإهداء وترك الإستهداء

قال أبو منصور الهداية عماره المروءة وهي سنة الرسول ورسم الملوك واستمالة القلوب ومفاتيح المودة واللطف الأكبر والبر الأعظم

والطيب لسان المروءة قال محمد بن عبد الله العتبي في الطيب أربع خصال سنة ومروءة لذة وقوة." [1]

"الآدميين، وتلظت فتنتهم. وقد روى حديث يحي بن زكريا عليه السلام حين سأل إبليس: ما هذه الأكواز الصغار التي علقتها على وسطك؟ قال: فيها شهوات بنى آدم، فأنا أذيقهم إياها واحدا واحدا، حتى آخذهم بواحدة منها.

وأما الصوت الذى يخرج من الأوثان، فذلك أصله من اللطف، أعلى له إبليس حظا من اللطف يومئذ فأعطى على الاستدراج، فهو بذلك يصوت في أجواف الأصنام، فسبى بها قلوبا خلت من التوحيد. وإذا خرجت الأصوات من كل ذى وتر مازج ما أعطى من اللطف بهذا الصوت حتى تفتن القلوب بذلك، وسبا نفوسهم الشهوانية.

وأهل التوحيد حشى توحيدهم بالفرح بالله، فلا يقدر العدو أن يسبى قلوبهم ونفوسهم بما عنده من الفرح.. ألا ترى إلى قوله تعالى: (ولكن الله حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبكم، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) . فإذا كانت المحبة والزينة في قلب، فذاك قلب محشو من الفرح بمولاه، وهو لا يعلم لغلبة الشهوات، وغلبة أفراح الدنيا، قد انكمش بما فيه من الفرح.. ألا ترى أنه إذا وعظ وذكر بالله كيف تدمع عيناه، وكيف يقع في العويل.

قال: وسمعت الجارود بن معاذ يقول لوكيع رحمه الله: أنت تصوم الدهر وتتعب، فمم سمنك هذا؟! من سرورى بالإسلام. فليست هذه البدانة من تربية أغذية الدنيا؛ فإذا فرح الإنسان بدن ولحم فكل فرح من فرح." [2]

"ولا يصيب الرجل الحسبة ولا يقدر عليها حتى يذكر نفسه محتاجا إلى رضا الله وثوابه، فإذا ذكر ذلك قدر على لحسبة، فنعم الباب الحسبة، فطوبى لمن وفقه الله في الحسبة لأن من ذكر ثواب عمل الآخرة طابت نفسه به ورغب فيه وحرص عليه وثقل عن الدنيا لقلة خيره وكثرة آفته حتى يراه كأنه لا شيء.

تفسير النية فضد نية الخير نية الشر

تفسير النية

والنية من الناوي تكون بأربعة أشياء: أحدهما: بكسر رغبته في الدنيا، والثاني بقصد الأمل، والثالث: بعجلته عن الحياة، والرابع: بشغله بطلب الآخرة.

فضد نية الخير نية الشر، ونية الشر مع طول الأمل شكل، وضد طول الأمل قصر الأمل، وقصر الأمل مع نية الخير شكل، وللناوي ثلاث علامات: أولها: معصوم بها من الخطايا لأن نيته إلى غيره، والثاني: أمن الزلات لأن صاحب النية قل ما

---

(١) المروءة ابن المرزبان المحولي ص/١٣٤

(٢) المنهيات الترمذي، الحكيم ص/٩٢

يزل، والثالث: يترك كل عمل فيه من الخير لأن نيته لا تتحول على خير الأعمال.

وثلاثة أشياء من فعال الناوي: أولها: أن يعمل بالوقف حتى يتبين له، والثاني: يتفكر حتى يتبين النية من الأمل، والثالث: قائم على الهوى والرأي حتى يكسره، ويكون متابعا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يصيب الناوي النية حتى يكسر الرغبة في الأمل، ويشغل نفسه في عمل الآخرة، فنعم الباب النية، فطوبى لمن وفقه الله للنية، لأن نية الناوي كرأس المال للتاجر، وكالعمر لطالب الآخرة بما يصلح جميع شأنه إنه عزيز مكرم مراح، وصاحب الأمل ذليل مهن متعب في الدنيا والآخرة.

تفسير الشفقة وضدها العداوة

تفسير الشفقة

والشفقة تكون من المشفق بثلاثة أشياء: أحدها: بتذكرة منزلة المؤمنين عند الله وكرامتهم عليه، والثاني: بتذكرة حاجته إلى معونة المسلمين والمؤمنين إياه لما يعلم أنه وحده ضعيف ولا يقدر أن يحكم أمر دينه إلا بمعونتهم إياه، والثالث: بتذكرة حاجته إلى شفاعتهم يوم القيامة ويجوز أن يكون نجاته بشفاعتهم.

فضد الشفقة العداوة، والعداوة والحسد شكل، وضد الحسد النصيحة، والشفقة والنصيحة شكل، وللمشفق ثلاثة علامات: أولها: أن لا يحب العداوة، والثاني: لا يحب الحسد، والثالث: لا يحب المبادرة ولا الطعنة.

وثلاثة أشياء من فعال المشفق: أولها: **اللطف**، والثاني: الحلم، والثالث: يحب كل مسلم.

ولا يصيب الرجل الشفقة حتى يذكر منزلة المؤمنين عند الله، فنعم الباب الشفقة لمن وفقه الله، فطوبى لمن وفقه الله للشفقة لأن شفقته عليهم تروم إلى شفقته على نفسه مع ما له من الخيرات بها في الدنيا والآخرة، مع الدعاء إلى الأبد بأنه عزيز، مكرم، آمن، والحاسد ذليل، مهان، خائف من الدنيا والآخرة.

تفسير المداراة وضدها المداهنة

تفسير المداراة

والمداراة تكون في المداري بثلاثة أشياء: أحدهما: بتذكرة فضل الجماعة، وصلاة الجماعة والحج والعيدين وما يشابههما، والثاني: بتذكرة فساد الوحدة لأنه ينبغي لك أن تكون معتزلا بقلبك عنهم ولا تعتزل عنهم بالجوارح، والثالث: بتذكرك نصيحتك لله ولرسوله وللمؤمنين.

فضد المداراة المداهنة، والمداهنة والتملق للدنيا شكل، وضد التملق للدنيا التملق لأمر الدين، والتملق لأمر الدين والمداراة شكل. وللمداري ثلاث علامات: أولها: يحب الجماعة، والثاني: يخاف من العزلة، والثالث: يحب الاحتمال.

وثلاثة أشياء من فعال المداري: أولها: لا يؤثر الشيء لأجل أمر الدين وحب الجماعة، والثانية: لا يمسك الكلام عن أحد، والثالثة: يكون في صحبة الخلق، فيداري معهم لأجل زيادتهم، ولا يصيب الرجل المداراة حتى يكون ذاكرا فضل الجماعة وفساد الوحدة، ثم يخاف من هوى نفسه، فإذا خاف من هوى نفسه فيقدر على المداراة بين الناس، فنعم الباب المداراة لمن وفقه الله، فطوبى لمن وفقه الله بالمداراة، لأن المداري مضطر بين الناس فيود حفظ نفسه على طلب مرضاة الله ومحبته

بالاجتناب عما كره الله، لا يريد لهم الإثم لأجلهم.

تفسير الورع وضده الإقبال

تفسير الورع

فالورع من التورع يكون بخمسة أشياء:." (١)

"وأما النجاة: فإنه خندق التسليم حيث ذكر من شأن إبراهيم وابنه عليهم السلام، فقال: (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) . ثم قال: (وفديناه بذبح عظيم) ، (ونجيناه من الغم) ، ثم وعد بمن فعل فعله بأن يعامله معاملته، فقال: (وكذلك ننجي المؤمنين) ، ثم شهد له بالإيمان وسماه عبده، فقال: (إنه من عبادنا المؤمنين) ، ثم قال: (إنا كذلك نجزي المحسنين) ، والإحسان هاهنا الإخلاص أي اختلس نفسه من نفسه ووفاء لربه بما أمره به وتوكل عليه.

باب صفة الأبواب

التي على الصدر والبوابين

فالصدر له بابان شارعان إلى النفس، باب الأمر وباب النهي وبواباهما المشيئة والقدرة، وعليهما ستران من الجبروت والملكوت وعلى البوابين لباسان من نور الوحدانية والإلوهية حشوهما الرأفة **واللطف** والعطف والرحمة قد نسجهما بنور السلطان والعظمة والهيبة والكبرياء.

باب صفة أساس الحيطان

فإن أساس الحيطان على سبعة أشياء على الشكر والرضا والصبر والإخلاص والنية والقبول والإقرار.

باب المرمة والتعاهد

فأما استصلاح الحيطان ومرمتها وقوامها كي لا تنقض فتنهار أو تصيبها آفة من ثقب أو ثلمة، أو نقص فثمانية أشياء وهي التهليل والتحميد والتكبير والتمجيد والاستسلام والتسبيح والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

باب صفة النفس وما فيها

فإن النفس، نفسان: نفس ظاهرة، ونفس باطنة.

فأما الباطنة؛ فهي المذمومة، وأما الظاهرة فهي متابعة لمن قادها وغلب عليها واستولاها من ذلك قول الله جل وعز عما يحكي عن شهادة يوسف عليه السلام بالسوء فقال: "وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء".

وقوله: (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) ، فإنما تجادل في النفس الظاهرة

---

(١) العقل والهوى الترمذي، الحكيم ص/٦

النفس الباطنة، فقوله: (فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي) . وقوله: (تعلم ما في نفسي) ، فهذه صفة النفس الباطنة.

وأما صفة النفس الظاهرة

فأنها تابعة لمن غلب عليها، "فإن غلب عليها" الملك وهو النور والعقل كانت تابعة لهما فإن غلب عليها النفس الباطنة انقادت لها فمن قوله: (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) لغلبة الملك عليها (وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه) ، أي نفس الشيطان وذلك أن هذه النفس الباطنة نفس الشيطان ولها شأن نصفه في موضعه إن شاء الله، وقوله: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من ذكاها) ، أي زكى، أي أصلح النفس الباطنة لتصلح النفس الظاهرة بصلاحها، ومنه قوله تعالى: (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) ، وإنما قال المطمئنة لأن الباطنة إذا قمعت وسجنت ووقى شحها، ضعفت وخمدت نيرانها، سكنت الظاهرة واطمأنت من إساءتها لها ووقعت في راحة، ألا ترى إلى قوله تعالى: (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ، فهاتان نفسان ظاهرة وباطنة كما وصفنا من شأنهما، وهما مدينتان عظيمتان، "وبينهما تفاوت وتفاضل" وهما خارجان من ثلل الحيطان والخنادق التي وصفنا وفيه أشياء ما لا يقدر وصفه مخافة طول الكتاب.

صفة النفس الباطنة." (١)

"قال الله تعالى: (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) ، فالقلب مضغة خلقها الله من بطانة الأرض مما لم يمسه وطء إبليس ولا خطوته لأنه كان في سابق علمه أنه معدن معرفته ومن ذلك لا يجد الشيطان عليه سبيلا، حيث قال: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) ، أي على قلوبهم، ومنه قيل القلب بيد الرحمن ومنه في الحديث أنه سأل ربه خصلة فقال ما هي يا إبليس، قال: السبيل على قلبه، قال: ذلك محرم عليك أن تدخله أو تسلط عليه، ولكن لك سبيل ومجرى من النفس في العروق إلى حد القلب وأصل العروق في النفس ورأسها في القلب، فإذا دخلت العروق وجريت فيها عرقت من ضيق المجرى فامتزج عرقك بماء الرحمة في مجرى واحد وجرى إلى القلب مع شؤمك ونفخك ونتنك وظلمتك ووصل إلى القلب سلطانك فغلبت صاحبه ومن أردت به ضرا أو اخترته وجعلته وليا وصديقا ونبيا، قلعت العروق من باطن القلب ونزعتها منه فصار القلب سليما فإذا دخلت العروق وجريت فيها لم ينله شؤمك ولم يصل إليه سلطانك ولا ظلمتك إذ كانت أصل العروق منقطعة من باطن القلب وصار ما بين القلب وبين أصل العروق فرجة فرضي اللعين بذلك، وقد ذكر الله تعالى في كتابه فقال: (إلا من أتى الله بقلب سليم) ، القلب السليم الذي نزعت منه أصل العروق ثم ختم عليه، فالقلب وإن كان شريفا فإنه قد خلق مما خلقت منه النفس ولكن التفضيل مما بينهما أن النفس خلقت من أديم الأرض وظاهرها، والقلب من بطانة الأرض، والأرض خلقت من كدورة الماء وخبثه وزبده وأصلها

(١) الأعضاء والنفس الترمذي، الحكيم ص/٣

من الماء فهي يابسة خشنة، والنور **من اللطف فإذا** تخلى القلب من النور ومائه ورطوبته ولطافته، رجعت إلى جوهرها من الأرض يابسة خشنة فإذا دام بها ذلك قسا القلب أي ييبس وصار إلى حالتها وجوهرها، ولما احتج إبليس بما احتج على آدم عليه السلام وفضل نفسه عليه نظر في نفسه واعتبر جوهره فقال: (خلقتني من نار وخلقته من طين) والنار من النور وخلقته من تراب، والتراب من الظلمة، ولم يلتفت اللعين إلى أن التراب من الطين والطين من الماء والماء حياة كل شيء، والماء يطفئ النار فلذلك احتج بما احتج.

أما أصل معرفة المعرفة ومعرفة جوهرها." (١)

"فإذا قلت لا إله إلا الله فلا الثاني، لألف الإله، لأن الاسم المستعار فيه وهو اسم الصنم، وإذا قلت إلا الله، فألف إلا هو المثبت لألف الله لأن السم المستحب فيه وهو اسم ربنا جل وعز، وأما لا فهو عماد الألف هاهنا؛ لأن الألف لا يمكن عبارته باللسان دون اللام إذ هو علمه فكذلك اللام لا يمكن استعماله إلا مع الألف وإن استعمل دون الألف ذهب المعنى، وتلاشى المراد، وبطل المبتغى، وصار كلاما آخر يؤدي إلى معنى آخر، ولأن الكلام التام عند العرب لا يكون من ثلاثة أحرف إلا في أحرف قليلة منها قول الله: (كن) ، وهو حرفان خرج منهما الملك والملكوت وشأن الدارين، وأمر الآخرة، وذلك تقدير من العزيز العليم، أخرجه من خزائن الربوبية فقوله كن؛ نما هو في الأصل حرف والنون قائمته، فلو قال ربنا لما شاء أن قال: كن من غير نون كان ما شاء، ولكن أحب أن يخرجه مع القائمة ليفهم خلقه كلامه ومعناه في تنزيله في شرائعهم على لغاتهم وألفاظهم ليكون أيسر على ألسنتهم وأفهم للسامع على المراد ألا ترى إلى بعض رؤوس السور المبهمة كيف تاه الناس فيها، وكيف اختلفوا في تفسيرها وهن "الطواسين والحواميم والميمات" وغيرها، وهن ثلاثة أحرف، وأكثر فلولا إنهم تاهوا فيها إذن لهم أتوب في قوله: طس ويس ونون وقاف، وكل حرف منها محشو بمعان وصفات وكل إنما هو بعض من كلام، كما قالوا إن ألف لام ميم، فالألف منها اسم ربنا الله والله **اسمه اللطف والميم** اسمه الملك فانظر كم حرف اللطيف، وكم حرف الملك، وكم حرف الله، وكم حرف الألف من الله، وكم حرف اللام من اللطيف، وكم حرف الميم من الملك، وقد قال بعض المفسرين إن الألف إلا الله وإن اللام لطف الله، وأن الميم ملك الله، ويقال أيضا أن الألف اسم الله وأن اللام اسم جبريل، وأن الميم اسم محمد صلى الله عليه وسلم، فقوله (كن) هو حرف كقوله نون وقوله كاف والنون قائمته ليكون للسامع أفهم وللقائل أيسر وأشبع في الكلام وأتم في القالب، فلا كلمة نفي ولا كلمة إثبات ولا يكون الإثبات إلا بالألف ويكون النفي بغير الألف، لأن الألف في لام مضمر مندمج فيه، فإذا قلت لا علمت أنه لام وألف، وإذا قلت إلا علمت أنه لام وألفان أحدهما قبل لا والآخر بعد لا، ولا في الكتابة له فرعان من أصل واحد وفي الكلام لا تظهر إلا في فتحة اللام ومدته، فاكتفى الله بنفي كل معبود دونه بحرف لا لأنه وإن كان حرفا واحدا في الكتابة فإنه حرفان في الأصل لام وألف، والفرعان اللذان فيه يدلان على ذلك، وإن خفي على الناس معرفة ذلك والألف أشرف أسمائه وأعزها فاكتفى به في النفي وإن كان مضمرا فإن له سلطانا ينفي وحدة اسم كل معبود سموا باسمه الله اختلافا واستراقا وانتحالا

---

(١) الأعضاء والنفس الترمذي، الحكيم ص/١٠

واستعارة، ولم يكتفي به عند الإثبات حتى أبرز ألف إلا سوى الألف الذي في لا وترك اللف الذي في الأعلى حال تأكيد وتثبيت، فقال عند النفي لا حرف واحد وهو اللام وفيه الألف المضمر، وقال عند الإثبات ألا فترك لا على حالة وأبرز ألفا آخر قبله ليكون حرفان ظاهران؛ ألف، ولام سوى الألف الذي في لا لئلا يكون إثباته بحرف واحد كما إن النفي بحرف واحد فيشبه الإثبات النفي في قوله (لا) فميز افثبات من النفي بالألف الذي أبرز قبل لا.

وأما ترجمة لا إله إلا الله." (١)

"الحلول على بساطة مرضاة الله والتناول من ولائم الله والشرب من كأس محبته. ول على بساطة مرضاة الله والتناول من ولائم الله والشرب من كأس محبته.

باب تفسير لباس المعرفة

ملك قد ملكه الله وأحله موضعا من أشرف النفس وأضرفه وأعلاه وله لباس من الجمال ولباس من الجلال، ولباس من السلطان، ولباس من العظمة، ولباس من الهيبة، ولباس من الجود، ولباس من المجد، ولباس من الكرم، ولباس من الرحمة، ولباس من الرأفة، ولباس من العطف، ولباس من الشفقة، ولباس من الجبروت، ولباس من الملكوت وعليه تاج من الإلوهية قد سطع نوره إلى ذي العرش المجيد، وله شأن أغور من هذا ننبه أفهام العوام من عجائبه، فقد كتمناه خوفا من ولوج الوسواس على أعين قلوبهم والفتتان بها لكنه علم جليل.

باب تفسير حجبه

وبين يديه حجب من العدل والحق والعظمة والهيبة والسلطان وحجب من النور وحجب من الرحمة وحجب من الكبرياء.

باب صفة العقل

وأما صفة العقل فإن الله تعالى خلق العقل من نور الهيبة وهو ثلاثة أحرف من الكتاب: عين وقاف ولام، فللعين خمسة معاني: من العزة والعظمة والعلو والعلم والعطاء، فهذا تفسير معنى العين، ولكل حرف منه جوهر فوضع من كل جوهر فيه، فقولك عين فيه العظمة والعزة والعلو والعلم والعطاء، وأما القاف فلها خمسة معاني فالقاف من القربة والقول والقرار والقوام والقدرة، فإن قلت: عق دخل فيه العين والقاف، ومعاني العين ومعاني القاف، وأما اللام من **اللطف**، **واللطف** من الرحمة، والرحمة من العطف، والعطف من الشفقة، والشفقة من الشوق، والشوق من الحب، والحب: حرفان؛ حاء وباء، فالحاء من الحياة والحياء والحلم والحكمة، فإذا قلت حاء دلل هذا الحاء على أن فيه الحياء والحياة والحلم والحكمة، وأما الباء فمن البر والبهاء، فبحاء الحياة أحيا جسده، وبحاء الحب أحيا قلبه حتى عرفه، وباء البر بره بنعم الحياة، وبباء البهاء باهى به عند الملائكة فالعقل خلق فيه ما وصفنا تخرج حروف خلقته هذه المعاني، ثم هو في صورته أحسن الخلق وأزينه، ثم في لباسه

---

(١) الأعضاء والنفس الترمذي، الحكيم ص/١٩

أحسن الألبسة وأشرفها، وحشاه بأنوار الوحدانية والفردية والكبرياء، وكساه بكساء من نور الجمال ونور البهاء ونور الجلال ونور الحسن ونور العظمة ونور الهيبة فلما فرغ من خلقه قال له: "أقبل فأقبل" ثم قال له "أدبر فأدبر"، ثم قال: "أقعد فقعد"، فقال: "بعزتي ما خلقت خلقا أحسن منك ولا أجمل منك ولا أشرف منك ولا أنبل منك خلقتك من نور وحشوتك بالنور وكسوتك بالنور وقربتك بالنور وأمدك بالنور وأسكنتك معدن النور فأنا النور ومعرفتي نور وكلامي نور وأنت من نور النور والبستك نور وحشوتك في النور وأسكنتك في النور فأنت نور على نور أهدي لنوري من أشاء من عبادي"، ثم قال له من أنا قال: أنت الله لا إله إلا أنت، قال: فقال الرب: بك أطاع وبك أشكر وبك أعطي ولك الثواب وعليك الحساب؛ حدثنا بذلك فهذه صفة العقل.

باب صفة جنوده وأسماؤهم

فالعلم، والحلم، واليقين، والحق، والنصر، والفطنة، والفهم، والوقار، والسكينة، والحياء، والصبر، والهدى، والرشد، والحفظ، والصيانة، والعفاف، والرزانة، والتقى، والورع، والفكرة، والتذكر، والعفو، والبر، والرحمة، والرقة، والرأفة، والعطف، واللين، والجود، والمجد، والعطاء، والكرم، والحمد، والذكر، والثناء، والشكر، والهيبة، والسلطان، والكبر، والعظمة، والفخر، والعز، والتواضع، والتضرع، والخشوع، والخضوع، والصدق، والصحة، والإخلاص، والنية، والعزم، والحزم، والوفاء، والعدل، والسلامة، والسداد، والإحسان، والشوق، والحكمة، والعبادة، والقناعة، والرضا، والحذر، والتدبر، والرأي، والتوكل، والتفويض، والتسليم، والظفر، والنصر، والنصح، واصفح، والغفران، والستر، والرعب، والرهبة، والرجاء، والخوف، والعظمة، والنوال، والمداراة، والصمت، والحب، والأمر، والنهي، والصلابة، والخلق، والسمت، والذهن، والإلهام، والمراقبة، والفني، والتوبة، والإنابة، والفرح، والسرور، والعبرة، والعظمة، والندامة، والذكاوة، والكياسة، والزهد، فهذه مائة نفس أفراس ورجال وأبطال وغيرهم وكل على أمر.

باب بيان أمر الجنود وعماله وأمرائه." (١)

"فأما العلم والحلم فهما وزيرا العقل، واليقين قائد الجيش، والحق صاحب المظالم، والنصر الفتح، والفطنة الطليعة، والفهم صاحب النيات، والوقار والسكينة قائدان، والحياء صاحب السر، والصبر صاحب الاستدراج، والهدى والرشد الدليلان، والحفظ والصيانة صاحب الكنوز، والعفاف والرزانة والتقى والورع أصحاب الخزائن، والفكرة والتذكر صاحب المكر، والعفو والبر صاحب الصلح، والرحمة والرقة والمراقبة **واللطف** والعطف واللين والمداراة فإنهم أعوان القاضي، والجود والمجد والعطاء والكرم صاحب الأرزاق، والحمد والذكر والثناء والشكر أصحاب المدد، والهيبة والسلطان والكبر والعظمة والفخر والعز الأبطال المحاربون، والتواضع والخشوع والخضوع الرجالة، والصدق القاضي، والصحة والإخلاص والنية والعزم والحزم أصحاب المبارزة، والوفاء الأمين، والعدل السجان، والسلامة والسداد أصحاب الأعلام، والإحسان صاحب الرايات،

---

(١) الأعضاء والنفس الترمذي، الحكيم ص/٢٨

والشوق صاحب اللواء، والحكمة الحاكم، والعبادة الخدم، والقناعة والرضا قيم الأمور، والحذر المدبر، والتدبير والرأي صاحب المشورة، والتوكل صاحب الحصن، والظفر صاحب النصر الرماة، والنصح والصفح الرسل، والرغبة والرهبة والرجاء والخوف الشاكر به، والمداراة والصمت أصحاب الرصد، والحب البندار، والأمر والنهي العهد والميثاق، والصلابة الجلاد، والخلق والسمت وكيلان، والحدة صاحب الشرطة، والذهن أمير الجيش، والإلهام رسول الملك الأعلى، والمراقبة صاحب الأخبار، والفناء الطبال، والفرح والسرور والانبساط واللعب والعبرة الجاسوس، والفطنة المبادئ، والذكاوة والكياسة أصحاب الفاشيات والجنايب، والورع والزهد المحتسبان، والتوبة المقدمة، والندامة السباقة، فهذه صفة الجنود وأمورهم وإمارتهم وعالمهم وأفراسهم ورجالاتهم.

باب صفة إبليس وصفة الهوى

وصفة جنوده

فأما صفة اللعين وصفة جنوده فإن له اثنا عشر وزيرا تحت يدي كل واحد منهم مائة ألف قائد ثم تحت يد كل منهم مائة ألف، حتى على رجل واحد من بني آدم، يبعث أكثر من ربيعة ومضر وكل قائد منهم على أمر وله أخلاق السوء مائة، وكما أن ملك المعرفة العقل، كذلك الهوي ملكه، فأما أسماء وزرائه الاثني عشر؛ فأولهم كرام بن الكريم، وهو صاحب مكارم الأخلاق في الجن والنهي عن مساوئها، والأمر بالعقل والأخذ به، والثاني هامة بن إبليس وهو صاحب كبائر الذنوب، والثالث شيعبان بن شوقيان وهو صاحب الأسواق يأمر بالتطفيف، والرابع الزوبع بن دامغ وهو صاحب السعايات والنميمة، والخامس أم زوبر وهي صاحبة الحروب التي تهيج بين الناس وتأمرهم بالقتال، والسادس شيطط بن لويط وهو الذي يأمر بالقرطب والقيادة والفجور، والسابع سوقب بن ذوهب وهو صاحب الرياء والطامات والخيانات، والثامن عذر بن خدع وهو صاحب المكر والخديعة والنكث وقلة الوفاء، والتاسع زولة بن جراض وهو صاحب الوسوسة والجنون وحديث النفس، والعاشر قسيط بن طيط وهو صاحب التخليط بين الناس وترك النصيحة والاستقامة، والحادي عشر قانط بن قوطل وهو الذي يأمر بكل شر بالبذاء والشتم والمناقرة، والثاني عشر عزاف بن حسود وهو صاحب الملاهي والمجالس التي يشرب فيها الخمور ويعتكف فيها بالفجور وله عمله وصناع سوى ذلك ممن اتخذوا المعازف والملاهي يفتنون بها الخلق ويلهونهم بها وكان بدو جميع الملاهي منهم. أسماء أصحاب الصنائع والعملة وأصحاب المعازف والملاهي؛ وهم أكرم الخلق على اللعين، أحدهم: أبو سملقة وهو أول من اعتصر العنب فخمره وشربه وتغنى، والهفاف، وهو أول من عزف، وذلك أنه أخذ حفنة فحلب ماء الكرم وشرب منه ثم وضعها تحت الكرم وغطى رأسها بورقة ثم عاد إليها بعد أيام فإذا لها هزير ورغوة سقاه أخاه شربات منه فسكر فعزف فسمي أخوه عزافا وسمي هفافا وكان اسمه قبل ذلك مشقصا. ومرة بن الحرث أول من اتخذ البربط وذلك أنه أتى هفافا يوما فسقاه الهفاف من شرابه فطار فوقع في جزيرة من جزائر البحر فبقي فيها سنة يتفكر في أن يأتي بشيء يذكر به كما ذكر الهفاف بالعصير فإذا هو يوما بطائر له صوت شجي حسن فسمع صوته فأعجبه تلونه فنحت عودا وشد

عليه خيوطا من لحاء الشجر حتى صيره على صنعة العود فاتخذ عودا ثم اتخذ من بعد ذلك أوتارا من تغير اللحاء من أذناب خيل البرية.." (١)

"ولوقس بن لاقس أول من اتخذ المزامير، وذلك أنه مر يوما بالهفاف، ومرة وهما يشربان ويطربان فسمع صوتا لم يسمع بمثله قط فدنا فشرب شرابا لم يشرب مثله قط فطار حتى وقع إلى أرض بابل فمكث سنة متفكرا لبدع حتى سمع ليلة صوت ذبابة فتناول قصبة فثقبها ثم نفخ فيها.

وصهيب بن عازب وهو الذي اتخذ الصنج وذلك أنه وقع عند الهفاف فأحب أن يكون له شيء يذكر كما ذكر الهفاف وأصحابه فوقع في جزيرة في البحر فظل فيها دهرا ملتمسا بدعة حتى هاجت يوما ريح عند الصيف ووقعت الريح في شجرة يابسة فصوتت فأعجبته فاتخذ صنجا.

وأبو شكيم وهو الذي ابتدع الطبل وذلك أنه غطى يوما ذيله على باطية هفاف فجعل هفاف يضرب يده عليها فصوت فجعل مكان الذيل جلدا.

باب أصحاب المنازل والحرف

فمن أصحاب المنازل والحرف شيطان يقال له القمام بن القشب وهو ساكن المزابل ينضح البول على الثياب، وشيطان يقال له الزفوف بن الغارب وهو على المطبخ يشغل النساء لتحترق الأخبزة فيغضب الأزواج وعلى القدور يملحونها، والبرباض بن دخران وهو على الأموال والكنوز، والرائب بن لمس وهو صاحب الحمام، والضحاك بن المقطب وهو على الزقاق والسكك والمربعات يرشد السكارى إلى بيوتهم، والقطوف بن الحبر وهو على مجالس الغيان والعزف والمرق وهما شيطانا العربدة، والحشود بن اللطف وهو الذي يجمع بين الغلمان والنساء، والتحيت بن المفتحم وهو الذي على الأسواق وهو الذي على حوانيت الخمور.

باب لما أراد الله أن يسكن الخلق الأرض خلق الجان من نار السموم وخلق زوبعة منه فغشيها فحملت إحدى وثلاثين بيضة فوضعت بيضة واحدة فتفلقت عن قطربة وهي أم القطارب فلما أطلعت رأسها قالت الجنة وهي زوجة الجان يا قطربة، قالت قطربة سميعا دعوت، قالت الجنة احضني ولدي، قالت قطربة ما خلفت، فوضعت الجنة ثلاثين بيضة فحضنتها قطربة فتفلق منها عشر بيضات، فكان في البيضة الأولى الأبالسة منهم الحرث أبو مرة عدو آدم عليه السلام ونسله فسكنوا البحور، وتفلقت البيضة الثانية عن الوسواس فسكن الجزائر، وتفلقت البيضة الثالثة عن الغيلان فسكنوا الخرابة والفلوات، وتفلقت البيضة الرابعة عن السعالي فسكنوا الجبال والرمال، وتفلقت الخامسة عن الرهاوية فسكنوا الأدغال والآجام، وتفلقت السادسة عن الأراجيل فسكنوا العيون ومجامع الطرق، وتفلقت السابعة عن التهاويس فسكنوا الحمامات والمزابل والكنف، وتفلقت الثامنة عن الهوام فسكنوا الهواء وغيره، وتفلقت التاسعة عن الأرائي فسكنوا معارك الحروب والنواويس والقبور، وتفلقت العاشرة عن الدواجن فسكنوا الدور والقصور وخيام الأعراب، أما العشرون البواقي فإن قطربة حملتهن

---

(١) الأعضاء والنفس الترمذي، الحكيم ص/٢٩

فطارت في الهواء حتى إذا كان بين مسقط عين الشمس ومطلع سهيل فلقت فسمت منهن خمسا، ثم قالت اعمروا وانتشروا واكثروا ومضت حتى إذا كان بين مطلع سهيل وبين مطلع قرن الشمس ففلقت وسمت منهن خمسا، وقالت لهن مثل ذلك ثم مضت حتى إذا كان بين مطلع قرن الشمس ومطلع بنات نعش فلقت فسمت خمسا وقالت لهن مثل ذلك ومضت حتى إذا كان بين مطلع بنات نعش وبين نعش فسمت خمسا، فقالت لهن مثل ذلك، ثم رجعت القطربة إلى الجنة فقالت ملأت البر والبحر ففلقت كل بيضة عن ألف توأم ذكر وأنثى، تحدثنا بذلك كله، فهذا كل عدو آدم وذريته فبث اللعين سراياه وشؤم أموره يدبر ويسوط حتى أنه ليبعث ألف سرية على رجل واحد من ولد آدم صلى الله عليه.." (١)

"والوصف ويشهد غيره في الذم والمقت انقلب قلبه عن وجهة الصادقين وتنكب بقصده عن صراط الخائفين فهلك وأهلك لأن من شهد البعد في القرب لطف به بالخوف، ومن شهد القرب في البعد مكر به في الأمن، وقال بعض العلماء: كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم عز من قائل فعندها وجدت له نعيما ولذة لا أصبر عنها، وقال عثمان رضي الله عنه: أو حذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من تلاوة القرآن، وقال ثابت البناني: كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة، وقال بعض علمائنا: لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر، وعن علي رضي الله عنه: لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب، وعن أبي سليمان الداراني: إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال وذكر خمس ليال ولولا أني أقطع الفكر فيها لما جاوزتها إلى غيرها.

وروينا عن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ منها، وحدثنا عن بعض العارفين قال: لي في كل جمعة ختمة؛ وفي كل شهرختمة؛ وفي كل سنة ختمة؛ ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد، يعني ختمة التفهم والمشاهدة، وكان هذا يقول أقمت نفسي في العبودية مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة وإنما حجب الخلق عن فهم كنه الكلام ومعرفة سر المراد لأنه حجبهم عن حقيقة كنه معرفته وإنما أعطاهم من معرفة الكلام بقدر ما أعطاهم من معرفة المتكلم إذ بمعاني كلامه تعرف معاني صفاته وأفعاله وأحكامه ولأن معاني كلامه من معاني أوصافه وأخلاقه، فلذلك جاء فيه السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف، لأن من أوصافه الرحمة **واللطف** والانتقام والبطش، فلما لم يصلح أن يعرفوه كعلمه بنفسه لم يصلح أن يعلم كنه كلامه إلا هو، ويعرف كنه صفاته إلا هو، فأعلم الخلق لمعاني كلامه أعرفهم لمعاني الصفات وأعرف العباد بمعاني الأوصاف والأخلاق وغوامض الأحكام أعرفهم بسرائر الخطاب ووجه الحروف ومعاني باطن الكلام، وأحقهم بذلك أخشاهم له أقربهم منه، وأقربهم منه من خصه بأثرته وشمله بعنايته، فقد جاء في الخبر: أحسن الناس صوتا بالقرآن من إذا قرأ رأيت أنه." (٢)

---

(١) الأعضاء والنفس الترمذي، الحكيم ص/٣٠

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٩٢/١

"بهوى النفس إلى العقل فرجع العقل إلى النفس فسولت وطوعت فسكن العقل واطمأن إلى تسويل النفس وطوعها فانشرح الصدر بالهوى لسكون العقل وانتشر الهوى في القلب لشرح الصدر وتوسعته فقوي سلطان العدو لاتساع مكانه فأقبل بتزيينه وغروره وأمانيه ووعده يوحي بذلك زخرفا من التحول وغرورا فيضعف سلطان الإيمان لقوة سلطان العدو وخفاء نور اليقين فغلب الهوى لقوة الشهوة فأحرقت الشهوة العلم والبيان فارتفع الحياء واستتر الإيمان بالشهوة فظهرت المعصية لغلبة الهوى وارتفاع الحياء، وهذان المعنيان من ظهور الخيروالشر والطاعة والمعصية فلهذه الأسباب يوجدان في طرفة عين فتصير أجزاء العبد جزأ واحدا ومفصلاته تعود بالمراد منه فصلا واحدا كالبرق في السرعة بتغليب القدرة على المشيئة إذا قال جل وعلا له: (كن فيكون) آل عمران: ٥٩.

وإن أراد الله تعالى إظهار خير وإلهام تقوى من خزائن الملكوت حرك الروح **بخفي اللطف فتحركت** بأمره جلت قدرته فقدح من جوهرها نور سطع في القلب همة عالية وهمة الخير ترى بأحد ثلاثة معان لا تحصى فروعها لأن كل عبد همته في الخير مبلغ علمه ومنتهي مقامه، فأحد الأصول مسارعة إلى أمر يفرض أو ندب لفضل يكون عن عمل حال العبد أو علم يكون فطنة له أظهر عليه من مكاشفة غيب من ملك أو ملكوت، والمعنى الثالث بتحمل مباح من تصرف فيما يعني مما يعود صلاحه عليه واستراحة النفس بما أبيح له يكون نفعه لغيره أو ترويحات من الأفكار لقلبه الغائص في البحار يكون حملا لكربه وتخفيفا لثقله، فهذه مرافق للعبد باختيار من المعبود وحكمة من الحكيم وفي كلها رضاه سبحانه وتعالى فإمضاؤها أفضل للعبد وبعضها أفضل من بعض، وهذه الأصول الستة من الخير والشر هي الفرق بين لمة الملك وبين لمة العدو وبين إلهام التقوى وإلهام الفجور التي هي النية والوسوسة، وهما الاختيار أو الاختبار، وقد تكون هذه المعاني مكاشفات مزيد للعبد ينظر إلى الله منها ويجد الله تعالى بما أوجده منه عندها ويكون تعريفا من الله يتعرف إليه بها ويفتح له باب الأنس والشوق منها ثم تتفاوت العباد في مشاهدتها على حسب علوهم في اليقين وعلى قدر قوتهم ومكانهم من التمكين إلا أن أصول معاني الخير وأواسطها إلهام الملك والإلقاء في الروح وقوادح الأنوار في كتب الإيمان وفروعها الآخرة والعلم مما أمر به أو ندب إليه والمباح وأصول معاني الشر أضدادها أواسطها النفس والعدو وأسبابها الشهوة والهوى يظهرن عن الجهل ويوقعن الحجاب ويصدرن إلى عقاب.

فإذا أراد الله تعالى إظهار خير من خزانة الروح حركها فسطعت نورا في القلب فأثرت فينظر الملك إلى القلب فيرى ما أحدث الله تعالى فيه فيظهر مكانه فيتمكن على مثال فعل العدو في خزانة الشر، وهي النفس، والملك مجبول على الهداية مطبوع على." (١)

"الذي يستريح إليه المكروب من الذنوب والقنوط من رحمة الله تعالى التي يرجوها المبتلي بالذنوب أعظم من ذنوبه وهو أشد من جميع ذنوبه لأنه قطع بهواه على صفات الله تعالى المرجوة وحكم على كرم وجهه بصفته المذمومة فكان ذلك من أكبر الكبائر وإن كانت ذنوبه كبائر.

وهكذا جاء في التفسير: ولاتلقوا بأيدكم إلى التهلكة قال: هو العبد يذنب الكبائر ويلقى بيده ولا يتوب ويقول: قد هلكت

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١/٢١٤

لا ينفعني عمل فنهوا عن ذلك إلا أن الرجاء مقام جليل وحال شريف نبيل لا يصلح إلا للكرماء من أهل العلم، والحياء وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف، يروحون به من الكرب ويستريحون إله من مقارفة الذنب، ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء، ومن لم يقم في مقام الخوف لم يرفع إلى مقامات أهل الرجاء على صحة وصفاء ورجاء، كل عبد من حيث خوفه ومكاشفته عن أخلاق مرجوة من معنى ما كان كوشف به من صفات مخوفة، فإن كان أقيم مقام المخوفات من المخلوقات مثل الذنوب والعيوب والأسباب، رفع من حيث تلك المقامات إلى مقامات الرجاء، بتحقيق الوعد وغفران الذنب وتشويق الجنان وما فيها من الأوصاف الحسان؛ وهذه مواجهات أصحاب اليمين وإن كان أقيم مقام مخاوف الصفات عن مشاهدة معاني الذات مثل سابق العلم وسوء الخاتمة وخفي المكر وباطن الاستدراج وبطش القدرة وحكم الكبر والجبروت، رفع من هذه المقامات إلى مقام المحبة والرضا، فرجا من معاني الأخلاق وأسماء الكرم والإحسان والفضل والعطف واللطف والإمتنان، وليس يصح أن نخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل الرجاء في مقامات الرجاء من قبل أنه لا يصلح لعموم المؤمنين، وهو يفسد من لم يرزقه أشد الفساد فليس يصلح إلا بخصوصة ولا يجديه ولا يستجيب له ولا يستخرج إلا من المحبة ولا محبة إلا بعد نصح القلب من الخوف، وأكثر النفوس لا يصلح إلاعلى الخوف، كعبيد السوء لا يستقيمون إلا بالسوط والعصا ثم يواجهون بالسيوف صلتا، ومن علامة صحة الرجاء في العبد كون الخوف باطنا في رجائه لأنه لما تحقق برجاء شيء خاف فوته لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به، فهو لا ينفك في حال رجائه من خوف فوت الرجاء؛ والرجاء هو ترويحات الخائفين، ولذلك سمت العرب الرجاء خوفا لأنهما وصفان لا ينفك أحدهماعن الآخر، ومن مذهبهم أن الشيء إذا كان لازما لشيء أو وصفا له أو سببا منه، أن يعبروا عنه به فقالوا: مالك لا ترجو كذا وهم يريدون ما لك لا تخاف؟ وعلى هذه اللغة جاء قول الله تعالى: (ما لكم لا ترجون لله وقارا) نوح: ١٣ أجمعوا على تفسيره: مالكم لا تخافون لله عظمة، وهو أيضا أحد وجهي تفسير قوله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه) الكهف: ١١٠ أي يخاف من لقائه ومثل الخوف من الرجاء، مثل اليوم." (١)

"الظاهر كصقال الرقعة، وهو بمنزلة الشمس الطالعة، محلها الفلك العلوي، وشعاعها على الأرض، كذلك العقل محله المخ، وسلطانه في القلب، وفي هذا المقام الطيش والهيمان، وهذا مكروه عند العلماء؛ وقد أصاب ذلك بعض المحبين في مقام المحبة فانطبق عليهم فولهوا بوجوده، ومنهم من فزع ذلك عن قلوبهم فسرى عنهم فنطقوا بعلمه.

وقد كان أبو محمد رحمه الل تعالى يقول لأهل التقلل الطاوين المتقشفين: احفظوا عقولكم، فإنه لم يكن ولى الله ناقص العقل.

والمعنى الثالث وهو شرها في مجاوزة الخوف، هو أن يعظم ويقوى، فيذهب الرجاء إذا لم يواجه بعلم الأخلاق من الجود والكرم والإحسان التي تعدل المقام، فتروح كروب الحال فيخرجه ذلك إلى القنوط من رحمة الله، والإياس من روح الله تعالى، دخلت عليهم هذه المشاهدة من قبل العدل والإنصاف بمعيار العقل فجاوزت بهم علم وصفه بالكرم، وخفى الألطاف، فتعدت بهم الحدود من قبل قوة نظرهم إلى الاكتساب؛ وتمكن تحكم شهادة الأسباب، ورجوعهم إلى أنفسهم في الحول

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١/٣٦٠

والاستطاعة، وإثباتهم لتحقيق الوعيد عليهم خاصة لا محالة، والحكم علي الحاكم الراحم بعقولهم وعلومهم، من غير تفويض منهم إلى مشيئته، ولا استلام لقدرته، ولا تأميل لأحد معاني صفاته الحسنى التي تعم جميع صفاتهم السوأى، فظهرت سيئاتهم الثواني أمامهم، فحجبتهم عن المحسن الأول، ولم يعلموا أنهم بإحسانه إليهم أساءوا، وبسبق علمه فيهم تعدوا، وإن قلمه لم يكن بأيديهم إذ جرى بما عليهم، وإن قهر قدرته وسلطان جبره أظهر منهم من خزائنه ما فيهم، يدلك على صحة ما ذكرناه أن أكثر هذه المخاوف كانت في البصريين، وأهل عبادان والعسكريين، فكان مذهبهم القدر، والقول **باللطف**، وتفويض المشيئة وتقديم الاستطاعة.

منهم العمرية أصحاب عمرو، والعبادية شيعة عباد، والفوطية والعطوية أصحاب هشام الفوطى، وابن عطاء الغزالي.

ومنهم التيمية نفوا نصف القدر، ومنهم المنازلية أصحاب المنزلة بين المنزلتين، والقول بمقدور من قادرين، وفعل من فاعلين، فابتلوا بالاعتماد على الأسباب، وبالنظر إلى أولية الاكتساب فحجبهم ذلك عن المقدر الوهاب، فهرب هؤلاء من الأمن والاغترار، فوقعوا في أعظم منهما من القنوط والإياس، فصاروا في كبائر المعاصي من خوفهم منها.

فمثلهم مثل الخوارج، خرجوا على الأئمة بالسيف لإنكار المنكر، فوقعوا في أنكر المنكر من تكفير الأئمة، وإنكارهم السلطان، وتكفيرهم الأمة بالصغائر، وهذا من أبدع البدع، وهؤلاء كلاب أهل النار.

ومثلهم أيضا مثل المعتزلة، هربوا من طريق المرجئة أن الموحدين لا يدخلون النار." (١)

"الشاكر اللين الوادع، ولا يصلح تفصيل ما أجملناه ولاشرح ما رمزناه، وقال بعض علماء السف: ما ألبس المؤمن لبسة أحسن من سكينة في خشوع وذلة في خضوع فهذا حالان من الخوف، وهي لبسة الأنبياء وسيما علماء الأولياء.

وقال لقمان لابنه: يا بني خف الله تعالى خوفا لا تيأس فيه من رحمته وارجه رجاء لاتأمن فيه مكره، ثم فسره مجملا فقال المؤمن: كذي قلبين؛ يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر، ومعنى لك أن المؤمن ذو وصفين عن مشاهدتين لأن المؤمن الأول والشاهد الأعلى ذو وصف مخوف مثل البطش والسطوة والعزة والنقمة.

فإذا شهد العبد ما آمن به من هذه الصفات خاف إذا عرفه بها وتجلى له بشاهدها والمعروف أيضا هو المألوف ذو أخلاق مرجوة من الكرم والرفق والرحمة **واللطف**.

فإذا شهد القلب ما آمن به من هذه الأخلاق رجا من شهده بها فصار العبد لوصفيه الرجاء والخوف عن معنى شهادتيه المخوفة والمرجوة عن وصفي مخوفه ومرجوة وصار كذي قلبين كأنه يرجو بقلب ويخاف بآخر، وإنما هما شهادتان في قلب واحد لأنهما مقامان لقلب واحد عن شهود مخوف ومرجو واحد؛ فهذا تفسير قول لقمان، وهو صفة المؤمن ذي الإيقان، إلا أن الخائف يوصف بما غلب عليه من الحال عما قوي عليه من مشاهدة ويندرج الرجاء في مقامه، ويوصف الراجي بما قوي عليه من الحال عن غلبة شهادته وينطوي الخوف في مقامه ولاكنه للمخوف تعالى وعلا ولا نهاية للمرجو عز وجل سبحانه وتعالى، فأما الشهيد الموقن العالم المقرب فبالحالين جميعا يوصف مع اعتدالهما وبالوصفين جميعا يعرف مع استوائهما، ثم يغلب عليه الوصف التام والحال الكامل.

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٩٧/١

فإذا عرف به أدرج الوصفان فيه فيقال: صديق لأنه قد تحقق بالصدق فأغنى عن أن يقال مخلص، ثم يقال عارف لأنه قد رسخ في العلم فكفى أن يقال صادق ثم يقال مقر ب لأنه قد أشهد القرب فاقترب ولم يحتج إلى أن يقال عامل؛ وهذه أسماء الكمال وأحوال التمام لا يفتقر إلى ذكر حال دونها ولايوصف بوصف كوصف خائف أو راج لوجودهما فيه واعتدالهما عنده لأن الخوف والرجاء قد فاضا عليه ثم غاضا فيه فإذا قلت عارف أو مقرب أو صديق، فقد دخل فيه وصف حب خائف راج عامل لا محالة كما إذا قلت فلان هاشمي استغنيت أن تقول قرشي أو عربي لأن كل هاشمي يكون عربيا قرشيا لا محالة ثم تصفه بوصف التمام أيا فيندرج الوصفات فيه فتقول: فلان حسني أو حسيني فاكتفيت أن تقول هاشمي أو قرشي أوعلوي، وإن كان هاشميا قرشيا علويا لأنه قد عرف أن كل حسيني فهو هاشمي قرشي علوي لامحالة، فأما أن تقول: فلان عربي أو هاشمي أو قرشي أو علوي فلا يعرف إلا بما وسمته به لأنه قد يكون علويا وهو الغاية في النسب ولا يكون حسينيا وقد يكون هاشميا غير علوي ويكون قرشيا غير هاشمي ويكون." (١)

"أواسطها فهي ثوان عن الأول المبدئ، ومن ههنا، وفي مثله دخلت الشبهة على المبتدعين فقالوا بخلق القرآن، فلو لم يدخل عليهم إلا إنهم جعلوا قول القائلين قبل قول الله أحكم الحاكمين، فأثبتوا قبل قوله قيلا وهو القول منهم لنفيهم قدم الكلام، فوقعوا بجهلهم في أعظم مما هربوا منه لأنهم هربوا من إثبات قديم آخر بزعمهم، فوقعوا في إثبات حدث أولا وإحداث قدم ثانيا، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وسبحانه بكرة وأصيلا، ولم يعلموا بجهلهم أنهم إنما قالوا بعد قوله، فصار قولهم عن قوله، وكان هو الأول في القول من حيث كان هو الأول بالقدم والسابق بالعلم، وصاروا هم ثوان في المقال من حيث كانوا حوادث من الأفعال، فكذلك أيضا تدخل الشبهة على الغافلين من ضعف اليقين لشهود المانعين والمنفقين أوائل في الفعل من قبل أن الله تعالى أظهر العطاء والمنع بأيديهم، فشهدوهم معطين مانعين لنقصان توحيدهم فأشركوا في أسماء الله كما أشركت المبتدعة في صفات الله عز وجل أن حجبوا عن شهادة سبق علم الله كما حجب الزائغون عن حقيقة توحيد الله تعالى، إلا إن شرك الزائغين ضلال ينقل عن الملة وهو شرك جلي وشرك ضعفاء اليقين غفلة وجهل لا ينقل عن الملة لأنه شرك خفي، وحكي أن بعض العلماء صلى خلف رجل، فلما انفتل الإمام نظر إليه في زي غير مكتسب فقال: يا شيخ من أين تأكل؟ فقال: اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك، وحدثونا في معناه عن آخر أنه لزم العكوف في المسجد ولم يكن ذا معلوم من عيش فقال له الإمام: الذي يصلي بالناس لوتكسبت وتعبست كان أفضل لك فلم يجبه، فأعاد عليه وقتا آخر نحو ذلك، فقال يهودي في جوار المسجد: قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقنعت بذلك وتركت التكسب، فقال الإمام: إن كان صادقا في ضمانه فإن عكوفك في المسجد خير لك، فقال له الرجل: يا هذا أنت لو لم تكن إماما للمسليمن تقوم بينهم وبين الله لنقص توحيدك كان خيرا لك.

وحدثت أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين: أدرك لي لطف الفطنة **وخفي اللطف فإني** أحب ذلك، قال: يا رب وما لطف الفطنة؟ قال: إن وقعت عليك ذبابة فاعلم أني أوقعتها فسلني أرفعها، قال وماخفي **اللطف؟** قال: إن أتتك فولة مسوسة فاعلم أني قد ذكرتك بها، وهذاالذي ذكرناه من أن الله سبحانه وتعالى هو المعطي المانع الضار النافع حيث كان،

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١/٤٠٠

هو الخالق الرازق كيف شاء، ومتى شاء، وبمن شاء، هو في عقود عموم المؤمنين وفي علمهم، ألا إن فيهم جهلا بالحكمة وغفلة عن الحاكم، يحيلون ذلك إلى عاداتهم ويريدون أن يكون رزقهم من حيث معتادهم، أو من حيث معقولهم باختيارهم ومعقولهم بالعز والفخر والتطاول والأنفة، لا على الذل والتواضع والفقر والمسكنة، ولا يكلون أمورهم إلى الله ويرضون بتدبيره وتقديره أن يرزقهم كيف شاء وبيد مم شاء فيؤثرون." (١)

"ولحسن ظنهم به، ثم صبروا على توكلهم لتمام حالهم، ويعلو بذلك فيه مقامهم: فالصبر أول مقام في التوكل وهو عند مشاهدة القضاء بلاء، والشكر أعلى من ذلك هو شهود البلاء نعمة، والرضا فوق ذلك كله وهو أعلى التوكل وهو مقام المحبين من المتوكلين، قال الله عز وجل في وصف عموم المتوكلين: (وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) القصص: ٦٠، فمن اتقى الله وعقل خطابه توكل عليه فيما أصابه، فلم ييأس على ما فات ولم يفرح من الدنيا بما هو آت وهذا أوسط الزهد وأول التوكل، وقال تعالى في وصف الخصوص: (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) الشورى: ٣٦ فأهل العقل عن الله والمتقون له هم المتوكلون عليه، وقد زهدهم فيما يفنى برغبته إياهم فيما يبقى حين فهموا الخطاب، إذ هم أولو الألباب وذلك أنه أضاف ما عنده إليه ووصفه بالبقاء ليرغبوا فيه، لأنهم قد توكلوا عليه وأضاف ما عندهم إليهم ليزهدوا فيه، ووصفه بالفناء لأنهم قد زهدوا في نفوسهم، إذ قد باعوها منه، فكيف يتملكون ماعندها؟ والعبد وماله لسيده وهو تعالى قد اشتراها منهم لرغبتهم فيه، وعوضهم منها ما يبقى لهم فقال تعالى: (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) النحل: ٩٦

ذكر بيان آخر من فضيلة المتوكل

اعلم يقينا أن الله تعالى لوجعل الخلائق كلهم من أهل السموات والأرضين على علم أعلمهم به، وعقل أعقلهم عنه وحكمة أحكمهم عنده، ثم زاد كل واحد من الخلائق مثل عدد جميعهم وأضعافه علما وحكمة وعقلا، ثم كشف لهم العواقب وأطلعهم على السرائر وأعلمهم بواطن النعم، وعرفهم دقائق العقوبات وأوقفهم على **خفايا اللطف في** الدنيا والآخرة، ثم قال لهم: دبروا الملك بما أعطيتكم من العلوم والعقول عن مشاهدتكم عواقب الأمور، ثم أعانهم على ذلك وقواهم له، لما زاد تدبيرهم على ما يراه من تدبير الله تعالى من الخير والشر والنفع والضر جناح بعوضة، ولا نقص جناح بعوضة ولا أوجبت العقول المكاشفات ولا العلوم المشاهدات غير هذا التدبير، ولا قضت بغير هذا التقدير الذي يعاينه ويقلب فيه، ولكن لا يبصرون لأنه أجراه على ترتيب العقول وعلى معاني العرف والمعتاد من الأمور، بالأسباب المعروفة والأواسط المشهورة على معيار ما طبع العقول فيه وجبل العقول عليه، ثم غيب مع ذلك العواقب وحجب السرائر وأخفى المثاوب، فغاب بعينها حسن التدبير وجميل التقدير فجهل أكثر الناس الحكم إلا المتوكلين وما يعقلها إلا العالمون، ويقال: أصغر ماخلق الله من الحيوان والموات البعوضة والخردلة، وفي كل واحدة منها ثلاثمائة وستون حكمة، ثم يتزايد الحكم في المخلوقات على قدر

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٣/٢

تفاوتها في العظم والمنافع ومزيد آخر من الهدى، والبيان لو تمنى أهل النهي من أولي الألباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب نهاية أمانيهم، فكونت أمانيهم على ما تمنوا لكان رضاهم عن الله في." (١)

"ولا يخرجه من التوكل مطالعته للعوض على معاملته من جزاء الآخرة، لأنه قد شوق إلى ذلك وندب إليه، ولكن لا يدخله ذلك في حقيقة الإخلاص ولا يرفعه إلى علو درجة الصديقين من المتوكلين، وقد يكون مزيدا على قدر حاله، إلا أنه لا يدخله في إخلاص المحبين، ولايرفعه في درجات المقربين، ولا يصح التوكل إلا بزهده في الدنيا، وأول الزهد ترك الرغبة في الحرام، وأول أحوال المتوكل في القوت ثم الصبر على حكم الحي الذي لا يموت، وأعلى التوكل التوكل عليه في الاستسلام للأحكام والرضا عنه في المسابقة بين الأقدام، وهو إطراح النفس ونسيانها شغلا منه عنها بنفسها وحبا له، وحقيقة التوكل بعد مشاهدة يد الوكيل، فإذا ظهرت يده غابت الأيدي فيها، فعندها توكلت عليه بتدلل فقبل توكلك، واستسلمت إليه فسلمك، فإنه يتجلى لك بوصف يلزمك حكما، يضطرك الحكم إلى الحاكم ويوقفك الوصف على الوكيل، كما يضطرك الحاكم إلى الحكم ويجري لك وعليك ماشاء من القسم، فأعلى توكلك عليه حياء منه، وإشهاده إياك توكله لك بحسن التدبير، لم يكلك إلى سواه ولم يولك إلا إياه: فإما أن يقتضيك تصبرا له، وإما أن يقتضيك تفويضا إليه، وأما أن يقتضيك رضا عنه أو تسليما له أو استراحة من تدبيرك لنفسك، أو يسقط عنك اهتمامك بتقديرك وأمانيك، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، والحسب أي الحسب يجعله ما شاء كيف شاء، فقد قيل: حسبه أي التوكل، وقد قيل: التوكل حسبه من سائر المقامات، وقيل: الله حسبه أي يكفيه ممن سواه، قال تعالى معرفا للكافة مسليا للجماعة: (إن الله بالغ أمره) الطلاق: ٣؛ أي منفذ حكمه فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه، إلا أن من توكل عليه يكون الله حسبه أي يكفيه أيضا مهم الآخرة والدنيا، ولا يزيد من لم يتوكل عليه جناح بعوضة في قسمه، كما لا ينقص من توكل عليه ذرة من رزقه، لكن يزيد من توكل عليه هدى إلى هداه ويرفعه مقاما في اليقين على تقواه، ويعزه بعزه وينقص من لم يتوكل عليه من اليقين، ويزيده من التعب والهم ما يشتت قلبه ويشغل فكره، والمتوكل عليه يوجب له بذلك تكفير سيئاته، ويلقي عليه رضاه ومحباته، والكفاية فقد ضمنها تعالى لمن صدق في توكله عليه، والوقاية فقد وهبها لمن أحسن تفويضه إليه، إلا أن الاختيار وعلم الاستئثار إليه والكفاية والوقاية يجعل ذلك ما شاء كيف شاء وأين شاء ومتى شاء من أمور الدنيا وأمور الآخرة، ومن حيث لا يعلم لأن العبد موجود، فجرى عليه الأحكام في الدارين، وفقير محتاج **إلى اللطف والرحمة** والرفق في المكانين، والله هو الغني الحميد المبدئ المعيد، وقيل لأبي محمد سهل: متى يصح للعبد

التوكل؟ فقال: إذا علم أن تدبير مولاه له خير من تدبيره لنفسه، فإن نظر مولاه له أحسن من نظره لنفسه، فيترك التفكر فيما كان والتمني لما يكون، فيترك التدبير ولله عاقبة الأمور وهو على كل حال محمود شكور. كل؟ فقال: إذا علم أن تدبير مولاه له خير من تدبيره لنفسه، فإن نظر مولاه له أحسن من نظره لنفسه، فيترك التفكر فيما كان والتمني لما يكون، فيترك التدبير ولله عاقبة الأمور وهو على كل حال محمود شكور.." (٢)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٥٨/٢

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٦٢/٢

"بعض إخوان بشر الحافي: دخلت عليه وهو يأكل فقال لي: كل، فقلت: إني صائم، فناولني كسرة وقال لي: كل، فأكلتها، فقال: سلمت من آفة الصوم وأدخلت علي السرور، وكان بشر رحمه الله قد أصبح ذات يوم صائما فزاره فتح الموصلي، قال حسين المغازلي: فدفع إلي كفا من دراهم فقال: اشتر لنا أطيب ما تجد من الطعام وأطيب ما تجد من الحلاوة وأطيب ما تجد من الطيب، قال: وما قال لي مثل ذلك قط، ففعلت فوضعت الطعام بين أيديهم فجعل يأكل معه وما رأيته أكل مع غيره، وكان بعض هذه الطائفة يقول: إذ أعطاك مولاك بقطعة فقد شهاك أن تشتري ما تشاء وتشتهي، وإن أعطاك مأكولا بعينه فكل ذاك ولا تتخير سواه، ودفع إبراهيم بن أدهم إلى بعض أخوانه دراهم فقال: خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حورانيا، فقلت: يا أبا إسحاق بهذا كله؟ فقال: ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال، وأصلح ذات يوم طعاما فأكثر ودعا نفرا يسيرا منهم الثوري والأوزاعي فقال له: أما تخاف أن يكون هذا إسرافا؟ فقال: ليس في الطعام إسراف، إنما الإسراف في الأثاث واللباس، وهكذا حكي عن سيرة السلف، قال: كانوا في الرجال مخاصيب وكان في الزي والثياب تقصير، وفي الخبر أن رجلا صنع طعاما فدعا إليه بعض أخوانه فقال: إني صائم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: صنع لك أخوك طعاما فلم تأكل ألا أفطرت يوما مكانه.

وحدثونا عن بعض العلماء أنه كان قاضيا بصنعاء فدخل على أمير صنعاء فحضر وقت غدائه فعرض عليه الأكل فقال: إني صائم، فلما أخذ الأمير في الأكل وهو يحدثه إذ نظر القاضي فإذا قد جاؤوا بجمل مشوي، فجعل القاضي يزحف ويتقدم إلى المائدة، ثم مد يده يأكل، فقال له الأمير: ألم تقل إني صائم، فقال: أيها الأمير أنا على قضاء يوم أصومه أقدر مني على قضاء مثل هذا الجمل، وكان أبو سليمان الداراني يقول: لا تضر الشهوات من لم يتكلفها إنما تضر من حرص عليها، وكان يدعو أصحابه فيقدم إليه م الطيبات فيقولون له تنهانا عنها وتقدمها إلنا؟ فال: لأني أعلم أنكم تشتهونها فتأكلونها عندي خيرا، ولو جاءني من يزهد ما زدته على الملح شيئا، وكان يقول: أكل الطيبات يورث الرضا عن الله تعالى، وقال بعض الخلفاء: شرب الماء بثلج يخلص الشكر لله تعالى وأوحى الله سبحانه إلى بعض أوليائه: أدرك لي لطف الفطنة وخفي اللطف فإني أحب ذلك، قال: يارب وما ألطف الفطنة؟ قال: إذا وقعت عليك ذبابة فاعلم أني أوقعتها فسلني حتى أدفعها، قال: وما خفي اللطف؟ قال: إذا أتاك فولة مسوسة فأعلم إني ذكرتك بها فاشكرني عليها وأوحي إلى بعض الأنبياء: لا تنظر إلى قلة الهدية، وانظر إلى عظمة مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها؛ فإذا أصابك فقر وضر فلا تشكني إلى خلقي كما إذا صعدت مساوئك لم أشكك إلى ملائكتي.." (١)

"قصيدة

استغاثه

... إليك مددت الكف في كل شدة ... ومنك وجدت اللطف من كل جانب

وأنت ملاذي والأنام بمعزل ... هل مستحيل في الرجاء كواجب

وإني لأرجو منك ما أنت أهله ... وإن كنت خطاء كثير المعايب

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٩٨/٢

رجاؤك رأس المال عندي وربحه ... وزهدي في المخلوق أسنى مناقب

فحقق رجائي فيك يا رب واكفني ... شماتة أعدائي وأسوة صاحب

ومن أين أخشى عدوا وإساءة ... وسترك خلفي من جميع الجوانب

فيا محسنا فيما مضى أنت قادر ... على اللطف في حالي فحسن عواقب ...

تم ذلك بحمد الله." (١)

"الفضائل التي تحت العدالة

الصدقة، الألفة. صلة الرحم. المكافأة. حسن الشركة. حسن القضاء، التودد. العبادة. ترك الحقد. مكافأة الشر بالخير. استعمال اللطف. ركوب المروءة في جميع الأحوال. ترك المعادات. ترك الحكاية عمن ليس بعدل مرضي. البحث عن سيرة من يحكي عنه العدل. ترك لفظة واحدة لا خير فيها مسلم فضلا عن حكاية توجب حدا او قذفا أو قتلا أو قطعا. ترك السكون إلى قول سفلة الناس وسقطهم. ترك قول من يكدي بين الناس ظاهرا باطنا أو يلحف في مسألة أو يلح بالسؤال فإن هؤلاء يرضيهم الشيء اليسير فيقولون لأجله حسنا ويسخطهم إذا منعوا اليسير فيقولون لأجله قبيحا. ترك الشره في كسب الحلال وترك ركوب الدناءة في الكسب لأجل العيال. الرجوع إلى الله وإلى عهده وميثاقه عند كل قول يتلفظ به أو لحظ يلحظه أو خطرة في أعدائه وأصدقائه. ترك اليمين بالله وبشيء من أسماءه وصفاته رأسا. وليس بعدل من لم يكرم زوجته وأهلها المتصلين بها وأهل المعرفة الباطنة به وأهل المعرفة الباطنة به. وخير الناس خيرهم لأهله وعشيرته والمتصلين به من أخ أو ولد أو متصل بأخ أو والد أو قريب أو نسيب أو شريك أو جار أو صديق أو حبيب. ومن احب المال حبا مفرطا لم يؤهل لهذه المرتبة. فإن حرصه على جمع المال يصده عن استعمال الرأفة وامتطاء الحق وبذل ما يجب ويضطره إلى الخيانة." (٢)

"قال "سعيد بن العاص": موطنان لا أعتر من العي فيهما: إذا سألت حاجة لنفسي، وغذا كلمت جاهلا.

قيل: صار "الفضل بن الربيع" إلى "أبي عباد" في نكبته يسأله حاجة فارتج عليه؛ فقال: يا أبا العباس، بهذا اللسان خدمت خليفتين، فقال: إنا تعودنا أن نسأل وللا نسأل.

قال رجل لآخر: لقد وضع منك سؤالك، فقال: لقد سأل "موسى" و"الخضر" أهل قرية فأبوا أن يضيوهما، فوالله ما وضع هذا من نبي الله وعالمه، فكيف يضع مني؟!

قيل: لـ"زرعة": متى تعلمت الكدية والسؤال؟ ، قال: يوم ولدت منعت الثدي فبكيت، وأعطيته فسكت.

قيل: اللطف في المسألة أجدى من الوسيلة.

---

(١) وصية الشيخ السلمي أبو عبد الرحمن السلمي ص/٥٦

(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ابن مسكويه ص/٣٢

قصد "أبو الحسن الوراق" "سيف الدولة" في جملة الشعراء، فناوله درجا يوهم أن فيه شعرا، فنشره سيف الدولة وقال: ليس فيه شيء،." (١)

"فقال: فإذا ذهبت يكون ماذا؟ فقال:

يكون عن حالي لتسألنه ... يوم تكون الأعطيات هنه

وموقف المسئول بينهنه ... إما إلى نار وإما جنه

فبكى عمر – رضي الله عنه – حتى اخضلت لحيته ثم قال: يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره أما والله لا أملك غيره.

وإذا كان العطاء على هذا الوجه خلا من طلب جزاء وشكر، وعرى عن امتنان ونشر، فكان ذلك أشرف للباذل، وأهنأ للقابل. وأما المعطي إذا التمس بعطائه الجزاء، وطلب به الشكر والثناء فهو خارج بعطائه عن حكم السخاء؛ لأنه إن طلب به الشكر والثناء، كان صاحب سمعة ورياء، وفي هذين من الذم ما ينافي السخاء. وإن طلب به الجزاء كان تاجرا متربحا لا يستحق حمدا ولا مدحا.

وقد قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في تأويل قوله تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر: ٦] إنه لا يعطي عطية يلتمس بها أفضل منها. وكان الحسن البصري – رضي الله عنه – يقول في تأويل ذلك: لا تمنن بعملك تستكثر على ربك. وقال أبو العتاهية:

وليست يد أوليتها بغنيمة ... إذا كنت ترجو أن تعد لها شكرا

غنى المرء ما يكفيه من سد حاجة ... فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

واعلم أن الكريم يجتدى بالكرامة **واللطف**، واللئيم يجتدي بالمهانة والعنف، فلا يجود إلا خوفا، ولا يجيب إلا عنفا، كما قد قال الشاعر:

رأيتك مثل الجوز يمنع لبه ... صحيحا ويعطي خيره حين يكسر

فاحذر أن تكون المهانة طريقا إلى اجتدائك، والخوف سبيلا إلى إعطائك، فيجري عليك سفه الطعام، وامتهان اللئام، وليكن جودك كرما ورغبة، لا لؤما ورهبة، كي لا يكون مع الوصمة، كما قال العباس بن الأحنف:." (٢)

"[الفصل السادس في الحسد والمنافسة]

الحسد والمنافسة الفصل السادس في الحسد والمنافسة: اعلم أن الحسد خلق ذميم مع إضراره بالبدن وفساده للدين، حتى لقد أمر الله بالاستعاذة من شره، فقال تعالى: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [الفلق: ٥]

وناهيك بحال ذلك شرا. وروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم

---

(١) درر الحكم لأبي منصور الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/٢١

(٢) أدب الدنيا والدين الماوردي ص/٢٠٠

افشوا السلام بينكم» .

فأخبر – صلى الله عليه وسلم – بحال الحسد وأن التحابب ينفيه وأن السلام يبعث على التحابب، فصار السلام إذا نافيا للحسد. وقد جاء كتاب الله تعالى بما يوافق هذا القول وقال الله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ [فصلت: ٣٤]

قال مجاهد: معناه ادفع بالسلام إساءة المسيء.

وقال الشاعر:

قد يلبث الناس حينا ليس بينهم ... ود فيزرعه التسليم واللطف

وقال بعض السلف: الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، يعني حسد إبليس لآدم – عليه السلام – وأول ذنب عصي الله به في الأرض، يعني حسد ابن آدم لأخيه حتى قتله. وقال بعض الحكماء: من رضي بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد. وقال بعض البلغاء: الناس حاسد ومحسود، ولكل نعمة حسود.

وقال بعض الأدباء: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحسود نفس دائم، وهم لازم، وقلب هائم.

فأخذه بعض الشعراء فقال:

إن الحسود الظلوم في كرب ... يخاله من يراه مظلوما

ذا نفس دائم على نفس ... يظهر منها ما كان مكتوما

ولو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خلق دنيء يتوجه نحو الأكفاء." (١)

"ومن آدابه: أن لا تبعثه الرغبة والرهبة على الاسترسال في وعد أو وعيد يعجز عنهما ولا يقدر على الوفاء بهما. فإن من أطلق بهما لسانه وأرسل فيهما عنانه، ولم يستثقل من القول ما يستثقله من العمل، صار وعده نكثا ووعيده عجزا. وحكي أن سليمان بن داود – عليهما السلام –، مر بعصفور يدور حول عصفورة فقال لأصحابه: هل تدرون ما يقول لها؟ قالوا: لا يا نبي الله. قال: إنه يخطبها لنفسه ويقول لها زوجيني نفسك أسكنك أي غرف دمشق شئت. وقال سليمان: كذب العصفور فإن غرف دمشق مبنية بالصخور لا يقدر أن يسكنها هناك، ولكن كل خاطب كاذب.

ومن آدابه: إن قال قولا حققه بفعله، وإذا تكلم بكلام صدقه فعمله، فإن إرسال القول اختيار، والعمل به اضطرار. ولئن يفعل ما لم يقل أجمل من أن يقول ما لم يفعل. وقال بعض الحكماء: أحسن الكلام ما لا يحتاج فيه إلى الكلام أي يكتفي بالفعل من القول. وقال محمود الوراق:

القول ما صدقه الفعل ... والفعل ما وكده العقل

لا يثبت القول إذا لم يكن ... يقله من تحته الأصل

ومن آدابه: أن يراعي مخارج كلامه بحسب مقاصده وأغراضه فإن كان ترغيبا قرنه باللين واللطف، وإن كان ترهيبا خلطه بالخشونة والعنف، فإن لين اللفظ في الترهيب وخشونته في الترغيب خروج عن موضعهما وتعطيل للمقصود بهما، فيصير

---

(١) أدب الدنيا والدين الماوردي ص/٢٦٩

الكلام لغوا والغرض المقصود لهوا. وقد قال أبو الأسود الدؤلي لابنه: يا بني إن كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك، ولا بكلام من هو دونك فيزدروك.

ومن آدابه: أن لا يرفع بكلامه صوتا مستنكرا ولا ينزعج له انزعاجا مستهجنا، وليكف عن حركة تكون طيشا وعن حركة تكون عيا، فإن نقص الطيش أكثر من فضل البلاغة. وقد حكي أن الحجاج قال لأعرابي: أخطيب أنا؟ قال: نعم لولا أنك تكثر الرد، وتشير باليد، وتقول أما بعد.

ومن آدابه: أن يتجافى هجر القول ومستقبح الكلام، وليعدل إلى." (١)

"على أي باب أطلب الإذن بعدما ... حجبت عن الباب الذي أنا حاجبه

وفي معنى هذا قول الفرزدق:

وكان يجير الناس من سيف مالك ... فأصبح يبغي نفسه من يجيرها

وقال آخر:

ولست بمتخذ صاحبا ... يقيم على بابه حاجبا

ويلزم إخوانه حقه ... وليس يرى حقهم واجبا

وقال أبو تمام:

هش إذا نزل الوفود ببابه ... سهل الحجاب مهذب الخدام

وإذا رأيت صديقه وشقيقه ... لم تدر أيهما أخو الأرحام

وقال أبو العتاهية في عمرو بن مسعدة:

ما لك قد حلت عن وفائك واس ... تبدلت يا عمرو شيمة كدره

ما لي في حاجة إليك سوى ... تسهيل إذني فإنها عسره

إني إذ االباب تاه صاحبه ... لم يك عندي لتركه نظره

لستم ترجون للحساب ولا ... يوم تكون السماء منفطره

لكن لدنيا تكون بهجتها ... سريعة الإنقضاء منشمره

قد كان وجهي لديك معرفة ... فاليوم أضحى بابا من النكرة

كتب أبو مسهر إلى أبي جعفر محمد بن عبدكان، وكان قد حجب على بابه:

إني أتيتك للسلام أمس فلم ... تأذن عليك لي الأستار والحجب

وقد علمت بأني لم أرد ولا ... والله ما رد إلا الحديث والأدب

---

(١) أدب الدنيا والدين الماوردي ص/٢٨٣

فأجابه محمد بن عبد كان:

لو كنت كافأت بالحسنى لقلت كما ... قال ابن أوس ففي أشعاره أدب

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا ... إن السماء ترجى حين تحتجب

وقال منصور الفقيه:

إن الحجاب عذاب ... وليس لي بالعذاب

كلا فلا تعذلوني ... على اتصال اجتنابي

وله أيضا:

إذا كان لا بد من حجبة ... ومن حاجب فاجعلوه رفيقا

يخاطب من جاءه بالجميل ... فيأتي صديقا ويمضي صديقا

باب المصافحة وتقبيل اليد والفم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تصافحوا يذهب الغل ".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ": إذا التقى المسلمان وتصافحا تحاتت ذنوبهما كما يتحات الشجر ".

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا صافح رجلا لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده من يده.

قال أبو مخلد: المصافحة تجلب المحبة.

كان يقال: تحية المؤمنين المصافحة والسلام.

قال الشاعر:

قد يمكث الناس دهرا ليس بينهم ... ود فيزرعه التسليم واللطف

لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة، وأرادوا النزول على حكم سعد بن معاذ وكان قد تخلف بالمدينة لجرح أصابه بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم عليه قال للأنصار: " قوموا إلى سيدكم ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من سره أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار ".

ومذهب الحديثين أنه جائز للرجل أن يكرم القاصد إليه إذا كان كريم القوم، أو عالمهم، أو من يستحق البر منهم بالقيام إليه أو يرضى بذلك منهم.

قال ابن المسيب البغدادي جار ابن الرومي:

أقوم وما بي أن أقوم مذلة ... علي وإني للكرام مذلل

على أنها مني لغيرك هجنة ... ولكنها بيني وبينك تجمل

كان يقال: تقبيل اليد إحدى السجدتين.

تناول أبو عبيدة بن الجراح يد عمر ليقبلها، فقبضها، فتناول رجله فقال: ما رضيت منك بتلك فكيف بهذه.!! دخل عقال بن شبة على هشام بن عبد الملك، فأراد أن يقبل يده فقبضها، وقال: مه فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا هلوع، ومن

العجم إلا خضوع.

قال الحسن: قبلة يد الإمام العدل طاعة.

كان يقال: قبلة الرجل زوجته الفم، وقبلة الوالد ولده الرأس، وقبلة الأم الولد الخد، وقبلة الأخت الأخ العنق.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قبلة الوالد عبادة، وقبلة الولد رحمة، وقبلة المرأة شهوة وقبلة الرجل أخاه دين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " العينان تزنيان وزناهما النظر،والفم يزني وزناؤه القبل، واليد تزني وزناؤهما اللمس، ويصدق ذلك كله الفرج أو يكذبه ".." (١)

"أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

كريم لا يغيره صباح ... عن الفعل الجميل ولا مساء

إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضه الثناء

قال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول: من كساه الحياء ثوبه، خفي عن الناس عيبه.

أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا ابن الأعرابي، حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يحيى بن معين، قال ابن كناسة:

في اقباض وحشمة فإذا ... لاقيت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتها ... وقلت ما قلت غير محتشم

باب حسن الخلق وسوئه

قال رسول الله عليه وسلم: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ".

قال معاذ بن جبل: آخر ما أرضاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعت رجلى في الغرز أن قال: " حسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أثقل شئ في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حسن الخلق يمن، وسوء الخلق شؤم ".

قال كعب الأحبار: إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل، الصائم بالنهار، الظامئ بالهواجر.

وفي الخبر المرفوع أيضا: " من سعادة المرء حسن خلقه، ومن شقائه سوء خلقه ".

مكتوب في الحكمة، الرفيق خير قائد، وحسن الخلق خير رفيق، والوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح حير من الوحدة.

كان يقال: من ساء خلقه قل صديقه.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يا بني عبد المطلب! إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم حسن الخلق، والقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر ".

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٥٧

قال أبو الدراء: إنا لنكثر في وجوه أقوام، وإن قلوبنا لتلعنهم.

روى في قول الله تبارك وتعالى: " " وثيابك فطهر "، قالوا: وخلقك فحسن.

قال سفيان بن عيينة: من حسن خلقه ساء خلق خادمه.

كان يقال: حسن الخلق يكسب حسن الذكر.

قال أبو العتاهية:

عامل الناس بوجه طليق ... والق من تلقى ببشر رفيق

فإذا أنت جميل الثنا ... وإذا أنت كثير الصديق

وقال محمد بن حازم:

وما اكتسب المحامد طالبوها ... بمثل البشر والوجه الطليق

وقال آخر:

خالق الناس بخلق حسن ... لاتكن كلبا على الناس يهر

وقال أخر هو المغيرة بن حبناء:

وما حسن أن يمدح المرء نفسه ... ولكن أخلاقا تذم وتمدح

وقال ابن وكيع:

لاق بالبشر من لقيت من النا ... س وعاشر بأحسن الإنصاف

لا تخالف وإن أتوا بخلاف ... تستدم ودهم بترك الخلاف

وإذا خفت فرط غيظك فانهض ... مسرعا عنهم إلى الإنصراف

إنما الناس إن تأملت داء ... ماله غير أن تداويه شافي

وقال آخر:

قد يمكث الناس دهرا ليس بينهم ... ود فيزرعه التسليم واللطف

وقال العتابي يذم رجلا:

فكم نعمة آتاكها الله جزلة ... مترأة من كل خلق يذيمها

فسلطت أخلاقا عليها دميمة ... تعاورنها حتى تفرى أديمها

وكنت امرءا لو شئت أن تبلغ المدى ... بلغت بأدنى نعمة تستديمها

ولكن فطام النفس أثقل محملا ... من الصخرة الصماء حين ترومها

باب مكارم الأخلاق والسؤدد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ". ويروى " محاسن الأخلاق ".

أخذه أبو العتاهية فقال

ليس دينا بغير دين وليس الد ... ين إلا مكارم الأخلاق

إنما المكر والخديعة في النا ... س هما من فروع أهل النفاق

ولإبراهيم بن المهدى:

لا خير في الدنيا بلا دين ولا ... في المال إلا منه فيما يبذل

فأصب وأتلف واستفد وأفد وعش ... فيما اشتهت مما يحل ويجمل

وقال آخر:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل

وقال آخر:." (١)

"فصل

النعت: تابع للمنعوت، والوصف تابع للموصوف، كذلك أعمال العبد لا تفارقه، وما حصل من خير أو شر فهو لاحقه.

فصل

حروف العطف تتبع الآخر الأول، وأهل الإشارة توسلوا إلى الله تعالى في العطف عليهم، **واللطف** بهم، ليلحقهم بأهل قربه، ويجعلهم من حزبه.

فصل

التوكيد: هو التحقيق، والقوم أكدوا إيمانهم بالتصديق، وعقدهم مع الله بالتوثيق، وشمروا في ملازمة الطريق.

فصل

حروف الجر: تخفض الأسماء، فلما علم المحققون أن الأشياء بالله، ومن الله، وإلى الله، خفضوا أنفسهم تواضعا لله، فتعززوا بالإضافة إلى جانب الله تعالى، أولئك الذين اصطفاهم الله لقربه، وجعلهم من حزبه، نسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم، وأن يلحقنا بهم، أنه كريم لطيف حليم وهاب، محسن متفضل جواد رحيم تواب، وإليه المرجع والمآب.

تم كتاب (نحو القلوب) بحمد الله وعونه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.." (٢)

"ومن ذلك التقرب والبعد أول رتبة في القرب القرب من طاعته والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته.

وأما البعد فهو التدنس بمخالفته والتجافي عن طاعته فأول البعد بعد عن التوفيق ثم بعد عن التحقيق بل البعد عن التوفيق هو البعد عن التحقيق قال صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الحق سبحانه: ما تقرب إلي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى يحبني وأحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا فبي يبصر وبي يسمع الخير فقرب العبد

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/١٣٠

(٢) نحو القلوب القشيري، عبد الكريم ص/٤٥

أولا قرب بإيمانه وتصديقه ثم قرب بإحساسه وتحقيقه وقرب الحق سبحانه ما يخصه اليوم به من العرفان وفي الآخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان وفيما بين ذلك **بوجود اللطف والامتنان** ولا يكون قرب العبد من الحق إلا ببعدنا من الخلق وهذه من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون فقرب الحق سبحانه بالعلم والقدرة عام للكافة **وباللطف** والنصرة خاص بالمؤمنين ثم بخصائص التأنيس مختص بالأولياء قال الله تعالي: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق: ١٦] وقال تعالي: ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ [الواقعة: ٨٥] وقال تعالي ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ [الحديد: ٤] وقال: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ [المجادلة: ٧] ومن تحقق بقرب الحق سبحانه وتعالى فأدونه دوام مراقبته إياه لأنه عليه رقيب التقوى ثم رقيب الحفاظ والوفاء ثم رقيب الحياء." (١)

"ورأى أبو الحسين النوري بعض أصحاب أبي حمزة فقال: أنت من أصحاب أبي حمزة الذي يشير إلى القرب، إذا لقيته فقل له إن أبا الحسين النوري يقرئك السلام ويقول لك: قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد فأما القرب بالذات فتعالى الله الملك الحق عنه فإنه متقدس عن الحدود والأقطار والنهاية والمقدار ما اتصل به مخلوق ولا انفصل عنه حادث مسبوق به جلت العملية عن قبول الوصل والفصل فقرب هو في نعته محال وهو تداني الذوات وقرب هو واجب في نعته وهو قرب بالعلم والرؤية وقرب هو جائز في وصفه يخص به من يشاء من عباده وهو قرب الفضل **باللطف**." (٢)

"فأخرجني فإذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف: يا أبا حمزة أليس هذا أحسن؟ نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وأنا أقول:

أهابك أن أبدي إليك الذي أخفي ... وسري يبدي ما يقول له طرفي

نهاني حيائي منك أن أكتم الهوى ... وأغنيتني بالفهم منك عن الكشف

تلطفت في أمري فأبديت شاهدي ... إلى غائبي **واللطف** يدرك **باللطف**

تراءيت لي بالغيب حتى كأنما ... تبشرني بالغيب أنك في الكف

أراك وبي من هيبتي لك وحشة ... فتؤنسني **باللطف** منك وبالعطف

وتحيي محبا أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا سعدان التاهرتي يقول: سمعت حذيفة المرعشي يقول: وقد خدم إبراهيم بن أدهم وصحبه فقيل له: ما أعجب ما رأيت منه فقال: بقينا في طريق مكة حرسها الله تعالى أياما لم نجد طعاما

ثم دخلنا الكوفة فأوينا

إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم بن أدهم وقال: يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال: على

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ١/١٩٢

(٢) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ١/١٩٤

بدواة وقرطاس فجئت به فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى:." (١)

"والضجر إلى الحكم والمبتلي إلى المثوبة

والدرجة الثانية طمأنينة الروح في القصد إلى الكشف وفي الشوق إلى العدة وفي التفرقة إلى الجمع

والدرجة الثالثة طمأنينة شهود الحضرة **إلى اللطف وطمأنينة** الجمع إلى البقاء وطمأنينة المقام إلى نور الأزل

٦٠ - باب الهمة

قال الله عز وجل ما زاغ البصر وما طغى ١

الهمة ما يملك الانبعاث للمقصود صرفا لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها

وهي على ثلاث درجات

الدرجة الأولى همة تصون القلب من خسة الرغبة في الفاني وتحمله على الرغبة في الباقي وتصفية من كدر التواني." (٢)

"الهيمان ذهاب عن التماسك تعجبا أو حيرة وهو أثبت دواما وأملك بالنعت من الدهش وهو على ثلاث درجات

الدرجة الأولى هيمان في شيم أوائل **برق اللطف عند** قصد الطريق مع ملاحظة العبد خسة قدره وسفال منزلته وتفاهة قيمته

والدرجة الثانية هيمان في تلاطم أمواج التحقيق عند ظهور براهينه وتواصل عجائبه ولياح أنواه

والدرجة الثالثة هيمان عند الوقوع في عين القدم ومعاينة سلطان الأزل والغرق في بحر الكشف

٦٩ - باب البرق

قال الله عز وجل إذ رأى نارا ٣." (٣)

"البرق باكورة تلمع للعبد فتدعوه إلى الدخول في هذا الطريق والفرق بينه وبين الوجد أن الوجد يقع بعد الدخول فيه فالوجد زاد والبرق إذن وهو على ثلاث درجات

الدرجة الأولى برق يلمع من جانب العدة في عين الرجاء يستكثر فيه العبد القليل من العطاء ويستقل فيه الكثير من الأعباء ويستحلي فيه مرارة القضاء

والدرجة الثانية برق يلمع من جانب الوعيد في عين الحذر فيستقصر فيه العبد الطويل من الأمل ويزهد في الخلق على القرب ويرغب في تطهير السر

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٣٠٩/١

(٢) منازل السائرين الهروي، أبو إسماعيل ص/٨٦

(٣) منازل السائرين الهروي، أبو إسماعيل ص/٩٧

والدرجة الثالثة برق يلمع من **جانب اللطف في** عين الافتقار فينشئ سحاب السرور ويمطر قطر الطرب ويجري نهر الافتخار." (١)

"بالأجر؛ فعل المستأجر بأجيره، فقال تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (١٠)

وأين الأجر وإن كثر حتى صار بغير حساب من الجزاء، ثم قال في الصبر:

(يوفى) ، فلم يسم فاعله، وقال في الشكر: ((وسنجزي الشاكرين (١٤٥) ،

(وسيجزي الله الشاكرين (١٤٤)

فانظر إلى **هذا اللطف في** المقال قبل الانتهاء إلى الفعال ولم يذكر من أنبيائه بالشكر إلا اثنين كما تقدم ووصف جماعتهم بالصبر فقال: (كل من الصابرين (٨٥)

وقال: (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٥)

فجعل الصبر مبدأ والشكر منتهى؛ ولأن الصبر محمول عليه

قهرا والشكر مؤدى تطوعا.

الغيبة والنميمة

الغيبة: أن يذكر الإنسان غيره بما فيه من عيب من غير أن يحوج إلى ذكره،

وقد عظم الله – عز وجل – أمرها فقال: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه)

وقال تعالى: (هماز مشاء بنميم (١١)

وقال عليه الصلاة والسلام: " لا يدخل الجنة قتات "، وروي: " النميمة تفطر الصائم وتنقض الوضوء "، وقل من وجد عائبا إلا كان معيبا، وقال قتيبة لرجل رآه يغتاب آخر: لقد تلمظت بما يعافه الكرام، وحق الإنسان أن لا يتعودها فإن لها ضراوة، ولذلك عير إنسان آخر بالغيبة فقال: لو تلمظت بها لما صبرت عنها، ثم إن من اغتاب اغتيب، ومن عاب عيب، فبحثه عن عيوب الناس يحمل الناس على البحث عن عيوبه وكما يجب أن يتحراها بقوله يجب أن يتجنب من سماعها وسماع كل قبيح من الكذب، لئلا يعلق وضره ووسخه بفكرته فوضر كل كلمة عوراء لا يمكن

تطهير القلب عنه إلا بزمان مديد وعلاج شديد، وسماع القبيح قد يصير سببا لفساد الكبير المجيد وغواية العالم المستبصر، فضلا عن فساد الحدث الغر والناشئ الغمر، ولذلك قال تعالى في مدح قوم: (وإذا مروا باللغو مروا كراما (٧٢)

وقد أجاد من قال:

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

وكقبح الغيبة والنميمة المسابة، قال أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه: " ما تساب

.." (٢)

---

(١) منازل السائرين الهروي، أبو إسماعيل ص/٩٨

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة الراغب الأصفهاني ص/٢٠٠

"أصواتهما، ويلبي دعوتهما، ويحرص على مرضاتهما، ويخفض لهما جناح الذل، ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام لأمرهما، ولا ينظر إليهما شذرا، ولا يقطب وجهه في وجههما، ولا يسافر إلا بإذنهما.

أصناف الناس في العلاقة بالمرء

واعلم أن الناس بعد هؤلاء في حقك ثلاثة أصناف: إما أصدقاء، وإما معاريف، وإما مجاهيل.

آداب العلاقة بالعوام المجهولين

فإن بليت بالعوام المجهولين، فآداب مجالستهم: ترك الخوض في حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم، والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم، والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة إليهم، والتنبيه على منكراتهم **باللطف** والنصح عند رجال القبول منهم.

آداب العلاقة بالاخوان والأصدقاء

وأما الإخوان والاصدقاء فعليك فيهم وظيفتان: الوظيفة الأولى

شروط الصحبة والصداقة

إحداهما: أن تطلب أولا شروط الصحبة والصداقة، فلا تؤاخ إلا من يصلح للاخوة والصداقة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) .

فإذا طلبت رفيقا ليكون شريكك في التعلم، وصاحبك في أمر دينك ودنياك، فراع فيه خمس خصال: الأولى: العقل: فلا خير في صحبة الأحمق، فإلى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها، وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك، والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق، قال علي رضي الله عنه:

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى ... حليما حين آخاه

يقاس المرء بالمرء ... إذا ما المرء ماشاه

كحذو النعل بالنعل ... إذا مالنعل حاذاه

وللشيء من الشيء ... مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

الثانية: حسن الخلق: فلا تصحب من ساء خلقه، وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة. وقد جمعه علقمة العطاردي رحمه الله تعالى في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة، قال: يا بني إذا أردت صحبة إنسان فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك.. اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة

عدها، وإن رأى منك سيئة سدها.

اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولت أمرا أمرك، وإن تنازعتما في شر آثرك.

وقال علي رضي الله عنه رجزا:

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيك شمله ليجمعك

الثالثة: الصلاح: فلا تصحب فاسقا مصرا على معصية كبيرة، لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة، ومن لا يخاف الله لا تؤمن غوائله، بل يتغير بتغير الأحوال والأعراض، قال الله تعالى لنبيه." (١)

"أجدمعة، فاجتنى منها سواكين، أحدهما معوج، والآخر مستقيم، وكان معه بعض أصحابه، فأعطاه المستقيم، وأمسك لنفسه المعوج، فقال: يارسول الله أنت أحق مني بالمستقيم، فقال صلى الله عليه وسلم: (ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار إلا وسئل عن صحبته، هل أقام فيها حق الله تعالى أو أضاعه) . وقال صلى الله عليه وسلم: (ما اصطحب اثنان قط إلا وكان أحبهما إلى الله تعالى أرفقهما بصاحبه) .

وآداب الصحبة: الايثار بالمال، فإن لم يكن هذا فبذل الفضل من المال عند الحاجة، والإعانة بالنفس في الحاجات، على سبيل المبادرة من غير احواج إلى التماس، وكتمان السر، وستر العيوب، والسكوت على تبليغ ما يسوؤه من مذمة الناس إياه، وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه، وحسن الإصغاء عند الحديث، وترك المماراة فيه، وأن يدعوه بأحب أسمائه إليهس، وأن ثني عليه بما يعرف من محاسنه، وأن يشكره على صنيعه في وجهه، وأن يذب عنه في غيبته إذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه، وأن ينصحه **باللطف** والتعريض إذا احتاج إليه، وأن يعفو عن زلته وهفوته، ولا يعتب عليه، وأن يدعو له في خلوته في حياته وبعد مماته، وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته، وأن يؤثر التخفيف عنه، فلا يكلفه شيئا من حاجاه، فيروح سره من مهماته، وأن يظهر الفرح بجميع ما يرتاح له من مساره، والحزن على نياله من مكارهه، وأن يضمر في قلبه مثل ما يظهره، فيكون صادقا في وده سرا وعلانية، وأن يبدأه بالسلام عند إقباله، وأن يوسع له في المجلس ويخرج له من مكانه، وأن يشيعه عند قيامه، وأن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من كلامه، ويترك المداخلة في كلامه. وعلى الجملة، فيعامله بما يحب أن يعامل به، فمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه فأخوته نفاق، وهي عليه وبال في الدنيا والآخرة. فهذا أدبك في حق العوام المجهولين، وف يحق الأصدقاء المؤاخين.

آداب العلاقة بالمعارف

وأما القسم الثالث، وهم المعارف: فاحذر منهم؛ فإنك لا تر الشر إلا ممن تعرفه، أم الصديق فيعينك، وأما المجهول فلا يتعرض لك، وإنما الشر كله من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم.

---

(١) بداية الهداية أبو حامد الغزالي ص/٦٥

فأقلل من المعارف ما قدرت، فإذا بليت بهم في مدرسة أو مسجد أو جامع أو سوق أو بلد، فيجب ألا تستصغر منهم أحدا؛ فإنك لا تدري لعله خير منك، ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في." (١)

"لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدىء بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء

ونحن نشير إليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر

وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث

وأما حفظ أسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك أن تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة

وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم

وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذي أوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه في البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات

وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقتها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه وأحال

---

(١) بداية الهداية أبو حامد الغزالي ص/٦٧

بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جوابا ما وهو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة
وأما العامي إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للأهواء فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من آفات علماء السوء فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه ولو جاءوا من **جانب اللطف والرحمة** والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لا نجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة." (١)

"المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين
فإن قلت فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل
فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعني بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الإسكار والموت وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الإضرار وهذا ينقسم إلى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل فإن كثيره يضر بالمحرور وكأكل الطين وكأن إطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال فإن تصدى شيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فنعود إلى علم الكلام ونقول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرته فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الإشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق
وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبدعة للبدعة وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده **باللطف** في أسرع زمان إلا إذا كان نشؤه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤٠/١

وهذا هو الداء العضال الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره
وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود
ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الندور في أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل فإن العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وإن كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه
والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف الصالح عليها والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب
وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة
وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم." (١)

"التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح
وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدال الموضوع على شرط المتكلمين إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرون على دفعه
فالجدل مع هذا ومع الأول حرام وكذلك مع من وقع في شك إذ يجب إزالته **باللطف** والوعظ والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام
واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقى إليه
وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم وهذا

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١/٩٧

مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين

فإن اقنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه

فأما الخارج منه فقسمان أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان وعن الإدراكات وعن الخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلات

والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الإطناب والتقرير غموضا

ولو قال قائل البحث عن حكم الإدراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ الخواطر

والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين أيضا وذلك هوس فإن الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد فيها والشخص الذي ينتفع به والشخص الذي لا ينتفع به

فإن قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم." (١)

"فباعه عثمان بخمسين ألفا

فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ولا يغني غيره فأما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل إلا حواشي القلب

فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة

ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة فقيل له إن هذا أسير السواني ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٩٨/١

الشجرة

فكذلك شجرة الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذباب إلى الأقذار والشغل يطول في دفعها فإن الذباب كلما ذب آب ولأجله سمي ذبابا

فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد

ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاة

فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته

وهمة الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة إليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فإذن لا مطمع فيه لأمثالنا وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا

وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بخل فبقدر ما ندخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان

بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة

فنقول حقك إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أولا عن التنبيهات التي في شروط الصلاة وأركانها

أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية

فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون **باللطف** يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أرحنا يا بلال (١) أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كان قرة عينه فيها صلى الله عليه وسلم

وأما الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فإنه موضع نظر معبودك

وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فإن ظاهر بدنك مرتع لنظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه

---

(١) حديث بها أرحنا يا بلال أخرجه الدارقطني في العلل من حديث بلال ولأبي داود نحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم بإسناد صحيح." (١)

"صلى الله عليه وسلم من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد (١) وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علي فقال يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل فقال صلى الله عليه وسلم إني أحب أن أسمعه من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان (٢) واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا (٣) ورأى هيثم القارىء رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال فقال لي أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا

وفي الخبر كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة إشارة إلى قوله عز وجل ولذكر الله أكبر وقال صلى الله عليه وسلم من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة (٤) وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع

الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عنموانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري

فالأول فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه

ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثري ولتلاشي ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حد فهم الخلق

ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وإن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به ولقد تألق بعض الحكماء في التعبير عن **وجه اللطف في** إيصال معاني الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١/١٦٥

يقصر فيه وذلك أنه دعا

---

(١) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد أخرجه أحمد والنسائي في الكبرى من حديث عمر والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود أن أبا بكر وعمر بشراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرآن الحديث قال الترمذي حسن صحيح

(٢) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ وعليك أنزل فقال إني أحب أن أسمعه من غيري الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٣) حديث استمع إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبي موسى

(٤) حديث من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع." (١)

"بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم رفعت إلى مقام فوقه كنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه

وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل ففروا إلى الله ولقوله ولا تجعلوا مع الله إلها آخر فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز وجل

العاشر التبري وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بين الرضا والتزكية فإذا تلا بآيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله عز وجل إن الإنسان لظلوم كفار وقيل ليوسف ابن أسباط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فإن من شهد البعد في القرب لطف به في الخوف حتى يسوقه الخوف

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١/٢٨٠

إلى درجة أخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب في البعد مكربه بالأمن الذي يفضيه إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته كشف له سر الملكوت

قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه وعد ابن ثوبان أخا له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له وعدتني أنك تفطر عندي فأخلفت فقال لولا ميعادي معك ما أخبرتك الذي حبسني عنك إني لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لأني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت

وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة **واللطف** والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها إذ يستحيل أن يكون حالة المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل

لعلك تقول عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه." (١)

"الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم

فالغافل في نفس من أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين

الباب الأول في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار

الباب الثاني في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به

الباب الأول في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١/٢٨٨

تعالى وعارفا بالله سبحانه

وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وأن الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن **ضرورة اللطف بها** أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا لموافقتها الطبع إذ يكون الوقت متساويا فأنى يتقاومان والطبع لأحدهما مرجح إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد وأما الرد إلى العبادات فمتكلف ولا يسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن تترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الإيمان فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه ﴿إن لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾ وقال تعالى ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا﴾ وقال تعالى ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود﴾ وقال سبحانه ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾ وقال تعالى ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا﴾ وقال تعالى ﴿ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾ وقال عز وجل ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل أن الحسنات يذهبن السيئات﴾ ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى ﴿أم من هو قانت﴾." [1]

"الرابع في توفية الدين

ومن الإحسان فيه حسن القضاء وذلك بأن يمشي إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشي إليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم خيركم أحسنكم قضاء (١)

ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن وإن عجز فلينو قضاءه مهما قدر

قال صلى الله عليه وسلم من أدان دينا وهو ينوي قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه (٢)

وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١/٣٣٠

باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم به أصحابه فقال دعوه فإن لصاحب الحق مقالا (٣)

ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالإحسان أن يكون الميل الأكثر للمتوسطين إلى من عليه الدين فإن المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذلك ينبغي أن تكون الإعانة للمشتري أكثر فإن البائع راغب عن السلعة يبغي ترويجها والمشتري محتاج إليها هذا هو الأحسن إلا أن يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه عن تعد به وإعانة صاحبه إذ قال صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال منعك إياه من الظلم نصرة له (٤)

الخامس أن يقيل من يستقيله فإنه لا يستقيل إلا متندم مستضر بالبيع ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه قال صلى الله عليه وسلم من أقال نادما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة (٥)

أو كما قال

السادس أن يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطالبهم إن لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف من له دفتران للحساب أحدهما ترجمته مجهولة فيه أسماء من لا يعرفه من الضعفاء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتهيه فيقول أحتاج إلى خمسة أرطال مثلا من هذا وليس معي ثمنه فكان يقول خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل عد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه في الدفتر أصلا ولا يجعله دينا لكن يقول خذ ما تريد فإن يسر لك فاقض وإلا فأنت في حل منه وسعة فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست والقائم به محي لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه ولذلك قيل

لا يغرنك من المرء قميص رقعه ... أو إزارا فوق كعب الساق منه رفعه

أو جبين لاح فيه أثر قد قلعه ... ولدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه

ولذلك قيل إذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه

وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال ائتني بمن يعرفك فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا فقال عمر أنت

---

(١) حديث خيركم أحسنكم قضاء متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث من أدان دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه أخرجه أحمد من حديث عائشة ما من عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ وفي رواية له لم يزل معه من الله حارس وفي رواية للطبراني في الأوسط إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه

(٣) حديث دعوه فإن لصاحب الحق مقالا متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٤) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوماالحديث متفق عليه من حديث أنس

(٥) حديث من أقال نادما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم." (١)

"والرعية على الوالي مطلقا كما يثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والأستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية أو بينهما فرق فاعلم أن الذي نراه أنه يثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل

ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قد رتبنا للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الأوليين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح **باللطف**

وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الأخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي إلى أذى الوالد وسخطه هذا فيه نظر وهو بأن يكسر مثلا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد إلى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه أو سرقه أو أخذه عن إدرار رزق من ضريبة المسلمين إذا كان صاحبه معينا ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة في خشب بيته ويكسر أواني الذهب والفضة فإن فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه إلا أن فعل الولد حق وسخط الأب منشؤه حبه للباطل وللحرام والأظهر في القياس أنه يثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح المنكر وإلى مقدار الأذى والسخط

فإن كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كإراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وإن كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صور حيوان وفي كسرها خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر

فإن قيل ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والإرهاق إلى ترك الباطل والأمر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص وأما النهي عن التأفيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول

قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم إذ لا خلاف في أن الجلاد ليس له أن يقتل أباه في الزنا حدا ولا له أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابلته

وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع (١)

فإذا لم يجز له إيذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له إيذاؤه بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل أولى

وهذا الترتيب أيضا ينبغي أن يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد في لزوم الحق وإن كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح

ولكن في الخبر أنه لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها (٢)

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٨٢/٢

وهذا يدل على تأكيد الحق أيضا

وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها معه إلا التعريف والنصح فأما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث إن الهجوم على أخذ الأموال من خزانته وردها إلى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمور في بيته يكاد يفضى إلى خرق هيبته وإسقاط حشمته وذلك محظور ورد النهي عنه كما ورد النهي عن السكوت على المنكر (٣) فقد تعارض فيه أيضا محذوران والأمر فيه موكول إلى اجتهاد منشؤه النظر في تفاحش المنكر ومقدار

---

(١) الأخبار الواردة في أن الجلاد ليس له أن يجلد أباه في الزنا ولا أن يباشر إقامة الحد عليه ولا يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزم القصاص ثم قال وثبت بعضها بالإجماع قلت لم أجد فيه إلا حديث لا يقاد الوالد بالولد رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي فيه اضطراب

(٢) حديث لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها تقدم في النكاح

(٣) حديث النهي عن الإنكار على السلطان جهرة بحيث يؤدي إلى خرق هيبته أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن غنم ألاشعري من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذه بيده فليخل به فإن قبلها قبلها وإلا كان قد أدى الذي عليه والذي له قال صحيح الإسناد وللترمذي وحسنه من حديث أبي بكرة من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله في الأرض." (١)

"التعريف فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين فقائل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل إلى إلزامه ذلك إلا أن يتبرع فيلتزم طبقا للثواب

وقائل يقول إن هذا القدر من التعب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع به فإذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأحوج إلى الحضور في الهاجرة وشدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فإن الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبالي به وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزم احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون أبدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر إزالتها إذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة ولكن المتقي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه إلا ما لا يريبه فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل الركن الرابع نفس الاحتساب

وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود

أما الدرجة الأولى وهي التعرف ونعني طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهى عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣١٨/٢

يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا أن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره

نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمرا أعده للشرب فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزم الاستئذان ويكون تخطى ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه

وإن أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته لا شهادته ففي جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال والأولى أن يمتنع لأن له حقا في أن لا يتخطى داره بغير إذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين فهذا أولى ما يجعل مردا فيه وقد قيل إنه كان نقش خاتم لقمان الستر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت

الدرجة الثانية التعريف فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله وإذا عرف أنه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولو رضي بأن لا يكون مصليا لترك أصل الصلاة فيجب تعريفه **باللطف** من غير عنف وذلك لأن ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق والتجهيل إيذاء وقلما يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور لا سيما بالشرع

ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نبه على الخطأ والجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من أن تنكشف عورة جهله والطباع أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لأنه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره إزالته وتحسينه والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه." (١)

"ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره

وإذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلا بد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق فنقول له إن الإنسان لا يولد عالما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن أهل العلم أو عالمها مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها إنما شرط الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود

وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء فإن إيذاء المسلم حرام محذور كما أن تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول علي بالتحقيق

وأما إذا وقفت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترده عليه فإنه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا إلا إذا علمت أنه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا

الدرجة الثالثة النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣٢٩/٢

أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجري مجراه فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكى له سيرة السلف وعبادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه إذ المسلمون كنفس واحدة وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها فإنها مهلكة وهي أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الإدلال وإظهار التمييز بشرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل

فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية في الجهل

وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فإن في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين أحدهما من جهة العلم والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة

وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي أن يمتحن المحتسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن المنكر بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه

فإن كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفى بغيره فليحتسب فإن باعثه هو الدين وإن كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره أحب إليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو إلا متبع هوى نفسه ومتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله تعالى فيه وليحتسب أولا على نفسه

وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني

وقيل لداود الطائي رحمه الله أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قال إنه يقوى عليه قال أخاف عليه السيف قال إنه يقوى عليه قال أخاف عليه الداء الدفين وهو العجب

الدرجة الرابعة السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادىء الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ولسنا نعني بالسب والفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله وكقوله يا سوادى يا غبي وما يجري هذا المجرى

فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس." (١)

"بكيس فهو أحمق

والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله (١)

ولهذه الرتبة أدبان أحدهما أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢/٣٣٠

والثاني أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة
فإن علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي أن يطلقه
بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والازدراء بمحله لأجل معصيته وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولو اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الإنكار له
الدرجة الخامسة التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي وإراقة الخمر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض
فأما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة
وفي هذه الدرجة أدبان أحدهما أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فإذا أمكنه أن يكلفه المشي في الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجدفلا ينبغي أن يدفعه أو يجره وإذا قدر على أن يكلفه إراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه فإن في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله
الثاني أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بلحيته في الإخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده فإن زيادة الأذى فيه مستغنى عنه وأن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي أظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر
وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج في استئناف إصلاحه إلى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء
وفي إراقة الخمور يتوقى كسر الأواني إن وجد إليه سبيلا فإن لم يقدر عليها إلا بأن يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر إذ صار حائلا بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالجرح والضرب لنتوصل إلى إراقة الخمر فإذن لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه
ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرءوس ولو اشتغل بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع في زمانه وتتعطل عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لأجل ظرف الخمر وحيث كانت الإراقة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان
فإن قلت فهلا جاز الكسر لأجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل في الإخراج عن الأرض المغصوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر
فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون على الماضي والدفع على الحاضر الراهن
وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام المنكر فما زاد على قدر الإعدام فهو إما عقوبة على

---

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث أخرجه الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس." (١)

"معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له خل عنها أو لأرمينك

إن لم تخل عنها فله أن يرمى وينبغي أن لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما أشبهه ويراعي فيه التدريج

وكذلك يسل سيفه ويقول اترك هذا المنكر أو لأضربنك

فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن

ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين

وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للإمام لا للآحاد

الدرجة الثامنة أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح

وربما يستمد الفاسق أيضا بأعوانه ويؤدي ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا

فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى إذن الإمام

فقال قائلون لا يستقل آحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد

وقال آخرون لا يحتاج إلى الإذن وهو الأقيس لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته تجر إلى ثوان والثواني إلى ثوالث

وقد ينتهي لا محالة إلى التضارب

والتضارب يدعو إلى التعاون فلا ينبغي أن يبالي بلوازم الأمر بالمعروف

ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله ودفع معاصيه

ونحن نجوز للآحاد من الغزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار قمعا لأهل الكفر

فكذلك قمع أهل الفساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والمسلم إن قتل فهو شهيد

فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله

والمحتسب المحق إن قتل مظلوما فهو شهيد

وعلى الجملة فانتهاء الأمر إلى هذا من النوادر في الحسبة

فلا يغير به قانون القياس

بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وبأعوانه

فالمسألة إذن محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الموفق

باب آداب المحتسب قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر

الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب العلم والورع وحسن الخلق

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣٣١/٢

أما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه

والورع ليردعه عن مخالفة معلومة فما كل من علم عمل بعلمه

بل ربما يعلم أنه مسرف في الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الأغراض

وليكن كلامه ووعظه مقبولا فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جراءة عليه

وأما حسن الخلق فليتمكن به **من اللطف والرفق** وهو أصل الباب وأسبابه

والعلم والورع لا يكفيان فيه

فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق

وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب

وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله

وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه

بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم

فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات

وإن فقدت لم يندفع المنكر

بل ربما كانت الحسبة أيضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه." (١)

"ومنها كشف العورات والنظر إليها

ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها إدخال اليد تحت الإزار فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها

ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتغميز الأفخاذ والأعجاز فهذا مكروه إن كان مع حائل ولكن لا يكون محظورا إذا لم يخش من حركة الشهوة

وكذلك كشف العورة للحجام الذمي من الفواحش

فإن المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنها للذمية في الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال

ومنها غمس اليد في الأواني النجسة في المياه القليلة وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فإنه منجس للماء إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتماس **واللطف** وهو أن يقول له إنا نحتاج أن نغسل اليد أولا ثم نغمسها في الماء وأما أنت فمستغن عن إيذائي وتفويت الطهارة علي وما يجري مجرى هذا فإن مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣٣٣/٢

ومنها أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وإزالته وينكر على الحمامي إهماله فإنه يفضي إلى السقطة وقد تؤدي السقطة إلى انكسار عضو أو انخلاعه وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي إذ حقه تنظيف الحمام والوجه إيجاب الضمان على تاركه في اليوم الأول وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذ عادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة والرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها

وفي الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلتنظر هناك منكرات الضيافة

فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في مجمرة فضة أو ذهب أو الشراب أو استعمال ماء الورد في أواني الفضة أو ما رءوسها من فضة

ومنها إسدال الستور وعليها الصور

ومنها سماع الأوتار أو سماع القينات

ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره

ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ومن لم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات

وأما الصور التي على النمارق والزرابي المفروشة فليس منكرا

وكذلك على الأطباق والقصاع لا الأواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون رءوس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه

وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها

ومهما كان الطعام حراما أو كان الموضع مغصوبا أو كانت الثياب المفروشة حراما فهو من أشد المنكرات فإن كان من فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور إذ لا يحل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وإنما النظر في مجالسته بعد ذلك وأنه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز." (١)

"دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له رزقه وأعطى أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت إلا شهيدا تقول

اللهم كما لطفت في عظمتك دون **اللطفاء** وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكان وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢/٣٤٠

اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك مالا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلي وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك تتودد إلي بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فعد بفضلك وإحسانك على إنك أنت التواب الرحيم

قال فأخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلي وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السحر فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ فقال هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال

وقد نجوت وأمر بنسخه وأعطاني عشرة آلاف ثم قال أتعرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام

وعن أبي عمران الجوني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديما فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هرون إلى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه فاشتد ذلك على هرون فكتب إليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد يا أخي قد علمت أن الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وإني منطو لك على أفضل المحبة والإرادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقي من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهناني بما صرت إليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وإني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت لك كتابا شوقا مني إليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليه كتابي فالعجل العجل

فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشونته فقال علي برجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني

فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فالق كتابي هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به

فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال عباد فأقبلت إلى المسجد فلما رآني قام قائما وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير

قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فجرحت فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رءوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من

عقوبته فسلمت فما رفع أحد إلى رأسه وردوا السلام علي برءوس الأصابع فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض على الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة." (١)

"السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر إليهما ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الإنسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ

فكأن للعالم أربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض **وهذا اللطف من** الحكمة الإلهية إذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكنافها فيها ثم يسري من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فإنك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعجائبها

ولنرجع إلى الغرض المقصود فنقول القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض وكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس فإذن للقلب بابان باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فأما انفتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل ومن هم المفردون يا رسول الله قال المتنزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم إخبارا عن الله تعالى فقال ثم أقبل بوجهي عليهم أترى من واجهته بوجهي

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣٥٣/٢

يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم // حديث سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مقتصرا على أول الحديث وقال فيه وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات ورواه الحاكم بلفظ قال الذين يستهترون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب يضع الذكر عنهم أثقالهم ويأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي الدرداء دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلاهما ضعيف ومدخل." (١)

"فإن النية والعزم والإرادة إنما تكون بعد خطور المنوى بالبال لا محالة فمبدأ الأفعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى الخير أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاما والخاطر المذموم أعنى الداعي إلى الشر يسمى وسواسا ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب

فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطانا **واللطف** الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا فإن المعاني المختلفة تفتقر إلى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (١) أخرجه الترمذي والنسائي (٢) حديث قلب المؤمن بين إصبعين الحديث تقدم فالله يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الإصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فإنك لا تريد إصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك والله تعالى يفعل ما يفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في تقليب الأجسام مثلا والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح أحدهما على الآخر وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣/٢١

ومخالفتها فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما منكم

---

(١) حديث في القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير الحديث أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديث ابن مسعود

(٢) الآية وقال الحسن إنما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده

ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن." [١]

"كتاب الخوف والرجاء

وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من كتاب إحياء

علوم الدين بسم الله الرحمن الرحمن

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه إلى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر أعدائه وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض لأئمته والتهدف لسخطه ونقمته قودا لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق **واللطف** إلى جنته والصلاة والسلام على محمد سيد أنبيائه وخير خليقته وعلى آله وأصحابه وعترته

أما بعد فإن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كسود فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد إذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصيل إلى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشمل على شطرين الشطر الأول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف

الشطر الأول في الرجاء

أما الشطر الأول فيشتمل على

بيان حقيقة الرجاء

وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطرق الذي يجتلب به الرجاء بيان حقيقة الرجاء

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢٧/٣

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وإنما يسمى الوصف مقاما إذا ثبت وأقام وإنما يسمى حالا إذا كان عارضا سريع الزوال وكما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجل وإلى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضا يتم من حال وعلم وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسما من جملة الثلاثة وبيانه أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر في الاستقبال فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وإن كان من خطر بقلبك موجودا في الحال سمي وجدا وذوقا وإدراكا وإنما سمي وجدا لأنها حالة تجدها من نفسك وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمى انتظار وتوقعا فإن كان المنظر مكروها حصل منه ألم في القلب سمي خوفا وإشفاقا وإن كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك." (١)

"فإن سالت دموعه أطفأ الله بأول قطرة منها بحارا من النيران ولو أن رجلا بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة

وقال أبو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطرب من الشوق

وقال كعب الأحبار رضي الله عنه

والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار

وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي

قد نافقت حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت أنادي

نافق حنظلة فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال

كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول

نافق حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا حنظلة لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطريق وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة // حديث حنظلة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا الحديث وفيه نافق حنظلة الحديث

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/١٤٢

وفيه ولكن يا حنظلة ساعة وساعة أخرجه مسلم مختصرا

فإذن كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف لأن جملة ذلك متعلقة به إما تعلق السبب أو تعلق المسبب

بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما

اعلم أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر إليها فيعتريه شك في أن الأفضل أيهما وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز أفضل أم الماء وجوابه أن يقال الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل وإن استويا فهما متساويان وهذا لأن كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف أفضل وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلقا الخوف أفضل على التأويل الذي يقال فيه الخبز أفضل من السكنجبين إذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة إلى الخبز أكثر فهو أفضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لأن المعاصي والاغترار على الخلق أغلب وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما **يقتضي اللطف والرحمة** كانت المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام

وأما الخوف فمستنده الالتفات إلى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء." (١)

"وقالوا إن الفاعل قد وضعته أيها اللغوي للمخترع فلا فاعل إلا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز

أي تتجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الأعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل (١) أي كل ما لا قوام له بنفسه وإنما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وإنما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فإذن لا حق بالحقيقة إلى الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فإنه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كما لم تكن فإنه اليوم كما كان

فإن قلت فقد ظهر الآن أن الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا إليه في كتاب الشكر فلا نطول بإعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز إليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالإيمان بالرحمة والحكمة فإن التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب والإيمان بالرحمة وسعتها

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٦٤/٤

هو الذي يورث الثقة بمسبب الأسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل وهذا الإيمان أيضا باب عظيم من أبواب الإيمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب فيه

وهو أن يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب إن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة مالا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار الملكوت وعرفهم **دقائق اللطف وخفايا** العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا أن ينقص منها جناح بعوضة ولا أن يرفع منها ذرة ولا أن يخفض منها ذرة ولا أن يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر عمن بلي به ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم الله به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض إن رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي بالقدر الذي ينبغي وليس في الإمكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الإلهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالإضافة إلى شخص فهو نعيم بالإضافة إلى غيره إذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعم الأصحاء بالصحة ولولا النار لما عرف أهل الجنة قدر النعمة وكما أن فداء أرواح الإنس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران وفداء

---

(١) حديث أصدق بيت قالته العرب بيت لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ قاله الشاعر وفي رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب." (١)

"عن عمر وآل عمر فقال عمر

رحمك الله فماالذي وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه

وقال أبو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشي في الطريق إذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي أن أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعالى حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد فأتوا بقصب وبارية وطموا رأس البئر فهممت أن أصيح فقلت في نفسي إلى من أصيح هو

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٢٥٨

أقرب منهما وسكنت فبينا أنا بعد ساعة إذ أنا بشيء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول تعلق بي في همهمة له كنت أعرف ذلك فتعلقت به فأخرجني فإذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وأنا أقول

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى ... وأغنيتني بالفهم منك عن الكشف

تلطفت في أمري فأبديت شاهدي ... إلى غائبي واللطف يدرك باللطف

تراءيت لى بالغيب حتى كأنما ... تبشرني بالغيب أنك في الكف

أراك وبي من هيبتي لك وحشة ... فتؤنسني باللطف منك وبالعطف

وتحيي محبا أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر وإذا قوي الإيمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير ضيق صدر وقوي الإيمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه في أسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الأحوال والمشاهدات وإلا فلا يتم أصلا

بيان توكل المعيل

اعلم أن من له عيال فحكمه يفارق المنفرد لأن المنفرد لا يصح توكله إلا بأمرين أحدهما قدرته على الجوع أسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والآخر أبواب من الإيمان ذكرناها من جملتها أن يطيب نفسا بالموت إن لم يأته رزقه علما بأن رزقه الموت والجوع وهو إن كان نقصا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة فيرى أنه سيق إليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة وأن هذا هو المرض الذي به يموت ويكون راضيا بذلك وأنه كذا قضي وقدر له فبهذا يتم التوكل المنفرد ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أن يقرر عندهم الإيمان بالتوحيد وأن الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه إن اتفق ذلك نادرا وكذا سائر أبواب الإيمان فإذن لا يمكنه في حقهم إلا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ خرج للكسب فأما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فله أن يتوكل في حقهم ونفسه أيضا عيال عنده ولا يجوز له أن يضيعها إلا أن تساعده على الصبر على الجوع مدة فإن كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روي أن أبا تراب النخشبي نظر إلى صوفي مد يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق أي لا تصوف إلا مع التوكل." (١)

"والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن أن ينكر كون الله تعالى موصوفا بها أو ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند من أدركه فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبقت

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢٧٢/٤

له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون

فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالإحسان لأن الإحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام إن أود الأوداء إلى من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من أظلم ممن عبدني لجنة أونار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا أن أطاع ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا فقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم وقال أبو حازم إني لأستحي أن أعبده للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل وكالأجير السوء إن لم يعط لم يعمل

وفي الخبر لا يكونن أحدكم كالأجير السوء إن لم يعط أجرا لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل (١)

وأما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة لأن شبه الشيء منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل

ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف وأنس النجار بالنجار أكثر من أنسه بالفلاح وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الأخبار والآثار كما استقصيناه في باب الأخوة في الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه

وإذا كانت المناسبة سبب المحبة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي الصبي في معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع إلى المشابهة في الصور والأشكال بل إلى معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغبرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق إذا استكملوا شرط السلوك

فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل إلى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات

وأما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهى التي يوميء إليها قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي إذ بين أنه أمر رباني خارج عن حد عقول الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ولذلك أسجد له ملائكته ويشير إليه قوله تعالى إنا جعلناك خليفة في الأرض إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لا يكونن أحدكم كالأجير السوء إن لم يعط أجرا لم يعمل لم أجد له أصلا." [١]

"صدق عند مليك مقتدر فالأبرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحورالعين والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة أقوام آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الألباب (١) حديث شيبتني هود أخرجه الترمذي وقد تقدم غير مرة (٢) حديث من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون لا أعلم هذا إلا في منام لعبد العزيز بن أبي رواد قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة في آخره رواه البيهقي في الزهد (٣) حديث إنه ليغان على قلبي متفق عليه من حديث الأغر وقد تقدم // وإنما كان استغفاره من القدم الأول فإنه كان بعدا بالإضافة إلى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات إلى غير المحبوب كما روي أن الله تعالى يقول إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي أن أسلبه لذيذ مناجاتي

فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة للعموم فأما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون إلى ما ظهر من **مبادىء اللطف وذلك** هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه إلا ذوو الأقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع إبراهيم بن أدهم قائلا يقول وهو في سياحة وكان على الجبل

كل شيء منك مغفو ... ر سوى الإعراض عنا

قد وهبنا لك ما فا ... ت فهب لنا ما فات منا

فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا إبراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت

ثم خوف السلو عنه فإن المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى إلا بلطف جديد فإن تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجعته

والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فإن هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الإطلاع عليها فإذا

---

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الألباب أخرجه البزار من حديث أنس بسند ضعيف مقتصرا على الشطر الأول وقد تقدم والشطر الثانى من كلام أحمد بن أبي الحواري ولعله أدرج فيه ولما قصرت الأفهام عن درك معنى عليين عظم أمره فقال وما أدراك ما عليون كما قال تعالى القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة

ومنها أن يكون في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل إدراك العظمة

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٣٠٦

يوجب الهيبة كما أن إدراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم أشد من بعض فأولها خوف الإعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الإبعاد وهذا المعنى في سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين

(٢) إذ سمع قوله تعالى ألا بعدا الثمود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وإنما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القرب ولا يحن إلى القرب من ألف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فإنا قدمنا أن درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون

(٣) وكذلك قال عليه السلام إنه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة." (١)

"أراد الله المكر به واستدراجه أخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويغتر بحسن النظر أو بغلبة الغفلة أو الهوى أو النسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكما أن من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضى هيجان الحب وهي **أوصاف اللطف والرحمة** والحكمة فمن أوصافه ما يلوح فيورث السلو كأوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان

ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حب غيره وذلك هو المقت والسلو عنه مقدمة هذا المقام والإعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الأوراد أسباب هذه المعاني ومقدماتها وظهور هذه الأسباب دليل على النقل عن مقام الحب إلى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق الحب فإن من أحب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف إذا كان المحبوب مما يمكن فواته

وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحبة من غير خوف هلك بالبسط والإدلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر فإنما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب

فقد روي في بعض الأخبار أن بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة أيام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يارب أنقصه من الذرة بعضها فأوحى الله تعالى إليه إنما أعطيناه جزءا من مائة ألف جزء من المعرفة وذلك أن مائة ألف عبد سألوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سألني هذا فأخرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا فلما أجتبنك فيما

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٣٣٥

سألت أعطيتهم كما أعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانك يا أحكم الحاكمين أنقصه مما أعطيته فأذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين وقد قيل في وصف حال العارف

قريب الوجد ذو مرمى بعيد ... عن الأحرار منهم والعبيد

غريب الوصف ذو علم غريب ... كان فؤاده زبر الحديد

لقد عزت معانيه وجلت ... عن الأبصار إلا للشهيد

يرى الأعياد في الأوقات تجري ... له في كل يوم ألف عيد

وللأحباب أفراح بعيد ... ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أبياتا يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره وهي هذه الأبيات

سرت بأناس في الغيوب قلوبهم ... فحلوا بقرب الماجد المتفضل

عراضا بقرب الله في ظل قدسه ... تجول به أرواحهم وتنقل

مواردهم فيها على العز والنهي ... ومصدرهم عنها لما هو أكمل." (١)

"وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الإعراض عن عبد والإقبال على عبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى وقال فى الآخرة أما من استغنى فأنت له تصدى وكذلك أمره بالقعود مع طائفة فقال عز وجل وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم وأمره بالإعراض عن غيرهم فقال وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمبن وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي

فكذلك الانبساط والإدلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعليل والاعتذار لما قيل له اذهب إلى فرعون ﴿فقال﴾ ولهم على ذنب وقوله إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وقوله إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن الذي أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما دون هذا لما أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودي عليه إلى يوم القيامة لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء هو القيامة ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به وقيل له فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم

وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الأزل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبين على بعض وقد قال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولإدلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا وهذا انبساط

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣٣٦/٤

منه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس

وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فإنه أقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه

وانظر كيف احتمل لأخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال بعض العلماء قد عددت من أول قوله تعالى إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا إلى رأس العشرين من إخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير في مسألة واحدة سأل عنها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكابر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك

وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفا عنه

فقد روي أن الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام يا رأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين إلى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن أخذته عصفة من عصفاتي عليه لأتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل آصف على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال إلهي وسيدي أنت أنت وأنا وأنا فكيف أتوب إن لم تتب علي وكيف أستعصم إن لم تعصمني لأعودن فأوحى الله تعالى إليه صدقت يا آصف أنت أنت وأنا وأنا أستقبل التوبة وقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه إليه وناظر به إليه." (١)

"الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه (١) وذلك يتعلق بعلم المكاشفة

وغرضنا الآن بيان الإمكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع أنها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه

وبهذا يعرف أيضا أن الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الأسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى فإن الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف

كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلبا لإزالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به

وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلاء في معرض الشكوى وإنكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لايناقض

وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أي في معرض الشكاية وذلك في الصيف فأما الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الأطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله تعالى

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣٤٢/٤

وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فإني لا أدري أيهما خير لي

بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا

اعلم أن الضعيف قد يظن أن نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون (٢) يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لأن كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون أنه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزالا وضرا ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأخبار بالفرار من الزحف (٣) ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما أذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل وإذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه

وكذلك مذمة المواضع التي تدعو إلى المعاصي والأسباب التي تدعو إليها لأجل التنفير عن المعصية ليست مذمومة

فما زال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد وإظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدري فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله

ولما قدم خراسان قيل له كيف رأيت بغداد قال ما رأيت بها إلا شرطيا غضبان أو تاجرا لهفان أو قارئا حيران ولا ينبغي أن تظن أن ذلك

---

(١) حديث القدر سر الله فلا تفشوه أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر وابن عدى في الكامل من حديث عائشة وكلاهما ضعيف

(٢) حديث النهي عن الخروج من بلد الطاعون تقدم في آداب السفر

(٣) حديث إنه شبه الخروج من بلد الطاعون بالفرار من الزحف تقدم فيه." (١)

"مرتحلة عنها أما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا وأملوا بعيدا فأصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وأملهم غرورا ويحك يا نفس أما لك بهم عبرة أما لك إليهم نظرة أتظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخلدين هيهات هيهات ساء ما تتوهمين ما أنت إلا فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابنى على وجه الأرض قصرك فإن بطنها عن قليل يكون قبرك أما تخافين إذا بلغت النفس منك التراقى أن تبدو رسل ربك منحدرة إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم أو يقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٣٥٤

نفع مال يزيد وعمر ينقص ويحك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهى مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهى معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لا يستكمله وكم من مؤمل لغد لا يبلغه فأنت تشاهدين ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذرى أيتها النفس المسكينة يوما آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبد أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظرى يا نفس بأي بدن تقفين بين يدي الله وبأي لسان تجيبين وأعدي للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملي بقية عمرك في أيام قصار لأيام طوال وفي دار زوال لدار مقامة وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملى قبل أن لا تعملى اخرجى من الدنيا اختيارا خروج الأحرار قبل أن تخرجى منها على الاضطرار ولا تفرحى بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له في كتاب الله انه من وقود النار فليكن نظرك يا نفس إلى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولا تكونى ممن يعجز عن شكر ما أوتى ويبتغى الزيادة فيما بقى وينهى الناس ولا ينتهى واعلمى يا نفس أنه ليس للدين عوض ولا للإيمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن لم يسر

فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فإن من أعرض عن الموعظة فقد رضى بالنار وما أراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فإن كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعينى عليها بدوام التهجد والقيام فإن لم تزل فالمواظبة على الصيام فإن لم يزل فبقلة المخالطة والكلام فإن لم تزل فبصلة الأرحام واللطف بالأيتام فإن لم تزل فاعلمى أن الله قد طبع على قلبك وأقفل عليه وأنه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطنى نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فكل ميسر لما خلق له فإن لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطى من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله من ذلك فلا سبيل لك إلى القنوط ولا سبيل لك إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فإن ذلك اغترار وليس برجاء فانظرى الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التى ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فإن سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقى فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستعينى بأرحم الراحمين واشتكى إلى أكرم الأكرمين وأدمنى الاستغاثة ولا تملى طول الشكاية لعله أن يرحم ضعفك ويغيثك فإن مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجا إلا إلى مولاك فافزعى إليه بالتضرع واخشعى في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لأنه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة." (١)

"لا تتناولها الأنامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذى هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان وظهر به حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ولم يقم أحد مقامه فى حك بدنه ثم هدى اليد إلى موضع الحك حتى تمتد إليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة إلى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك إلا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم فى ظلمات ثلاث ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد إليه البصر لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٤٢١

عليها شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آلته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصوف فيه فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه

ثم انظر مع كمال قدرته إلى تمام رحمته فإنه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج إليه

ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه إلا بعد المص تدريجا فإن الطفل لايطيق منه إلا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع

ثم انظر إلى عطفه ورحمته ورأفته كيف أخر خلق الأسنان إلى تمام الحولين لأنه في الحولين لا يتغذى إلا باللبن فيستغني عن السن وإذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج إلى طعام غليظ ويحتاج الطعام إلى المضغ والطحن فأنبت له الأسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة فى تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه

ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا إما كفورا أو شكورا مطيعا أو عاصيا مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا فانظر **إلى اللطف والكرم** ثم إلى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية

والعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا أو نقشا حسنا على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه إلى التفكر في النقاش والخطاط وأنه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول ما أحذقه وما أكمل صنعته وأحسن قدرته ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها فهو أقرب مجال لفكرك وأجلى شاهد على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك ولا تعرف من نفسك إلا أن تجوع فتأكل وتشبع فينام وتشتهى فتجامع وتغضب فتقاتل والبهائم كلها تشاركك في معرفة ذلك وإنما خاصية الإنسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق والأنفس إذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليست هذه المنزلة للبهائم ولا لإنسان رضي من الدنيا بشهوات البهائم فإنه شر من البهائم بكثير." (١)

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٤٣٩

"وصفات ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدى أتظن أني كونت نفسي أو خلقني أحد من جنسي أو ما تستحي أن تنظر فى كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنها من صنعة آدمى عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر إلى عجائب الخطوط الإلهية المرقومة على صفحات وجهى بالقلم الإلهى الذى لا تدرك الأبصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه

وتقول النطفة لأرباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون توهمنى فى ظلمة الأحشاء مغموسة فى دم الحيض فى الوقت الذى يظهر التخطيط والتصوير على وجهى فينفش النقاش حدقتى وأجفانى وجبهتى وخدى وشفتى فترى التقويس يظهر شيئا فشيئا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر منها للأم ولا للأب ولا للنطفة ولا للرحم فما هذا النقاش بأعجب مما نشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرة أو مرتين لتعلمته فهل تقدر على أن تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذى يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فإن كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها أن الذى صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ولا مصور كما أن نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين فإن كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فإنه أعجب من كل عجب فإن الذى أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك من التبيين مع هذا البيان جدير بأن تتعجب منه فسبحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه فشاهدوه فى جميع ذرات العالم وأجزائه وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه فله الخلق والأمر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه

ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الأرض يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالمين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة فى جو السماء ومستبقة سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر فى الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر فإذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فإن شاء جعله نشرابين يدي رحمته كما قال سبحانه وأرسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهواء إلى الحيوانات والنباتات فتستعد للنماء وإن شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ثم انظر إلى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط فى الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوى ليغمسه فى الماء فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه

فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص فى الماء لأن الهواء ينقبض عن الغوص فى الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة فى الهواء اللطيف كالذى يقع فى بئر فيتعلق بذيل رجل قوى ممتنع عن الهوى فى البئر فالسفينة بمقعرها تتشبث بأذيال الهواء القوى حتى تمتنع من الهوى والغوص فى الماء فسبحان من علق المركب الثقيل فى الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد

ثم انظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والأمطار والثلوج والشهب والصواعق فهي عجائب ما بين السماء والأرض وقد أشار القرآن إلى جملة ذلك في قوله تعالى وما خلقنا السموات والأرض." (١)

"وكذلك يستحمقك أهل البصائر في توقفك! فإن قلت: فيم أعرف شفقة النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفته بهذا الطب؟ فأقول: وبم عرفت شفقة أبيك وليس ذلك أمرا محسوسا؟ بل عرفتها بقرائن أحواله وشواهد أعماله في مصادره وموارده علما ضروريا لا تتمارى فيه.

ومن نظر في أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وما ورد من الأخبار في اهتمامه بإرشاد الخلق، وتلطفه في جر الناس بأنواع الرفق واللين **واللطف**، إلى تحسين الأخلاق وإصلاح ذات البين، وبالجملة إلى ما يصلح به دينهم ودنياهم حصل له علم ضروري، بأن شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته أعظم من شفقة الوالد على ولده. وإذا نظر إلى عجائب ما ظهر عليه من الأفعال، وإلى عجائب الغيب الذي أخبر عنه القرآن على لسانه، وفي الأخبار وإلى ما ذكره في آخر الزمان، فظهر ذلك كما ذكره، علم علما ضروريا أنه بلغ الطور الذي وراء العقل، وانفتحت له العين التي ينكشف منها الغيب الذي لا يدركه إلا الخواص، والأمور التي لا يدركها العقل. فهذا هو منهاج تحصيل العلم الضروري بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم.." (٢)

"يوسف بن عبد الله الحلواني، قال: ثنا عثمان بن الهيثم المؤذن، قال: ثنا عوف الأعرابي، عن الحسن البصري، أنه قال: هذا الدعاء هو دعاء الفرج، ودعاء الكرب: " يا حابس يد إبراهيم عن ذبح ابنه وهما **يتناجيان اللطف يا** أبت، يا بني، يا مقبض الركب ليوسف في البلد القفر وغيابة الجب، وجاعله بعد العبودية نبيا ملكا، يا من سمع الهمس من ذي النون في ظلمات ثلاث: ظلمة قعر البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، يا راد حزن يعقوب، يا راحم عبرة داود، يا كاشف ضر أيوب، يا مجيب دعوة المضطرين، يا كاشف غمم المهمومين، صلي اللهم على محمد وعلى آل محمد، وأسألك أن تفعل بي كذا ".

١٤ - أخبرنا أبو محمد بن عتاب، عن ابن عابد، عن ابن مفرج: أنا ابن الأعرابي: ثنا الدبري، عن عبد الرزاق، عمن ذكرهم، قال: اجتمع فتيان وجالستهم امرأة جميلة، وكان قريبا منهم راهب في صومعة له، فبينا هم يتحدثون قالت لهم المرأة: أرأيتم إن فتنت هذا الراهب؟ فقال لها الفتيان: لا تستطيعين ذلك.
قالت:." (٣)

"الفصل الرابع عشر: تفاوت النفوس في الخير والشر

روى أبو موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن الله خلق آدم من قبضة قبضت من جميع الأرض، فجاءوا

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٤٤٣

(٢) المنقذ من الضلال أبو حامد الغزالي ص/٢٠٤

(٣) المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات ابن بشكوال ص/١٩

بنوا آدم على قدر الأرض: منهم الأبيض، والأحمر، والأسود، وبين ذلك، والخبيث، والطيب، والسهل، والحزن وبين ذلك»

.

وجاء في حديث آخر: «إن الله خلقهم في ظلمة، فرش عليهم من نوره، فمن أصابه ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل»

.

فهذا يدل على أن من خلق من الصفا صفا له، ومن خلق من الكدر كدر عليه فلم يصلح للقرب والرياضة، وإنما يصلح عبد نجيب.

خلق إبليس من ماء غير طاهر، فكانت خلعة العبادة عليه عارية، فسخن ماء معاملته بإيقاد نار الخوف، فلما أعرض عنه الموقد عاد إلى برودة الغفلة.

وخلق عمر من أصل نقي، فكانت أعمال الشرك عليه كالعارية، فلما عجت نيران حمية الجاهلية أثرت في طبعه إلى أن فنى مدد حظها بفناء مدة تقدير إعراضه، فعاد سخنه إلى برد العرفان:

وكل إلى طبعه عائد ... وإن صده الصد عن قصده

كما أن الماء من بعد إسخانه ... سريعا يعود إلى برود

يا هذا: لا حت عقبة المعصية لآدم وإبليس، فقال لهما لسان الحال: لا بد من سلوكها، فسلكا يتخبطان في ظلامها، فأما آدم فانكسر قلبه في طريقه، وبكى لصعوبة مضيقه، فهتف به هاتف **اللطف**: لا تجزع معجبا أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، وأما إبليس فجاء ضاحكا معجبا بنفسه، فثار الكبر من قلبه، فتكاثرت ظلمة طريقه، فلما ارتفعا إلى رأس العقبة ضرب ﴿بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ ، فقال إبليس: يا آدم كنا رفيقين في عقبة المعصية، فكيف افترقنا؟ فنادى منادي الأزل: نحن قسمنا.." (١)

"وقد أراد به رائحة المسك قال ابن الأنباري أخبرني أبي قال أخبرنا أبو عفان المهزمي قال المسك والعنبر يؤنثان ويذكران

الباب الرابع في ذكر العلامات التي يستدل بها على عقل العاقل وذكاء الذكي

قال مؤلف الكتاب هذه العلامات تنقسم قسمين أحدها من حيث الصورة والثاني من حيث المعنى والأحوال والأفعال ذكر القسم الأول قال الحكماء الخلق المعتدل والبنية المتناسبة دليل على قوة العقل وجودة الفطنة وإذا غلظت الرقبة دلت على قوة الدماغ ووفوره ومن كانت عينه تتحرك بسرعة وحدة فهو مكار محتال لص وأحمد العيون الشهل وإذا لم تكن الشهلاء شديدة البريق ولا يظهر عليها صفرة ولا حمرة دلت على طبع جيد وإذا كانت العين صغيرة غائرة فصاحبها مكار حسود ومن كان نحيف الوجه فهو فهم مهتم بالأمور **واللطف** في التحاف القصار أظهروا المعتدلون في الطول صالحو الحال أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال أخبرنا أحمد بن أحمد قال أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني قال حدثنا محمد بن

---

(١) مواعظ ابن الجوزي – الياقوتة ابن الجوزي ص/٩٥

علي قال حدثنا الحسين بن علي بن نصر قال حدثنا محمد بن عبد الكريم قال حدثنا الهيثم بن عدي قال حدثنا ابن عياش قال حدثنا الشعبي قال حدثني عجلا قال لي زياد ادخل على رجلا عاقلا قلت لا أعرف من تعني قال لا يخفى العاقل في وجهه وقده فخرجت فإذا أنا برجل حسن الوجه مديد القامة فصيح اللسان قلت ادخل فدخل فقال زياد يا هذا إني قد أردت مشاورتك في أمر فما عندك قال أني حاقن ولا رأي لحاقن قال يا عجلان أدخله المتوضأ." (١)

"الزباء فاذكر لها ما يرغبها فيه وتصبو إليه فجاءها خطبته فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت له انعم بك عينا وبما جئت به وله وأظهرت له السرور به والرغبة فيه وأكرمت مقدمة ورفعت موضعه وقالت قد كنت أضربت عن هذا الأمر خوفا أن لا أجد كفؤا والملك فوق قدري وأنا دون قدره وقد أجبت إلى ما سأل ورغبت فيما قال ولولا أن السعي في مثل هذا الأمر بالرجال أجمل لسرت إليه ونزلت عليه وأهدت إليه هدية سنية ساقت العبيد والإماء والكراع والسلاح والأموال والإبل والغنم وحملت من الثياب والعين والورق فلما رجع إليه خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب وأبهجه ما رأى **من اللطف** **وظن** أن ذلك لحصول رغبة فأعجبته نفسه وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته وأهل مملكته وفيهم قصير خازنه واستحلف على مملكته ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي وهو أول ملوك الحيرة من لخم وكان ملكه عشرين ومائة سنة وهو الذي اختطفته الجن وهو صبي وردته وقد شب ونبر فقالت أمه ألبسوه الطوق فقال خاله جذيمة شب عمرو عن الطوق فصارت مثلا فاستخلفه وسار إلى الزباء فلما صار ببقة نزل وتصيد وأكل وشرب واستعاد المشورة والرأي من أصحابه فسكت القوم وافتتح الكلام قصير بن سعد قال أيها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم قال لي أف ما يكون كونه فلا تثق بزخرف قول لا حصول له ولا تعتقد الرأي بالهوى فيفسد ولا الحزم بالمنى فيبعد والرأي عندي للملك أن يعتقب أمره بالتثبت و يأخذ حذره بالتيقظ ولولا أن الأمور تجري بالمقدور لعزمت على الملك عزما بتا أن لا يفعل فأقبل جذيمة على الجماعة فقال ما عندكم أنتم في هذا الأمر فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبته في ذلك وصوبوا رأيه وقووا عزمه فقال جذيمة الرأي للجماعة والصواب ما رأيتم فقال قصير أرى القدر يسابق الحذر ولا يطاع لقصير أمر فأرسلها مثلا." (٢)

"لولا العلم لكان الإنسان بهيمة **ولولا اللطف لكانت** البلية عظيمة فاسألوا الله لطفة في جميع الأحوال وليكن تعظيم القرآن منكم على بال **فبوجود اللطف وعدمه** سعد من سعد وشقي من شقي وبالتقصير لقي المقصر ما لقي لا تسألوا عبدكم ماذا لقى من البكاء والأساءة والحرق ليس عجيبا ما لقى بعد النؤى من الأنين والبكاء والأرق بل العجيب ان من فارقكم كيف حي من بعدكم كيف بقي إذا توجهت إلى غيرك تعثرت بي قدمي في طرقي إن السعيد من رجا فضلكم ومن رجا غيركم فهو الشقي قد كان شملي كله مجتمعا فد بعدتم آه وغرقي يا ليتني مت ولم أبق إلى ان ذقت طعم الهجر والتفرق يا لائمي لو ذقت ما ذقت من الحنين والأنين والتشوق ولو رأت عيناك ما رأيته من الجلال والجمال المونق عذرتني في قلقي ولمتني على بقايا ما بقي من رمقي العجب ممن يسمح بصفة الجنة وهومخلد إلى الدنيا وأعجب فيه من صدق نعيم الحضرة ثم يعمل لجنة المأوى والعجب ممن يسمع نوازل البلوى وهو مخدر في دنياه منها واعجب فيه من خوفه الله بغضبه عليه

---

(١) الأذكياء ابن الجوزي ص/١٣

(٢) الأذكياء ابن الجوزي ص/١٦١

واحتجابه عنه ثم هو يخاف الجحيم واللظى كل عزيز وإن عز وجل فالله أعز منه وأجل وكل فائت وإن عظم وكثر فهو بالنسبة إلى ما يفوت من الله أصغر وأقل." (١)

"التي تقيمها، فلا بد من إعطائها ما يقيمها، وأكثر ذلك أو كله مما تشتهيه، ونحن كالوكلاء في حفظها؛ لأنها ليست لنا، بل هي وديعة عندنا، فمنعها حقوقها على الإطلاق خطر.

ثم رب شد أوجب استرخاء، ورب مضيق على نفسه فرت منه، فصعب عليه تلافيها؛ وإنما الجهاد لها كجهاد المريض العاقل، يحملها على مكروهها في تناول ما ترجو به العافية، ويذوب في المرارة قليلا من الحلاوة، ويتناول من الأغذية مقدار ما يصفه الطبيب، ولا تحمله شهوته على موافقة غرضها من مطعم ربما جر جوعا، ومن لقمه ربما حرمت لقمات.

٢٠٣- فكذلك المؤمن العاقل، لا يترك لجامها، ولايهمل مقودها، بل يرخي لها في وقت، والطول١ بيده، فما دامت على الجادة، لم يضايقها في التضييق عليها، فإذا رآها قد مالت، ردها **باللطف**، فإن ونت٢ وأبت، فبالعنف٣، ويحسبها٤ في مقام المداراة كالزوجة، التي مبنى عقلها على الضعف والقلة، فهي تداري عند نشوزها٥ بالوعظ، فإن لم تصلح، فبالهجر، فإن لم تستقم، فبالضرب٦، وليس في سياط التأديب أجود من سوط عزم٧.

٢٠٤- هذه مجاهدة من حيث العمل، فأما من حيث وعظها وتأنيبها، فينبغي لمن رآها تسكن للخلق، وتتعرض بالدناءة من الأخلاق أن يعرفها تعظيم خالقها لها، فيقول: ألست التي قال فيك: خلقتك بيدي، وأسجدت لك ملائكتي، وارتضاك

---

١ الطول: كعنب: الرسن أو الزمام الذي تربط به قائة الدابة في المرعى، ويربط طرفه الثاني بوتد ونحوه.

٢ ونت: قصرت وضعفت.

٣ في الأصل: وإلا فبالعنف.

٤ ويحسبها: أي النفس، وفي الأصل: يحبسها، وهو تصحيف.

٥ نشوزها: عصيانها.

٦ ترك الضرب من مكارم الأخلاق، ومن شمائل النبي صلى الله عليه وسلم، فإن كان ولا بد فيجب أن يتيقن أن الضرب رادع، وأن يتجنب الوجه والأعضاء الحساسة، وأن لا يكون مؤذيا، وأن لا يترك أثرا، وإلا لم يجز.

٧ سوط العزم:أن يهدد بالضرب ولا يضرب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه أدب لهم".." (٢)

"اجتمعت له من المآكل الردية أخلاط١ مجة٢، فبقي اليوم واليومين والثلاثة لا يأكل، وهو يظن ذلك من أمداد **اللطف**، وإذا به من سوء الهضم!

وفيهم من ترقى به الخلط إلى رؤية الأشباح، فيظنها الملائكة!!

---

(١) التذكرة في الوعظ ابن الجوزي ص/١٥٣

(٢) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٨١

٢٥١- فالله الله في العلم! والله الله في العقل! فإن نور العقل لا ينبغي أن يتعرض لإطفائه، والعلم لا يجوز الميل إلى تنقيصه، فإذا حفظا، حفظا وظائف الزمان، ودفعا ما يؤذي، وجلبا ما يصلح، وصارت القوانين مستقيمة في المطعم والمشرب والمخالطة.

٢٥٢- فقالت لي النفس: فوظف لي وظيفة، واحسبني مريضا قد كتبت له شربة. فقلت لها: قد دللتك على العلم، وهو طبيب ملازم، يصف كل لحظة لكل داء يعرض دواء يلائم.

٢٥٣- وفي الجملة: ينبغي لك ملازمة تقوى الله عز وجل في المنطق والنظر وجميع الجوارح، وتحقق الحلال في المطعم، وإيداع كل لحظة ما يصلح لها من الخير، ومناهبة الزمان٣ في الأفضل، ومجانبة ما يؤدي إلى ما يؤدي من نقص ربح، أو وقوع خسران! ولا تعملي عملا إلا بعد تقديم النية.

وتأهبي لمزعج الموت، فكان قد٤، وما عندك من مجيئة في أي وقت يكون! الصواب، لا على مقتضى الهوى، فإن إصلاح البدن سبب لإصلاح الدين!

ودعي الرعونة التي يدل عليها الجهل لا العلم، من قول النفس: فلان يأكل الخل والبقل! وفلان لا ينام الليل!

فاحملي ما تطيقين وما قد علمت قوة البدن عليه، فإن البهيمة إذا أقبلت إلى نهر أو ساقية، فضربت لتقفز، لم تفعل حى تزن نفسها، فإن علمت فيها قوة

---

١ قال الأطباء الأقدمون: إن الجسم مركب من أربعة أخلاط بها قوامه، ومنها صلاحه وفساده وهي: الصفراء والدم والبلغم والسوداء.

٢ المجة: التي ترفضها النفس ولا تقبلها عادة.

٣ مناهبة الزمان: اغتنام الوقت.

٤ فكأن قد: كأن قد جاء الموت.." (١)

"١٣١- فصل: نظف طرق الإجابة من أدران الذنوب

٦٢٩- من العجب إلحاحك في طلب أغراضك! وكلما زاد تعويقها، زاد إلحاحك! وتنسى أنها قد تمتنع لأحد أمرين: إما لمصلحتك، فربما طلبت معجل أذى، وإما لذنوبك، فإن صاحب الذنوب بعيد عن الإجابة. فنظف طرق الإجابة من أوساخ المعاصي، وانظر فيما تطلبه، هل هو لإصلاح دينك، أو لمجرد هواك؟

فإن كان للهوى المجرد، فاعلم أن **من اللطف بك** والرحمة لك تعويقه، وأنت في إلحاحك بمثابة الطفل يطلب ما يؤذيه، فيمنع رفقا به.

وإن كان لصلاح دينك، فربما كانت المصلحة تأخيره، أو كان صلاح الدين بعدمه.

وفي الجملة، تدبير الحق عز وجل لك خير من تدبيرك، وقد يمنعك ما تهوى ابتلاء، ليبلو صبرك، فأره الصبر الجميل، تر عن

---

(١) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٩٧

قرب ما يسر.

ومتى نظفت طرق الإجابة عن أدران الذنوب، وصبرت على ما يقضيه لك، فكل ما يجري أصلح لك، عطاء كان أو منعا.." (١)

"يجلكم، وبمقدار تعظيم قدره واحترامه يعظم أقداركم وحرمتكم.

٦٣٩- ولقد رأيت -والله- من أنفق عمره في العلم، إلى أن كبرت سنه، ثم تعدى الحدود، فهان عند الخلق، وكانوا لا يلتفتون إليه، مع غزارة علمه، وقوة مجاهدته.

ولقد رأيت من كان يراقب الله -عز وجل- في صبوته١ مع قصوره بالإضافة إلى ذلك العالم -فعظم الله قدره في القلوب، حتى علقته٢ النفوس، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير.

ورأيت من كان يرى الاستقامة إذا استقام٣: فإذا زاغ، مال عنه **اللطف**. ولولا عموم الستر، وشمول رحمة الكريم، لافتضح هؤلاء المذكورون. غير أنه في الأغلب تأديب أو تلطب في العقاب، كما قيل:

ومن كان في سخطه محسنا ... فكيف يكون إذا ما رضي

غير أن العدل لا يحابي، وحاكم الجزاء لا يجور، وما يضيع عند الأمين شيء.

---

١ صبوته: صباه.

٢ علقته: أحبته.

٣ أي: يرى التوفيق إذا أطاع ربه.." (٢)

"بالأعداء إلى أن يمكن كسر شوكتهم، ولو لم يمكن ذاك، **كان اللطف سببا** في كف أكفهم عن الأذى وفيهم من يستحيي لحسن فعلك، فيتغير قلبه لك.

٨٦٠- وقد كان جماعة من السلف إذا بلغهم أن رجلا قد شتمهم، أهدوا إليه وأعطوه، فهم بالعاجل يكفون شره، ويحتالون في تقليب قلبه، ويقع بذلك لهم مهلة لتدبير الحيل عليه إن أرادوا. وكفى بالذهن الناظر إلى العواقب والتأمل لكل ممكن مؤدبا.." (٣)

"٢٢٩- فصل: من الصالحين من غلب عليه الرفق ومنهم من غلب عليه الخوف

١٠٥٠- قد سمعنا بجماعة من الصالحين عاملوا الله عز وجل على طريق السلامة والمحبة **واللطف**، فعاملهم كذلك؛ لأنهم لا يحتمل طبعهم غير ذلك، ففي الأوائل برخ العابد، خرج يستسقي، فقال [مناجيا الله] : ما هذا الذي لا نعرفه منك؟! اسقنا الساعة فسقوا.

---

(١) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٢٠٥

(٢) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٢٠٨

(٣) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٢٧٣

وفي الصحابة أنس بن النضر، يقول: والله، لا تكسر سن الربيع. فجرى الأمر كما قال، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره".

وهؤلاء قوم غلب عليهم **ملاحظة اللطف والرفق**، فلطف بهم، وأجروا على ما اعتقدوا.

١٠٥١- وهناك أعلى من هؤلاء، يسألون فلا يجابون، وهم بالمنع راضون، ليس لأحدهم انبساط، بل قد قيدهم الخوف، ونكس رؤوسهم الحذر، ولم يروا ألسنتهم أهلا للانبساط؛ فغاية آمالهم العفو، فإن انبسط أحدهم بسؤال، فلم ير الإجابة، عاد على نفسه بالتوبيخ، فقال: مثلك لا يجاب! وربما قال: لعل المصلحة في منعي. وهؤلاء الرجال حقا.

١٠٥٢- والأبله الذي يرى له من الحق أن يجاب؛ فإن لم يجب، تذمر في باطنه، كأنه يطلب أجرة عمله، وكأنه قد نفع الخالق بعبادته!

وإنما العبد حقا من يرضى ما يفعله الخالق، فإن سأل، فأجيب، رأى ذلك فضلا، وإن منع، رأى تصرف مالك في مملوك، فلم يجل في قلبه اعتراض بحال.." (١)

"١٠٧٠- ومما يقطع هذا الاحتجاج أن يقال لهذا القائل: إن الله سبحانه لم يكلفك شيئا إلا وعندك أدوات ذلك الفعل، ولك قدرة عليه؛ فإن كانت القدرة عليه معدومة، والأدوات غير محصلة، فلا أمر، ولا تكليف.

وإن كنت تسعى بتلك الأدوات في تحصيل غرضك وهواك، فاسع بها في إقامة مفروضك.

١٠٧١- مثال ذلك: أنك تسافر في طلب الربح، وتسأل الحج، فلا تفعل! ويقل عليك الانتباه بالليل، فلو أردت الخروج إلى العيد، انتبهت سحرا! وتقف في بعض أغراضك مع صديق تحادثه ساعات، فإذا وقفت في الصلاة، استعجلت، وثقل عليك!

١٠٧٢- فإياك إياك أن تتعلق بأمر لا حجة لك فيه! ثم من نصيبك ينقص، ومن حظك يضيع؛ فإنما تحرك لك، وإنما تحرض لنفعك، فبادر، فإنك مبادر بك! ومما يزيل كسلك -إن تأملته- أن تتخايل ثواب المجتهدين، وقد فاتك! ويكفي ذلك في توبيخ المقصر إن كانت له نفس، فأما الميت الهمة، فـ:

.... ما لجرح بميت إيلام١

١٠٧٣- كيف بك إذا قمت من قبرك، وقد قربت نجائب٢ النجاة لأقوام وتعثرت، وأسرعت أقدام الصالحين على الصراط وتخبطت؟! هيهات! ذهبت حلاوة البطالة، وبقيت مرارة الأسف، ونضب ماء كأس الكسل، وبقي رسول الندامة! وما قدر البقاء في الدنيا بالإضافة إلى دوام الآخرة؟! ثم ما قدر عمرك في الدنيا، ونصفه نوم، وباقيه غفلة؟

١٠٧٤- فيا خاطبا حور الجنة، وهو لا يملك فلسا من عزيمة! افتح عين الفكر في ضوء العبر، لعلك تبصر مواقع خطابك! فإن رأيت تثبيطا من الباطن، فاستغث بعون **اللطف**، وتنبه في الأسحار، لعلك تتلمح ركب الأرباح! وتعلق على

---

(١) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٣٢٥

١ عجز بيت للمتنبي، وصدره: "من يهن يسهل الهوان عليه"، ديوانه ص "١٤٩".

٢ النجائب: كرام الإبل.." (١)

"١٤٩٩- فترى في الناس من يتزهد، وقد ربي جسده على الترف، فيعرض عما ألفه، فتجد له الأمراض، فتقطعه عن كثير من العبادات، وقد قيل: عودوا كل بدن ما اعتاد! وقد قرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضب، فقال: "أجدني أعافه؛ لأنه ليس بأرض قومي" ١.

١٥٠٠- وفي حديث الهجرة: أن أبا بكر رضي الله عنه طلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الظل، وفرش له فروة، وصب على القدح الذي فيه اللبن ماء حتى برد.

١٥٠١- وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم، فقال: "إن كان عندكم ماء بات في شن؛ وإلا كرعنا". وكان صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الدجاج. وفي "الصحيح": أنه كان يحب الحلوى والعسل. وكان إذا لم يقدر، أكل ما حضر.

١٥٠٢- ولعمري، إن في العرب وأهل السواد٢ من لا يؤثر عنده التخشن في المطعم والملبس، وذاك إذا جرى بعد توبته على عادته؛ لم يستضر. فأما من قد ألف **اللطف**؛ فإنه إذا غير حالته، تغير بدنه، وقلت عباداته.

١٥٠٣- وقد كان الحسن٣ يديم أكل اللحم، ويقول: لا رغيفي مالك٤، ولا صحني فرقد٥.

١٥٠٤- وكان ابن سيرين لا يخلي منزله من حلوى. وكان سفيان الثوري يسافر، وفي سفرته الحمل المشوي والفالوذج. وقالت رابعة: ما أرى لبدن يراد به العمل لله إذا أكل الفالوذج عيبا.

فمن ألف الترف؛ فينبغي أن يتطلف بنفسه إذا أمكنه.

١٥٠٥- وقد عرفت هذا من نفسي، فإني ربيت في ترف، فلما ابتدأت في التقلل وهجر المشتهى، أثر معي مرضا، قطعني عن كثير من التعبد، حتى إني قرأت

---

١ رواه البخاري "٥٥٣٧"، ومسلم "١٩٤٦" عن ابن عباس رضي الله عنه.

٢ جنوب العراق: وحده من حديثة الموصل إلى عبادان طولا، ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضا، وسمي سوادا لخضرته.

٣ هو البصري.

٤ مالك بن دينار.

٥ فرقد السبخي.." (٢)

"٣٥٥- فصل: محاسبة النفس قبل أن تحاسب

١٥٧٠- تفكرت في نفسي يوما تفكر محقق، فحاسبتها قبل أن تحاسب، ووزنتها قبل أن توزن، **فرأيت اللطف الرباني**:

---

(١) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٣٣٠

(٢) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٤٥٩

فمنذ الطفولة وإلى الآن أرى لطفا بعد لطف، وسترا على قبيح، وعفوا عما يوجب عقوبة، وما أرى لذلك شكرا إلا باللسان!

١٥٧١- ولقد تفكرت في خطايا، لو عوقبت ببعضها؛ لهلكت سريعا، ولو كشف للناس بعضها، لاستحييت.

ولا يعتقد معتقد عند سماع هذا أنها من كبائر الذنوب، حتى يظن في ما يظن في الفساق؛ بل هي ذنوب قبيحة في حق مثلي، وقعت بتأويلات فاسدة فصرت إذا دعوت، أقول: اللهم! بحمدك وسترك علي اغفر لي!

١٥٧٢- ثم طالبت نفسي بالشكر على ذلك؛ فما وجدته كما ينبغي. ثم أنا أتقاضى القدر مراداتي، ولا أتقاضى نفسي بصبر على مكروه، ولا بشكر على نعمة.

فأخذت أنوح على تقصيري في شكر المنعم، وكوني أتلذذ بإيراد العلم من غير تحقيق عمل به.." (١)

"(واحذر الأخرى لهول ... يومه يوم عصيب)

(يوم لا يسلم مغرور ... ولا ينجو مريب)

(أطع الناصح إذ ناداك ... فالموت عجيب)

(كم ترى نسمعك النصح ... وكم لا تستجيب)

يا من لا يتعظ بسلف آبائه ، يا من لا يعتبر بتلف أو دائه ، يا أسير أغراضه وقتيل أهوائه ، يا من عجزت الأطباء عن إصلاح دائه ، يا مشغولا بذكر بقائه عن ذكر فنائه ، يا مغرورا قد حل الممات بفنائه ، يا معجبا بثوب صحته يمشي في خيلائه ، يا معرضا عن نصيحه مشمتا لأعدائه ، يا من يلهو بأمله ، ويا من أجله من ورائه ، يجمع العيب إلى الشيب وهذا من أقبح رائه ، كم رأيت مستلبا من سرور ونعمائه ، كم شاهدت مأخوذا عن أحبابه وأبنائه ، بينا هو في غروره دب الموت في أعضائه ، بينا جرع اللذة فيه شرق بمائه ، بينا ناظر النظير يعجبه صار عبرة لنظرائه ، ماله ضيع ماله وبقي في بلائه.

(باتت همومي تسري طوارقها ... اأكف عيني والدمع سابقها)

(هما طريقان فائز دخل الجنة ... حفت به حدائقها)

(وفرقة في الجحيم مع تبع الشيطان ... يشقى بها موافقها)

(اقترب الوعد والقلوب إلى اللهو ... وحب الحياة سائقها)

(ما رغبة النفس في البقاء وإن ... عاشت قليلا فالموت لاحقها)

(أيامها غاية إليه ويحدوها ... حثيثا إليه سائقها)

(وكل ما جمعت وأعجبها ... من عيشها مرة مفارقها)

(يوشك من فر من منيته ... في بعض غراته يوافقها)

(من لم يمت عبطة يمت هرما ... للموت كأس والمرء ذائقها)

---

(١) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٤٧٤

يا من تجبر على مولاه وتمرد ، واستل سيف البغي وجرد ، كم ينعم عليك فتنسى وتجحد ، كم تشيع من ميت وترى لحد ملحد ، يا قليل الزاد وألوية الرحيل تعقد ، يا من بين يديه النار بالأحجار توقد ، **ينزل اللطف في** جمع." (١)

"ليلة بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش. فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحيل فلمست صدري فإذا عقد من جزع أظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي ، فحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه. قالت: وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم ، إنما يأكلن العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه ، كنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا.

ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ،

فيممت منزلي الذي كنت فيه فظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني ، وقد كان يراني قبل أن يضرب علي الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته فوطىء على يدها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في حر الظهيرة ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولى كبره عبد الله ابن أبي بن سلول.

فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهرا ، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه **وسلم اللطف الذي** كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ فذاك يريبني ولا أشعر بالشر ، حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه ، وكنا نتأذى بأكنفات أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا." (٢)

"المجلس الأول

يذكر فيه خلق ابن آدم الحمد لله الخالق بقدرته ما دب ودرج، الفاتق بصنعته ما التأم وارتتج، الراتق بحكمته ما افترق وانفرج، الدال على وحدانيته بالبراهين والحجج، أنشأ الأبدان من النطف وحفظ فيها المهج، ونور العيون فأحسن في تركيبها الدعج، وأنطق اللسان فأبان سبل المراد ونهج، وعلم الإنسان البيان فإذا خاصم فلج، بقدرته سكن المتحرك فما زال ولا اختلج، ولهيبته تحرك الساكن فتغير وانزعج، **طوى اللطف في** تكاليف الخلائق ودرج " وما جعل عليكم في الدين من حرج " خلق البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ومرج، واستخرج بدائع الودائع من بواطن اللجج، وعلم ما ظهر في الأرض ورأى ما فيها ولج، بصير يرى جريان الدماء في باطن الودج، سميع يدرك بسمعه صوت الباكي إذا نشج، لا يخفى على بصره في

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ١/٤٦٦

(٢) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ١/٤٦٩

سواد الليل سواد الثبج ولا يعزب عن سمعه أنين المدنف يرجو الفرج، أنزل كلاما قديما من ورد بحره ارتوى وابتهج، قرآنا عربيا غير ذي عوج. أحمده حمد من جمع المحامد في حمده ودرج، وأشهد أنه العظيم القدر الرفيع الدرج، وأصلي على رسوله محمد الذي إلى قاب قوسين عرج، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي لا يبغضه إلا الرعاع الهمج، وعلى عمر الذي يفوح من ذكره أذكى الأرج، وعلى عثمان الذي جمع الإنفاق إلى الصهر فازدوج، وعلى علي المجمع على حبه فإن خرج شخص من الإجماع خرج، وعلى عمه العباس الذي افتخر به بيت الخلافة وابتهج.." (١)

"في همهمة له تعلق بي فتعلقت به فأخرجني فنظرت فإذا هو سبع فهتف بي هاتف وهو يقول يا أبا حمزة أليس ذا حسن نجيناك من التلف بالتلف أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو القاسم رضوان بن محمد بن الحسن الدينوري قال سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابوري

يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن نعيم يحكي عن أبي حمزة الصوفي الدمشقي أنه لما خرج من البئر أنشد يقول:

نهائي حيائي منك أن أكشف الهوى ... فأغنيتني بالقرب منك عن الكشف

ترأيت لي بالغيب حتى كأنني ... تبشرني بالغيب إنك في الكف

أراك وبي من هيبتي لك وحشة ... وتؤنسني بالعطف منك وباللطف

وتحيىء محبا أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

قال المصنف رحمه الله قلت اختلفوا في أبي حمزة هذا الواقع في البئر فقال أبو عبد الرحمن السلمي هو أبو حمزة هذا الواقع في البئر فقال أبو عبد الرحمن السلمي هو أبو حمزة الخراساني وكان من أقران الجنيد وقد ذكرنا في رواية أخرى أنه دمشقي وقال أبو نعيم الحافظ هو أبو حمزة البغدادي واسمه محمد بن إبراهيم وذكره الخطيب في تاريخه وذكر له هذه الحكاية وأيهم كان فهو مخطىء في فعله مخالف للشرع بسكوته معين بصمته على نفسه وقد كان يجب عليه أن يصيح ويمنع من طم البئر كما يجب عليه أن يدفع عن نفسه من يقصد قتله وقوله لا أستغيث كقول القائل لا آكل الطعام ولا أشرب الماء وهذا جهل من فاعله ومخالفة الحكمة في وضع الدنيا فإن الله تعالى وضع الأشياء على حكمة فوضع للآدمي يدا يدافع بها ولسانا ينطق به وعقلا يهديه إلى دفع المضار واجتلاب المصالح وجعل الأغذية والأدوية لمصلحة الآدميين فمن أعرض عن استعمال ما خلق له وأرشد إليه فقد رفض أمر الشرع وعطل حكمة الصانع فإن قال جاهل فكيف أحترز مع أمر القدر قلنا وكيف لا يحترز مع أمر المقدر وقد قال الله تعالى: ﴿خذوا حذركم﴾ وقد اختفى النبي صلى الله عليه وسلم في الغار وقال لسراقة: "اخف عنا" واستأجر دليلا إلى المدينة ولم يقل اخرج على التوكل وما زال ببدنه مع الأسباب وبقلبه مع المسبب وقد أحكمنا هذا الأصل فيما تقدم وقول أبي حمزة فنوديت من باطني هذا من حديث النفس الجاهلة التي قد استقر عندها بالجهل أن التوكل ترك التمسك بالأسباب لأن الشرع لا يطلب من الإنسان ما نهاه عنه وهلا نافره باطنه في مديده وتعليقه بذلك المتدلي إليه وتمسكه به فإن ذلك أيضا نقض لما ادعاه من ترك الأسباب الذي يسميه التوكل لأنه أي فرق بين قوله أنا في

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ١٤٩/٢

البئر وبين تمسكه بما تدلى عليه لا بل هذا آكد لأن الفعل آكد من القول فهلا سكت حتى يحمل بلا سبب فإن قال هذا." (١)

"به تورث الخوف والخشية قال الله عز وجل: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: " أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية" ولما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم واتفق لبعضهم **من اللطف ما** يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الفضل محمد بن علي السهلكي قال سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازي يقول ثنا أبو بكر عمر بن يمن ثنا أبو عمر الرهاوي ثنا أحمد بن محمد الجزري قال سمعت أبا موسى الدئيلي يقول سمعت أبا يزيد البسطامي يقول وددت أن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم فسأله رجل ولم ذاك يا أبا يزيد فقال إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد فأكون رحمة للخلق أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعد بن أبي صادق ثنا ابن باكويه ناابراهيم بن محمد ني حسن بن علوية ني طيفور بن عيسى ني أبو موسى الشبلي قال سمعت أبا يزيد يقول إذا كان يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فاسأله أن يدخلني النار فقيل له لم قال حتى تعلم الخلائق أن بره ولطفه في النار مع أوليائه.

قال المصنف رحمه الله: هذا الكلام من أقبح الأقوال لأنه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار فإنه عز وجل بالغ في وصفها فقال: ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ وقال: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ إلى غير ذلك من الآيات وقد أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن أعين ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا إسماعيل ثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم" قالوا له الصحابة والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال: "فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها" أخرجاه في الصحيحين وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها" أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا أبو علي التميمي نا أبو بكر بن مالة ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي بهز بن أسد ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن زيد عن مطرف عن كعب قال قال عمر بن الخطاب يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدرأت عملك مما ترى فأطرق عمر رضي الله عنه مليا ثم أفاق قال زدنا يا كعب قلت يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فأطرق عمر مليا ثم أفاق فقال زدنا يا." (٢)

"والذنوب وينفس الله عن الحزين المكروب يقول المولى جل جلاله لملائكته يا ملائكتي انظروا إلى الألسن اليابسة كيف تبتل بذكري انظروا إلى الأحداق الصلبة كيف تدمع من خوفي انظروا إلى الأقدام المنعمة تنصب في المحاريب ابتغاء

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/٢٧٠

(٢) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/٣٠٢

وجهي يا أخي متى أطعمت في هذا الشهر لله رب الأرض والسموات رفعت إلى الدرجات العالية في قرار الجنات وحصلت مع مولاك مكسيا من الحسنات عريانا من السيئات

٣٦٦ – تقسيم الصوم والصائمين

والصوم ثلاثة صوم الروح وهو قصر الأمل وصوم العقل وهو مخالفة الهوى

وصوم الجوارح وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع

يا أخي من صام عن الطعام والشراب فصومه عادة ومن صام عن الربا والحرام وأفطر على الحلال من الطعام فصومه عدة وعبادة ومن صام عن الذنوب والعصيان وأفطر على طاعة الرحمن فهو صائم رضي ومن صام عن القبائح وأفطر على التوبة لعلام الغيوب فهو صائم تقي ومن صام عن الغيبة والبهتان وأفطر على تلاوة القرآن فهو صائم رشيد ومن صام عن المنكر والإغيار وأفطر على الفكرة والاعتبار فهو صائم سعيد ومن صام عن الرياء والانتقاص وأفطر على التواضع والإخلاص فهو صائم سالم ومن صام على خلاف النفس والهوى وأفطر على الشكر والرضا فهو صائم غانم ومن صام عن قبيح أفعاله وأفطر على تقصير آماله فهو صائم مشاهد ومن صام عن طول أمله وأفطر على تقريب أجله فهو صائم زاهد

قال الله تعالى ﴿فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ البقرة ١٨٤ يا أخي هذه رحمة مولاك رضي أن ينقص من حقه لئلا ينقص من نفسك وهذه **غاية اللطف من** مولاك

رخص لك أن تفطر الأيام الطوال بالعذر ورخص لك أن تفطر متتابعا وتقضي إن شئت متفرقا ليسهل عليك وتصوم الأيام القصار عوضا عن الأيام الطوال وهذا الرفق

٣٦٧ – تمثيل الشهور كأخوة يوسف

قبل الشهور الإثني عشر كمثل أولاد يعقوب عليه وعليهم السلام

وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب." (١)

"(صلوا على المصطفى زلفى تقربكم ... إن الصلاة عليه خير ما اكتسبا)

(أعلا الأنام على في جلالته ... واشرف الخلق منسوبا إذا انتسبا)

(وأسرع الناس يوم العرض مغفرة ... إذا العقاب بدا للخلق وانتصبا)

حكي عن الشبلي رحمه الله تعالى أنه قال مات رجل من جيراني فرايته في المنام فسألته عن حاله

فقال يا شبلي مرت بي أهوال عظام وذلك أنه لما سئلت تلجلج لساني عند السؤال منه جاءني الملكان وأراد أحدهما أن يبادرني بالعذاب إذا أنا بشخص جميل ما رأيت أجمل منه وجها فحال بيني وبينهما فقلت له من أنت من بعد ما لقنني

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ابن الجوزي ص/٢٣٠

حجتي فقال أنا ملك خلقني الله من ثواب الصلاة على محمد وأنت كنت تكثر الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم لأخلصنك بإذن الله من جميع الأحزان ومن عذاب النيران ولا ابارحك حتى أدخلك الجنة برحمة الله

فالله الله عباد الله لا تملوا من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم زين العباد الذي خلصنا به من حر جهنم وبئس المهاد وأنشدوا

(من كان يكثر بالصلاة ... مؤملا فضل النبي)

(أعطاه رب محمد ... عونا **من اللطف الخفي**)

أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى صلى الله عليه وسلم يا موسى إن أردت أن أكون إليك أقرب من لسانك إلى كلامك ومن نور بصرك إلى عينك ومن سمعك إلى أذنك فأكثر من الصلاة على حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم

وأنشدوا

(صلى الإله على النبي محمد ... خير الأنام وجاءه التنزيل)

(وبفضله نطق الكتاب وبينت ... بصفاته التوراة والإنجيل)

(ذاك النبي الهاشمي المصطفى ... قد جاءه الترفيع والتفضيل)

(أسرى به المولى إلى أفق السما ... فوق البراق وعنده جبريل)

٤٣٦ – عجيبة

روي عن محمد بن النعمان رضي الله عنه أنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه فتى من الأنصار في حاجة فوسع له رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر لعلك يشق عليك أن أجلست." (١)

"تكتم علي. قلت: نعم. قال: سفيان الثوري.

لله در أقوام أفناهم شهوده عن وجودهم، فحالهم لشوقه مستديم، أقطعهم إقليم الكرى ما أبعده من إقليم، حماهم عن الأغيار غيرة عليهم، وخلع عليهم حلل الرضا والتسليم، سقاهم مدام الإلهام، فيا له من مدام، ويا له من نديم، أسبل على المعاصي ستره، ليعود إلى بابه الكريم، تقرب برحمته للمذنبين، ليسكن روع المفلس من الطاعة العديم، أرسل إليه **رسائل اللطف على** يدي رسول كريم: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ الزمر ٥٣.

وأنشدوا:

ألا قف بباب الجود واقرعه نادما ... تجده متى جئته غير مرتج

وقل عبد سوء خوفته ذنوبه ... فمد إليكم ضارعا كف مرتجي

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ابن الجوزي ص/٢٨٢

ويروى عن أبي ريحانة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ركب البحر، فكان يخيط في السفينة، فسقطت إبرته، فقال: أعزم عليك يا رب إلا رددت علي إبرتي، فظهرت له حتى أخذها بيده.

قال: واشتد عليهم البحر، فقال له: اسكن، إنما أنت عبد حبشي، فسكن حتى صار مثل الزيت، رضي الله عنه، ونفعنا ببركاته.

***." (١)

"من المرض ما يكون كفارة لذنوبه ويذكره الموت فيوصي ويتسلى أهل بيته بمعالجته في مرضه

فصل

وأما قول إبليس ما وجه هذا التعذيب وهو قادر **على اللطف فجوابه** من وجهين

أحدهما أن هذا الاعتراض على المالك وأفعاله سبحانه لا تعلل وفرض العقل أن يسلم فإنه امتحن الأبدان بالأعمال الشاقة وابتلى العقول بما لا تفهمه ليسلم مثل إيلام الحيوان ورجم الزاني وغير ذلك

فينبغي أن يلاحظ عظمة المتصرف ويعلم كمال حكمته وذلك يوجب الاستطراح لقضائه والتسليم لأمره ويلزمه أن يستحق ما يفعله الحق لعلمه بكمال الحكمة

والعقل ضرب من العلوم الضرورية فحده إدراك المعلومات وليس من ضرورته أن يدرك الحسن والقبيح كما أنه ليس في قوة الحواس المدركة للأشياء من المطاعم والمشارب أن يعلم مضارها ومنافعها

فالاعتراض عليه من أقبح الأحوال وإنما يعترض من يقيس صفته بصفات المخلوقين

مثاله أن يسمع أنه أرحم الراحمين فيطلب الرحمة التي يجدها من المخلوقين فيراه قد سلط الأعداء على الأولياء والجوارح على." (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الأمة علم الأئمة، ناصر السنة، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي - رحمة الله عليه - الحمد لله على الإنعام السرمد، والصلاة على نبيه أحمد، وعلى من صحبه وتبعه من أحمر وأسود - هذه خطب أنشأتها منتقاة مما كنت أرتجله وتكتب عني في مجالس وعظي على آيات تقرأ بين يدي في الحال، جمعتها من الملتقطين لها، وألفتها على حروف المعجم والله الموفق.

حرف الألف

الخطبة الأولى الحمد لله الذي بيده الإيجاد والإنشاء، والإنجاد والإعطاء، والأمانة والإحياء، والإعادة والإبداء، والإنعام والآلاء، والحط والعلاء، والرخص والغلاء، والعافية والبلاء، والداء والدواء، خلق الإنسان وخلقت له الأشياء، فمن خلقه كانت الأرض والسماء، وهبت الريح وجرى الماء، وتكون الصباح والمساء، وعلمه الخط فجاء الهجاء، الألف والباء والتاء

---

(١) بحر الدموع ابن الجوزي ص/١٠٨

(٢) الثبات عند الممات ابن الجوزي ص/٦٠

والثاء، والجيم والحاء والخاء، والدال والذال والراء والزاء، والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء، والعين والغين والفاء والقاف والكاف والميم والنون والواو والهاء، واللام الألف، والياء، ولقنه الإقرار بالقدر فالمنع منه والعطاء (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء. وتنزع الملك ممن تشاء) يا لها من كلمات ما اهتدى إليها الفصحاء، تأثيرها عند الحساد الأسى والبرحاء والصعداء، وأين هم وقع فيهم يا ابن حلا الجلاء.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنشأ الآدمي من ماء مهين ضعيف وقوى، وغربل اللبن **بغربال اللطف وروى**، وفتق معاه للقوت فتقوى، بصنعته استدار المصير وتحوى، وبشكر نعمته سجد المصلي وخوى، يصوركم في الأرحام ولا يدرى آدم ولا حواء، وينزل القطر إذا شاء فيبهت السماك والعوى، واها لفصاحتي شوت أكباد حسدتي فلا بطل الشوى، لا ينسى رزق الحمل ولا يهمل قوت النمل ولا الحيات في الرمل تطوى، أجل فكرك في أركانك وتدبر بناء بنانك ويكفي في العبر نطق لسانك كلما تلوى، فإذا عرفت ما أنعم به وأبلى، وتيقنت ما أسدى وأولى، (سبح اسم ربك الأعلى، الذي خلق فسوى) .

الخطبة الثالثة

الحمد لله الذي جل وجلى، ودفع عمن لطف به كلا، وتقدس عن مثل وشبه كلا، يراه المؤمنون في الجنة إذا تجلى، ويضرب الكافر بصوت القلى فيتقلى، فيقال: ألا كان هذا قبل هذا ألا، (قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى) ،أحمده حمد عنا تبلا ولا تبلى، وعلى جميع أصحابه وأبو بكر قبلا، وعلى عمر الذي لم تدع هيبته لكسرى عقلا، وعلى عثمان الذي فضله من الشمس أحلى، وعلى علي الذي ما أقدم قط فتولى، أفيدعي أنه يحبه ونبغضه نحن ألا، على عمه العباس الذي أصبح السحاب ببركته مستهلا، جد سيدنا ومولانا الإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين – رحمة الله عليه – الذي أمطر جود جوده وبلا لا طلا، لا ينتفع من خرج عن طاعته وإن صام وصلى، صلى من حيث سبق المتقدمين وكلهم لسبق سيرته صلى، يا لها من كلمات ملأت شرق الفصاحة وغربها وخصت نحر معلى.

الخطبة الرابعة

الحمد لله سامع السر والنجوى، وكاشف الضر والبلوى، ومغيث المتلهف قبل الشكوى، ومبلغ المؤمل غاية أمله القصوى، يسوق الرزق في البر إلى الذر والأروى، كم أعطش عدله وكم أغبق فضله وأروى، من تفكر في ذاته وقع بعيد المهوى، ومن خالفه باتباع هواه ضره ما يهوى، لا ينظر إلى صور الأعمال وإنما يناله التقوى، مد أمد الحلم عن فرعون وقد أضل وأغوى، إلى أن غرق يوم اليم أين المنقلب والمثوى، كم آية صرحت وكم زاجرة لوحت فلم ينتفع بالصريح ولا الفحوى، بليت جوارحه وبقيت مقابحه تروى، وييبس زرعه فخلا ربعه وأقوى، وكم أهلكت الذنوب من كان أكثر منه وأقوى، (وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى، والمؤتفكة أهوى) .

حرف الباء

الخطبة الأولى." (١)

---

(١) اللآلي ابن الجوزي ص/١

"الحمد لله الذي بيده الخسر والربح، والصبر والنجح، والغضب والصلح، والدجى والصبح، يبصر الذر ولا يمنعه الجنح، ويكون الشيء ولا يسبقه اللمح، له الحمد والثناء والمدح، ومنه يرجى العفو ويطلب الصفح، قضاءه ينيل الأغراض لا الكدح، فهم سليمان الحكم إذ نفش السرح، فغلب الخلق ومن قهره الصرح، أسعد وأشقى وأفقر وأغنى ويطول الشرح، والناس كالأرض فمنها الحزن والسهل العذب والملح، والطباع مختلفة ففيها الكرم والشح، والأيدي متفاوتة فمنها الشح والسمح، علق القصاص بالحد فسهل القتل والجرح، وأثاب الخليل بالتسليم وما جرى الذبح، فمن أراح لحاق الفاضلين صبر وآيس ذا بالإلزام والطرح، (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بسط الأرض الأريضة الفسيحة، وقدر الأعمال والأقوال الفصيحة، الحسنة والقبيحة، وخاطب فتكاليفه خاطره ومبيحة، وحمل عبء التعب فما نفس عاقل مستريحة، حرم الميتة والمخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، وتدارك جسد الآدمي لئلا ينحل وينحل فأحل له الذبيحة، أنعم فكم أسدى نعمة وكم أعطى منيحة، وزجر فرد بمواعظه إلى الصواب القلوب المشيحه، وعرض العباد لمعاملته فمتاجرته بيحه، جزيل العطا فربما وهب الجنة بتسبيحه، قضى الديون وفك الرهون فأقر العيون القريحة، وفارق بين الخلائق في الأحداق فأبلد وذو قريحه، أقام البراهين على وحدانيته فالدلالات مريحة، ظاهرة الأبصار بادية للأفكار صريحة، لقد تجلى لخلقه بخلقه فجحده وجوده فضيحة، الصامت يدل بحالاته والناطق بمقالاته الفصيحة، كم أبرز عروس غروس عروش مليحة، وكم أخرج وجوها من النبات على اختلاف الألوان صبيحة، وكم أقام الورق على الورق تصدح وتمدح فاسمع تمديحه، والنرجس الشيحه والطير في بحر الهدى تخرق بمجاذيف أجنحتها ريحه، وما من منذر إلا وتصيح على باب دار الهوى نصيحه، وكل مخلوق في الأرض والطول والعرض، (ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) .

حرف الدال

الخطبة الأولى الحمد لله المتفرد بالوحدة وحده، الذي رغب فيما عنده عبده، منعه الذي يؤذيه بالتحريم وصدهن وما حرم شيئا إلا وأباح من جنسه عده، رباه **باللطف** فلما بلغ أشده، أجاز له النكاح لدفع تلك الشدة، فإن لم يقنع الهوى بالمباح فليخبر بقصر المده، فإن أهجر من هجر فما الزجر حتى فقدحه حده (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يذل لعزته المتجبر ويعيده، ويتواضع لعظمته المتكبر ويسجد، ويقوم في خدمته من يقوم له الناس ويقعد، ويسهر في طاعته من يرجو حسن إثابته ولا يرقد، إذا دخل الداخل في العمل له يفسد، وإذا قصدت به أسواق الخلق يكسد، يجل كلامه عن أن يقال مخلوق ويبعد، جد جد التسليم لصفاته مستقيم الجد جد، وكرمه سياح فلا يحتاج إلى أن يقال جد جد، من شبه أو عطل ولم يرشد، ما جاء في القرآن قبلنا أو في السنة لم يردد، فأما أن تقول في الخالق برأيك فاشك بتردد، ألساني يملي أم داود يسرد، وكيف لا أتفقد العقائد لأدفع الضير، فإن سليمان تفقد الطير، (فقال مالي لا

أرى الهدهد) ، في قلوب أحبابي فرحات، وفي قولب حسادي قرحات تنفد، كلامي للأمراض يشفي وللأعداء يشقي فمن أعجبه غرفي فليرد، ما يربح حسادي، فإني في الوادي، الذي لا ازرع أحصد.

الخطبة الثالثة

الحمد لله الذي تسبحه الأعيان المائعة والجامده، والعيون الجارية والراكدة، والعيون المتيقظة والراقده، والقلوب القلقة والبارده، أسجد الملائكة لآدم لا إنها عائده، ونجى نوحا وغرق الأمم الجاحده، وسلم الخليل يوم النار فأصبحت خامدة، وكلم موسى كفاحا واعظم بها فائدة، وأحيا الموتى لعيسى وأنزل المائدة، وقدم محمدا فما ولدت مثله والده، ودحر الشياطين لمبعثه فذلت المارده، وأطلق سيوفه في أعدائه فأصبحت حاصده، وجعل أمته على الأمم قبلها شاهده، فاشكروه فقد أحبكم واحمدوه، إذ أعذب شربكم. (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) .

الخطبة الرابعة." (١)

"الحمد لله الذي تسبحه الأجسام بنين أو نقضن، والأجساد عوفين أو مرضن، والكواكب رمين العدو أو اضن، والهوام ولدن أو بضن، والطير صافات في الهوى ويقبضن، والهموم غلبن فانهضن أو غلبن علم حال مجال الأولاد زدن أو غضن، وجعل حيض المعتدات كتنظيف الأواني فكأنهن رخصن إذ حضن. (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن) .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أظهر دليل وحدانيته لأهل معرفته وآياته، وجلى حجة وجوده على أرباب جحوده وجلى برهانه، ابتعث السحاب يميس إلى الغصن اليبيس فلانه، وكان البذر في يوم ثقيل ففتح أجفانه، ولبس ميت كل حفرة ثياب خضرة ورمى أكفانه، فبث الربيع روحه وريحانه، ونش الفنون على الأفنان وكسا مردانه، وماست في ألوان الحلل كل شجرة كانت عريانه، ومنح اللينوفر لون الوجل والياسمين صفرة الخجل وأوقد في الجلنار نيرانه، ففتح الجنبد فاه لكأس الطل ونسي إخوانه، وماعلم الورد الوغد أن الدهور خوانه، وصعدت الورق على منابر الورق وركبت أغصانه، وضربت عيدان شجوها لما علت عيدانه، فأزعجت قلب المشوق وهيجت أحزانه، فتمايل طربا كأنه نشوان خرج من حانه، وقوى خمار المحب فأظهر سره وإعلانه، فبينما الربيع يميس في حلل الوصال نوى الزمان هجرانه، فتولى لما تولى البرد ومن يرد أحيانه، كذلك تجيء الآخرة وتذهب الدنيا الفتانه، يأتي بتلك الدار من أظهر في هذه الديار سلطانه، أو يقدر سواه على تقلب الأحوال أو يشكر مخلوق إحسانه، (الله الذي خلقكم ثم رزقضكم ثم يميتكم ثم يحييكم) هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه، أحمده حمد من تولاه وأصلح شانه، وأصلي على رسوله الذي طوى الدواوين كلها وأبقى ديوانه، وعلى أبي بكر الذي آنسه في الغار وصلى مكانه، وعلى عمر الذي أذل كسرى وأقطع إيوانه، وعلى عثمان الذي جهز جيش العسرة ومانة، وعلى علي الذي قلوب أهل السنة إليه حنانه، وعلى عمه العباس الكبير القدر العظيم المكانه، زينت به قريش وافتخرت كنانه، جد سيدنا ومولانا الإمام المستضيء بالله أمير المؤمنين أدام الله عزه وسلطانه، رامي الأعداء بالرعب وما نثل كنانه، سبق

(١) اللآلي ابن الجوزي ص/٥

القدماء بالجود وهل تسبق الريح الهفانه، لو صاح بين الخلفاء منادي سلع الكرم خرج وأمانه، لسلموها إليه ورأوا بذل ما لم يجدوا خيانه، طم بحر فضله حتى أروى أهل الزمانة، وعضده وأعانه، فاجتلوها من خدرها عفيفة عن الابتذال بالصيانه، لم تقلب على أيدي التجار فيقال خطبة خمانة، هل سمعتم مثلها أمانة في أعناقكم أمانه، لا أباهي بها علماء الزمان بل ساكني الجبانه، لو وضع علمهم في كفة القبان كان لفظي الرمانه.

الخطبة الثالثة

الحمد لله الذي حرك ضروب العزائم في أرض المجاهدة فضربن، وأعان أقدام العارفين فجبن بيد لواجبات وجبن واجبن فانتجبن، جنود الجد لقطع مسافات الهوى فأنجبن، وأنهض همم العاملين فنصبن وانتصبن فأثبن لما وثبن، وأزعج بالوعيد نفوس الخائفين فانتدبن لذكر الزلل لما بدين، ونثر العطايا على المؤمنين والمؤمنات فأصابوا وأصبن، وفضل الرجال في الجملة على النساء وإن فهمن وتأدبن، ورب ناقصة تمت وقد يصعدن وإن رسبن، فليرض كل بالقضاء فبالآفات لا بالذوات ترى الغبن، ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض، (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) .

حرف الواو

الحمد لله المقدس عن الأبوة المنزه عن البنوه، العزيز ذي البطش والقوة، الكريم فأياديه مرجوه، نقش النطفة وهي في القرار مخبوة، فإذا هي لعجائب النعم محبوه، وحصن العين بالدعج والشفة بالحوه، ورقى الطفل **باللطف** إلى مرتبة الصبوة، ثم نقله إلى الكهولة يهوي في هوه، وفاوت في المعاني بين أهل النبوة والبنوة، وقد شرحت حالة الإنشاء في الآية المقروة. (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة) .

حرف الهاء." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم الحافظ، إمام وقته، وفريد عصره، وعلامة دهره، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: الحمد لله على ما يوليه، حمدا يرضيه، وصلى الله على من اجتمعت كل المعالم فيه، وقرن اسمه باسم الحق عند الذكر ويكفيه، وعلى آله وأصحابه وتابعيه.

هذا الكتاب رقت عباراته، ودقت إشارته، نثرته عند الإملاء نثرا من فنون، فهو نصيب أكف لا تلتقط الدون، جعلته طرازا على ثوب الوعظ، وفصا لخاتم اللفظ، يعمل في القلب قبل السمع، وإلى الله الرغبة في النفع.

الفصل الأول

؟ في قوله تعالى هو الأول والآخر

لا بصفة الأول يحكم له مبدأ، ولا بالآخر صار له منتهى، ولا من الظاهر فهم له شح، ولا من الباطن تعطل له وصف، خرست في حضرة القدس صولة لم؟ وكفت لهيبة الحق كف كيف؟ وغشيت لأنوار العزة عين عين الفكرة، فأقدام الطلب واقفة على حمى التسليم، جل عن أشباه وأمثال، وتقدس عن أن تضرب له الأمثال، وإنما يقع الإشتباه والإشكال، في حق

---

(١) اللآلي ابن الجوزي ص/١٤

من له أنداد وأشكال، المشبه ملوثن بفرث التجسيم، والمعطل نجس بدم الجحود، ونصيب المحق من بين فرث ودم لبن خالص، هو المتنزه لا يقال: لم لفعله؟ ولا متى لكونه؟ ولا فيم لذاته؟ ولا كيف لوصفه؟ ليس في صفاته أين؟ ولا مما يدخل في أحديته من طالع مرآة صمديته دلته صفاتها على التنزيه، وعلم أنه لا ينطبع فيها شبح الشريك، ولا خيال التشبيه. (تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله فتهلكوا) إذا استقبل الرمد الريح فقد تعرض لزيادة الرمد.

جاء البعوض إلى " سليمان " عليه السلام يشكو من الريح، فاستحضر سليمان الريح، فذهب البعوض، فقال " سليمان " إلى أين؟ فقال: لو كان لي قوة الثبوت معها ما شكوت منها.

الفصل الثاني

في ذكر نبينا عليه الصلاة والسلام لما رأى نبينا صلى الله عليه وسلم تخليط القوم في دعوى الشركن فر في بادية العرب، فتحرى غار حراء للفراغ، فراغ إليه، فجاء مزاحم اقرأ يا راهب الصمت، تكلم لسان العجز البشري: لست بقارىء، أنا بالأمس في حجر حجر حليمة، ودخلت في موت أبي في كفالة أبي طالب، فحم لما حم، فزمزم بلطف زملوني، فعاد طيف اللطف ينعت الراقد: (يا أيها المزمل) قم يا أطيب ثماركن، يا محمولا عليه ثقل قل، يا من خلع عليه خلعة (قم فأنذر) ومن تحركت لتعظيمه السواكن فحن إليه الجذع، وكلمه الذئب، وسبح في كفه الحصا، وتزلزل له الجبل، كل كنى عن شوقه بلسانه. عجب القوم من علو منزلته، فقالوا بألسنة الحسد (لولا نزل هذا القرآن) والقدر يقول: ماهذا التعجب من نخلة بسقت والأصل نواة؟ (ألم نخلقكم من ماء مهين) مرضوا لقوة داء الحسد فرأوه بغير عينه فقالوا: مجنون، يا محمد: هذا نقش يرقانهمن لا لون وجهك، يا جملة الجمال، يا كل الكمال، أنت واسطة العقد، وزينه الدهر، تزيد على الأنبياء زيادة الشمس على البدر، والبحر على القطر، والسماء على الأرض. أنت صدرهم وبدرهم، وعليك يدور أمرهم، أنت قطب فلكهم، وعين كتيبهم، وواسطة قلادتهم، ونقش فصهم، وبيت قصيدتهم، شمس ضحاها، هلال ليلتها، در مقاصيرها، زبر جدها. الخلائق أشخاص، والأنبياء قلوب، ونبينا عليه الصلاة والسلام سرهم.

لما أخذ في سير أسرى، فنقل إلى المسجد الأقصى، خرج إليه عباد الأنبياء من صوامعهم، فاقتدوا بصلاة راهب الوجود، لو كان " موسى وعيسى حيين " أمطها عنك يا عمر، أمع الشمس سراج ".

بعث بالحنيفية السمحة، كانت شرائع الأنبياء كرمضان الصوم، وشرع نبينا يوم العيد، عرضت عليه الجنة والنار حتى عرف الطبيب العقاقير قبل تركيب الأدوية، فل غرب سيف (أتجعل فيها) ليلة المعراج ظنت الملائكة أن الآيات تختص بالسماء، فإذا آية الأرض قد علت، لا عجب من ارتفاع صعودهم لأنهم ذوو أجنحة، إنما العجب من ارتفاع جسم طبعه الهبوط بلا جناح جسداني، كان جبريل عليه السلام دليل الفلاح، فلما وصل إلى مفازة ليس فيها علم يعرفه، علم ابن أجود أن الصدق أجود، فقال: ها أنت وربك.

وقع في بادية القرب، فأوجبت هيبة التعظيم أن خرس لسان الطبع، فقال: لا أحصي ثناء عليك، كادت الهيبة تلهبه لولا

أن تدورك برش ماء: السلام عليك، فإذا قامت القيامة، فموسى صاحبه، وعيسى حاجبه، والخليل أمير جنده، وآدم ينادي بلسان حاله: يا ولد صورتي، يا والد معناي.." (١)

"إقدام العارفين على التعبد، قد ألفت أقدامها الصفوف، تعتمد على سنابك الخوف، فإذا أثر النصب راوحت بين أرجل الرجاء.

انقسم القوم عند الموت، فبعضهم صابر الخوف حتى انقضى نحبه. "كعمر "كان يقول عند الرحيل: الويل لعمر إن لم يغفر له.

ومنهم من أقلقه عطش الحذر، فتبرد بماء الرجا، "كبلال "كانت زوجته عند الموت تقول: واكرباه وهو يقول: واطرباه، غدا ألقى الأحبة، محمدا وصحبه، علم بلال أن الإمام لا ينسى المؤذن، فمزج الموت براحة الرجاء.

بشرها دليلها وقالا ... غدا ترين الطلح والجبالا

قال " سليمان التيمي " لولده عند الموت: اقرأ علي أحاديث الرخص لألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به.

إلى متى تتعب الرواحل ولا بد لها من مناخ:

رفقا بها يا أيها الزاجر ... قد لاح سلع وبدا حاجر

وخلها تسحب أرسانها ... على الربا لا راعها ذاعر

واذكر أحاديث ليالي منى ... لا عدم المذكور والذاكر

يا مخنث العزم: أين أنت والطريق نصب فيه " آدم "؟ وناح لأجله " نوح " ورمي في النار " الخليل " واضطجع للذبح " اسحاق " وبيع " يوسف " بدراهم بخس ونشر بالمناشير " زكريا " وذبح الحصور " يحيى " وضني بالبلاء " أيوب " وزاد على القدر بكاء " داود " وتنغص في الملك عيش " سليمان " وتحير بأرني " موسى " وهام مع الوحوش " عيسى " وعالج الفقر " محمد ".

فيا دارها بالحزن إن مزارها ... قريب ولكن دون ذلك أهوال

أول قدم في الطريق بذل الروح. هذه الجادة فأين السالك، هذا قميص " يوسف " فأين يعقوب هذا طور سينا فأين " موسى " يا جنيد احضر، يا " شبلي " اسمع.

بدم المحب يباع وصلهم ... فمن ذا الذي يبتاع بالسعر

الفصل التاسع والعشرون

في بديع خلق الله

حلل الوجود متلونة الأصباغ تجلى على عرائيس الموجودات لتروق أعين العباد، واعجبا! لو دخلت بين ملك لم تزل تعجب من نقوشه. فارفع بصر التفكر، واخفض عين البصيرة، فهل رأيت أحسن من هذا الكون؟ اخرج من ديار إدبارك، واعبر من معبر اعتبارك، قف في بقاع قاع ترى كيف نمت خضرة حضرته بأسرار الخالق، إذا نمت تلح أصناف النبات في ثياب

---

(١) اللطائف ابن الجوزي ص/١

الثبات، قد برز في عيد الربيع يميس طربا فرحا بالري، تأمل مختلف الألوان في الغصن الواحد، كيف صاغها صانع القدرة؟؟ تلمح إشارتها كيف ترشد الغافلين إلى صانعها؟؟ وهم مشغولون في خضم مأكل الهوى. اسمع الورق على عيدان الورق، لعل مقاطع السجوع توجب رجوع المقاطع.

ولقد أشكو فما أفهمها ... ولقد تشكو فما تفهمني

غير أني بالجوى أعرفها ... وهي أيضا بالجوى تعرفني

واعدجبا كيف تتفكر بالغير وتنسى نفسك؟؟ تأمل بعين الفكر نطفة مغموسة في دم الحيض، ونقاش القدرى يشق سمعها وبصرها من غير مساس، بينما هي ترف في ثوب نطفة اكتست رداء علقة، ثم اكتست صفة مضغة، ثم انقسمت إلى لحم وعظم، فاستترت من يدي الأذى بوقاية جلد، ثم خرجت في صفة طفل، ثم ارتقت مراقي الصبي، فتدرجت إلى نطاق النطق، وتشبثت بذيل الفهم، فكم من مصوت صوت بين أرجل التنقل، من تحريك جلاجل العبر، في خلاخل الفكر.

كلما رنت غنت ألسن الهدى في مغاني المعاني، وكيف يسمع أطروش الشقوة؟ هيهات ليس للمزكوم من الورد نصيبن ولا للمسجون من العيد حظ، فإن كنت تعرف هذه العجائب ولا تتعجب منها، فتعجب من عدم تعجبك.

كيف عدمت التفكر مع آلات الفهم، وأعميت بصيرتك بعد رؤيةب الحق، فإن أعجب أفعال القدرة ولقد (أضله الله على علم) .

الفصل الثلاثون

الناس فقراء إلى الله تعالى

لطف الحق بعبده قديم، لما أظهر الولد أجرى له عين اللبن تغربل قطرها عيون الثدي، وبذر في قلب الوالدين حب الحب، حتى جدا في اللطف جدا، فلما عرف المنعم أنفق النعم في المعاصي.

وكم ليلة قد بات عار من التقى ... يغطيه ستر الحلم يا ليته درى

ولما بلغ أشده استوى على ظهر متن المبارزة: لمن؟ مع من؟ إلى أين؟ من أنت؟ من أنا؟.

لحا الله من لا ينفع الود عنده." (١)

"يا أعز المخلوقات علينا: ارض بتدبيرنا، فالمحب لا يتهم، وإنعامنا على ما خلق لك لا يخفى عليك، فكيف ننساك وأنت الأصل؟.

ليس العجب تغذي المولود في حال الحمل بدم الحيض لاتصاله بالحي؛ إنما العجب أن البيضة إذا انفصلت من الدجاجة فمن البياض يخلق الفرخ، وبالمح يتغذى، قد أعطي المخلوق زاده قبل سفر الوجود.

إذا انفقأت بيضة الغراب خرج الفرخ أبيض، فتنفر عنه الأم لمباينته لونها، فيبقى مفنةح الفم، والقدر يسوق إلى فيه الذباب، فلا يزال يتغذى به حتى يسود لونه فتعود إليه الأم.

فانظروا إلى نائب اللطف، وتلمحوا شفقة طير الرحمة، ألهم النملة ادخار القوت، ثم ألهمها كسر الحب قبل ادخاره كيلا

---

(١) اللطائف ابن الجوزي ص/١٨

ينبت، والكسبرة، وإن كسرت قطعتين تنبت فهي تكسرها أربعا.
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد
لو رأيت العنكبوت حين تبني بيتها لشاهدت صنعة تعجز المهندس، إنما تطلب موضعين متقاربين، بينهما فرجة يمكنها مد الخيط إليها، ثم تلقي لعابها على الجانبين، فإذا أحكمت المعاقد ورتبت القمط كالسداة اشتغلت باللحمة، فيظن الظان أن نسجها عبث، كلا، إنها شبكة للبق والذباب، وإنها إذا أتمت النسيج انزوت إلى زاوية ترصد رصد الصائد، فإذا وقع في الشبكة شيء قامت تجني ثمار كسبها، فإذا أعجزها الصيد طلبت لنفسها زاوية، ووصلت بين طرفيها بخيط آخر، وتنكست في الهواء تنتظر ذبابة تمر بها، فإذا دنت منها رمت نفسها إليها فأخذتها، واستعانت على قتلها بلف الخيط على رجليها!! افتراها علمت هذه الصنعة بنفسها؟ أو قرأتها على أبناء جنسها؟ أفلا تنظر إلى حكمة من علمها؟ وصنعة من فهمها؟.
لقد نادت عجائب المخلوقات على نفسها ترشد الغافلين إلى باب الصانع، غير أنهم عن السمع لمعزولون.
الفصل الخامس والأربعون
أسفار الحياة
خلقنا نتقلب في " ستة " أسفار إلى أن يتسقر بالقوم المنزل: السفر الأول: سفر السلالة من الطين، السفر الثاني: سفر النطفة من الظهر إلى البطن، السفر الثالث: من البطن إلى الدنيا، الرابع: من الدنيا إلى القبور، الخامس: من القبور إلى العرض، السادس: من العرض إلى منزل الإقامة.
فقد قطعنا نصف السفر، وما بعد أصعب.
إخواني: السنون مراحل، والشهور فراسخ، والأيام أميال، والأنفاس خطوات، والطاعات رؤوس أموال، والمعاصي قطاع الطريق، والربح الجنة، والخسران النار، ولهذا الخطب شمر الصالحون عن سوق الجد في سوق المعاملة، وودعوا بالكلية ملاذ النفس.
كلما رأوا مركب الحياة يتخطف في بحر العمر، شغلهم ما هم فيه عن عجائب البحر، فما كان إلا قليل حتى قدموا من السفر، فاعتنقتهم الراحة في طريق التلقي، فدخلوا بلد الوصل، وقد حازوا ربح الدهر.
يا جبان العزم: لو فتحت عين البصيرة فرأيت بإنسان الفكر ما نالوا، لصاح لسان التلهف: يا ليتني كنت معهم، وأين الأرض من صهوة السماء؟؟.
ألا أنت والله منهم ولا تدري من هم.
يا قلب من نجد وساكنه ... خلفت نجدا وراء المدلج الساري
أهفوا إلى الرمل تعلو لي ركائبهم ... من الحمى في أسيحاق وأطماري
تفوح أرواح نجد من ثيابهم ... عند القدوم لقرب العهد بالدار
ياراكبان قفالي فاقضيا وطري ... وخبراني عن نجد بأخبار
هل روضت قاعة الوعساء أو مطرت ... خميلة الطلح ذات البان والغار
أم هل أبيت وداري عند كاظمة ... داري وسمار ذاك الحي سماري

فلم يزالا إلى أن نم بي نفسي ... وحدث الركب عني دمعي الجاري

ويحك: في صناديق هذه الأيام أودعت بضائع القوم، في هذه المزرعة المحلاة بذروا حب الحب، فإذا حصدوا نادي بك هاتف اللوم: في الصيف ضيعت اللبن.

كشفت عن عيونهم حجب الفعلة، فنظروا بلا معاينة، وخاطبوا بلا مشافهة.

تراه بالشوق عيني وهو محجوب أنضوا رواحل الأبدان في سفر المحبة، حتى بلغوا منى المنى قبل فوات الوقفة (تلك أمة قد خلت) .." (١)

"طوبى لمن وصل، يا منقطعين فوز لمن قبل، يا مطرودين يا مسكين لو أرادوا قربك لاستخدموك، لو تذللت لهم لرحموك، لكنك أعرضت عنهم فتركوك، ولم تأت على المقصود فأبعدوك، وعن بابهم وفضلهم طردوك، فإن أردت قربهم فابك على نفسك وقد قبلوك.

لو بكت عيناك يا هذا دما ... ما تقدمت إلينا قدما

نح علينا أسفا أو لا تنح ... واقرع السن علينا ندما

إخواني! إياكم وفرعون الهوى فإنه يصلب القلوب على جذوع النخل، قد قست القلوب فصارت كالحديد فقربوها إلى نار المواعظ، ودعوني أنفخ كير التخويف حتى يحمى، وإلا فما ينفع الضرب في،حديد بارد؟!.

دوبيت:

يا غاية منيتي وأقصى طلبي ... ما أسرع ما طردتني واعجبي

لم أقض على ظماي منكم إربي ... حتام أعيش بالمنى واحربي

يا غافلين عن الحق وقد فتح بابه، تعرضوا للقلوب فهذا وقت أجابه، خرج كمين من **عسكر اللطف فتح** بابا من أبواب القرب، هزت شجرات الوصل فتساقطت ثمر الأنس هذا منادي الاستدعاء قد كبر، هذه بلابل الوصال قد صاحت، هذهأعلام القبول قد لاحت.

ما زار طيفك إلا قلت واطربا ... ولا انثنى راجعا ناديت واحربا

ولا ترنم قمري على فنن ... يشكو التلهف إلا زادني طربا

أفدي الغزال الذي بالجزع غازلني ... يوما على خيفة من أعين الرقبا

يا ليلة السفح من وادي الأراك لنا ... عودي كما كنت قدما في قباب " قبا "

واسترجعي طيب أيام لنا سلفت ... فأطيب العيش يوما رد ما ذهبا

إخواني! إياكم والذنوب فإنها أذلت اباكم بعد عز " اسجدوا "، وأخرجته من إقطاع (اسكن أنت وزوجك) .

واعجبا جبريل بالأمس يسجد له واليوم يجر بناصيته للإخراج ولسان حاله يقول ارفق بي:

أرفقوا بي رفق من ذاق الهوى ... لا تذيبوا بجفاكم جلدي

---

(١) اللطائف ابن الجوزي ص/٢٧

أخذكم للروح مني هين ... إنما المحنة ترك الجسد

أعظم الظلمة ما تقدمها ضوء، وأصعب الهجر ما تقدمه وصل، وأشد عذاب المحب تذكاره وقت القرب، في المعنى:

إني لأذكركم فتذهب غلتي ... عني، وأذكر فقدكم فتعود

واشد من مرضي علي صدودكم ... وفراق من أهوى علي شديد

أقسمت لا علق الفؤاد بغيركم ... ما دام في الشجر المورق عود

من عرف قدر ما يطلب هان عليه ما يبذل، من عرف قدر ما يطلب " بياض " من قلق، من ذاق طعم الوصال ثم هجر تلف، ما أمر طعم الفراق.

ولم تعد أوجه اللذات سافرة ... مذ أدبرت باللوى أيامنا الأول

كان آدم عليه السلام إذا رأى الملائكة،تنزل من السماء تذكر المرتع في المربع فتأخذ العين في إعانة الحزين. شعر في المعنى:

رأى بارقا من أرض نجد فراعه ... فبات يسح الدمع وجدا على نجد

فيا شجرات القاع من بطن وجرة ... سقاك هزيم الودق منبجس الرعد

هل الأعصر اللاتي مضين يعدن لي ... كما كن لي أم لا سبيل إلى الرد

واعجبا لقلق آدم ولا معين له على الحزن، هوام الأرض لا تفهم ما يقولى، والوحش لا تدري وملائكة السماء عندها بقايا من يوم (أتجعل فيها من يفسد فيها) فهو يجول في كربة بلا م معين ولا راحم إلى أن يتداركه مولاه بلطفه.

ألا راحم من آل ليلى فأشتكي ... غرامي له حتى يكل لساني

ترى بكى آدم لفراق الجنة، هيهات! ما كان هذاالقلق لنفيس الداربل لربئ الدار، عجبا لآدم لما غفر الله له طاف بالبيت أسبوعا فما أتمه حتى خاض في دموعه، كان يبكي للدار مرة وللجار ألفا، والفراق يقلقل، والبعاد يزلزل، والشوق يململ، والهوى يقتل.

وإني لمشتاق إلى طيب وصلكم ... كما اشتاق نحو الدار من طال لفته

ولم أبك بعد الدار عني وإنما ... بكيت لفقد الصبر حتى فقدته." (١)

"وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي١ ابن سلول. فقدمنا المدينة فاشتكيت حيت قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا اشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي اني لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي، انما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ فذاك يريبني ولا اشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل، وذلك قبل ان تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا أمر العرب الأول في التنزه. وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وامها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب.

---

(١) المنثور ابن الجوزي ص/٧

فاقبلت انا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا قد شهد بدرا؟ قالت أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: ومإذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك. فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ قلت اتاذن لي أن آتي أبوي؟.

قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبواي فقلت لامي: يا أمتاه: ما يتحدث من قبلهما. فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت ابوي فقلت لامي: يا امتاه: ما يتحدث الناس؟ فقالت: يا بنية هوني عليك، فو الله لقلما امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قلت: سبحان الله، وقد تحدث الناس بهذا؟

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. ثم أصبحت أبكي.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد بن حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت: فاما اسامة بن زيد فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود. فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم الا خيرا. واما علي بن أبي طالب فقال: لن يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وان تسأل الجارية تصدقك.

---

١ صحيح: أخرجه البخاري في المغازي حديث ٤٤٥٠. باب ٨٣. مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٢٤٤٣. باب ١٣. فضل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.." (١)

"الباب الثاني في صفة من هو أهل للحفظ من حيث الصورة والحلية ومن ليس أهلا

متى كان شكل الرأس غير مستقيم دل على رداءة في الدماغ، وإذا كان الرأس صغيرا: دل على رداءة هيئة الدماغ.

وإن كان كبير الرأس ليس بدليل على جودة الدماغ ما لم يقترن به جودة الشكل، وإذا كانت الرقبة غليظة دلت على قوة الدماغ ووفوره، وإن قصرت ودقت فبالضد.

ومن بنيته غير متناسبة حيي رديئا حتى في فهمه وعقله مثل الرجل العظيم البطن، القصير الأصابع، المستدير الوجه، العظيم القامة، الصغير الهامة، اللحيم الجبهة.

وإذا كانت العين مرتدة، فصاحبها كسلان بطال.

والحدقة السوداء دليل على كسل وبلادة.

وإذا كان أنفه غليظا ممتلئا، فهو قليل الفهم.

ومن كان نحيف الوجه فهو فهم، ولطافة البطن تدل على جودة العقل.

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٣١٥/١

والغباوة والغفلة في الطول أكثر، **واللطف** في النحاف والضعاف أظهر، ومتى تناسبت الأعضاء، واعتدل القوام كان العقل تاما، والفهم." (١)

"الفصل العشرون في قصة مريم وعيسى عليهما السلام

كانت أم مريم حنة قد حنت إلى ولد فكبر عليها امتناعه واستولى الكبر فرأت يوما طائرا يغذو فرخا فرحا فرجى أملها اليؤوس فرجا فرجا فسألت عند هذه القضية ولديها ولدا فلما علمت بالحمل أكسبها السرور ولها فوهبته بلسان النذر لمن وهبه لها فقال القدر يا ملك التصوير صور الحمل أنثى ليبين أثر الكرم في قبول الناقص

فلما وضعتها وضعتها بأنامل الانكسار عن سرير السرور فإن لسان التلهف لما ألقى على الفايت ﴿إني وضعتها أنثى﴾ فجبر كسرها جابر ﴿فتقبلها﴾ وساق **عنان اللطف إلى** ساق زرعها فربا في ربي ﴿وأنبتها﴾ فانطلقت بها الأم تأم بيت المقدس فلبس القوم لامهم في حرب ﴿يلقون أقلامهم﴾ فثبت قلم زكريا إذا وثبت الأقلام فكفتها وكفلها فأراه المسبب غناها عن السبب بأية ﴿وجد عندها رزقا﴾ فرباها من ربها فنشأت لا ترى إلا ربها

فانتبذت يوما من أهلها فأقبل نحو ذلك البري البري بريد ﴿فأرسلنا﴾ فتحصنت الحصان بحصن ﴿إني أعوذ﴾ فانزوى إلى زاوية ﴿إنما أنا رسول ربك﴾ واخبرها بالتحفة في لفظ ﴿لأهب﴾ فأقيمت." (٢)

"الفصل الثاني والعشرون في قصة أهل الكهف

كان رقم ﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾ قد علا على كهف قلوب أهل الكهف فلما نصب ملكهم شرك الشرك بأن لهم خيط الفخ ففروا وخرجوا من ضيق حصر الحبس إلى الفضاء فضاء لهم فما راعهم في الطريق إلا راع وافقهم فرافقهم كلبه فأخذوا في ضربه لكونهم ليسوا من ضربه فصاح لسلط حاله لا تطردوني لمباينتي جنسكم فإن معبودكم ليس من جنسكم أنا في قبضة إيثاركم أسير إن سرتم وأحرس إن نمتم فلما دخلوا دار ضيافة العزلة اضطجعوا على راحة الراحة من أرباب الكفر فغلب النوم القوم ﴿ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا﴾ وكانت الشمس تحول عن حلتهم لحراسة حلتهم من بلاء بلي وأعينهم مفتوحة لئلا تذوب بأطباق الأطباق **ويد اللطف تقلب** أجسادهم لتسلم من أفن عفن وجرت الحال في كلبهم على ما جرت بهم فكأنه في شرك نومهم قد صيد ﴿بالوصيد﴾

فخرج الملك بجم جمعه في طلابهم فإذا بهم فسد الباب وما وعى على وعاء مسك فأضاع حتى ضاع بيد الملك في بيد الهلك فانساب راع إلى سببهم ففتح باب الكهف ليحوز الغنم فهب الهواء الراقد فترنم أحدهم بلفظ ﴿كم لبثتم﴾ فأجابه الآخر." (٣)

---

(١) الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ ابن الجوزي ص/٣٥

(٢) المدهش ابن الجوزي ص/١١٦

(٣) المدهش ابن الجوزي ص/١٢١

"الفصل الرابع والعشرون قصة الغار والصديق

لما أغارت قريش خيل الحيل على الرسول خرج إلى غار لو دخله غيره كان غررا فغريت قريش بالطلب فنبتت شجرة لم تكن قبل قبل الباب فأظلت المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت فسدت باب الطلب حاكت وجه الغار فحاكت ثوب نسجها فحاكت سترا ثم **حمى اللطف الحمن** بحمامتين فما كان إلا أن سكنتا من الغار فما فما بان المستتر فاتخذتا عشا فغشى ما غشى من غشاء العشا على أبصار المقتفين فصاروا كالأعشى فراغ الاعداء نحو تلك الناحية فرأوا دليل فراغ الغار فعادوا عن من عادوا عودا بحتا بلا بحث فقال الصديق عن حر الوجد لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما

فلما رحلا لحقهما سراقة فسرقت الأرض قوايم فرسه فلما رأى أرضا صلدا قد فرست الفرس فرست إلى بطنها ببطنها أشربت نفسه علم اليقين بظنها فأخذ يعرض المال على من قد رد مفاتيح الكنوز ويقدم الزاد إلى شبعان أبيت عند ربي فجازا على خيمة أم معبد فاصحت شاتها وأصبحت تشهد فوصلا إلى يثرب على نجائب السلامة وفات الخير مكة وفاءت المدينة بالكرامة." (١)

"لبن خالص هو التنزيه تخمر في نفوس الكفار حب الأصنام فجاء محمد فمحا ذلك بالتوحيد وتخمر في قلوب المشبهة حب صورة وشكل حييت فمحوتها بالتنزيه والعلماء ورثة الأنبياء ما عرفه من كيفه ولا وحده من مثله ولا عبده من شبهه المشبه أعشى والمعطل أعمى

فما ينزه عنه فم فيما يجب نفيه بثم جل وجوب وجوده عن رجم لعل سبق الزمان فلا يقال كان إذ تمجد في وحدانيته عن زحام مع تفرد بالإنشاء فلا يستفهم عن الصانع بمن أبرز عرايس المخلوقات من كن كن بث الحلم فلم يعارض بلم تعالى عن بعضية من وتقدس عن ظرفية في وتنزه عن شبه كان وتعظم عن نقص لو أن وعز عن عيب ألا أن وسما كماله عن تدارك لكن

إن وقف ذهن بوصفه صاح العز جز إن سار فكر نحوه قالت الهيبة عد إن قعد اللسان عن ذكره قال القلب قم أن تجبر متكبر قال القهر شم أن سأل محتاج قال الأنعام رش أن تعرض فقير قال الوفر فر أن سكت مذنب حيا قال الحلم قل أن بعد ذو خطاء **نادى اللطف إب** نثر عجايب النعم وقال للكل خذ

من بيان عظمته ﴿رفيع الدرجات﴾ من أثر قسره ﴿تسبح له السماوات﴾ توقيع أمره ﴿يأمر بالعدل﴾ واقع زجره ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ ينادي على باب عزته ﴿لا يسأل﴾ يصاح على محجة حجته ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾ ينذر جاسوس علمه ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ يقول جهبذ طوله ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ يترنم منشد فضله ﴿لا تقنطوا﴾." (٢)

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/١٢٦

(٢) المدهش ابن الجوزي ص/١٣٨

"حديث القوم مع الدجى يطول يسيحون في فلوات خلواته يندبون أطلال الحب ويرتاحون إلى تنسمه لشدة الطرب

(وإني لأستنشي الشمال إذا جرت ... حنينا إلى آلاف قلبي وأحبابي)

(واهدي مع الريح الجنوب إليهم ... سلامي وشكوى طول حزني وأوصابي)

واعجبا الرسايل تحمل في الأسحار لا يدري بها الفلك والأجوبة ترد إلى الأسرار لا يعلمها الملك

(يا حبذا رند العقيق وبأنه ... سقى العقيق وأهله وزمانه)

(راقت خمايله ورق نسيمه ... وصفت على عصبائه غدرانه)

(وشكت تباريح الصبابة ورقه ... وتمايلت بيد الصبا أفنانه)

(يا مفردا في حسنه صل مفردا ... في حزنه لعبت به أشجانه)

(صبا إذا ذكر العقيق وأهله ... صابت مدامعه وجن جنانه)

إجتمع المحبون في مساجد التعبد أول الليل فرماهم الوجد في آخره على قوارع الطرق

(مشوا إلى الراح مشى الرخ فانصرفوا ... والراح تمشي بهم مشي الفرازين)

أرواح أزعجها الحب وأقلقها الخوف سبحان من أمسكها **باللطف**

(قوم إذا هجروا من بعد ما وصلوا ... ماتوا وإن عاد من يهوونه بعثوا)

(ترعى المحبين صرعن في ديارهم ... كفتية الكهف يدرون لا كم لبثوا)

(والله لو حلف العشاق أنهم ... موتى من الحب أو قتلى لما حنثوا)

(مجلسنا بحر يرده الفيل والعصفور ...)

(كل أناس مشربهم أطيار ...)

(صناعتها في الجو بالقلب ...)." [1]

"(سقيا لمنزلة الحمى وكثيبها ... إذ لا أرى زمنا كأزماني بها)

(ما أعرف اللذات إلا ذاكرا ... هيهات قد خلفت أوقاتي بها)

يا من كان له قلب فانقلب قيام السحر يستوحش لك صيام النهار يسأل عنك ليالي الوصال تعاتبك

(أين أيامك والدهر ربيع ... والنوى معزولة والقرب وال)

يا من كان قريبا فطرد يا من كان مشاهدا فحجب يا عزيزي ما ألفت الشقاء فكيف تصبر أصعب الفقر ما كان بعد الغنى وأوحش الذل ما كان بعد العز وأشدهما على الكبر يا هذا بت بيت الأخزان من قبل البيات وثب إلى المثيب وثبة ثبات ولا تجاوز الجناب ودر حول الدار واستقبل قبلة التضرع وقل في الأسحار

(قد قلق الحب وطال الكرى ... وأظلم الجو وضاق الفضا)

(لا يعطش الزرع الذي نبته ... بصوت أنعامك قد روضا)

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٢٥٠

(إن كان لي ذنب تجرمته ... فأستأنف العفو وهب ما مضى)

(لا تبر عودا أنت ريشته ... حاشى لباني المجد أن يقضا)

(كيف لا أبكي لاعراض من ... أعرض عني الدهر إذ عرضا)

(قد كنت أرجوه لنيل المنى ... فاليوم لا أطلب إلا الرضا)

يا من فقد قلبه وعدم التحيل في طلبه تنفس من كرب الوجد **فبريد اللطف يحمل** الملطفات ريح الأسحار ركابي الرسائل ونسيم الفجر ترجمان الجواب

للمهيار

(فيا ريح الصبا اقترحي ... على الأحشاء واحتكمي)." (١)

"لو رأيتهم في الدجى يراعون النجوم وخيل الفكرة قد قطعت حلبات الهموم يشكون جرح الذنوب ويبكون الكلوم أحرقت أحزانهم أجسامهم وبقيت الرسوم بلغتهم البلغ ورمتك التخم في التخوم سكروا من مناجاة الكريم لا من بنات الكروم أصبحت عليهم آثار الحبيب والطيب نموم هذه سلع الأسحار من يشتري من يسوم أين قلبك الغائب قل لي لمن تلوم جسمك في أرض العراق وقلبك في أرض الروم مهر الطبع ما ريض أهاب البشرية ما دبغ في عين البصيرة عشا عرائس الموجودات ترفل في حلل مختلفة الصنعة والصبغة والصيغة تعبر إلى المعتبر في معبر الاعتبار فهل حظك حظها من النضارة أن تحظى من النظر بحظ

واعجبا لك لو دخلت بيت ملك لم تزل تتعجب من رقوش نقوشه فارفع بصر التفكر واخفض عين البصيرة فهل أحسن من هذا الكون تلمح مخيم السقف كيف مد بلا إطناب ثم زخرف نقشه برقم النجوم والهلال دملوج في عضد السماء فإذا جن الليل كحلت العيون بأثمد النوم واجتلاها أهل ﴿تتجافى﴾ فإذا جلى ركب الدجى جلا ضوء الشمس عن الأبصار رمد الظلام أنظر إلى الأرض إذا تايمت من زوج القطر ووجدت لفقد إنفاقه مس الجدب كيف تحد في ثياب و ﴿ترى الأرض خاشعة﴾ طالما لازمت حبس الصبر وسكنت مسكن المسكنة لولا ضجيج أطفال البذر فإذا قوي فقر القفر امتدت أكف الطلب تستعطي زكاة السحاب فهبت الجنوب من **جناب اللطف فسحبت** ذيل النسيم على صحصح الصحاري فتحركت جوامد الجلاميد وانتبه وسنان العيدان لقبول تلقيح اللواقيح فإذا لبس الجو مطرفة الأدكن أرسل خيالة الفطر شاهرة أسياف البرق وأنذر بالإقدام صوت الرعد فقام فراش الهواء يرش خيش النسيم فاستعار السحاب جفون العشاق وأكف الأجواد فامتلأت الأودية أنهارا كلما لمستها كف النسيم حكى سلسالها سلاسل الفضة فالشمس." (٢)

"الفصل الثمانون

يا مقيما في دائرة دار الغير كم حضرت فيها محتضر كم عاينت عينك قبرا يحتفر لقد ألانت مواعظها كل صلد حجر عجبا

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٢٨٢

(٢) المدهش ابن الجوزي ص/٣١٩

لفرخها ما عيد حتى نحر

(إن في نأي زماني عظة ... تشغل العاقل عن نأي زنام)

(ومدام الفكر فيمن قد مضى ... مسكر يغنيك عن شرب مدام)

(عرس القوم وغربان الدجى ... إنما صاحت بتقويض الخيام)

(وحمامات الضحى صادحة ... نوحها ينذرها صرف الحمام)

(ومطايا الخيف قد زمت لكم ... ودعوا يا قوم وامضوا بسلام)

(ودعوا عنكم أباطيل المنى ... ليست الدنيا لنا دار مقام)

(أقسم الساقي بكاسات الردى ... ليدورن على كل الأنام)

يا من إذا عامل خان وظلم يا من أمر بما ينفعه فلم هذا القتير في الرأس كالعلم أبقي بعد نوره يا ظالم ظلم ألم يقل لك ألم الضعف انتبه ألم أين رفيقك ادلج وقد عرفت المنهج والرحيل قد أزعج وهذا فرس مسرج والبضاعة كلها بهرج

ويحك تعاهد قلبك فإذا رأيته قد مال إلى الهوى فاجعل في الجانب الآخر ذكر العقاب ليستقيم فإن غلبك الهوى فاستغث بصاحب القلب وإن تأخرت الإجابة فابعث رائد الانكسار خلفها تجدني عند المنكسرة قلوبهم

يا هذا أما علمت **أن اللطف مع** الضعيف أكثر لما كانت الدجاجة." (١)

"أنسيت يوم تنشر الصحف المختومة أما تعلم أنها ستظهر قبائح مكتومة يا لها لوعظة بين المواعظ كالأيام المعلومة أحسن من اللآلئ المنثورة وأعجب من العقود المنظومة العلم والعمل توءمان أمهما علو الهمة

أيها المعلم تثبت على المبتدى ﴿وقدر في السرد﴾ فللعالم رسوخ وللمتعلم قلق ويا أيها الطالب تواضع في الطلب فإن التراب بينا هو تحت الأخمص صار طهور للوجه السهر مرقي إلى أطيب مرقد

(الهون في طلب الهوينا كامن ... وجلالة الأخطار في الأخطار)

قلب العالم بحر ما للجنة قرار إذا نزل غواص الفكر ترقى إلى ساحل اللسان قدر الإمكان مياه المعاني مخزونة في صدر العالم تفتح لزرع قلبه سيحا بعد سيح ويدخر أصفاها قوتا للروح فإذا تكاثرت عليه صاح السيل العالم ينفخ في صور فيه بعبارة التخويف فيموت هوى المعاصي ثم ينفخ في صور التشويق فيحيي روح المعرفة فيخرج التائب من قبر غفلته في كفن يقظته وقد بدلت الأرض غير الأرض فيفتح له رضوان الرضا باب جنة الوصل

لا تظنوا العالم شخصا واحدا العالم عالم تصانيف العالم أولاده المخلدون دون أولاده من خلق للعلم شف جوهره من الصغر فتراه ينفق في الجد بضاعة الشبيبة ويسابق سائق العجز يصل الكدود ليله بنهاره كدود القز في زمان الشدة فإذا امتلأ وعاء قلبه بما وعى نسج الفهم في زوايا الذهن من المعاني المستنبطة نسج القز فإذا رأى عريانا من العلم فأراد كسوته بعث الفكر فسل من **لطائف اللطف طاقات** ثم أرسلها إلى صانع القوة فبالغ في تحسينها وتأنق في تلوينها ثم ينسجها اللسان على

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٤٤٩

منوال البلاغة فتظهر رقوم نقوشها عن شدود عقدتها الفطن الباطنة فإذا الثوب نسيج وحده ومثل تلك المطارف الطرائف لا تبتذل إلا في عيد مجلس الذكر ليس كل من ربى دود القز سلالا ولا كل قزاز سقلا طونيا." (١)

"الحر ولبس نعلين متخرقين وعلى رأسه خرقة وعلى عنقه كرزنه وطبقه فأتى دجلة وقعد في بعض السفن والأمير ينظر إليه مستشرف عليه لا يصرف بصره عنه فوضع طبقه وكرزنه وخلع نعليه وألقى الخرق عن رجليه ودنا من دجلة وغسل يديه ورجليه وانصرف إلى موضعه فأخرج جرابا له ففتحه وأخرج منه كسرا يابسة مختلفة الألوان وأخرج منه قصعة خشب فغسل قصعته وجعل فيها ماء وألقى تلك الكسر في الماء الذي في القصعة ثم أخرج صرة ففتحها وأخرج منها ملحا فنثره على الخبز وقليل سعتر وتركها مقدار ما بل الكسر ثم تربع على الرمل وسمى الله تبارك وتعالى وأكل أكل رجل يشتهي الطعام وهو مع ذلك يشكر الله تعالى والأمير عيناه إليه حتى فرغ وغسل القصعة فردها إلى جرابه مع كسيرات بقيت وشد خرقة الملح ودنا من الشط فاغترف بكفيه من الماء وقال: يا سيدي ومولاي! لك الحمد على هذه النعمة التي تفضلت بها علي فلك الحمد على أياديك عندي فلك الحمد ولك الشكر.

ثم وضع رأسه على كرزنه وتمدد على الرمل ساعة ثم قام فتهيأ للصلاة وقام يصلي للزوال.

فقال الأمير للغلمان الوقوف عنده: ليذهب بعضكم إلى الرجل القائم المصلي فيأتيني به مع طبقه وكرزنه ولا يرعبه وعليه **باللطف** حتى يأتيني به.

فمضى بعض الغلمان فأتاه فأقام عنده حتى سلم ثم قال له: قم معي حتى تحمل لي متاعا من قصر الأمير فقال: اطلب غيري فإني متعوب البدن قال: الموضع قريب والحمل خفيف قال: يا حبيبي! قد عرفت ذلك وأنت تصيب غيري فاعفني فإني أكره دخول الدار قال: لا بد منه فإن قمت وإلا أقمت وغلظ له في الكلام فقام الرجل وألقى كرزنه في عنقه وحمل الطبق وقرأ ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم﴾ [البقرة: ٢١٦] ﴿فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ [النساء: ١٩] .

فأدخله الغلام القصر ثم أصعده حتى أوقفه بين يدي الأمير على هيئته فأمره بالقعود فقال له الندماء: أيها الأمير! من هذا حتى تأمره بالقعود مع وسخه ونجاسته؟ قال: اسكتوا. ثم قال: من أهلها أنت؟ قال: نعم قال: ما صناعتك؟ قال: ما ترى الحمل قال: وكم عيالك؟ قال: نحن عيال الله لي والدة عجوز مقعدة وأخت عمياء زمنة قال: فأهل وولد؟ قال: مالي أهل ولا ولد.

قال: فكم يكون الكسب؟ قال: على قدر ما أرزق إلا أنه لا ينصرم يوم." (٢)

"٤١١٧ - وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المسلمين إذا التقيا فتصافحا وتساءلا أنزل الله بينهما مائة رحمة تسعة وتسعين لأبشهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مساءلة بأخيه

رواه الطبراني بإسناد فيه نظر

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٥٠٧

(٢) التوابين لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ص/١٠٨

لأبشهما أي لأكثرهما بشاشة وهي طلاقة الوجه مع الفرح والتبسم وحسن الإقبال **واللطف** في المسألة وأطلقهما أي أكثرهما وأبلغهما طلاقة وهي بمعنى البشاشة

٤١١٨ - وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقى الرجلان المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه فإن أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا لصاحبه فإذا تصافحا نزلت عليهما مائة رحمة وللبادي منهما تسعون وللمصافح عشرة
رواه البزار

٤١١٩ - وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن المسلم إذا لقي أخاه فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما يتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف وإلا غفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحر
رواه الطبراني بإسناد حسن

٤١٢٠ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تمام التحية الأخذ باليد
رواه الترمذي عن رجل لم يسمه عنه وقال حديث غريب

٤١٢١ - وعن قتادة قال قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم
رواه البخاري والترمذي

٤١٢٢ - وعن أيوب بن بشير العدوي عن رجل من عنزة قال قلت لأبي ذر حيث سير إلى الشام إني أريد أن أسألك عن حديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذن أخبرك به إلا أن يكون شرا قلت إنه ليس بشر هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافحكم إذا لقيتموه قال ما لقيته قط إلا صافحني وبعث إلي ذات يوم ولم أكن في أهلي فجئت فأخبرت أنه أرسل إلي فاتيته وهو على سريره فالتزمني فكانت تلك أجود وأجود
رواه أبو." (١)

"٣٧٣- فصل [حكم تقبيل يد الغير وخده] :

١٣٢٧- إذا أراد تقبيل يد غيره، إن كان ذلك لزهده وصلاحه، أو علمه، أو شرفه وصيانته، أو نحو ذلك من الأمور الدينية لم يكره، بل يستحب، وإن كان لغناه ودنياه وثروته وشوكته، ووجاهته عند أهل الدنيا، ونحو ذلك، فهو مكروه شديد الكراهة. وقال أبو سعد المتولي من أصحابنا: لا يجوز؛ فأشار إلى أنه حرام.

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ٣/٢٩١

١٣٢٨- روينا في "سنن أبي داود" [رقم: ٥٢٢٥] ، عن زارع رضي الله عنه، وكان في وفد عبد القيس؛ قال: فجعلنا نتبادر من رواحلنا، فنقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم ورجله.

قلت: زارع، بزاي في أوله وراء بعد الألف، على لفظ زارع الحنطة وغيرها.

١٣٢٩- وروينا في "سنن أبي داود" أيضا [رقم: ٥٢٢٣] ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قصة قال فيها: فدنونا -يعني: من النبي صلى الله عليه وسلم- فقبلنا يده.

١٣٣٠- وأما تقبيل الرجل خد ولده الصغير، وأخيه، وقبلة غير خده من أطرافه ونحوها على وجه الشفقة والرحمة **واللطف** ومحبة القرابة، فسنة.

١٣٣١- والأحاديث فيه كثيرة صحيحة مشهورة، وسواء الولد الذكر والأنثى، وكذلك قبلته ولد صديقه، وغيره من صغار الأطفال على الوجه. وأما التقبيل بالشهوة فحرام بالاتفاق. وسواء في ذلك الولد وغيره، بل النظر إليه بالشهوة حرام بالاتفاق على القريب والأجنبي.

١٣٣٢- وروينا في صحيحي البخاري [رقم: ٥٩٩٧] ، ومسلم [رقم: ٢٣١٩] ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قبل النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما، وعنده الأقرع بن حابس التميمي، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا؛ فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: "من لا يرحم لا يرحم".." (١)

"ابتداء الدعاء بحمد الله وتمجيده، فسيأتي دليله من الحديث الصحيح قريبا في "كتاب الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن شاء الله تعالى.

[فصل] :

يستحب حمد الله تعالى عند حصول نعمة، أو اندفاع مكروه، سواء حصل ذلك لنفسه، أو لصاحبه، أو للمسلمين.

٣٢٨ - وروينا في " صحيح مسلم " عن أبي هريرة رضي الله عنه، " أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي ليلة أسري به بقدحين من خمر ولبن (١) فنظر إليهما، فأخذ اللبن، فقال له جبريل صلى الله عليه وسلم: " الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر غوت أمتك ".

٣٢٩ -[فصل] :

وروينا في كتاب الترمذي وغيره عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم؟ فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد " قال الترمذي: حديث حسن.

والأحاديث في فضل الحمد كثيرة مشهورة، وقد سبق في أول الكتاب جملة من الأحاديث الصحيحة في فضل: سبحان الله والحمد لله ونحو ذلك.

---

(١) الأذكار للنووي ط ابن حزم النووي ص/٤٣٢

[فصل] :

قال المتأخرون من أصحابنا الخراسانيين: لو حلف إنسان ليحمدن الله تعالى بمجامع الحمد - ومنهم من قال: بأجل التحاميد - فطريقه في بر يمينه أن يقول: الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، ومعنى يوافي نعمه: أي يلاقيها فتحصل معه، ويكافئ، بهمزة في آخره: أي يساوي مزيد نعمه، ومعناه: يقوم بشكر ما زاده من النعم والإحسان.

قالوا: ولو حلف ليثنين على الله تعالى أحسن الثناء، فطريق البر أن

---

(١) في صحيح مسلم أن ذلك بإيلياء.

قال المصنف في " شرح مسلم ": وهو بالمد والقصر، ويقال بحذف الياء الأولى، ثم في هذه الرواية محذوف تقديره: أتي بقدحين، فقيل له: اختر أيهما شئت كما جاء مصرحا به.

وقد ذكره مسلم في كتابه " الإيمان " أول الكتاب، فألهمه الله تعالى اختيار اللبن لما أراد سبحانه وتعالى من توفيق أمته **واللطف** بها، فلله الحمد والمنة.

قول جبريل إن اللبن كان كذا، أو اختار الخمر كان كذا.

وأما الفطرة فالمراد بها هنا: الإسلام والإستقامة كذا في كتاب الأشربة، وفي باب الإسراء منه معناه، والله أعلم: اخترت علامة الإسلام الاستقامة، وجعل اللبن علامة لكونه سهيلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين.

وأما الخمر فإنه أم الخبائث وجالبة لأنواع الشر في الحال والمال، والله أعلم.

(*)." [١]

"أم أبي هريرة ... " وذكر الحديث ... إلى أن قال: " فرجعت فقلت: يا رسول الله قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة.

(باب في مسائل تتفرع على السلام)

مسألة: قال أبو سعد المتولي: التحية عند الخروج من الحمام، بأن يقال له: طاب حمامك، لا أصل لها، ولكن روي أن عليا رضي الله عنه قال لرجل خرج من الحمام: طهرت فلا نجست.

قلت: هذا المحل لم يصح فيه شئ، ولو قال إنسان لصاحبه على سبيل المودة والمؤالفة واستجلاب الود: أدام الله لك النعيم، ونحو ذلك من الدعاء فلا بأس به.

مسألة: إذا ابتدأ المار الممرور عليه، فقال: صبحك الله بالخير، أو بالسعادة، أو قواك الله، أو لا أوحش الله منك، أو غير ذلك من الألفاظ التي يستعملها الناس في العادة، لم يستحق جوابا، لكن لو دعا له قباله ذلك كان حسنا، إلا أن يترك جوابه بالكلية زجرا له في تخلفه وإهماله السلام وتأديبا له ولغيره في الاعتناء بالابتداء بالسلام.

---

(١) الأذكار للنووي ت الأرنؤوط النووي ص/١١٣

فصل:

إذا أراد تقبيل يد غيره، إن كان ذلك لزهده وصلاحه أو علمه أو شرفه وصيانته أو نحو ذلك من الأمور الدينية، لم يكره، بل يستحب، وإن كان لغناه ودنياه وثروته وشوكته ووجاهته عند أهل الدنيا ونحو ذلك، فهو مكروه شديد الكراهة.

وقال المتولي من أصحابنا: لا يجوز فأشار إلى أنه حرام.

٧٥١ - روينا في سنن أبي داود عن زارع رضي الله عنه، وكان في وفد عبد القيس قال: " فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم ورجله ".

قلت: زارع بزاي في أوله وراء بعد الألف على لفظ زارع الحنطة وغيرها.

٧٥٢ - وروينا في سنن أبي داود أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما قصة قال فيها: " فدنونا: يعني من النبي صلى الله عليه وسلم فقبلنا يده.

وأما تقبيل الرجل خد ولده الصغير، وأخيه، وقبلة غير خده من أطرافه ونحوها على وجه الشفقة والرحمة **واللطف** ومحبة القرابة، فسنة.

والأحاديث فيه كثيرة صحيحة مشهورة، وسواء الولد الذكر والأنثى، وكذلك قبلته ولد صديقه وغيره من صغار الأطفال على هذا الوجه.

وأما التقبيل بالشهوة، فحرام بالاتفاق.

وسواء في ذلك الولد وغيره، بل النظر إليه بالشهوة حرام بالاتفاق على القريب والأجنبي.." [(١)]

"علمه أو شرفه وصيانته أو نحو ذلك من الأمور الدينية لم يكره بل يستحب؛ وإن كان لغناه ودنياه وثروته وشوكته ووجاهته عند أهل الدنيا ونحو ذلك فهو مكروه شديد الكراهة. وقال المتولي من أصحابنا: لا يجوز، فأشار إلى أنه حرام.

[١/ ٦٥١] روينا في سنن أبي داود، عن زارع رضي الله عنه، وكان في وفد عبد القيس قال: فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم ورجله.

قلت: زارع بزاي في أوله وراء بعد الألف، على لفظ زارع الحنطة وغيرها.

[٢/ ٦٥٢] وروينا في سنن أبي داود أيضا، عن ابن عمر رضي الله عنهما قصة قال فيها: فدنونا . يعني من النبي صلى الله عليه وسلم . فقبلنا يده.

وأما تقبيل الرجل خد ولده الصغير، وأخيه، وقبلة غير خده من أطرافه ونحوها على وجه الشفقة والرحمة **واللطف** ومحبة القرابة، فسنة. والأحاديث فيه كثيرة صحيحة مشهورة وسواء الولد الذكر والأنثى. وكذلك قبلته ولد صديقه وغيره من صغار الأطفال على هذا الوجه. وأما التقبيل بالشهوة فحرام بالاتفاق. وسواء في ذلك الوالد وغيره، بل النظر إليه بالشهوة حرام

---

(١) الأذكار للنووي ت الأرنؤوط النووي ص/٢٦٢

بالاتفاق على القريب والأجنبي.

[٣/ ٦٥٣] وروينا في صحيحي البخاري ومسلم،
عن أبي هريرة رضي

---

[٦٥١] أبو داود (٥٢٢٥)، وإسناده حسن، انظر مختصر سنن أبي داود؛ للحافظ المنذري ٨/ ٩١.
[٦٥٢] أبو داود (٥٢٢٣) وأخرج القصة الترمذي وابن ماجه، وقد وقعت القصة في غزوة مؤتة .. وأبو داود أشار إليها ولم يذكرها، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٤٢: رواه أبو يعلى، وفيه يزيد بن أبي زياد، وهو لين الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح.
[٦٥٣] البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٩)، وأبو داود (٥٢١٨)، والترمذي (١٩١٢).." [١]
"العجلة في موطن التأني مهلكة
يفرج الضيق بالتلطف في الأم ... ر ويودي بالعمر فيه اضطرابه
أوما الماء وهو في باطن الصخ ... رة **باللطف** رشحه وانسيابه
وإذا ما أحس بالشرك الصيـ ... ـد دهاه نفوره وانجذابه." [٢]
"واعلم أن الحسبة لها خمس مراتب:
١. التعريف:
٢. والوعظ بالكلام اللطيف.
الثالثة: السب والتعنيف، ولسنا نعني بالسب الفاحشة، بل نقول له: يا جاهل يا أحمق، ألا تخاف من الله تعالى! ونحو ذلك.
والرابعة: المنع بالقهر، ككسر الملاهي وإراقة الخمر.
والخامسة: التخويف والتهديد بالضرب، أو مباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه، فهذه المرتبة تحتاج إلى الإمام دون ما قبلها، لأنه ربما جر إلى فتنة.
واستمرار عادات السلف على الحسبة للولد على الوالد، والعبد على السيد، والزوجة على الزوج، والرعية على الوالي؟.
قلنا: أصل الولاية ثابت للكل، وقد رتبنا للحسبة خمس مراتب. فللولد من ذلك الحسبة بالتعريف، ثم بالوعظ والنصح **باللطف**. وله من الرتبة الخامسة: أن يكسر العود، ويريق الخمر، ونحو ذلك، وهذا الترتيب ينبغي أن يجرى في العبد والزوجة. وأما الرعية مع السلطان، فالأمر فيه أشد من الولد، فليس معه إلا التعريف والنصح. ويشترط كون المنكر قادرا على الإنكار،

---

(١) الأذكار للنووي ت مستو النووي ص/٤١٧
(٢) الصبر مطية النجاح ابن الظهير الإربلي ص/٣٢

فأما العاجز، فليس عليه إنكار إلا بقلبه، ولا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي، بل يلتحق به خوف مكروه يناله، فذلك في معنى العجز. وكذلك إذا علم أن إنكاره لا ينفع، فيقسم إلى أربعة أحوال:

أحدها: أن يعلم أن المنكر يزول بقوله أو فعله من غير مكروه يلحقه، فيجب عليه الإنكار." (١)

"ذلك، فإن ذلك ليس إلى الآحاد، وفيه أيضا احتراز عما سيوجد في ثاني الحال، كمن يعلم بقرينه حاله أنه عازم على الشرب الليلة، فلا حسبة عليه إلا بالوعظ.

وقولنا: ظاهرا، احتراز ممن تستر بالمعصية في داره وأغلق بابه، فإنه لا يجوز أن يتجسس عليه، إلا أن يظهر ما يعرفه من هو خارج الدار، كأصوات المزامير والعيدان، فلمن سمع ذلك أن يدخل ويكسر الملاهي، فإن فاحت رائحة الخمر، فالأظهر جواز الإنكار.

ويشترط في إنكار المنكر أن يكون معلوما كونه منكرا بغير اجتهاد، فكل ما هو في محل الاجتهاد، فلا حسبة فيه، فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله متروك التسمية، ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه يسير النبيذ الذي ليس بمسكر.

الركن الثالث: في المنكر عليه، ويكفى في صفته أن يكون إنسانا، ولا يشترط كونه مكلفا كما بينا قبله من أنه ينكر على الصبي والمجنون.

الركن الرابع: نفس الاحتساب، وله درجات وآداب.

الدرجة الأولى: أن يعرف المنكر، فلا ينبغي له أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار، ولا يتعرض للشم ليدرك رائحة الخمر، ولا أن يمس ما قد ستر بثوب ليعرف شكل المزمار، ولا أن يستخبر جيرانه بما يجرى، بل لو أخبره عدلان ابتداء أن فلانا يشرب الخمر، فله إذ ذاك أن يدخل وينكر.

الدرجة الثانية: التعريف، فإن الجاهل يقدم على الشيء لا يظنه منكرا، فإذا عرف أقلع عنه، فيجب تعريفه **باللطف**، فيقال له: إن الإنسان لا يولد عالما، ولقد كنا جاهلين بأمور الشرع حتى علمنا العلماء، فلعل قريتك خالية من أهل العلم.

فكهذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء. ومن اجتنب محذور السكوت عن المنكر، واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه، فقد غسل الدم بالبول.

الدرجة الثالثة: النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله، ويورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد، ويحكي له سيرة السلف، ويكون

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/١٢٥

ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب، وها هنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها، وهو أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم، وذل غيره بالجهل.." (١)

"ومثال ذلك مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه، وهو غاية الجهل، ومذلة عظيمة، وغرور من الشيطان، ولذلك محك ومعيار، فينبغي أن يمتحن به المحتسب نفسه، أو باحتساب غيره عليه، أحب إليه من امتناعه باحتسابه، فإن كانت الحسبة شاقة عليه، ثقيلة على نفسه، وهو يود أن يكفى بغيره، فليحتسب، فإن باعثه هو الدين، وإن كان الأمر بالعكس، فهو متبع هوى نفسه، متوسل إلى إظهار جاهه بواسطة انكاره، فليتق الله وليحتسب أولا على نفسه.

وقيل لداود الطائي: أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر؟ قال: أخاف عليه السوط. قيل: هو يقوى على ذلك، قال أخاف عليه السيف، قيل: هو يقوى على ذلك، قال أخاف عليه الداء الدفين: العجب.

الدرجة الرابعة: السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن، وإنما يعدل إلى هذا عند العجز عن المنع **باللطف**، وظهور مبادئ الإصرار، والاستهزاء بالوعظ والنصح، ولسنا نعني بالسب: الفحش والكذب، بل نقول له: يا فاسق، يا أحمق، يا جاهل، ألا تخاف الله، قال الله تعالى حاكية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ [الأنبياء: ٦٧].

الدرجة الخامسة: التغيير باليد، ككسر الملاهى، وإراقة الخمر، وإخراجه من الدار المغصوبة، وفي الدرجة أدبان:

أحدهما: أن لا يباشر التغيير ما لم يعجز عن تكليف المنكر علي ذلك، فإذا أمكنه أن يكلفه الخروج عن الأرض المغصوبة، فلا ينبغي أن يجره ولا يدفعه.

والثاني: أن يكسر الملاهي كسرا يبطل صلاحيتها للفساد، ولا يزيد على ذلك ويتوقى في إراقة الخمور كسر الأواني إن وجد إليه سبيلا، وإن لم يقدر إلا بأن يرمى ظروفها بحجر أو نحوه، فله ذلك، وتسقط قيمة الظرف، ولو ستر الخمر بيديه، فإنه يقصد بيديه بالضرب ليتوصل إلى إراقة الخمر، ولو كانت الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس، بحيث أنه إذا اشتغل بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق فمنعوه، فله كسرها، لأن هذا عذر وكذلك إن كان يضيع الزمان في صبها، وتتعطل أشغاله، فله كسرها ولو لم يحذر من الفساق.." (٢)

"شاء قتله، وإن شاء عفا عنه، ولا يجوز له إخفاء أمره، بخلاف ما لو زنا، أو سرق، أو شرب الخمر، أو باشر ما يجب فيه حد لله تعالى، فإنه لا يلزمه فى التوبة أن يفضح نفسه، بل عليه أن يستر نفسه، فإن رفع أمره إلى الولي حتى أقام عليه الحد، وقد ذلك موقعه وكانت توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى، بدليل قصة ماعز والغامدية.

وكذلك حد القذف، لابد فيه من تحكيم المستحق فيه.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/١٢٧

(٢) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/١٢٨

الثاني: المظالم المتعلقة بالأموال، نحو الغضب، والخيانة، والتلبيس فى المعاملات، فيجب عليه رد ذلك إلى أصحابه والخروج منه.

وليكتب إلى أصحاب المظالم، وليؤد إليهم حقوقهم، ويستحلهم، فإن كثر ظلمه بحيث لا يقدر على أدائه، فليفعل ما يقدر عليه من ذلك، ولم يبق له طريق إلا الاستكثار من الحسنات، لتؤخذ منه في القصاص يوم القيامة فتوضع فى موازين أرباب المظالم، فإنها إن تفي بذلك أخذ من سيئاتهم، فتوضع فوق سيئاته.

هذا حكم المظالم الثابتة فى الذمة والأموال الحاضرة، فإن كان عنده أموال من شئ من ذلك لم يعرف مالكه ولا ورثته، تصدق به عنه، وإن اختلط الحلال بالحرام، عرف قدر الحرام بالاجتهاد، وتصدق بمقداره.

الثالث: الجناية على الأعراض، وإيذاء القلوب، فعليه أن يطلب كل واحد منهم، وليستحله، وليعرفه قدر الجناية، فإن الاستحلال المبهم لا يكفى، وربما لو عرف ذلك لم تطب نفسه بالإحلال، إلا أن تكون تلك الجناية إذا ذكرت كثر الأذى، كسبته إلى عيب من خفايا عيوبه، أو كزنى بجارته، فليجتهد فى اللطف به والإحسان إليه، ثم ليستحله مبهما، ولابد أن يبقى فى مثل ذلك مظلمة تجبر بالحسنات يوم القيامة، وكذلك من مات من هؤلاء فإنه يفوت أمره، ولا يتدارك إلا بكثير الحسنات، لتؤخذ منه عوضا يوم القيامة، ولا خلاص إلا برجحان الحسنات.

٥ . فصل [في شروط التوبة]

ومن شروط التوبة الصحيحة العزم على أن لا يعود فى المستقبل إلى تلك الذنوب، ولا إلى أمثالها، ويعزم على ذلك عزما مؤكدا.." (١)

"﴿فأنذرتكم نارا تلظى (١٤) لا يصلاها إلا الأشقى (١٥) الذي كذب وتولى﴾ [الليل: ١٤ - ١٦]. وقال تعالى: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ [الرعد: ٦].

ومن الأخبار ما روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "إن إبليس قال لربه عز وجل: بعزتك وجلالك، لا أبرح أغوى بنى آدم ما دامت الأروح فيهم. فقال الله عز وجل: فبعزتي وجلالى، لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني" (١).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون فيغفر لهم" رواه مسلم.

وفى "الصحيحين" من حديث عائشة رضى الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لن يدخل أحدا الجنة عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه برحمته".

وفى "الصحيحين" من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "يقول الله عزل وجل يوم القيامة: يا آدم: قم فابعث بعث النار فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك. يارب: وما بعث النار؟ قال: من

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٢٦١

كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فحينئذ يشيب المولود، ﴿وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ [الحج: ٢]. فشق ذلك على الناس، حتى تغيرت وجوههم، وقالوا: يارسول الله! وأينا ذلك الواحد؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون، ومنكم واحد" فقال الناس: الله أكبر. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " والله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. والله إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، والله إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبر الناس، فقال: "ما أنتم يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض".

فانظر كيف جاء بالتخويف، فلما أزعج جاء **باللطف**، ومتى اطمأنت القلوب إلى

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٩، ٧٦ والحاكم من حديث أبي سعيد الخدرى وفيه أدراج عن أبي الهيثم وهو ضعيف في روايته عنه. وأخرجه أحمد ٣/ ٤١ من طريق آخر ورجاله ثقات، إلا أن فيه انقطاعا.." (١)

"التوبة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله يقبل التوبة من العبد مالم يغرغر".

وقد روى أن الملكين الموكلين بالعبد يتراءيان له عند الموت، فإن كان صالحا أثنيا عليه، وقالا: جزاك الله خيرا، وإن كان صحبهما بشر، قالا: لا جزاك الله خيرا (١).

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله عز وجل وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله، فإذا مات قالا: قد مات، أتأذن لنا أن تصعد إلى السماء؟ قال: فيقول الله تعالى: إن سمائي مملؤة من ملائكتي يسبحوني. فيقولون: فتأذن لنا فنقيم في الأرض؟ فيقول الله تعالى: إن أرضى مملوءة من خلقي، يسبحوني. فيقولان: فأين تقيم؟ فيقول: قوما على قبر عبدى، فسبحاني واحمداني وكبراني وهللاني، واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة".

وفى "الصحيحين" من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، وأما صاحب النار الذي ختم له بسوء فهو يبشر بها وهو في تلك الأهوال".

وقد كان كثير من السلف يخافون سوء الخاتمة، وقد ذكر ذلك في كتاب الخوف، وهو لائق بهذا المكان، نسأل الله أن يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء، وأن يلطف بنا، وأن يختم لنا بخير إنه جواد كريم.

وأما ما يستحب من الأحوال عند المحتضر، فأن يكون قلبه يحسن الظن بالله تعالى، ولسانه ينطق بالشهادة، والسكون من علامات **اللطف**، وهو أمارة على أنه قد رأى الخير، وقد روى أن روح المؤمن تخرج رشحا. ويستحب تلقينه: لا إله إلا الله، كما جاء في الحديث الصحيح من رواية مسلم: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله".

وينبغى للملقن أن يرفق به، ولا يلح عليه. وقد جاء في حديث آخر: "احضروا موتاكم، ولقنوهم لا إله إلا الله، وبشروهم بالجنة، فإن الحليم العليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع، وإن إبليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد في

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٣٠١

ذلك الموطن" (٢). وذكر الحديث إلى آخره.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا عن وهيب بن الورد بلاغا.

(٢) ضعيف أخرجه أبو نعيم في "الحلية".." [١]

"لا أدرى فقال في أداء الكفارات والمشي على الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء على الكراهات وانتظار الصلاة بعد الصلاة قال واعلم أن قوله رأيت ربي في أحسن صورة قد تقدم تأويله وأما قوله وضع يده بين كتفي ففيه وجهان الأول المراد به المبالغة في الاهتمام بحاله والاعتناء بشأنه يقال لفلان يد في هذه الصنعة أي هو كامل فيها الثاني أن يكون المراد من اليد النعمة يقال لفلان يد بيضاء ويقال إن أيادي فلان كثيرة وأما قوله بين كتفي فإن صح فالمراد منه أنه أوصل إلى قلبه من **أنواع اللطف والرحمة** وقد روى بين كنفي والمراد ما يقال أنا في كنف فلان وفي ظل إنعامه وأما قوله فوجدت بردها فيحتمل أن المعنى برد النعمة." [٢]

"والأعراض المخلوقة إذا وضع بين كتفيه ملاصقا أو غير ملاصق كان من نعم الله العظيمة السابع أن لفظ وضع يده لا يعرف استعمالها في مجرد النعمة مفردا فكيف مع هذا التركيب قال الرازي وأما قوله بين كتفي فإن صح فالمراد ما أوصل إلى قلبه من **أنواع اللطف والرحمة** فالكلام عليه من وجوه أحدها أن هذا كسائر ألفاظ الحديث فلا معنى لتخصيصه بالتعليق دون سائر ألفاظ الحديث وإن قال لفظ اليد ثابت في القرآن والأحاديث المتواترة يقال له لكن ليس في ذلك لفظ وضع يده بهذا اللفظ في هذا الحديث الوجه الثاني أنه قد تقدم أن هذا اللفظ ثابت في هذا الحديث وأن ذلك كان في المنام الثالث قوله فالمراد ما أوصل إلى قلبه من **أنواع اللطف والرحمة** يقال له لا ريب أن في ذلك الحديث." [٣]

"يختصمون فقال لا أدري ثم وضع يده بين كتفيه حتى وجد برد أنامله على صدره ليعلمه هو ما لم يعلم ولهذا قال تجلى لي عقيبها ما بين السماء والأرض فالتجلي والعلم أثر وضع يده بين كتفيه لا أنه هو نفس ما بين الكتفين ولا أنه نفس وضع اليد الرابع أن تسمية ما بين الكتفين **باللطف** والرحمة لا يدل عليه اللفظ لا حقيقة ولا مجازا الخامس أنه إما أن يقول إن **وصول اللطف والرحمة** إلى قلبه هو معنى قوله بين كتفي أو معنى قوله فوضع يده بين كتفي فإن كان الأول فاللفظ المفرد المجرد كيف يدل على معنى الجملة وما وجه ذلك وإن كان الثاني فيكون هذا تأويل قوله فوضع يده بين كتفي ويكون ما تقدم من الوجهين في تأويل فوضع يده باطلين لأن هذا يكون هو معنى الجملة وأما قوله وقد روي بين كنفي فعليه وجوه أحدها أن هذا تصحيف وهو كذب محض إما عمدا." [٤]

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٣٨٨

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٧/١٥٢

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٧/٣٧٨

(٤) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٧/٣٨٢

"صفة الضحك والبشبشة

وأما الضحك: فكثير في الأحاديث١. ولفظ البشبشة جاء أيضا أنه يتبشبش للداخل إلى المسجد؛ كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم٢.

---

١ مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة". الحديث رواه البخاري في صحيحه ٣١٠٤٠، كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم، ثم يسلم. ومسلم في صحيحه ٣١٥٠٤، كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة.

٢ الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله له كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم". الحديث أخرجه ابن ماجه واللفظ له (صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم ٦٥٢) . وأحمد في المسند ٢٣٠٧، ٣٢٨، ٣٤٠، ٤٥٣. وابن خزيمة في صحيحه ٢٣٧٩، وصحح إسناده أحمد شاكر ٨٥٠١. ورواه الدارمي في رده على بشر المريسي ص ٢٠٣. وصححه الألباني انظر: صحيح ابن ماجه ٦٥٢. وصحيح الترغيب والترهيب٣٢٥.

والحديث فيه إثبات البشبشة، وهي بمعنى الفرح.

قال ابن الأثير: "البش: فرح الصديق بالصديق، واللطف في المسألة، والإقبال عليه. وقد بششت به أبش". فمعنى البش: الفرح. ويضرب إذا تلقى الصديق صديقه بالبر، وقربه، وأكرمه. انظر: النهاية في غريب الحديث ١١٣٠.

وقال أبو يعلى الفراء بعد الكلام على صفة الفرح لله تعالى: ".... وكذلك القول في البشبشة؛ لأن معناه يقارب معنى الفرح. والعرب تقول: رأيت لفلان بشاشة، وهشاشة، وفرحا. ويقولون: فلان هش بش فرح؛ إذا كان منطلقا؛ فيجوز إطلاق ذلك كما جاز إطلاق الفرح.

وقد ذكر ابن قتيبة هذا الحديث في كتاب الغريب، وقال قوله: (يبشبش) من البشاشة، وهو يتفعل؛ فحمل الخبر على ظاهره، ولم يتأوله". انتهى كلام أبي يعلى في إبطال التأويلات لأخبار الصفات ١٢٤٣. وانظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١١٦٠. ومشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص ٦٨، ٢٥٦. والأسماء والصفات للبيهقي ٢٤٢١-٤٢٢.." (١)

"فصل عدل الله وحكمته وتعليل أفعاله

وهذا الأصل١ دخل في جميع أبواب الدين؛ أصوله، وفروعه؛ في

---

١ المقصود به عدل الله وحكمته والتعليل في أفعاله؛ كما مر في الفصل السابق.

وقد ألف شيخ الإسلام رحمه الله في هذا الأصل رسائل قيمة؛ مثل رسالة في معنى كون الرب عادلا وفي تنزهه عن الظلم. وهي مما ألفه رحمه الله في محبسه الأخير بالقلعة بدمشق. (انظر جامع الرسائل ١١١٩-١٤٢) . وكذلك رسالة في شرح

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٤٤٩/١

حديث أبي ذر: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي"؛ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ٢٢٠٥-٢٤٦. وانظر منهاج السنة النبوية ١١٣٣-١٤٦.

ومما قاله رحمه الله عن هذا الأصل: "وهذا الأصل؛ وهو عدل الرب، يتعلق بجميع أنواع العلم والدين؛ فإن جميع أفعال الرب ومخلوقاته داخلة في ذلك، وكذلك أقواله وشرائعه وكتبه المنزلة، وما يدخل في ذلك من مسائل المبدأ والمعاد، ومسائل النبوات، وآياتهم، والثواب والعقاب، ومسائل التعديل والتجوير، وغير ذلك. وهذه الأمور مما خاض فيه جميع الأمم". جامع الرسائل ١١٢٥.

وشيخ الإسلام رحمه الله يرد على المبتدعة في أصولهم التي بنوا عليها معتقداتهم، فلذلك ربط رحمه الله بين المعجزات وثبوت النبوة، مع مسائل العدل والحكمة.

وقد ذكر أحد أئمة الأشاعرة أن النبوات والمعجزات مبنية على أصول، ومرتبة على قواعد. وأصل هذه الأصول كما ذكر هو القول بالتعديل والتجوير.

يقول الجويني في الإرشاد ص ٢٥٧ عن القول في التعديل والتجوير: (إن مضمون هذا الأصل العظيم، والخطب الجسيم تحصره مقدمتان، وثلاث مسائل:

إحدى المقدمتين في الرد على من قال بتحسين العقل وتقبيحه.

والأخرى: أنه لا واجب على الله تعالى يدل عليه العقل.

وأما المسائل الثلاث؛ فإحداها في بيان مذاهب أهل الملل في إيلام الله تعالى من يؤلمه من عباده وخليقته. وهذه المسألة تتشعب القول في التناسخ والأعراض. والمسألة الثانية في الصلاح والأصلح. والثالثة **في اللطف ومعناه**.

وإذا نجزت هذه الأصول افتتحنا بعده المعجزات، ورتبنا على ثبوت النبوات السمعيات) .

فالتعديل والتجوير هو أصل الأصول التي بنى عليها هؤلاء إثبات النبوة.

لذلك كان اهتمام شيخ الإسلام رحمه الله في الرد على أصحابها، ونقض ما عندهم من الباطل، وإظهار الحق وإعزازه بالدليل والبرهان.." [1]

"والأرض بالماء، فإنه من المعلوم أنه لو كان عنده ماء ورد، وخل، وغير ذلك، لم يأمرهم بإفساده، فكيف إذا لم يكن عندهم. ومنهم من قال: إن الماء له **من اللطف ما** ليس لغيره من المائعات، فلا يلحق غيره به، وليس الأمر كذلك، بل الخل، وماء الورد، وغيرهما يزيلان ما في الآنية من النجاسة كالماء، وأبلغ والاستحالة أبلغ في الإزالة من الغسل بالماء فإن الإزالة بالماء قد يبقى معها لون النجاسة فيعفى عنه، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «يكفيك الماء ولا يضرك أثره» .

وغير الماء يزيل الطعم واللون والريح.

ومنهم من قال: كان القياس أن لا تزول بالماء لتنجسه بالملاقاة، لكن رخص في الماء للحاجة فجعل الإزالة بالماء صورة

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٤٦٧/١

استحسان فلا يقاس عليها، وكلا المقدمتين باطلة، فليست إزالتها به على خلاف القياس أن الحكم إذا ثبت بعلة زال بزوالها.

وقولهم إنه ينجس بالملاقاة ممنوع، ومن سلمه فرق بين الوارد والمورود، وبين الجاري والواقف، ولو قيل: إنها على خلاف القياس، فالصواب إنما خلف القياس عليه إذا عرفت علته، إذ الاعتبار في القياس بالجامع والفارق، واعتبار طهارة الخبث بطهارة الحدث ضعيف، فإن طهارة الحدث من باب الأفعال المأمور بها، ولهذا لم تسقط بالنسيان والجهل، واشترط فيها النية عند الجمهور، وأما طهارة الخبث فإنها من باب التروك فمقصودها اجتناب الخبث، ولهذا لا يشترط فيها فعل العبد ولا قصده، بل لو زالت بالمطر النازل من السماء حصل المقصود، كما ذهب إليه أئمة المذاهب وغيرهم. ومن قال من أصحاب الشافعي، وأحمد: إنهم اعتبروا فيها النية فهو قول شاذ مخالف للإجماع السابق، مع مخالفته لأئمة المذاهب، وإنما قيل: هذا من ضيق." (١)

"كل وقت إماما معصوما لأنه لطف في التكليف **واللطف** على الله واجب ويحتجون على ذلك بأقيسة يذكرونها.

كما ثبت هذا ونحوه أن الكلام معنى مباين للعلم والإرادة بأقيسة يذكرونها فإذا زعموا أنهم أثبتوا ذلك بالقياس العقلي ويقولون إن المعصوم يجب أن يكون معلوما بالنص إذ لا طريق إلى العلم بالعصمة إلا النص ثم يقولون ولا منصوص عليه بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا علي لأنه ليس في الأمة من ادعى النص لغيره فلو لم يكن هو منصوصا عليه لزم إجماع الأمة على الباطل إذ القائل قائلان قائل بأنه منصوص عليه وقائل بأنه لا نص عليه ولا على غيره وهذا القول باطل فيما زعموا بما يذكرونه من وجوب النص عقلا فيتعين صحة القول الأول وهو أنه هو المنصوص عليه لأن الأمة إذا اجتمعت في مسألة على قولين كان أحدهما هو الحق ولم يكن الحق في ثالث فهذا نظير حجته.

ولهذا لما تكلمنا على بطلان هذه الحجة لما خاطبت الرافضة وكتبت في ذلك ما يظهر به المقصود وأبطلنا ما ذكروه من الدلالة على وجوب معصوم وبينت تناقض هذا الأصل وامتناع توقف التكليف عليه وأنه يفضي إلى تكليف ما لا يطاق وخاطبت بذلك أفضل من رأيته منهم واعترف بصحة ذلك وبالإنصاف في مخاطبته وليس هذا موضع ذلك لكن المقصود والاحتجاج بالإجماع فإنا قلنا لهم لا نسلم أن أحدا من الأمة لم يدع النص على غير علي بل طوائف من أهل السنة يقولون إن خلافة أبي بكر ثبتت بالنص ثم منهم من يقول بنص جلي ومنهم من يقول بنص خفي، وأيضا فالروندية تدعي النص على العباس، وأيضا فالمدعون للنص على علي مختلفون في أن يقال النص عنه في ولده اختلافا كثيرا فلا يمكن أن يقال إنه لم يدع أحد النص على واحد بعد واحد إلا ما ادعوه في المنتظر بل إخوانهم الشيعة يدعون دعاوى مثل دعاويهم لغير المنتظر فبطل الأصل الذي بنوا عليه إمامة المعصوم الذي يجب على أهل العصر طاعته ولو فرض أن عليا كان هو الإمام فإنه لا يجب علينا طاعة من قد مات بعينه إلا الرسول وإنما المتعلق بنا ما يدعونه من وجوب طاعتنا لهذا الحي المعصوم ولو فرض

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٤٢٩/١

أنه لم يدع النص غيرهم فهذه الحيلة التي سلكوها في تقرير النص على علي مبنية على كذب افتروه وقياس وضعوه لنفاق ذلك الكذب فإنهم." (١)

"وعلى قولكم: لا نعلم شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – في أهل النار، لأنه لا يعلم هل يدخلها أم لا، وقولكم إلى إفساد الشريعة أقرب من قول المعتزلة.

وكذلك في مسائل القدر فإن المعتزلة أنكروا أن يكون الله خالق أفعال العباد، أو مريدا لجميع الكائنات، بل الإرادة عندهم بمعنى المحبة والرضا، وهو لا يحب ويرضى إلا ما أمر به فلا يريد إلا ما أمر به، وأنتم وافقتموهم على أصلهم الفاسد، وقاسمتموهم بعد ذلك الضلال، فصرتم وهم في هذه المسائل كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مفارقة الكتاب، وقلتم: إن الإرادة بمعنى المحبة والرضا كما قالت المعتزلة، لكن قلتم وهو أراد كل ما يفعله العباد فيجب أن يكون محبا راضيا لكل ما يفعله العباد حتى الكفر والفسوق والعصيان.

وتأولتم قوله: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر: ٧] على المؤمنين من عباده، وعلى قولكم لا يرضى لعباده الإيمان يعني الكافرين منهم، إذ عندكم كل من فعل فعلا فقد رضيه منه، ومن لم يفعله لا يرضاه منه فقد رضي عندكم من إبليس وفرعون ونحوهما كفرهم ولم يرض منهم الإيمان.

وكذلك قلتم في قوله: ﴿لا يحب الفساد﴾ [البقرة: ٢٠٥] أي لا يحبه للمؤمنين، وأما من قال منكم لا يحبه دينا أو لا يرضاه دينا، فهذا أقرب لكنه بمنزلة قولكم لا يريده دينا ولا يشاؤه دينا فيجوز عندكم أن يقال يحب الفساد ويرضاه، أي يحبه فسادا ويرضاه فسادا كما أراده فسادا.

وأنكرتم على المعتزلة ما أنكره المسلمون عليهم وهو قولهم: إن الله لا يقدر أن يفعل بالكفار غير ما فعل بهم من **اللطف**.

وأنكرتم على من قال منهم إن خلاف المعلوم غير مقدور، ثم قلتم: إن العبد لا يقدر على غير ما علم منه، وأنه لا استطاعة له إلا إذا كان فاعلا فقط، فأما من لم يفعل فإنه لا استطاعة له أصلا فخالفتم قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ [آل عمران: ٩٧]." (٢)

"يملئوا لي (١) هذا البيت ذهبا على أن أكذب على علي [لأعطوني، ووالله ما] أكذب عليه أبدا) ، وقد روي هذا الكلام مبسوطا عنه أكثر من هذا، لكن (٢) الأظهر أن المبسوط من كلام غيره.

كما [روى أبو حفص بن] شاهين في كتاب اللطيف في السنة (٣) : حدثنا (٤) محمد بن [أبي] القاسم (٥) بن هارون، حدثنا أحمد بن الوليد الواسطي، حدثني جعفر [بن نصير الطوسي الواسطي] ، عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول، عن أبيه قال: قال لي (٦) الشعبي: (أحذركم هذه الأهواء (٧) [المضلة، وشرها الرافضة] لم يدخلوا في الإسلام رغبة، ولا رهبة، ولكن مقتا لأهل الإسلام، وبغيا عليهم قد حرقهم علي – رضي الله عنه – بالنار (٨) ، ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله بن سبأ: يهودي من يهود صنعاء نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر (٩) .

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٦/٥٠٠

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٦/٦٤٠

---

(١) لي: ساقطة من (ب) فقط.

(٢) أ، ل، ب: الكلام عنه مبسوطا لكن. والمثبت من (ن) ، (م) .

(٣) أ، ل، ب: اللطف في السنة؛ م: اللطيف في السنية. وابن شاهين هو أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي المتوفى سنة ٣٨٥. ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٨٣/٣ - ١٨٤؛ سزكين م [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص ٤٢٥ - ٤٢٧.

(٤) ن، م: وقد روى.

(٥) ن، م: محمد بن القاسم.

(٦) لي: زيادة في (ن) .

(٧) ب (فقط) : أحذركم أهل هذه الأهواء.

(٨) بالنار: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٩) أ، ل خارز، ن: حادر؛ م. . حادن. وقد ذكر الحسن بن موسى النوبختي (وهو من كبار علماء الشيعة) في كتابه " فرق الشيعة " (ط. إستانبول ١٩٣١) ، ص ١٩ - ٢٠ ما يلي: فلما قتل. علي - عليه السلام - افترقت التي ثبتت على إمامته وأنها فرض من الله - عز وجل - ورسول الله - عليه السلام - فصاروا فرقا ثلاثا: فرقة منهم قالت: إن عليا لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما وجورا، وهي أول فرقة قالت في الإسلام بالوقف بعد النبي - صلى الله عليه وسلم وآله - من هذه الأمة، وأول من قال منها بالغلو وهذه الفرقة تسمى " السبئية " أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال إن عليا - عليه السلام - أمره بذلك، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقر به فأمر بقتله. وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي - عليه السلام - أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا - عليه السلام -، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى - عليه السلام - بهذه المقالة فقال في إسلامه بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وآله - في علي - عليه السلام - بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي - عليه السلام - وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه فمن هناك قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية ".

وانظر عن عبد الله بن سبأ والسبئية ما ذكر في مقالات الأشعري ٨٥/١ - ٨٦؛ الإسفراييني: التبصير في الدين، ص ٧١ - ٧٢؛ الفرق بين الفرق، ص ١٤٣ - ١٤٥، الملل والنحل ١٥٥/١ - ١٥٦؛ كتاب " الشيعة والتشيع " للأستاذ إحسان إلهي ظهير، ص ٦٧ - ٧٧، ط. هور، باكستان، ١٤٠٤ ١٩٨٤.

ويذكر ابن طاهر البغدادي (الفرق بين الفرق ص ١٨) أن السبئية أظهروا بدعتهم في زمان علي - رضي الله عنه - فقال بعضهم لعلي: أنت الإله، فأحرق علي قوما منهم ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن (ويسميها ياقوت في " معجم البلدان " بساباط كسرى بالمدائن) . وأما عبد الله بن يسار فهو عبد الله بن أبي ليلى. ذكره الذهبي (ميزان الاعتدال ٥٢٧/٢) وابن

حجر (لسان الميزان ٣/٣٧٩) ولم يذكرا سنة وفاته وقالا إن حديثه عن علي لا يصح. وخازر (بكسر الزاي) نهر بين إربل والموصل (ياقوت) .." (١)

"خالق (١) كل شيء، ولا إنه على كل شيء قدير، ولا إنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن لكن التوحيد، والعدل، والنبوة مقدم (٢) على الإمامة، فكيف تكون [الإمامة] (٣) أشرف، وأهم؟ .

وأيضا: فإن الإمامة (٤) إنما أوجبوها لكونها لطفا في الواجبات، فهي. واجبة الوسائل، فكيف تكون الوسيلة أهم، وأشرف (٥) من المقصود؟ .

[الوجه الثالث الإمامة عند الرافضة لا **تحقق اللطف والمصلحة**]

الوجه الثالث:

أن يقال: إن كانت الإمامة أهم مطالب الدين، وأشرف مسائل المسلمين، فأبعد الناس عن هذا الأهم الأشرف هم الرافضة، فإنهم [قد] (٦) قالوا في الإمامة أسخف قول، وأفسده في العقل والدين، كما سنبينه إن شاء الله تعالى [إذا تكلمنا عن حججهم] (٧) ، ويكفيك أن مطلوبهم بالإمامة أن يكون لهم رئيس معصوم يكون لطفا في مصالح دينهم، ودنياهم، وليس في الطوائف أبعد عن (٨) مصلحة **اللطف**، والإمامة منهم، فإنهم يحتالون على مجهول، ومعدوم لا يرى له عين، ولا أثر، ولا يسمع له حس، ولا خبر، فلم يحصل لهم من الأمر المقصود بإمامته شيء.

وأي من فرض إماما نافعا في بعض مصالح الدين والدنيا كان خيرا ممن

---

(١) ن، م: ولا يقولون إن الله خالق.

(٢) ب (فقط) : مقدمه.

(٣) الإمامة: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٤) أ، ب: فالإمامة.

(٥) ب (فقط) : أشرف وأهم.

(٦) قد: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٨) ن، م: من.." (٢)

"لا ينتفع به في شيء من مصالح الإمامة، ولهذا تجدهم لما فاتهم مصلحة الإمامة يدخلون في طاعة كافر، أو ظالم لينالوا به بعض مقاصدهم، فبينما هم يدعون الناس إلى طاعة إمام معصوم أصبحوا يرجعون إلى طاعة ظلوم كفور، فهل

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٣/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٠٠/١

يكون أبعد عن مقصود الإمامة، وعن الخير والكرامة ممن سلك منهاج الندامة؟ .

وفي الجملة، فالله تعالى قد علق بولاة الأمور مصالح في الدين والدنيا، سواء كانت الإمامة أهم الأمور، أو لم تكن، والرافضة أبعد الناس عن حصول هذه المصلحة لهم، فقد فاتهم على قولهم الخير المطلوب من أهم مطالب الدين، وأشرف مسائل المسلمين.

ولقد طلب [مني] (١) أكابر شيوخهم الفضلاء أن يخلو بي، وأتكلم معه في ذلك، فخلوت به، وقررت له ما يقولونه في هذا الباب كقولهم إن الله أمر العباد، ونهاهم (٢ لينالوا به بعض مقاصدهم ٢) (٢) ، فيجب أن يفعل بهم اللطف الذي يكونون عنده أقرب إلى فعل الواجب، وترك القبيح؛ لأن من دعا شخصا ليأكل طعامه، فإذا كان مراده الأكل فعل ما يعين على ذلك من الأسباب كتلقيه بالبشر، وإجلاسه في مجلس يناسبه، وأمثال ذلك، وإن لم يكن مراده (٣) أن يأكل عبس في. وجهه، وأغلق الباب، ونحو ذلك.

وهذا أخذوه من المعتزلة ليس هو من أصول شيوخهم القدماء.

ثم قالوا: والإمام لطف؛ لأن الناس إذا كان لهم إمام يأمرهم بالواجب،

---

(١) مني: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٢) (٢ - ٢) ساقط من (أ) ، (ب) .

(٣) ن، م: وإن لم يكن ذلك مراده.." [(١)]

"إنكارا لتكليف ما لا يطاق، فهل يكون في تكليف ما لا يطاق أبلغ من هذا؟ ! .

فقال: إثبات هذا مبني على تلك المقدمات.

قلت: لكن المقصود لنا من تلك المقدمات هو ما يتعلق بنا نحن، وإلا فما علينا ما مضى إذا لم يتعلق بنا منه أمر ولا نهي، وإذا كان كلامنا في تلك المقدمات لا يحصل لنا فائدة ولا لطفا، ولا يفيدنا إلا تكليف (١) ما لا يقدر عليه علم أن الإيمان بهذا المنتظر من باب الجهل، والضلال لا من باب المصلحة واللطف (٢) .

والذي عنه الإمامية من النقل عن الأئمة الموتى: إن كان حقا يحصل به سعادتهم، فلا حاجة (٣) بهم إلى المنتظر، وإن كان (٤) باطلا، فهم أيضا لم ينتفعوا بالمنتظر في رد هذا الباطل، فلم ينتفعوا بالمنتظر [لا.] (٥) في إثبات حق، ولا في نفي باطل، ولا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، ولم يحصل لواحد منهم به شيء من المصلحة، واللطف المطلوب (٦) من الإمامة.

والجهال الذين يعلقون أمورهم بالمجهولات كرجال الغيب، والقطب،

---

(١) ن، م: بتكليف.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/١٠١

(٢) أ، ب: اللطف والمصلحة.

(٣) ن، م: ولا حاجة.

(٤) ن، م: فإن كان.

(٥) لا: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٦) ب (فقط) : واللطف والمنفعة المطلوبة. ١." [1]

"ولهذا كانت الشيعة فيه (١) على قولين.

[الوجه الثالث الإمامة عندهم لا يحصل بها اللطف]

الوجه الثالث:

أن قوله: إنه نصب أولياء معصومين لئلا يخلي الله العالم من لطفه، ورحمته.

إن أراد بقوله: إنه نصب أولياء أنه مكنهم، وأعطاهم القدرة على سياسة الناس حتى ينتفع الناس بسياستهم (٢) ، فهذا كذب واضح، وهم لا يقولون. ذلك، بل يقولون: إن الأئمة مقهورون مظلومون عاجزون ليس لهم سلطان، ولا قدرة، ولا مكنة، ويعلمون أن الله لم يمكنهم، ولم يملكهم، فلم يؤتهم (٣) ولاية، ولا ملكا كما آتى المؤمنين والصالحين (٤) ، ولا كما آتى الكفار والفجار.

فإنه سبحانه قد آتى الملك لمن آتاه من الأنبياء، كما قال في داود: ﴿وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء﴾ [سورة البقرة: ٢٥١] ، وقال تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما﴾ [سورة النساء: ٥٤] ، وقال تعالى: ﴿وقال الملك ائتوني به﴾ [سورة يوسف ٥٤] .

وقال: ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ [سورة الكهف: ٧٩] ،

---

(١) . أ، ب: في هذا. .

(٢) م: حتى ينتفع بسياستهم؛ أ: حتى ينتفعوا الناس بسياستهم.

(٣) ن، م: ولم يولهم.

(٤) أ، ب: المؤمنين الصالحين.." [2]

"وقال [تعالى] (١) : ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨] .

فقد آتى الملك لبعض الكفار، كما آتاه لبعض الأنبياء، ومن بعد علي - رضي الله عنه -، والحسن لم يؤت الملك لأحد (٢) من هؤلاء، كما أوتيه الأنبياء، والصالحون، ولا كما أوتيه غيرهم من الملوك، فبطل أن يكون الله نصب هؤلاء المعصومين

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٠٣/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٣١/١

على هذا الوجه.

فإن قيل: المراد بنصبهم أنه أوجب على الخلق طاعتهم، فإذا أطاعوهم هدوهم لكن الخلق عصوهم.

فيقال: فلم يحصل بمجرد ذلك في العالم لا لطف، ولا رحمة، بل (٣) إنما حصل تكذيب الناس لهم، ومعصيتهم إياهم، وأيضا، فالمؤمنون بالمنتظر لم ينتفعوا به، ولا حصل [لهم] (٤) به لطف، ولا مصلحة مع كونهم يحبونه، ويوالونه فعلم أنه لم يحصل به لطف (٥) ، ولا مصلحة لا لمن أقر بإمامته، ولا لمن جحدها.

فبطل ما يذكرون أن العالم حصل فيه **اللطف**، والرحمة بهذا المعصوم، وعلم بالضرورة أن هذا (٦) العالم لم يحصل فيه بهذا المنتظر شيء من ذلك لا لمن آمن به، ولا لمن كفر به بخلاف الرسول، والنبي الذي بعثه الله،

---

(١) تعالى: ليست في (ن) .

(٢) أ: أن آتاه الله الملك فقد آتى الله الملك لأحد؛ ب: أن آتاه الله الملك فلم يؤت الله الملك لأحد. ١

(٣) بل: ليست في (أ) ، (ب) .

(٤) لهم: ساقطة من (ن) فقط.

(٥) أ، ب: به لا لطف.

(٦) هذا: ساقطة من (أ) ، (ب) .." [1]

"وكذبه قوم، فإنه انتفع به من آمن به، وأطاعه، فكان رحمة في حق المؤمن به المطيع له (١) ، وأما العاصي فهو المفرط.

وهذا المنتظر لم ينتفع به لا مؤمن به (٢) ، ولا كافر به (٣) ، وأما سائر الاثني عشر سوى علي (٤) ، فكانت المنفعة بأحدهم كالمنفعة بأمثاله من أهل العلم والدين من جنس تعليم العلم، والتحديث، والإفتاء (٥) ، ونحو ذلك، وأما المنفعة المطلوبة من الأئمة ذوي السلطان والسيف، فلم تحصل لواحد منهم، فتبين أن ما ذكره من **اللطف**، والمصلحة بالأئمة تلبيس محض، وكذب.

[الوجه الرابع مقالة أهل السنة في عدل الله وحكمته]

الوجه الرابع:

أن قوله عن أهل السنة إنهم لم يثبتوا العدل، والحكمة، وجوزوا عليه فعل القبيح، والإخلال بالواجب نقل باطل عنهم من وجهين:

أحدهما: أن كثيرا من أهل السنة الذين لا يقولون في الخلافة بالنص (٦) على علي، ولا بإمامة الاثني عشر يثبتون ما ذكره من العدل، والحكمة على الوجه الذي قاله هو - وشيوخه عن هؤلاء أخذوا ذلك - كالمعتزلة، وغيرهم ممن وافقهم متأخرو

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٣٢/١

(٧) الرافضة على القدر، فنقله عن جميع أهل السنة

---

(١) ن، م: في حق المؤمنين به المطيع له، وهو تحريف.

(٢) به: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٣) به: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٤) عبارة " سوى علي ": ساقطة من (ب) فقط.

(٥) ن، م: والحديث في الإفتاء.

(٦) ن، م، أ: أهل السنة في الخلافة الذين لا يقولون بالنص. والمثبت من (ب) .

(٧) أ، ب: من متأخري.." [1]

"الذين قاتلهم المسلمون (١) بالشام، كانت الرافضة من أعظم أعوانهم (٢) . وكذلك إذا صار اليهود (٣) دولة بالعراق وغيره تكون الرافضة من أعظم أعوانهم (٤) فهم (٥) دائما يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى، ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم.

ثم إن هذا (٦) ادعى عصمة الأئمة دعوى لم يقم عليها حجة (٧) ، إلا ما تقدم من أن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين لما في ذلك من المصلحة **واللطف**، ومن المعلوم المتيقن (٨) : أن هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة **واللطف**، سواء كان ميتا كما يقوله الجمهور أو كان حيا كما تظنه الإمامية. وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل بهم شيء من المصلحة **واللطف** الحاصلة (٩) من إمام معصوم ذي سلطان، كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة بعد الهجرة، فإنه كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته (١٠) ، ويحصل بذلك سعادتهم، ولم يحصل بعده

---

(١) أ، ب: قاتلوا المسلمين.

(٢) أ، ب: المعاونين لهم.

(٣) ن، م، و: ليهودي.

(٤) ن، م، و: أعوانه.

(٥) ن، م: وهم.

(٦) ن، م: ثم إنه، و: ثم هذا.

(٧) و: ادعى عصمة الأئمة فلم يقم عليها حجة، ن، م: ادعى عصمة الأئمة دعوى ولم يقم عليها حجة.

(٨) و: المتبين.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٣٣/١

(٩) ن: الحاصل.

(١٠) ن: الذين تجب عليهم طاعته، م: الذي عليهم طاعته.." [١]

"أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا علي – رضي الله عنه – (١) زمن خلافته.

ومن المعلوم بالضرورة أن **حال اللطف والمصلحة** التي (٢) كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة أعظم **من اللطف والمصلحة** (٣) الذي كان [في خلافة علي] (٤) زمن القتال والفتنة والافتراق، فإذا لم يوجد من يدعي الإمامية فيه أنه معصوم وحصل له سلطان بمبايعة ذي الشوكة (٥) إلا علي وحده، وكان مصلحة المكلفين **واللطف** الذي حصل لهم في دينهم ودنياهم في ذلك الزمان أقل منه في زمن الخلفاء الثلاثة – علم (٦) بالضرورة أن ما يدعونه **من اللطف والمصلحة** الحاصلة بالأئمة المعصومين باطل (٧) قطعا.

وهو (٨) من جنس الهدى والإيمان الذي يدعى في رجال (٩) الغيب بجبل لبنان وغيره من الجبال (١٠) مثل جبل قاسيون بدمشق، ومغارة الدم، وجبل الفتح بمصر، ونحو ذلك من الجبال والغيران (١١) ، فإن

---

(١) رضي الله عنه: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٢) أ، ب: ومن المعلوم أن المصلحة **واللطف** الذي.

(٣) أ، ب: المصلحة **واللطف**.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م)

(٥) ن: بمتابعة ذوي الشوكة، م: بمبايعة (غير منقوطة) ذوي الشوكة، و: بمبايعته ذوي الشوكة.

(٦) أ، ب، ن: فعلم.

(٧) أ، ب: باطلة.

(٨) وهو: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٩) أ، ب، ن، م: برجال.

(١٠) من الجبال، ساقطة من (ن) ، (م) .

(١١) في لسان العرب الغار كالكهف في الجبل، والجمع الغيران.." [٢]

"بني أمية الذين كانوا يوجبون طاعة أئمتهم طاعة (١) . مطلقا، ويقولون: إن ذلك يوجب النجاة مصيبين على الحق (٢) ،، وكانوا في سبهم عليا وغيره، وقتالهم لمن قاتلوه من شيعة علي مصيبين ؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن طاعة الأئمة واجبة في كل شيء، وأن الإمام لا يؤاخذه الله بذنب، وأنه (٣) . لا ذنب لهم فيما أطاعوا فيه الإمام، بل أولئك أولى بالحجة من الشيعة ؛ لأنهم كانوا مطيعين (٤) . أئمة أقامهم الله ونصبهم وأيدهم وملكهم، فإذا كان من مذهب القدرية أن الله لا يفعل

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٧٨/٣

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٧٩/٣

إلا ما هو الأصلح لعباده، كان تولية أولئك الأئمة (٥) . مصلحة لعباده.

ومعلوم أن اللطف والمصلحة التي حصلت بهم أعظم من اللطف والمصلحة التي حصلت (٦) . بإمام معدوم أو عاجز. ولهذا حصل لأتباع خلفاء بني أمية من المصلحة في دينهم ودنياهم، أعظم مما حصل لأتباع المنتظر ؛ فإن هؤلاء لم يحصل لهم إمام يأمرهم بشيء من المعروف (٧) . ولا ينهاهم عن شيء من المنكر، ولا يعينهم على شيء من مصلحة دينهم ولا دنياهم، بخلاف أولئك فإنهم انتفعوا بأئمتهم منافع كثيرة في دينهم ودنياهم، أعظم مما انتفع هؤلاء بأئمتهم.

---

(١) طاعة: ساقطة من (أ) ، (ب)

(٢) عبارة " على الحق ": ساقطة من (أ) ، (ب)

(٣) ب فقط: وأنهم

(٤) و: يطيعون

(٥) الأئمة: ساقطة من (أ) ، (ب)

(٦) هـ، ر، و، ص، م: تحصل، ن: تحصلت

(٧) أ، ب: بشيء معروف." [1]

"لأحد، لأجل هذا الخوف، لم يكن في وجوده لطف ولا مصلحة، فكان هذا مناقضا لما أثبتوه. بخلاف من أرسل من الأنبياء وكذب، فإنه بلغ الرسالة، وحصل لمن آمن من اللطف والمصلحة ما هو من نعم الله عليه. وهذا المنتظر لم يحصل به لطائفته إلا الانتظار لمن لا يأتي، ودوام الحسرة والألم، ومعاداة العالم، والدعاء الذي لا يستجيبه الله؛ لأنهم يدعون له بالخروج [والظهور] (١) (* من مدة أكثر من أربعمائة وخمسين سنة لم (٢) يحصل شيء من هذا. ثم إن عمر واحد من المسلمين *) (٣) هذه المدة أمر يعرف كذبه بالعادة المطردة في أمة محمد، فلا يعرف أحد ولد في دين (٤) الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة (٥) ، فضلا عن هذا العمر. وقد ثبت في الصحيح (٦) عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في آخر عمره: " «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإنه (٧) على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها (٨) أحد» (٩) .

---

(١) والظهور ساقطة من (ن) . وفي (أ) ، (ب) : بالظهور والخروج.

(٢) ب (فقط) : ولم.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من (و) .

(٤) ب (فقط) : زمن.

(٥) ن، م، ر، هـ، و: مائة وعشر سنين.

---

[1] منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٨٧/٣

(٦) ص: في الصحيحين.

(٧) ب، م: فإن.

(٨) ص، هـ، و، ر: عليها اليوم.

(٩) الحديث عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - في: البخاري ١/١١٩ ١٢٠ (كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء) ونصه: صلى النبي - صلى الله عليه وسلم - صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: " أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد ". فوهل الناس من مقالة رسول الله - عليه السلام - إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض، يريد بذلك أنها تخرم ذلك. وجاء الحديث مختصرا في موضعين آخرين في: البخاري ١ (كتاب العلم، باب السمر في العلم) ، ١/١١٣ (كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء والعتمة. .) . وجاء الحديث مفصلا في: مسلم ٤/١٩٦٥ ١٩٦٦ (كتاب فضائل الصحابة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم) ، سنن أبي داود ٤/١٧٦ (كتاب الملاحم، باب قيام الساعة) سنن الترمذي ٣/٣٥٤ ٣٥٥ (كتاب الفتن، باب ٥٥) . وقال محقق سنن أبي داود: " وقد أخرج مسلم في صحيحه أن أبا الطفيل بن عامر بن واثلة آخر من مات من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأن وفاته كانت سنة مائة من الهجرة "." (١)

"من الثلاثة، وأن شيعته الذين قاتلوا معه أفضل من الذين بايعوا الثلاثة، فضلا عن أصحاب معاوية.

والمعلوم باتفاق الناس أن الأمر انتظم للثلاثة ولمعاوية ما لم ينتظم لعلي، فكيف يكون الإمام الكامل والرعية الكاملة - على رأيهم - أعظم اضطرابا وأقل انتظاما من الإمام الناقص والرعية الناقصة؟ بل من الكافرة والفاسقة على رأيهم؟

ولم يكن في أصحاب علي من العلم والدين والشجاعة والكرم، إلا ما هو دون ما في رعية الثلاثة. فلم يكونوا أصلح في الدنيا ولا في الدين.

ومع هذا فلم يكن للشيعة إمام ذو سلطان معصوم بزعمهم أعظم من علي، فإذا لم يستقيموا معه كانوا أن لا يستقيموا مع من هو دونه أولى وأحرى، فعلم أنهم شر وأنقص (١) من غيرهم.

وهم يقولون: المعصوم إنما وجبت عصمته لما في ذلك من اللطف بالمكلفين والمصلحة لهم. فإذا علم أن مصلحة غير الشيعة في كل زمان خير من مصلحة الشيعة، واللطف لهم أعظم من اللطف للشيعة، علم أن ما ذكروه (٢) من إثبات العصمة باطل.

وتبين حينئذ حاجة الأئمة إلى الأمة، وأن الصديق هو الذي قال الحق وأقام العدل أكثر (٣) من غيره.

---

(١) ح، ر، ب، ي: أنهم أنقص.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٩١

(٢) ح: أن ما ذكره.

(٣) ح، ر، ي: أعظم.." [1]

"الناس منه. ألا ترى أن ابن عباس لما كان كثير العلم عرفت (١) الأمة له ذلك، واستفادت منه، وشاع ذكره بذلك في الخاصة والعامة.

وكذلك الشافعي لما كان عنده من العلم والفقه ما يستفاد منه (٢) ، عرف المسلمون له ذلك، واستفادوا ذلك منه، وظهر ذكره بالعلم والفقه.

ولكن إذا لم يجد الإنسان مقصوده في محل لم يطلبه منه. ألا ترى أنه لو قيل عن أحد: إنه طبيب أو نحوي، وعظم حتى جاء إليه الأطباء أو النحاة، فوجدوه لا يعرف من الطب والنحو ما يطلبون، أعرضوا عنه، ولم ينفعه مجرد دعوى الجهال وتعظيمهم.

وهؤلاء الإمامية أخذوا عن المعتزلة أن الله يجب عليه الإقدار والتمكين **واللطف**، بما يكون المكلف (٣) عنده أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، مع تمكنه في الحالين.

ثم قالوا: والإمامة واجبة، وهي أوجب عندهم من النبوة، لأن بها لطفا في التكاليف. قالوا: إنا نعلم يقينا بالعادات (٤) واستمرار الأوقات أن الجماعة متى كان لهم رئيس مهيب مطاع متصرف منبسط اليد كانوا بوجوده أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإذا لم يكن لهم رئيس (٥) وقع الهرج والمرج بينهم، وكانوا عن الصلاح أبعد، ومن الفساد أقرب.

وهذه الحال مشعرة بقضية العقل معلومة لا ينكرها إلا من جهل

---

(١) م: كيف عرفت.

(٢) ن، م: ما يستفيد منه.

(٣) ب: الممكن، وهو خطأ.

(٤) ن: نقصا بالعادات، م: نقصا بالعبادات.

(٥) ساقط من (ب) فقط.." [2]

"العادات ولم يعلم استمرار القاعدة المستمرة في العقل. قالوا: وإذا كان هذا لطفا في التكليف لزم وجوبه. ثم ذكروا صفاته من العصمة وغيرها.

ثم أورد طائفة منهم على أنفسهم سؤالا، فقالوا: إذا قلتم: إن الإمام لطف، وهو غائب عنكم **فأين اللطف الحاصل** مع غيبته؟ وإذا لم يكن لطفه حاصلا مع الغيبة وجاز التكليف بطل أن يكون الإمام لطفا في الدين وحينئذ يفسد القول بإمامة المعصوم.

وقالوا في الجواب عن هذا السؤال: إنا نقول: إن لطف الإمام حاصل في حالة الغيبة للعارفين به في حال الظهور وإنما **فات**

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٦٧/٥

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٨٨/٦

اللطف لمن لم يقل بإمامته. كما أن لطف المعرفة لم يحصل لمن لم يعرف الله تعالى، وحصل لمن كان عارفا به. قالوا: وهذا يسقط هذا السؤال، ويوجب القول بإمامة المعصومين.

فقيل لهم: لو **كان اللطف حاصلا** في حال الغيبة كحال الظهور، لوجب أن يستغنوا عن ظهوره، ويتبعوه (١) إلى أن يموتوا. وهذا خلاف ما يذهبون إليه.

فأجابوا بأنا نقول: **إن اللطف في** غيبته عند العارف به من باب التنفير والتبعيد عن القبائح مثل حال الظهور، لكن نوجب ظهوره لشيء غير ذلك، وهو رفع أيدي المتغلبين عن المؤمنين، وأخذ الأموال ووضعها في مواضعها من أيدي الجبابرة، ورفع ممالك الظلم (٢) التي لا يمكننا رفعها إلا بطريقه (٣) وجهاد الكفار الذي لا يمكن إلا مع ظهوره.

---

(١) ن، م: ويتبعونه.

(٢) ن، م: الظالم.

(٣) أي: بطريق الإمام الغائب المنتظر.." [١]

"واعتبر (١) المدائن والقرى التي يقر أهلها بإمامة المنتظر، مع القرى التي لا يقرون به. تجد حال (٢) هؤلاء أعظم انتظاما وصلاحا في المعاش والمعاد، حتى أن الخبير بأحوال العالم يجد بلاد الكفار، لوجود رؤسائهم يقيمون مصلحة دنياهم أكثر انتظاما من كثير من الأرض (٣) التي ينسبون فيها إلى متابعة المنتظر، لا يقيم لهم سببا من مصلحة دينهم ودنياهم.

ولو قدر أن اعترافهم بوجوده يخافون معه أن يظهر فيعاقبهم على الذنوب، كان من المعلوم أن خوف الناس من ولاة أمورهم المشهورين أن يعاقبوهم، أعظم من خوف هؤلاء من عقوبة المنتظر لهم.

ثم الذنوب قسمان: منها ذنوب ظاهرة، كظلم الناس والفواحش الظاهرة، فهذه تخاف الناس (٤) فيها من عقوبة ولاة أمورهم، أعظم مما يخافه الإمامية من عقوبة المنتظر. فعلم **أن اللطف الذي** أوجبوه لا يحصل بالمنتظر أصلا للعارف به ولا لغيره.

وأما قولهم **إن اللطف به** يحصل للعارفين به، كما يحصل في حال الظهور، فهذه مكابرة ظاهرة ؛ فإنه إذا ظهر حصل به من إقامة الحدود والوعظ وغير ذلك، ما يوجب أن يكون في ذلك لطف لا يحصل مع عدم الظهور.

---

(١) ن: واعتد، م: واعتدا.

(٢) حال: ساقطة من (ب) .

(٣) تكررت في (ب) عبارات في غير موضعها هكذا، أكثر انتظاما وصلاحا في المعاش والمعاد حتى أن الخبير بأحوال العالم

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٨٩/٦

يجد بلاد الكفار من كثير من الأرض. . . . .

(٤) ن: النفس.." [1]

"وتشبيههم معرفته بمعرفة الله في **باب اللطف وأن اللطف** به يحصل للعارف دون غيره، قياس فاسد. فإن المعرفة بأن الله موجود حي قادر، يأمر بالطاعة ويثيب عليها، وينهى عن المعصية ويعاقب عليها، من أعظم الأسباب في الرغبة والرهبة منه، فتكون هذه المعرفة داعية إلى الرغبة في ثوابه، بفعل المأمور وترك المحظور، والرهبة من عقابه إذا عصى، لعلم العبد بأنه عالم قادر، وأنه قد جرت سنته بإثابة المطيعين وعقوبة العاصين.

وأما شخص يعرف الناس أنه (١) مفقود من أكثر من أربعمائة سنة، وأنه لم يعاقب أحدا، وأنه لم يثب أحدا بل هو خائف على نفسه إذا ظهر، فضلا عن أن يأمر وينهى، فكيف تكون المعرفة به (٢) داعية إلى فعل ما أمر وترك ما حظر (٣) ، بل المعرفة بعجزه وخوفه توجب الإقدام على فعل القبائح، لا سيما مع طول الزمان وتوالي الأوقات وقتا بعد وقت، وهو لم يعاقب أحدا ولم يثب أحدا.

بل لو قدر أنه يظهر في [كل] (٤) مائة سنة مرة فيعاقب، لم يكن ما يحصل به **من اللطف مثل** ما يحصل بآحاد ولاة الأمر، بل ولو قيل: إنه يظهر في كل عشر سنين، بل ولو ظهر في السنة مرة، فإنه [لا] تكون (٥) منفعته كمنفعة ولاة الأمور الظاهرين للناس في كل وقت، بل هؤلاء – مع

---

(١) ب: بأنه.

(٢) ن: بها، وهو خطأ.

(٣) ن: ما خطر، وهو تحريف.

(٤) كل: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٥) ن، م: فإنه يكون، وهو خطأ.." [2]

"ذنوبهم وظلمهم في بعض الأمور – شرع الله بهم، وما يفعلونه من العقوبات، وما يبذلونه من الرغبات في الطاعات، أضعاف ما يقام بمن يظهر بعد كل مدة، فضلا عمن هو مفقود، يعلم جمهور العقلاء أنه لا وجود له، والمقرون به يعلمون أنه عاجز خائف لم يفعل قط ما يفعله (١) آحاد الناس، فضلا عن ولاة أمرهم.

وأي هيبة لهذا؟ وأي طاعة، وأي تصرف، وأي يد منبسطة؟ حتى إذا كان للناس رئيس مهيب مطاع متصرف منبسط اليد، كانوا أقرب إلى الصلاح بوجوده.

ومن تدبر هذا علم أن هؤلاء القوم في غاية الجهل والمكابرة والسفسطة، حيث **جعلوا اللطف به** في حال عجزه وغيبته، **مثل اللطف به** في حال ظهوره، وأن المعرفة به مع عجزه وخوفه وفقده لطف، كما لو كان ظاهرا قادرا آمنا، وأن مجرد هذه

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٩١/٦

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٩٢/٦

المعرفة لطف، كما أن معرفة الله لطف.

الوجه الثاني: أن يقال: قولكم: لا بد من نصب إمام معصوم يفعل هذه الأمور.
أتريدون أنه (٢) لا بد أن يخلق الله ويقيم من يكون متصفا بهذه الصفات؟ أم يجب على الناس أن يبايعوا من يكون كذلك؟
.

فإن أردتم الأول، فالله لم يخلق أحدا متصفا بهذه الصفات، فإن غاية ما عندكم أن تقولوا: إن عليا كان معصوما لكن الله لم يمكنه ولم يؤيده،

---

(١) ن، م: مما يفعله.

(٢) ن: أيريدون أنه، م: أيريدون (غير منقوطة) أن.." [1]

"أن يخاطبهم بلسانهم (١) ، فيرسل رسولا بلسانهم ليتفقهوا (٢) عنه، فكان ذكر صحبته لهم هنا **على اللطف بهم**، والإحسان إليهم.
وهذا بخلاف إضافة الصحبة إليه كقوله تعالى: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» " (٣) ، وقوله: " «هل أنتم تاركي لي صاحبي» ؟ " (٤) وأمثال ذلك.
فإن إضافة الصحبة إليه في خطابه (٥) وخطاب المسلمين تتضمن صحبة موالاة له، وذلك لا يكون إلا بالإيمان به فلا يطلق لفظ صاحبه على من صحبه في سفره وهو كافر به.
والقرآن يقول فيه: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ [سورة التوبة: ٤٠] فأخبر الرسول أن الله معه ومع صاحبه، وهذه المعية تتضمن النصر والتأييد، وهو إنما ينصره على عدوه وكل كافر عدوه فيمتنع أن يكون الله مؤيدا له ولعدوه معا، ولو كان مع عدوه لكان ذلك مما يوجب الحزن، ويزيل السكينة فعلم أن لفظ صاحبه تضمن صحبة ولاية ومحبة وتستلزم الإيمان له وبه.

---

(١) ن، م، س: بلسانه.

(٢) ن، م: ليفقهوا. .

(٣) ن، م: نصفه. وسبق هذا الحديث فيما مضى ٢/٢١.

(٤) سبق هذا الحديث قبل صفحات في هذا الجزء

(٥) ن، م، س: فإن إضافة الصحبة إليه ما بلغ في خطابه، وجاءت عبارة " ما بلغ " في النسخ الثلاث تحت عبارة " ما

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٣٩٣

بلغ " في حديث النبي صلى الله عليه وسلم السابق. . ما بلغ مد أحدهم. . . والظاهر أنه سبق نظر من النساخ أو من أحدهم، ولذلك أصاب محقق (ب) بحذف هذه العبارة.." [١]

"أهل الجبت والطاغوت والنفاق، كان وصفه بالنجاسة والتكدير، أولى من وصفه بالتطهير.

ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين، وسادات أولياء الله بعد النبيين، ولهذا لم يجعل الله تعالى في الفيء نصيبا لمن بعدهم، إلا الذين يقولون: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ .

ولهذا كان بينهم وبين اليهود من المشابهة واتباع الهوى وغير ذلك من أخلاق اليهود.

وبينهم وبين النصارى من المشابهة في الغلو والجهل، واتباع الهوى وغير ذلك من أخلاق النصارى، ما أشبهوا به هؤلاء من وجه وهؤلاء من وجه، وما زال الناس يصفونهم بذلك.

ومن أخبر الناس بهم الشعبي، وأمثاله من علماء الكوفة.

وقد ثبت عن الشعبي أنه قال: ما رأيت أحمق من الخشبية، لو كانوا من الطير لكانوا رخما، ولو كانوا من البهائم لكانوا حمرا، والله لو طلبت منهم أن يملؤا هذا البيت ذهبا على أن أكذب على علي لأعطوني، والله ما أكذب عليه أبدا، وقد روي هذا الكلام عنه مبسوطا لكن، الأظهر أن المبسوط من كلام غيره.

كما روى أبو حفص بن شاهين (١) في كتاب اللطف في السنة: حدثنا محمد بن أبي القاسم بن هارون، حدثنا أحمد بن الوليد الواسطي، حدثني جعفر بن نصير الطوسي الواسطي، عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول، عن أبيه، قال. قال الشعبي: أحذركم أهل هذه الأهواء المضلة، وشرها الرافضة، لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتا لأهل الاسلام وبغيا عليهم، وقد حرقهم علي – رضي الله عنه – ونفاهم إلى البلدان.

ومنهم عبد الله بن سبأ من يهود صنعاء، نفاه إلى سباباط، وعبد الله بن يسار نفاه إلى خاذر، وآية ذلك أن محنة الرافضة، محنة اليهود. قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود، وقالت الرافضة لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي، وقالت اليهود: لا جهاد في

---

(١) هو أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي توفي سنة٣٨٥ انظر تذكرة الحفاظ ج٣ص١٨٣.." [٢]

"أصول الدين عند الإمامية

(الوجه الثاني) (١) أن يقال: أصول الدين عند الإمامية أربعة، التوحيد والعدل والنبوة، والإمامة، هي آخر المراتب، والتوحيد والعدل والنبوة قبل ذلك، وهم يدخلون في التوحيد نفي الصفات، والقول بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، ويدخلون في العدل التكذيب بالقدر، وأن الله لا يقدر أن يهدي من يشاء، ولا يقدر أن يضل من يشاء، وأنه قد يشاء ما

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٤٧١

(٢) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/١٤

لا يكون، ويكون ما لا يشاء، وغير ذلك، فلا يقولون أنه خالق كل شيء، ولا إنه على كل شيء قدير، ولا أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لكن التوحيد والعدل والنبوة مقدمة على الإمامة، فكيف تكون الإمامة أشرف وأهم؟ وأيضا فالإمامة إنما أوجبوها لكونها لطفا في الواجبات، فهي واجبة وجوب الوسائل، فكيف تكون الوسيلة أشرف وأهم من المقصود.

تناقض الرافضة في الإمامة بين القول والتطبيق

(الوجه الثالث) : أن يقال إن كانت الإمامة أهم مطالب الدين، وأشرف مسائل المسلمين، فأبعد الناس عن هذا الأهم الأشرف هم الرافضة، فإنهم قد قالوا في الإمامة أسخف قول وأفسده في العقل والدين، كما سنبينه إن شاء الله تعالى إذا تكلمنا عن حججهم.

ويكفيك أن مطلوبهم بالإمامة أن يكون لهم رئيس معصوم، يكون لطفا في مصالح دينهم ودنياهم، وليس في الطوائف أبعد عن **مصلحة اللطف والإمامة** منهم، فإنهم يحتالون على مجهول ومعدوم، لا يرى له عين ولا أثر، ولا يسمع له حس ولا خبر، فلم يحصل لهم من الأمر المقصود بإمامته شيء وأي من فرض إماما نافعا في بعض مصالح الدين والدنيا كان خيرا ممن لا ينتفع به في شيء من مصالح الإمامة.

ولهذا تجدهم لما فاتهم مصلحة الإمامة يدخلون في طاعة كافر أو ظالم لينالوا به بعض مقاصدهم، فبينا هم يدعون الناس إلى طاعة إمام معصوم، أصبحوا يرجعون إلى طاعة

---

(١) الوجه الأول ما تقدم في ص ٣٨ على قول الرافضة أن الإمامة أهم أمور الدين.." (١)

"كفور ظلوم، فهل يكن أبعد عن مقصود الإمامة وعن الخير والكرامة، ممن سلك منهاج الندامة، وفي الجملة فالله تعالى قد علق بولاة الأمور مصالح في الدين والدنيا، سواء كانت الإمامة أهم الأمور أو لم تكن، والرافضة أبعد الناس عن حصول هذه المصلحة لهم، فقد فاتهم على قولهم الخير المطلوب من أهم مطالب الدين وأشرف مسائل المسلمين.

ولقد طلب مني بعض أكابر شيوخهم الفضلاء أن يخلو بي وأتكلم معه في ذلك فخلوت به وقررت له ما يقولونه في هذا الباب كقولهم إن الله أمر العباد ونهاهم، فيجب أن يفعل **بهم اللطف الذي** يكونون عنده أقرب إلى فعل الواجب، وترك القبيح، لأن من دعا شخصا ليأكل طعاما فإذا كان مراده الأكل فعل ما يعين على ذلك من الأسباب، كتلقيه بالبشر وإجلاسه في مجالس مناسبة وأمثال ذلك.

وإن لم يكن مراده أن يأكل عبس في وجهه وأغلق الباب، ونحو ذلك وهذا أخذوه من المعتزلة، ليس هو من أصول شيوخهم القدماء.

ثم قالوا والإمام لطف، لأن الناس إذا كان لهم إمام يأمرهم بالواجب وينهاهم عن القبيح كانوا أقرب إلى فعل المأمور، وترك

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٤٤

المحظور، فيجب أن يكون لهم إمام، ولا بد أن يكون معصوما، لأنه إذا لم يكن معصوما لم يحصل به المقصود، ولم تدع العصمة لأحد بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلا لعلي فتعين أن يكون هو إياه، للإجماع على انتقاء ما سواه وبسطت له العبارة في هذه المعاني.

ثم قالوا: وعلي نص على الحسن، والحسن على الحسين إلى أن انتهت النوبة إلى المنتظر محمد بن الحسن صاحب السرداب الغائب، فاعترف أن هذا تقرير مذهبهم على غاية الكمال، قلت له: فأنا وأنت طالبان للعلم والحق والهدى وهم يقولون من لم يؤمن بالمنتظر فهو كافر، فهذا المنتظر هل رأيته، أو رأيت من رآه، أو سمعت بخبره، أو تعرف شيئا من كلامه، الذي قاله هو، أو ما أمر به أو نهى عنه مأخوذا عنه كما يؤخذ من الأئمة؟ قال: لا. قلت: فأي فائدة في إيماننا هذا؟ وأي لطف يحصل لنا بهذا؟.

ثم كيف يجوز أن يكلفنا الله تعالى بطاعة شخص ونحن لا نعلم ما يأمرنا به ولا ما ينهانا عنه، ولا طريق لنا إلى معرفة ذلك بوجه من الوجوه، وهم من أشد الناس إنكارا لتكليف." (١)

"ما لا يطاق، فهل يكون في تكليف ما لا يطاق أبلغ من هذا؟

فقال: إثبات هذا مبني على تلك المقدمات. قلت: لكن المقصود لنا من تلك المقدمات هو ما يتعلق بنا نحن، وإلا فما علينا مما مضى إذا لم يتعلق الأمر بنا منه أمر ولا نهي.

وإذا كان كلامنا في تلك المقدمات لا يحصل لنا فائدة ولا لطفا ولا يفيدنا إلا تكليف ما لا يقدر عليه، علم أن الإيمان بهذا المنتظر من باب الجهل والضلال، لا من **باب اللطف والمصلحة**.

والذي عند الإمامية من النقل عن الأئمة الموتى إن كان حقا يحصل به سعادتهم فلا حاجة بهم إلى المنتظر، وإن كان باطلا فهم أيضا لم ينتفعوا بالمنتظر في رد هذا الباطل، فلم ينتفعوا بالمنتظر لا في إثبات حق ولا في نفي باطل، ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، ولم يحصل به لواحد منهم شيء من المصلحة **واللطف** والمنفعة المطلوبة من الإمامة.

والجهال الذين يعلقون أمورهم بالمجهولات كرجال الغيب والقطب والغوث والخضر ونحو ذلك مع جهلهم وضلالهم وكونهم يثبتون ما لم يحصل لهم به مصلحة ولا لطف ولا منفعة لا في الدين ولا في الدنيا، أقل ضلالا من الرافضة، فإن الخضر ينتفع برؤيته وبموعظته، وإن كان غالطا في اعتقاده أنه الخضر فقد يرى أحدهم بعض الجن فيظن أنه الخضر، ولا يخاطبه الجني إلا بما يرى أنه يقبله منه ليربطه على ذلك، فيكون الرجل أتى من نفسه لا من ذلك المخاطب له ومنهم من يقول لكل زمان خضر، ومنهم من يقول لكل ولي خضر.

وللكفار كاليهود مواضع يقولون إنهم يرون الخضر فيها، وقد يرى الخضر على صور مختلفة، وعلى صورة هائلة، وأمثال ذلك، وذلك لأن هذا الذي يقول إنه الخضر هو جني، بل هو شيطان، يظهر لمن يرى أنه يضله، وفي ذلك حكايات كثيرة يضيق

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٤٥

هذا الموضع عن ذكرها، وعلى كل تقدير فأصناف الشيعة أكثر ضلالا من هؤلاء، فإن المنتظر ليس عندهم نقل ثابت عنه، ولا يعتقدون فيمن يرونه أنه المنتظر، ولما دخل السرداب كان عندهم صغيرا لم." (١)

"خراسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها، كانت الرافضة معاونة لهم على قتال المسلمين، ووزير بغداد المعروف بالعلقمي هو وأمثاله كانوا من أعظم الناس معاونة لهم على المسلمين، وكذلك الذين كانوا بالشام بحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين. وكذلك النصارى الذين قاتلهم المسلمون بالشام كانت الرافضة من أعظم أعوانهم، وكذلك إذا صار لليهود دولة بالعراق وغيره تكون الرافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائما يوالون الفار من المشركين واليهود والنصارى، ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم.

ثم إن هذا ادعى عصمة الأئمة دعوى لم يقم عليها حجة، إلا ما تقدم من أن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين لما في ذلك من المصلحة **واللطف**، ومن المعلوم المتيقن أن هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة **واللطف**، سواء كان ميتا، كما يقوله الجمهور، أو كان حيا، كما تظنه الإمامية. وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل بهم شيء من المصلحة **واللطف** الحاصلة من إمام معصوم ذي سلطان، كما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة، فإنه كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته، ويحصل بذلك سعادتهم، ولم يحصل بعده أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا علي – رضي الله عنه – زمن خلافته.

ومن المعلوم بالضرورة أن **حال اللطف والمصلحة** التي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة، أعظم **من اللطف والمصلحة** الذي كان في خلافة علي زمن القتال والفتنة والافتراق، فإذا لم يوجد من يدعي الإمامية فيه أنه معصوم وحصل له السلطان بمبايعة ذي الشوكة إلا علي وحده، وكان مصلحة المكلفين **واللطف** الذي حصل لهم في دينهم ودنياهم في ذلك الزمان أقل منه في زمن الخلفاء الثلاثة، علم بالضرورة أن ما يدعونه **من اللطف والمصلحة** الحاصلة بالأئمة المعصومين باطل قطعا.

وهو من جنس الهدى والإيمان الذي يدعى في رجال الغيب بجبل لبنان وغيره من الجبال مثل جبل قاسيون بدمشق، ومغارة الدم، وجبل الفتح بمصر، ونحو ذلك من الجبال والغيران، فإن هذه المواضع يسكنها الجن، ويكون بها شياطين، ويتراءون أحيانا لبعض الناس، ويغيبون عن الأبصار في أكثر الأوقات، فيظن الجهال أنهم رجال من الإنس." (٢)

"والجواب على هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: إن كان اتباع الأئمة الذين تدعى لهم الطاعة المطلقة، وأن ذلك يوجب لهم النجاة واجبا، كان اتباع خلفاء بني أمية الذين كانوا يوجبون طاعة أئمتهم طاعة مطلقة ويقولون: إن ذلك يوجب النجاة مصيبين على الحق، وكانوا في سبهم عليا وغيره وقتالهم لمن قاتلوه من شيعة علي مصيبين، لأنهم كانوا يعتقدون أن طاعة الأئمة واجبة في كل شيء، وأن الإمام لا يؤاخذه الله بذنب، وأنه لا ذنب لهم فيما أطاعوا فيه الإمام، بل أولئك أولى بالحجة من الشيعة، لأنهم كانوا مطيعين أئمة أقامهم الله ونصبهم

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٤٦

(٢) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/١٠٧

وأيدهم وملكهم، فإذا كان مذهب القدرية أن الله لا يفعل إلا ما هو الأصلح لعباده، كان تولية أولئك الأئمة مصلحة لعباده.

ومعلوم **أن اللطف والمصلحة** التي حصلت بهم أعظم **من اللطف والمصلحة** التي حصلت بإمام معدوم أو عاجز. ولهذا حصل لأتباع خلفاء بني أمية من المصلحة في دينهم ودنياهم، أعظم مما حصل لأتباع المنتظر؛ فإن هؤلاء لم يحصل لهم إمام يأمرهم بشيء من المعروف، ولا ينهاهم عن شيء من المنكر، ولا يعينهم على شيء من مصلحة دينهم ولا دنياهم، بخلاف أولئك؛ فإنهم انتفعوا بأئمتهم منافع كثيرة في دينهم ودنياهم، أعظم مما انتفع هؤلاء بأئمتهم.

فتبين أنه إن كانت حجة هؤلاء المنتسبين إلى مشايعة علي - رضي الله عنه - صحيحة، فحجة أولئك المنتسبين إلى مشايعة عثمان - رضي الله عنه - أولى بالصحة، وإن كانت باطلة فهذه أبطل منها. فإذا كان هؤلاء الشيعة متفقين مع سائر أهل السنة على أن جزم أولئك بنجاتهم إذا أطاعوا أولئك الأئمة طاعة مطلقة خطأ وضلال، فخطأ هؤلاء وضلالهم إذا جزموا بنجاتهم لطاعتهم لمن يدعي أنه نائب المعصوم - والمعصوم لا عين له ولا أثر - أعظم وأعظم؛ فإن الشيعة ليس لهم أئمة يباشرونهم بالخطاب، إلا شيوخهم الذين يأكلون أموالهم بالباطل، ويصدونهم عن سبيل الله.

الوجه الثاني: أن هذا المثل إنما كان يكون مطابقا لو ثبت مقدمتان: إحداهما: أن لنا إماما معصوما. والثانية: أنه أمر بكذا وكذا. وكلتا المقدمتين غير معلومة، بل باطلة. دع." (١)

"عند من يحضنه في بدنه، كأمه، وأم أمه، ونحوهما من أهل الحضانة، وأن يكون ماله عند من يحفظه: إما وصي أبيه إن كان له وصي، وإما غير الوصي: إما قريب، وإما نائب لدى السلطان، فإنه يتيم لموت أبيه.

والله تعالى يقول: ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا﴾ (١) . فهذا لا يجوز تسليم ماله إليه حتى يبلغ النكاح ويؤنس منه الرشد، كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه، فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إماما لجميع المسلمين معصوما، لا يكون أحدا مؤمنا إلا بالإيمان به؟!

ثم إن هذا باتفاق منهم: سواء قدر وجوده أو عدمه، لا ينتفعون به لا في دين ولا في دنيا، ولا علم أحدا شيئا، ولا يعرف له صفة من صفات الخير ولا الشر، فلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة ولا مصالحها، لا الخاصة ولا العامة، بل إن قدر وجوده فهو ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلا، فإن المؤمنين به لم ينتفعوا به، ولا حصل لهم به لطف ولا مصلحة، والمكذبون به يعذبون عندهم على تكذيبهم به، فهو شر محض لا خير فيه، وخلق مثل هذا ليس من فعل الحكيم العادل.

وإذا قالوا: إن الناس بسبب ظلمهم احتجب عنهم.

قيل: أولا: كان الظلم موجودا في زمن آبائه ولم يحتجبوا.

وقيل: ثانيا: فالمؤمنون به طبقوا الأرض فهلا اجتمع بهم في بعض الأوقات أو أرسل إليهم رسولا يعلمهم شيئا من العلم والدين؟!

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/١٢٦

وقيل: ثالثا: قد كان يمكنه أن يأوي إلى كثير من المواضع التي فيها شيعته، كجبال الشام التي كان فيها الرافضة عاصية، وغير ذلك من المواضع العاصية.

وقيل: رابعا: فإذا كان هو لا يمكنه أن يذكر شيئا من العلم والدين لأحد، لأجل هذا الخوف، لم يكن في وجوده لطف ولا مصلحة، فكان هذا مناقضا لما أثبتوه. بخلاف من أرسل من الأنبياء وكذب، فإنه بلغ الرسالة، وحصل لمن آمن به من اللطف والمصلحة ما هو من نعم الله عليه. وهذا المنتظر لم يحصل به لطائفته إلا الانتظار لمن لا يأتي، ودوام الحسرة

---

(١) الآية ٦ من سورة النساء.." (١)

"وأما بعد الثلاثة كالعسكريين، فهؤلاء لم يظهر عليهم علم تستفيده الأمة، ولا كان لهم يد تستعين بها الأمة، بل كانوا كأمثالهم من الهاشميين لهم حرمة ومكانة، وفيهم من معرفة ما يحتاجون إليه في الإسلام والدين ما في أمثالهم، وهو ما يعرفه كثير من عوام المسلمين.

وأما ما يختص به أهل العلم، فهذا لم يعرف عنهم. ولهذا لم يأخذ عنهم أهل العلم، كما أخذوا عن أولئك الثلاثة. ولو وجدوا ما يستفاد لأخذوا، ولكن طالب العلم يعرف مقصوده.

وإذا كان للإنسان نسب شريف، كان ذلك مما يعينه على قبول الناس منه. ألا ترى أن ابن عباس لما كان كثير العلم عرفت الأمة له ذلك، واستفادت منه، وشاع ذكره بذلك في الخاصة والعامة.

وكذلك الشافعي لما كان عنده من العلم والفقه ما يستفاد منه، عرف المسلمون له ذلك، واستفادوا ذلك منه، وظهر ذكره بالعلم والفقه.

ولكن إذا لم يجد الإنسان مقصوده في محل لم يطلبه منه. ألا ترى أنه لو قيل عن أحد: إنه طبيب أو نحوي، وعظم حتى جاء إليه الأطباء أو النحاة، فوجدوه لا يعرف من الطب والنحو ما يطلبون، أعرضوا عنه، ولم ينفعه دعوى الجهال وتعظيمهم؟

وهؤلاء الإمامية أخذوا عن المعتزلة أن الله يجب عليه الإقدار والتمكين واللطف، بما يكون المكلف عنده أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، مع تمكنه في الحالين.

ثم قالوا: والإمامة واجبة، وهي أوجب عندهم من النبوة، لأن بها لطفا في التكاليف. قالوا: إنا نعلم يقينا بالعادات واستمرار الأوقات أن الجماعة متى كان لهم رئيس مهيب مطاع متصرف منبسط اليد كانوا بوجوده أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإذا لم يكن لهم رئيس وقع الهرج والمرج بينهم، وكانوا عن الصلاح أبعد، ومن الفساد أقرب. وهذه الحال مشعرة بقضية العقل معلومة لا ينكرها إلا من جهل العادات، ولم يعلم استمرار القاعدة المستمرة في العقل. قالوا: وإذا كان هذا لطفا في التكليف لزم وجوبه. ثم ذكروا صفاته من العصمة وغيرها.

ثم أورد طائفة منهم على أنفسهم سؤالا، فقالوا: إذا قلتم: إن الإمام لطف، وهو غائب." (٢)

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/١٥٢

(٢) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٣٣٥

"عنكم، **فأين اللطف الحاصل** مع غيبته؟ وإذا لم يكن لطفه حاصلا مع الغيبة، وجاز التكليف، بطل أن يكون الإمام لطفا في الدين. وحينئذ يفسد القول بإمامة المعصوم.

وقالوا في الجواب عن هذا السؤال: إنا نقول: إن لطف الإمام حاصل في حالة الغيبة للعارفين به في حال الظهور. وإنما **فات اللطف لمن** لم يقل بإمامته. كما أن لطف المعرفة لم يحصل لمن لم يعرف الله تعالى، وحصل

لمن كان عارفا به. قالوا: وهذا يسقط هذا السؤال، ويوجب القول بإمامة المعصومين.

فقيل لهم: لو **كان اللطف حاصلا** في حال الغيبة كحال الظهور، لوجب أن يستغنوا عن ظهوره، ويتبعوه إلى أن يموتوا. وهذا خلاف ما يذهبون إليه.

فأجابوا بأنا نقول: **إن اللطف في** غيبته عند العارف به من باب التنفير والتبعيد عن القبائح مثل حال الظهور، ولكن نوجب ظهوره لشيء غير ذلك، وهو رفع أيدي المتغلبين عن المؤمنين، وأخذ الأموال ووضعها في مواضعها من أيدي الجبابرة، ورفع ممالك الظلم التي لا يمكننا رفعها إلا بطريقه، وجهاد الكفار الذي لا يمكن إلا مع ظهوره.

فيقال لهم: هذا كلام ظاهر البطلان. وذلك أن الإمام الذي جعلتموه لطفا، هو ما شهدت به العقول والعادات، وهو ما ذكرتموه. قلتم: إن الجماعة متى كان لهم رئيس مهيب مطاع متصرف منبسط اليد، كانوا بوجوده أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، واشترطتم فيه العصمة. قلتم: لأن مقصود الانزجار لا يحصل إلا بها. ومن المعلوم أن الموجودين الذين كانوا قبل المنتظر، لم يكن أحد منهم بهذه الصفة: لم يكن أحد منهم منبسط اليد ولا متصرفا.

وعلي رضي الله عنه تولى الخلافة، ولم يكن تصرفه وانبساطه تصرف من قبله وانبساطهم. وأما الباقون فلم تكن أيديهم منبسطة ولا متصرفون، بل كان يحصل بأحدهم ما يحصل بنظرائه.

وأما الغائب فلم يحصل به شيء، فإن المعترف بوجوده إذا عرف أنه غاب من أكثر من أربعمائة سنة وستين سنة، وأنه خائف لا يمكنه الظهور، فضلا عن إقامة الحدود، ولا يمكنه أن يأمر أحدا ولا ينهاه – لم يزل الهرج والفساد بهذا.

ولهذا يوجد طوائف الرافضة أكثر الطوائف هرجا وفسادا، واختلافا بالألسن." (١)

"والأيدي، ويوجد من الاقتتال والاختلاف وظلم بعضهم لبعض، ما لا يوجد فيمن لهم متول كافر، فضلا عن متول مسلم، فأي لطف حصل لمتبعيه به؟

وأما قولهم **إن اللطف به** يحصل للعارفين به، كما يحصل في حال الظهور، فهذه مكابرة ظاهرة؛ فإنه إذا ظهر حصل به من إقامة الحدود والوعظ وغير ذلك، ما يوجب أن يكون في ذلك لطف لا يحصل مع عدم الظهور.

وتشبيههم معرفته بمعرفة الله في باب **اللطف**، **وأن اللطف به** يحصل للعارف دون غيره، قياس فاسد. فإن المعرفة بأن الله موجود حي قادر، يأمر بالطاعة ويثيب عليا، وينهى عن المعصية ويعاقب عليها، من أعظم الأسباب في الرغبة والرهبة منه، فتكون هذه المعرفة داعية إلى الرغبة في ثوابه، بفعل المأمور وترك المحظور، والرهبة من عقابه إذا عصى، لعلم العبد بأنه عالم قادر، وأنه قد جرت سنته بإثابة المطيعين وعقوبة العاصين.

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٣٣٦

وأما شخص يعرف الناس أنه مفقود من أكثر من أربعمائة سنة، وأنه لم يعاقب أحدا، وأنه لم يثب أحدا، بل هو خائف على نفسه إذا ظهر، فضلا عن أن يأمر وينهى، فكيف تكون المعرفة به داعية إلى فعل ما أمر وترك ما حظر، بل المعرفة بعجزه وخوفه توجب الإقدام على فعل القبائح، لا سيما مع طول الزمان وتوالي الأوقات وقتا بعد وقت، وهو لم يعاقب أحدا ولم يثب أحدا.

بل لو قدر أنه يظهر في كل مائة سنة مرة فيعاقب، لم يكن ما يحصل به **من اللطف مثل** ما يحصل بآحاد ولاة الأمر، بل لو قيل: إنه يظهر في كل عشر سنين، بل ولو ظهر في السنة مرة، فإنه لا تكون منفعته كمنفعة ولاة الأمور الظاهرين للناس في كل وقت، بل هؤلاء – مع ذنوبهم وظلمهم في بعض الأمور – شرع الله بهم، وما يفعلونه من العقوبات، وما يبذلونه من الرغبات في الطاعات، أضعاف ما يقام بمن يظهر بعد كل مدة، فضلا عمن هو مفقود، يعلم جمهور العقلاء أنه لا وجود له، والمقرون به يعلمون أنه عاجز خائف لم يفعل قط ما يفعله آحاد الناس، فضلا عن ولاة أمرهم.

وأي هيبة لهذا؟ وأي طاعة، وأي تصرف، وأي يد منبسطة؟ حتى إذا كان للناس رئيس مهيب مطاع متصرف منبسط اليد، كانوا أقرب إلى الصلاح بوجوده.." (١)

"ومن تدبر هذا علم أن هؤلاء القوم في غاية الجهل والمكابرة والسفسطة، حيث **جعلوا اللطف به** في حال عجزه وغيبته، **مثل اللطف به** في حال ظهوره، وأن المعرفة به مع عجزه وخوفه وفقده لطف، كما لو كان ظاهرا قادرا آمنا، وأن مجرد هذه المعرفة لطف، كما أن معرفة الله لطف.

الوجه الثاني: أن يقال: قولكم: لا بد من نصب إمام معصوم يفعل هذه الأمور. أتريدون أنه لا بد أن يخلق الله ويقيم من يكون متصفا بهذه الصفات؟ أم يجب على الناس أن يبايعوا من يكون كذلك؟

فإن أردتم الأول، فالله لم يخلق أحدا متصفا بهذه الصفات؛ فإن غاية ما عندكم أن تقولوا: إن عليا كان معصوما لكن الله لم يمكنه ولو يؤيده، لا بنفسه، ولا بجند خلقهم له حتى يفعل ما ذكرتموه.

بل أنتم تقولون: إنه كان عاجزا مقهورا مظلوما في زمن الثلاثة، ولما صار له جند، قام له جند آخرون قاتلوه، حتى لم يتمكن أن يفعل ما فعل الذين كانوا قبله، الذين هم عندكم ظلمة.

فيكون الله قد أيد أولئك الذين كانوا قبله، حتى تمكنوا من فعل ما فعلوه من المصالح، ولم يؤيده حتى يفعل ذلك.

وحينئذ فما خلق الله هذا المعصوم المؤيد الذي اقترحتموه على الله.

وإن قلتم: إن الناس يجب عليهم أن يبايعوه ويعاونوه.

قلنا: أيضا فالناس لم يفعلوا ذلك، سواء كانوا مطيعين أو عصاة. وعلى كل تقدير فما حصل لأحد من المعصومين عندكم تأييد، لا من الله ولا من الناس. وهذه المصالح التي ذكرتموها لا تحصل إلا بتأييد، فإذا لم يحصل ذلك لم يحصل ما به تحصل المصالح، بل حصل أسباب ذلك، وذلك لا يفيد المقصود.

الوجه الثالث: أن يقال: إذا كان لم يحصل مجموع ما به تحصل هذه المطالب، بل فات كثير من شروطها، فلم لا يجوز أن

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٣٣٧

يكون الفائت هو العصمة؟ وإذا كان المقصود فائتا: إما بعدم العصمة، وإما بعجز المعصوم، فلا فرق بين عدمها بهذا أو بهذا، فمن أين يعلم بدليل." (١)

"وهو علم التدبير الساري في الأكوان كما قال عز وجل: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ . فإذا تحقق العبد لهذا المشهد ووفقه لذلك بحيث لا يحجبه هذا المشهد عن المشهد الأول فهو الفقيه في عبوديته فإن هذين المشهدين عليهما مدار الدين فإن جميع مشاهد الرحمة **واللطف** والكرم والجمال داخلة في مشهد الربوبية. ولهذا قيل: إن هذه الآية جمعت جميع أسرار القرآن: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ لأن أولها اقتضى عبادته بالأمر والنهي والمحبة والخوف والرجاء كما ذكرنا وآخرها اقتضى عبوديته بالتفويض والتسليم وترك الاختيار. وجميع العبوديات داخلة في ذلك. ومن غاب عن هذا المشهد وعن المشهد الأول ورأى قيام الله عز وجل على جميع الأشياء وهو القيام على كل نفس بما كسبت وتصرفه فيها وحكمه عليها فرأى الأشياء كلها منه صادرة عن نفاذ حكمه وإرادته القادرة فغاب بما لاحظ عن التمييز والفرق وعطل الأمر والنهي والنبوات ومرق من الإسلام مروق السهم من الرمية. وإن كان ذلك المشهد قد أدهشه وغيب عقله لقوة سلطانه الوارد وضعف قوة البصيرة أن يجمع بين المشهدين فهذا معذور منقوص إلا من جمع بين المشهدين: الأمر الشرعي ومشهد الأمر الكوني الإرادي وقد زلت في هذا المشهد أقدام كثيرة من السالكين لقلة معرفتهم بما بعث الله به المرسلين وذلك لأنهم عبدوا الله على مرادهم منه ففنوا بمرادهم عن مراد الحق – عز وجل – منهم لأن الحق يغني بمراده ومحبوبه ولو عبدوا الله على مراده." (٢)

"ما قول أهل الإسلام الراسخين في جذر الكلام الباسقين في فن الأحكام حياكم العلام في صدور دار السلام؛ وحباكم القيام بتوضيح ما استبهم على الأفهام في معتقد أهل السنة والجماعة. نضر الله أرواح السلف وكثر أعداد الخلف وأمدهم بأنواع **اللطف**. بأن الأفعال الاختيارية من العباد تحصل بخلق الله تعالى وبخلق العبد فحقيقة كسب العبد ما هي؟ وبعد هذا هل هو مؤثر في وجود الفعل؟ أم غير مؤثر؟ . فإن كان فيصير العبد مشاركا للخالق في خلق الفعل فلا يكون العبد كاسبا؛ بل شريكا خالقا – وأهل السنة برءة برآء من هذا القول – وإن لم يكن مؤثرا في وجود الفعل فقد وجد الفعل بكماله بالحق سبحانه وتعالى وليس للعبد في ذلك شيء فلزم الجبر الذي يطوي بساط الشرع وأهل السنة الغراء والمحجة البيضاء فارون من هذه الكلمة الشنعاء والعقيدة العوراء. ولم ينسب إلى العبد الطاعة والعصيان والكفر والإيمان حتى يستحق الغضب والرضوان. فكيف السلوك أيها الهداة الأدلاء على اللحب المستقيم والمنهج القويم؟ وطرفي قصد الأمور ذميم. فبينوا بيانا يطلق العقول من هذا العقال ويشفي القلوب من هذا الداء العضال. أيدكم بروح القدس من له صفات الكمال." (٣)

"في الجنة ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش﴾ وثبت أيضا بأسانيد صحيحة: ﴿أن الإنسان إذا قبضت روحه فتقول الملائكة اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي راضية مرضيا عنك. ويقال اخرجي أيتها النفس الخبيثة

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٣٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١/٩٠

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٨/٣٨٦

كانت في الجسد الخبيث اخرجي ساخطة مسخوطا عليك﴾ وفي الحديث الآخر: ﴿نسمة المؤمن طائر تعلق من ثمر الجنة ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش﴾ فسماها نسمة. وكذلك في الحديث الصحيح حديث المعراج: ﴿أن آدم عليه السلام قبل يمينه أسودة وقبل شماله أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى وأن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم هذه الأسودة نسم بنيه: عن يمينه السعداء وعن يساره الأشقياء﴾ وفي حديث علي: ﴿والذي فلق الحبة وبرأ النسمة﴾ وفي الحديث الصحيح: ﴿إن الروح إذا قبض تبعه البصر﴾ فقد سمى المقبوض وقت الموت ووقت النوم روحا ونفسا. وسمى المعروج به إلى السماء روحا ونفسا. لكن يسمى نفسا باعتبار تدبيره للبدن ويسمى روحا باعتبار لطفه فإن لفظ " الروح " **يقتضي اللطف ولهذا** تسمى الريح روحا. وقال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿الريح من روح الله﴾ أي من الروح التي خلقها الله فإضافة الروح إلى الله إضافة ملك لا إضافة وصف إذ كل ما يضاف إلى الله إن كان عينا قائمة بنفسها فهو ملك له وإن كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة لله.." (١)

"والذين قالوا لا تزول إلا بالماء: منهم من قال: إن هذا تعبد؛ وليس الأمر كذلك فإن صاحب الشرع أمر بالماء في قضايا معينة لتعينه. لأن إزالتها بالأشربة التي ينتفع بها المسلمون إفساد لها. وإزالتها بالجامدات كانت متعذرة كغسل الثوب والإناء والأرض بالماء فإنه من المعلوم أنه لو كان عندهم ماء ورد وخل وغير ذلك لم يأمرهم بإفساده فكيف إذا لم يكن عندهم. ومنهم من قال: إن الماء له **من اللطف ما** ليس لغيره من المائعات فلا يلحق غيره به؛ وليس الأمر كذلك؛ بل الخل وماء الورد وغيرهما يزيلان ما في الآنية من النجاسة كالماء وأبلغ والاستحالة له أبلغ في الإزالة من الغسل بالماء فإن الإزالة بالماء قد يبقى معها لون النجاسة فيعفى عنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يكفيك الماء ولا يضرك أثره﴾ وغير الماء يزيل الطعم واللون والريح. ومنهم من قال؛ كان القياس أن لا يزول بالماء لتنجيسه بالملاقاة لكن رخص في الماء للحاجة فجعل الإزالة بالماء صورة استحسان فلا يقاس عليها. وكلا المقدمتين باطلة. فليست إزالتها على خلاف القياس بل القياس أن الحكم إذا ثبت بعلة زال بزوالها. وقولهم: إنه ينجس بالملاقاة ممنوع ومن سلمه فرق بين الوارد." (٢)

"﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾ ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ ذم الله سبحانه وتعالى لمن يدعو الملائكة والأنبياء وغيرهم من الصالحين وبين أن هؤلاء الذين يدعونهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله وأنهم يتقربون إلى الله بالوسيلة وهي الأعمال الصالحة ويرجون رحمته ويخافون عذابه فكيف يدعون المخلوقين ويذرون الخالق وقال تعالى: ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ وهو سبحانه وتعالى عليم بأحوال عباده رحيم بهم؛ كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أنه رأى امرأة من السبي إذ رأت ولدا ألصقته ببطنها فقال: أترون هذه واضعة ولدها في النار؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها﴾ وهو سبحانه سميع قريب قال الله تعالى: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٩/٢٩٠

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢١/٤٧٦

قريب﴾ وهو تعالى رحيم ودود. و " الود " **اللطف والمحبة**؛ فهو يود عباده المؤمنين ويجعل لهم الود في القلوب كما قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ قال ابن عباس وغيره: يحبهم ويحببهم إلى عباده.." [(١)]

"صبر ومصابرة ومجاهدة لعدوه الباطن والظاهر١، فبحسب هذا الصبر يكون أداؤه للمأمورات وفعله للمستحبات.

النوع الثاني: صبر عن المنهي عنه٢ حتى لا يفعله، فإن النفس ودواعيها، وتزيين الشيطان، وقرناء السوء، تأمره بالمعصية وتجرئه عليها، فبحسب قوة صبره يكون تركه لها، قال بعض السلف: أعمال البر يفعلها البر والفاجر ولا يقدر على ترك المعاصي إلا صديق٣.

النوع الثالث: الصبر على ما يصيبه بغير اختياره من المصائب وهي نوعان:

نوع لا اختيار للخلق فيه، كالأمراض وغيرها من المصائب السماوية، فهذه يسهل الصبر فيها، لأن العبد يشهد فيها قضاء الله وقدره، وإنه لا مدخل للناس فيها، فيصبر إما اضطرارا، وإما اختيارا، فإن فتح الله على قلبه باب الفكرة في فوائدها وما في حشوها٤ من النعم والألطاف٥ انتقل من الصبر عليها إلى الشكر

---

١ في (ب) : "الظاهر والباطن ... ".

(عنه) ساقطة من (ب) .

٣ أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠ /١٩٧) بإسناده عن سهل بن عبد الله التستري ضمن كلام له طويل بلفظ "ليس من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار حبيب الله، ولا يجتنب الآثام إلا صديق مقرب، وأما أعمال البر يعملها البر والفاجر".

٤ معنى الحشى: الناحية، والمقصود نواحيها أو داخلها. انظر: لسان العرب مادة (حشا) (١٤/١٨٠-١٨١) .

٥ اللطيف من الكلام: ما غمض معناه وخفي، **واللطف** في العمل: الرفق فيه. انظر: لسان العرب مادة (لطف) (٣١٦/٩) .." [(٢)]

"في توقفك، فإن قلت فلم أعرف شفقة النبي ومعرفته بهذا الطب فأقول وبم عرفت شفقة أبيك فإن ذلك أمر ليس محسوسا بل عرفتها بقرائن أحواله وشواهد أعماله في موارده ومصادره علما ضروريا لا يتمارى فيه.

ومن نظر في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ورد من الأخبار في اهتمامه بإرشاد الخلق وتلطفه في حق الناس بأنواع اللين **واللطف** إلى تحسين الأخلاق وإصلاح ذات البين، وبالجملة إلى ما يصلح به دينهم ودنياهم حصل له علم ضروري بأن شفقته على أمته أعظم من شفقة الوالد على ولده، وإذا نظر إلى عجائب ما ظهر عليه من الأفعال وإلى عجائب الغيب التي أخبر عنها في القرآن على لسانه وفي الأخبار وإلى ما ذكره في آخر الزمان وظهر ذلك كما ذكره علما ضروريا أنه بلغ الطور الذي وراء العقل وانفتحت له العين التي ينكشف منها الغيب والخواص والأمور التي لا يدركها العقل وهذا

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣٦٩/٣٥

(٢) قاعدة في الصبر ابن تيمية ص/٩١

هو منهاج يحصل العلم الضروري بصدق النبي صلى الله عليه وسلم، وتأمل في القرآن وطالع الأخبار إلى أن تعرف ذلك بالعيان، وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة ذكرناه لشدة الحاجة إليه في هذا الزمان.

قلت: فهذه الطريق التي ذكرها أبو حامد الغزالي تفضي أيضا إلى العلم بالنبوة والتصديق بها بأكثر من القدر الذي تقر به المتفلسفة وما ذكره من المشاهدات والكشوفات التي تحصل للصوفية وأنهم يشهدون تحقيق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ونفع ما أمر به فهذا أيضا حق في كثير مما أخبر به وأمر به ثم إذا علم ذلك صار حجة على صدقه فيما لم يعلمه كمن سلك طريقا من العلم بفن من الفنون إذا رأى كلام متكلم في ذلك العلم ورآه يحقق ما عنده ويأتي بزيادات لا يستطيعها فإنه يعلم بما رآه من مزيد تحقيقه لما شاركه في أصل معرفته أنه أعلم منه بما وراء ذلك كمن نظر في الطب إذا رأى كلام بقراط «١» ومن نظر في النحو إذا رأى كلام الخليل «٢» وسيبويه «٣»، ومن نظر في العلوم الدينية إذا رأى كلام أئمة

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هو الإمام صاحب العربية ومنشئ علم العروض أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي البصري أحد الأعلام، ولد سنة مائة، وكان رأسا في لسان العرب، دينا ورعا، مانعا متواضعا، كبير الشأن، مفرط الذكاء، يقال إنه دعا الله أن يرزقه علما لا يسبق إليه ففتح له بالعروض، وله كتاب العين في اللغة. مات سنة بضع وستين ومائة.

انظر ترجمته في السير (٧/ ٤٢٩) والبداية والنهاية (١٠/ ١٦١ - ١٦٢) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٤٤ - ٢٤٨) وشذرات الذهب (١/ ٢٧٥ - ٢٧٧).

(٣) هو إمام النحو حجة العرب أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري، طلب الفقه والحديث مرة ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل العصر، وألف منها كتابه الكبير الذي لا-." [1]

"وإذا ثبت أن العقل لم يفد الرسالة والنبوة، وإنما ذلك اختصاص من الله لهم، كذلك معرفة الله والإيمان به ليس للعقل في ذلك شيء.

وإنما العقل شرط في التكليف والخطاب بالشرع، كالحياة والوجود) .

قال والده أبو الفرج: قال بعض أصحابنا: عرف بنور الهداية.

وقال غيره: عرفنا نفسه بتعرفه، والجميع واحد.

قال: (وقد روي ذلك عن جماعة من السلف الصالح، فسئل بعضهم: أعرفت الله بمحمد أم عرفت الله به؟ فقال: عرفت الله به، وعرفت محمدا بالله، ولو عرفت الله بمحمد لكانت المنة لمحمد دون الله) .

قلت: هذه الطريقة تصلح أن تكون ردا على القدرية من المعتزلة ونحوهم، الذين يقولون: إن ما يحصل باختيار العبد من علم وعمل فإنه هو الذي أحدثه بدون معونة من الله له، وله هدى يسره له خصه به دون الكافر.

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ابن تيمية ص/١٧٠

بل يجعلون المؤمن والكافر سواء فيما فعل الله بهما من أسباب الهداية، حيث أرسل الرسول إليهما جميعا، وخلق لكل منهما استطاعة يتمكن بها من الإيمان، وأزاح علة كل منهما.

بل يقولون: إنه يجب عليه أن يفعل بكل منهما **من اللطف الذي** يؤمن به اختيارا كل ما يقدر عليه، فيفعل به الأصلح في دينه، وأنه ليس في المقدور مما يؤمن به اختيار شيء، ولكن المؤمنون – كأبي بكر وعلي آمنا بأنفسهما، والكفار – كأبي لهب وأبي جهل – كفرا بأنفسهما، من غير أن يختص الله المؤمن بأسباب تقتضي إيمانه.

ولهذا قال لهم الناس: إذا كان الأمر كذلك، وهما مستويان في أسباب الإيمان، فلما أختص أحدهما." (١)

"فإنهم، وإن أثبتوا فاعلا، لكن يقولون: إن نسبة قدرته وإرادته إلى جميع الممكنات سواء، وأنه حدثت الحوادث بلا سبب حادث أصلا بل حال الفاعل قبل الفعل وحين الفعل سواء، ومعلوم أن هذا تصريح برجحان الممكن بلا مرجح تام.

وهؤلاء يقولون: القادر المختار يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح.

وهذا هو أصل قول القدرية، وهو أصل قول الجهمية الجبرية.

القدرية أخرجوا به أفعال الحيوان أن تكون مخلوقة لله، وقالوا: إن العبد قادر مختار، فترجح الفعل على الترك بال مرجح.

وقالوا: إن ما أنعم الله به على أهل الإيمان والطاعة مما يؤمنون به ويطيعون، هو مثل ما أنعم به على أهل الكفر والمعصية، فإن أرسل الرسل إلى الصنفين، وأقدر الصنفين، وأزاح علل الصنفين، وفعل كل ما يمكن **من اللطف الذي** يؤمن عنده الصنفان، بمنزلة من أعطى أبنيه مالا بالسوية، ثم قالوا: إن المؤمن فعل الطاعة من غير نعمة خصه الله بها تعينه على الإيمان، والكافر فعل الكفر من غير سبب من الله.

وهذا القول مخالف للشرع والعقل.

فإن الله بين ما خص به المؤمنين من نعمة الإيمان في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾

والقدرية يقولون: إن هذا خطاب لجميع الخلق، وليس الأمر كذلك، بل هو خطاب للمؤمنين، كما قال: ﴿أولئك هم الراشدون﴾." (٢)

"بشعرها يغلي دماغها ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها ورأيت امرأة معلقة بثدييها ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها ألف ألف لون من العذاب ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار فقامت فاطمة رضي الله عنها وقالت حبيبي وقرة عيني ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب فقال صلى الله عليه وسلم يا بنية أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال وأما التي كانت معلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تفسد فراش زوجها وأما التي تشد رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ٢٥/٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ١٦٥/٩

عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزئ بالصلاة وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت نمامة كذابة وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذي المرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله ويا بينة الويل لامرأة تعصي زوجها

فصل

وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه فالزوج أيضا مأمور بالإحسان إليها **واللطف** بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقول الله تعالى ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ ولقول النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء ألا إن." (١)

"لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون وقوله صلى الله عليه وسلم عوان أي أسيرات جمع عانية وهي الأسيرة شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة في دخولها تحت حكم الرجل بالأسير وقال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لأهله وفي رواية خيركم ألطفكم بأهله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم **شديد اللطف بالنساء** وقال صلى الله عليه وسلم أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وقد روي أن رجلا جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته فوقف على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل راجعا وقال إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين فكيف حالي فخرج عمر فرآه موليا عن بابه فناداه وقال ما حاجتك يا رجل فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي واستطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي فقال عمر يا أخي إني احتملتها لحقوق لها علي إنها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي وليس ذلك كله بواجب عليها ويسكن قلبي بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال عمر فاحتملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة وحكي أن بعض الصالحين كان له أخ في الله وكان من الصالحين يزوره في كل." (٢)

"قوله وبالوالدين إحسانا يريد البر بهما **مع اللطف ولين** الجانب ولا يغلظ لهما الجواب ولا يحد النظر إليهما ولا يرفع صوته عليهما بل يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدي السيد تذللا لهما قوله وبذي القربى قال يصلهم ويتعطف عليهم واليتامى يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رؤوسهم والمساكين ببذل يسير ورد جميل والجار ذي القربى يعني الذي بينك وبينه قرابة فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام والجار الجنب هو الذي ليس بينك وبينه قرابة يقال رجل جنب إذا كان غريبا

---

(١) الكبائر للذهبي الذهبي، شمس الدين ص/١٧٨

(٢) الكبائر للذهبي الذهبي، شمس الدين ص/١٧٩

متباعدا أهله وقوم أجانب والجنابة البعد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول يا رب أوسعت على أخي هذا واقترب علي أمسي طاويا ويمسي هذا شبعان سله لم أغلق بابه عني وحرمني ما قد أوسعت به عليه والصاحب بالجنب قال ابن عباس ومجاهد هو الرفيق في السفر له حق الجوار وحق الصحبة وابن السبيل هو الضعيف يجب إقراؤه إلى أن يبلغ حيث يريد وقال ابن عباس هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك وما ملكت أيمانكم يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطئ قوله إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا قال ابن عباس يريد بالمختال العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الله والفخور هو الذي يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل شاب ممن كان قبلكم يمشي في حلة مختالا فخورا إذ ابتلعته الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة وعن أسامة قال سمعت." (١)

"الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضآء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الايات إن كنتم تعقلون﴾ [آل عمران: ١١٨] ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أوليآء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جآءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغآء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بمآ أخفيتم ومآ أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سوآء السبيل﴾ [الممتحنة:١] ، ﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خآصة واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾ [الأنفال: ٢٤- ٢٦] ، ﴿يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾ [الحج: ٧٣- ٧٤] ، ﴿وإذا قلنا للملآئكة اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أوليآء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾ [الكهف: ٥٠] فتحت هذا الخطاب: إني عاديت إبليس وطردته من [سمائى] وباعدته من قربى إذ لم يسجد لأبيكم آدم، ثم أنتم يا بنيه توالونه وذريته من دونى وهم أعداء لكم.

فليتأمل اللبيب مواقع هذا الخطاب وشدة لصوقه بالقلوب والتباسه بالأرواح وأكثر القرآن جاء على هذا النمط من خطابه لعباده بالتودد والتحنن **واللطف** والنصيحة البالغة، وأعلم [سبحانه] عباده أنه لا يرضى لهم إلا أكرم الوسائل وأفضل المنازل وأجل العلوم والمعارف.

قال تعالى: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا." (٢)

---

(١) الكبائر للذهبي الذهبي، شمس الدين ص/٢٠١

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/١٣٤

"وهؤلاء قابلوا أصحاب الطريق الثانى: وهم الذين أثبتوا له حكمة وغاية، وقالوا: لا يفعل شيئا إلا لحكمة وغاية مطلوبة، ولكن حجروا عليه سبحانه فى ذلك، وشرعوا له شريعة وضعوها بعقولهم وظنوا أن ما يحسن من خلقه يحسن منه وما يقبح منهم يقبح منه، فجعلوا ما أثبتوه له من الحكمة والرحمة من جنس ما هو للخلق، ولهذا كانوا "مشبهة الأفعال" كما أن من شبهة بخلقه فى صفاته فهو "مشبه الصفات" فاقتسموا التشبيه نصفين: هؤلاء فى أفعاله، وإخوانهم فى صفاته. وقالوا: إنه تعالى لو خص بعض عبيده عن بعض بإعطائه توفيقا وقدرة وإرادة ولم يعطها لآخر لكان ظلما للذى منعه. وقالوا: لو شاء من عباده أفعال المعاصى لكان ينزه عنه كما فى المشاهد ولو شاء منهم الكفر والفسوق والعصيان ثم عذبهم عليه لكان ظلما فى المشاهد أيضا، فإن السيد إذا أراد من عبده شيء ففعل ما أراد سيده، فإنه إذا عذبه عده الناس ظالما له، وجعلوا العدل فى حقه تعالى من جنس العدل فى حق عباده، والظلم الذى تنزه عنه كالظلم الذى يتنزهون عنه، وجعلوا ما يحسن منه من جنس ما يحسن منهم وما يقبح منه من جنس ما يقبح منهم. وقالوا: لو أراد الشر لكان شريرا كما فى المشاهد، فإن مريد الشر شرير. وقالوا: لو ختم على قلوب أعدائه وأسماعهم وحال بينهم وبين قلوبهم وأضلهم عن الإيمان وجعل على أبصارهم غشاوة وجعل من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ثم عذبهم لكان ظالما لهم، لأن أحدنا لو فعل ذلك بعبده ثم عذبه لكان ظالما له. فهؤلاء المشبهة حقا فى الأفعال، فعدلهم تشبيه وتوحيدهم تعطيل، فجمعوا بين التشبيه والتعطيل.

وهؤلاء قسموا الشر الواقع فى العالم إلى قسمين: أحدهما: "شرور هى أفعال العباد" وما تولد منها، فهذه لا تدخل عندهم فى القضاء الإلهى تنزيها للرب عن نسبتها إليه، ولا تدخل عندهم تحت قدرته ولا مشيئته ولا تكوينه.

والثانى: "الشرور التى لا تتعلق بأفعال العباد" كالسموم والأمراض وأنواع الآلام، وكإبليس وجنوده وغير ذلك من شرور المخلوقات كإيلام الأطفال وذبح الحيوان، فهذا النوع هو الذى كدر على القدرية أصولهم وشوش عليهم قواعدهم وقالوا: ذلك كله حسن لما فيه من اللطف والمصلحة." (١)

"العبد محفوفة بتوبتين من الله: توبة منه إذنا وتمكينا فتاب بها العبد، وتاب الله عليه قبولا ورضى. فتوبة العبد بين توبتين من الله، وهذا يدل على عنايته سبحانه وبره ولطفه بعبده التائب، فكيف يقال: إنه لا يعيده مع هذا اللطف والبر إلى حاله؟ قالوا: وأيضا فإن التوبة من أجل الطاعات وأوجبها على المؤمنين: وأعظمها عناء عنهم، وهم إليها أحوج من كل شئ، وهى من أحب الطاعات إلى الله [سبحانه] فإنه يحب التوابين، ويفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه أعظم فرح وأكمله، وإذا كانت بهذه المثابة فالآتى بها آت بما هو أفضل القربات وأجل الطاعات، فإذا كان قد حصل له بالمعصية انحطاط ونزول مرتبة فبالتوبة يحصل [له] مزيد تقدم وعلو درجة، فإن لم تكن درجته بعد التوبة أعلى فإنها لا تكون أنزل.

قالوا: وأيضا فإنا إذا قابلنا بين جناية المعصية والتقرب بالتوبة وجدنا الحاصل من التوبة [أرجح من الأثر الحاصل من المعصية والكلام إنما هو فى التوبة] النصوح الكاملة، وجانب [العدل ولهذا كان من جانب العدل آحاد بآحاد وجانب] الفضل أرجح من جانب الفضل آحاد بعشرات إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، وهذا يدل على رجحان جانب الفضل وغلبته،

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/١٤٨

وكذلك مصدرهما من الغضب والرحمة فإن رحمة الرب تغلب غضبه.
قالوا: وأيضا فالذنب بمنزلة المرض، والتوبة بمنزلة العافية، والعبد إذا مرض ثم عوفى وتكاملت عافيته رجعت صحته إلى ما كانت، بل ربما رجعت أقوى وأكمل مما كانت عليه، لأنه ربما كان معه فى حال العافية آلام وأسقام كامنة، فإذا اعتل ظهرت تلك الأسقام ثم زالت بالعافية جملة فتعود قوته خيرا مما كانت وأكمل، وفى مثل هذا قال الشاعر:
لعل عتبك محمود عواقبه ... وربما صحت الأجسام بالعلل
وهذا الوجه هو أحد ما احتج به من قال: أنه يعود خيرا بالتوبة مما كان قبل التوبة واحتجوا لقولهم أيضا بأن التوبة تثمر للعبد محبة من الله خاصة لا تحصل بدون التوبة، بل التوبة شرط فى حصولها، وإن حصل له محبة أخرى بغيرها من الطاعات فالمحبة الحاصلة له بالتوبة لا تنال بغيرها، فإن الله يحب التوابين، ومن محبته لهم فرحه بتوبة أحدهم أعظم فرح وأكمله، فإذا أثمرت له التوبة هذه المحبة ورجع بها إلى طاعاته التى كان عليها أولا انضم أثرها إلى أثر تلك الطاعات فقوى الأثران فحصل له المزيد من القرب والوسيلة وهذا بخلاف ما يظنه من نقصت." (١)
"فالعبد له والمال له والثواب منه، فهو المعطى أولا وآخرا فكيف لا يحب من هذا شأنه؟ وكيف لا يستحى العبد أن يصرف شيئا من محبته إلى غيره؟ ومن أولى بالحمد والثناء والمحبة منه؟ ومن أولى بالكرم والجود والإحسان منه؟ فسبحانه وبحمده لا إله إلا هو العزيز الحكيم ويفرح سبحانه وتعالى بتوبة أحدهم إذا تاب إليه أعظم فرح وأكمله، ويكفر عنه ذنوبه، ويوجب له محبته بالتوبة، وهو الذى ألهمه إياها ووفقه لها وأعانه عليها، وملأ سبحانه وتعالى سماواته من ملائكته، واستعملهم فى الاستغفار لأهل الأرض واستعمل حملة العرش منهم فى الدعاء لعباده المؤمنين والاستغفار لذنوبهم ووقايتهم عذاب الجحيم، والشفاعة إليه بإذنه أن يدخلهم جناته.
فانظر إلى هذه العناية وهذا الإحسان وهذا التحنن والعطف والتحبب إلى العباد **واللطف** التام بهم، ومع هذا كله بعد أن أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وتعرف إليهم بأسمائه وصفاته وآلائه، ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا يسأل عنهم ويستعرض حوائجهم بنفسه ويدعوهم إلى سؤاله، فيدعو مسيئهم إلى التوبة ومريضهم إلى أن يسأله أن يشفيه وفقيرهم إلى أن يسأله غناه وذا حاجتهم يسأله قضاءها كل ليلة، ويدعوهم إلى التوبة وقد حاربوه وعذبوا أولياءه وأحرقوهم بالنار. قال تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ [البروج: ١٠] .
وقال بعض السلف: انظروا إلى كرمه كيف عذبوا أولياءه وحرقوهم بالنار، ثم هو يدعوهم إلى التوبة. فهذا الباب يدخل منه كل أحد إلى محبته سبحانه وتعالى، فإن نعمته على عباده مشهودة لهم، يتقلبون فيها على عدد الأنفاس واللحظات.
وقد روى فى بعض الأحاديث مرفوعا: "أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبونى بحب الله"، فهذه محبة تنشأ من مطالعة المنن [والإحسان] ورؤية النعم والآلاء، وكلما سافر القلب [بفكره] فيها ازدادت محبته وتأكدت، ولا نهاية لها فيقف سفر القلب عندها، بل كلما ازداد فيها نظرا ازداد فيها اعتبارا وعجزا عن ضبط القليل منها، فيستدل بما عرفه على ما لم يعرفه، والله سبحانه وتعالى دعا عباده إليه من هذا الباب، حتى إدا دخلوا منه دعوا من الباب الآخر وهو باب الأسماء والصفات

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٢٣٢

الذى إنما يدخل منه إليه خواص عباده وأوليائه، وهو باب المحبين حقا الذى لا يدخل منه غيرهم، ولا يشبع من معرفته أحد منهم، بل كلما بدا له منه علم ازداد شوقا ومحبة." (١)

"قلب المخبر لتلقي الخبر وأوجبت له التشوف التام إلى سماعه ومعرفته وهذا نوع من براعة الاستهلال وخطاب التهييج ثم كشف عن حقيقة الخبر كشفا مؤكدا بأدلة التأكيد فقال إني وجدت امرأة تملكهم ثم أخبر عن شأن تلك الملكة وأنها من أجل الملوك بحيث أوتيت من كل شيء يصلح أن تؤتاه الملوك ثم زاد في تعظيم شأنها بذكر عرشها التي تجلس عليه وأنه عرش عظيم ثم أخبره بما يدعوهم إلى قصدهم وغزوهم في عقر دارهم بعد دعوتهم إلى الله فقال: ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ وحذف أداة العطف من هذه الجملة وأتى بها مستقلة غير معطوفة على ما قبلها إيذانا بأنها هي المقصودة وما قبلها توطئة لها ثم أخبر عن المغوي لهم الحامل لهم على ذلك وهو تزيين الشيطان لهم أعمالهم حتى صدهم عن السبيل المستقيم وهو السجود لله وحده ثم أخبر أن ذلك الصد حال بينهم وبين الهداية والسجود لله الذي لا ينبغي السجود إلا له ثم ذكر من أفعاله سبحانه إخراج الخبء في السماوات والأرض وهو المخبوء فيهما من المطر والنبات والمعادن وأنواع ما ينزل من السماء وما يخرج من الأرض وفي ذكر الهدهد هذا الشأن من أفعال الرب تعالى بخصوصه إشعار بما خصه الله به من إخراج الماء المخبوء تحت الأرض قال صاحب الكشاف "وفي إخراج الخبء إمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السماوات والأرض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذي الفراسة الناظر بنور الله مخايل كل شخص بصناعة أو فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله فما عمل آدمي عملا إلا ألقى الله عليه رداء عمله".

فصل: وهذا الحمام من أعجب الحيوان هداية حتى قال الشافعي: "أعقل الطير الحمام" وبرد الحمام هي التي تحمل الرسائل والكتب ربما زادت قيمة الطير منها على قيمة المملوك والعبد فإن الغرض الذي يحصل به لا يحصل بمملوك ولا بحيوان غيره لأنه يذهب ويرجع إلى مكانه من مسيرة ألف فرسخ فما دونها وتنهي الأخبار والأغراض والمقاصد التي تتعلق بها مهمات الممالك والدول والقيمون بأمرها يعتنون بأنسابها اعتناء عظيما فيفرقون بين ذكورها وإناثها وقت السفاد وتنقل الذكور عن إناثها إلى غيرها والإناث عن ذكورها ويخافون عليها من فساد أنسابها وحملها من غيرها ويتعرفون صحة طرقها ومحلها لا يأمنون أن تفسد الأنثى ذكرا من عرض الحمام فتعتريها الهجنة والقيمون بأمرها لا يحفظون أرحام نسائهم ويحتاطون لها كما يحفظون أرحام حمامهم ويحتاطون لها والقيمون لهم في ذلك قواعد وطرق يعتنون بها غاية الاعتناء بحيث إذا رأوا حماما ساقطا لم يخف عليهم حسبها ونسبها وبلدها ويعظمون صاحب التجربة والمعرفة وتسمح أنفسهم بالجعل الوافر له ويختارون لحمل الكتب والرسائل الذكور منها ويقولون هو أحن إلى بيته لمكان أنثاه وهو أشد متنا وأقوى بدنا وأحسن اهتداء وطائفة منهم يختار لذلك الإناث ويقولون الذكر إذا سافر وبعد عهده حن إلى الإناث وتاقت نفسه إليهن فربما رأى أنثى في طريقه ومجيئه فلا يصبر عنها فيترك المسير ومال إلى قضاء وطره منها وهدايته على قدر التعليم والتوطين والحمام موصوف باليمن والألف للناس ويحب الناس ويحبونه ويألف المكان ويثبت على العهد والوفاء لصاحبه وإن أساء إليه ويعود إليه من مسافات بعيدة

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٣١٧

وربما صد فترك وطنه عشر حجج وهو ثابت على الوفاء حتى إذا وجد فرصة واستطاعة عاد إليه والحمام إذا أراد السفاد يلطف للأنثى **غاية اللطف فيبدأ** بنشر ذنبه وإرخاء جناحه ثم يدنو من الأنثى فيهدر لها ويقبلها ويزفها وينتفش." [١]

"يكره ما يضاد ذلك وكذلك كره الكفر والعصيان والفسوق والظلم والجهل لمضادة هذه الأوصاف لأوصاف كماله الموافقة لأسمائه وصفاته ولكن يريده سبحانه لاستلزامه ما يحبه ويرضاه فهو مراد له إرادة اللوازم المقصودة لغيرها إذ هي معصية إلى ما يحب فإذا حصل بها ما يحبه وأدت إلى الغاية المقصودة له سبحانه لم تبق مقصودة لا لنفسها ولا لغيرها فتزول ويخلفها أضدادها التي هي أحب إليه سبحانه منها وهي موجب أسمائه وصفاته فإن فهمت سر هذا الوجه وإلا فجاوزه إلى ما قبله ولا تعجل بإنكاره هذا وسر المسألة أنه سبحانه حكيم رحيم إنما يخلق بحكمة ورحمة فإذا عذب من يعذب لحكمة كان هذا جاريا على مقتضاها كما يوجد في الدنيا من العقوبات الشرعية والقدرية من التهذيب والتأديب والزجر والرحمة **واللطف** ما يزكي النفوس ويطيبها ويمحصها ويخلصها من شرها وخبثها والنفوس الشريرة الظالمة التي لو ردت إلى الدنيا قبل العذاب لعادت لما نهت عنه لا يصلح أن تسكن دار السلام التي تنافي الكذب والشر والظلم فإذا عذبت هذه النفوس بالنار عذابا يخلصها من ذلك الشر ويخرج خبثها كان هذا معقولا في الحكمة كما يوجد في عذاب الدنيا وخلق من فيه شر يزول بالتعذيب من تمام الحكمة أما خلق نفوس شريرة لا يزول شرها البتة وإنما خلقت للشر المحض وللعذاب السرمد الدائم بدوام خالقها سبحانه فهذا لا يظهر موافقته للحكمة والرحمة وإن دخل تحت القدرة فدخوله تحت الحكمة والرحمة ليست بالبين فهذا ما وصل إليه النظر في هذه المسألة التي تكع فيها عقول العقلاء وكنت سألت عنها شيخ الإسلام قدس الله روحه فقال لي هذه المسألة عظيمة كبيرة ولم يجب فيها بشيء فمضى على ذلك زمن حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد الكثي بعض تلك الآثار التي ذكرت فأرسلت إليه الكتاب وهو في مجلسه الأخير وعلمت على ذلك الموضع وقلت للرسول قل له هذا الموضع يشكل عليه ولا يدري ما هو فكتب فيها مصنفه المشهور رحمة الله عليه فمن كان عنده فضل علم فليحدثه فإن فوق كل ذي علم عليم وأنا في هذه المسألة على قول أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ووصف ذلك أحسن صفة ثم قال "ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء" وعلى مذهب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: "لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا نارا" وذكر ذلك في تفسير قوله: ﴿قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾ وعلى مذهب أبي سعيد الخدري حيث يقول: "انتهى القرآن كله إلى هذه الآية: ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ " وعلى مذهب قتادة حيث يقول: "في قوله: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ الله أعلم بتبينه على ما وقعت" وعلى مذهب ابن زيد حيث يقول: "أخبرنا الله بالذي يشاء لأهل الجنة" فقال عطاء: "غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار" والقول بأن النار وعذابها دائم بدوام الله خبر عن الله بما يفعله فإن لم يكن مطابقا لخبره عن نفسه بذلك وإلا كان قولا عليه بغير علم والنصوص لا تفهم ذلك والله أعلم.

فصل: وها هنا مذاهب أخرى باطله منها قول من قال أنهم يعذبون في النار مدة لبثهم في الدنيا وقول من قال تنقلب عليهم طبيعة نارية يلتذون بها كما يلتذ صاحب الجرب بالحك وقول من يقول أنها تفنى هي والجنة جميعا ويعودان عدما

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/٧١

وقول من يقول تفنى حركاتها وتبقى أهلها في سكون دائم ولم يوفق للصواب في هذا الباب غير الصحابة ومن سلك سبيلهم." (١)

"أن تكون الخيرة لهم، ثم ينفي هذا سبحانه عنهم، ويبين تفرده هو بالاختيار، كما قال تعالى: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ [الزخرف: ٣١ - ٣٢] [الزخرف: ٣١ - ٣٢] ، فأنكر عليهم سبحانه تخيرهم عليه، وأخبر أن ذلك ليس إليهم، بل إلى الذي قسم بينهم معايشهم المتضمنة لأرزاقهم ومدد آجالهم، وكذلك هو الذي يقسم فضله بين أهل الفضل على حسب علمه بمواقع الاختيار، ومن يصلح له ممن لا يصلح، وهو الذي رفع بعضهم فوق بعض درجات، وقسم بينهم معايشهم ودرجات التفضيل، فهو القاسم ذلك وحده لا غيره، وهكذا هذه الآية بين فيها انفراده بالخلق والاختيار، وأنه سبحانه أعلم بمواقع اختياره، كما قال تعالى: ﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [الأنعام: ١٢٤] [الأنعام: ١٢٤] ، أي: الله أعلم بالمحل الذي يصلح لاصطفائه وكرامته وتخصيصه بالرسالة والنبوة دون غيره.

الرابع: أنه نزه نفسه سبحانه عما اقتضاه شركهم من اقتراحهم واختيارهم فقال: ﴿ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ [القصص: ٦٨] [القصص: ٦٨] ولم يكن شركهم مقتضيا لإثبات خالق سواه حتى نزه نفسه عنه، فتأمله فإنه في غاية **اللطف**.

الخامس: أن هذا نظير قوله تعالى في [الحج: ٧٣ - ٧٦] : ﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب - ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾ [الحج: ٧٣ - ٧٤] ثم قال: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير - يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور﴾ [الحج: ٧٥ - ٧٦] وهذا نظير قوله في [القصص: ٦٩] ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ [القصص: ٦٩] ونظير قوله في [الأنعام: ١٢٤] ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [الأنعام: ١٢٤] فأخبر في ذلك كله عن علمه." (٢)

"على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأخبرته، فقال: " باد ملكه "، وأقرأته من حاجبه السلام، وأخبرته بما قال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صدق ") : ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح، ففي هذه المدة أرسل ملك غسان يدعو كعبا إلى اللحاق به، فأبت له سابقة الحسنى أن يرغب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودينه.

[فصل في أمره صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الثلاثة باعتزال نسائهم]

فصل

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن القيم ص/٢٦٤

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ١/٤٢

في أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لهؤلاء الثلاثة أن يعتزلوا نساءهم لما مضى لهم أربعون ليلة كالبشارة بمقدمات الفرج والفتح من وجهين:

أحدهما: كلامه لهم، وإرساله إليهم بعد أن كان لا يكلمهم بنفسه ولا برسوله.

الثاني: من خصوصية أمرهم باعتزال النساء، وفيه تنبيه وإرشاد لهم إلى الجد والاجتهاد في العبادة، وشد المئزر، واعتزال محل اللهو واللذة والتعوض عنه بالإقبال على العبادة، وفي هذا إيذان بقرب الفرج، وأنه قد بقي من العتب أمر يسير.

وفقه هذه القصة، أن زمن العبادات ينبغي فيه تجنب النساء، كزمن الإحرام، وزمن الاعتكاف، وزمن الصيام، فأراد النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يكون آخر هذه المدة في حق هؤلاء بمنزلة أيام الإحرام والصيام في توفرها على العبادة، ولم يأمرهم بذلك من أول المدة رحمة بهم وشفقة عليهم، إذ لعلهم يضعف صبرهم عن نسائهم في جميعها، فكان **من اللطف بهم** والرحمة أن أمروا بذلك في آخر المدة، كما يؤمر به الحاج من حين يحرم، لا من حين يعزم على الحج.

وقول كعب لامرأته: الحقي بأهلك، دليل على أنه لم يقع بهذه اللفظة وأمثالها طلاق ما لم ينوه. والصحيح أن لفظ الطلاق والعتاق والحرية كذلك إذا أراد به غير تسييب الزوجة، وإخراج الرقيق عن ملكه، لا يقع به طلاق ولا عتاق، هذا هو الصواب الذي ندين الله به، ولا نرتاب فيه البتة. فإذا قيل له: إن غلامك." (١)

"إلى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة، وتنتعش به القوة، وينبعث به الحار الغريزي، فيتساعد على دفع العلة أو تخفيفها الذي هو غاية تأثير الطبيب.

وتفريح نفس المريض وتطييب قلبه وإدخال ما يسره عليه له تأثير عجيب في شفاء علته وخفتها، فإن الأرواح والقوى تقوى بذلك، فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي، وقد شاهد الناس كثيرا من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه، ويعظمونه، ورؤيتهم لهم ولطفهم بهم ومكالمتهم إياهم، وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التي تتعلق بهم، فإن فيها أربعة أنواع من الفوائد: نوع يرجع إلى المريض، ونوع يعود على العائد، ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامة.

وقد تقدم في هديه صلى الله عليه وسلم أنه كان يسأل المريض عن شكواه، وكيف يجده ويسأله عما يشتهيه، ويضع يده على جبهته، وربما وضعها بين ثدييه، ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته، وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه، وربما كان يقول للمريض: («لا بأس طهور إن شاء الله») ، وهذا من كمال **اللطف**، وحسن العلاج والتدبير.

[فصل هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الأبدان بما اعتادته من الأدوية والأغذية دون ما لم تعتده]

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الأبدان بما اعتادته من الأدوية والأغذية دون ما لم تعتده

هذا أصل عظيم من أصول العلاج، وأنفع شيء فيه، وإذا أخطأه الطبيب أضر المريض من حيث يظن أنه ينفعه، ولا يعدل عنه إلى ما يجده من الأدوية في كتب الطب إلا طبيب جاهل، فإن ملاءمة الأدوية والأغذية للأبدان بحسب." (٢)

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٣/٥١٠

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٤/١٠٧

"بقي الأختان والأخوان، فهذا مما تنازع فيه الصحابة فجمهورهم أدخلوا الاثنين في لفظ الإخوة، وأبى ذلك ابن عباس ونظره أقرب إلى ظاهر اللفظ، ونظر الصحابة أقرب إلى المعنى وأولى به، فإن الإخوة إنما حجبوها إلى السدس لزيادة ميراثهم على ميراث الواحد، ولهذا لو كانت واحدة أو أخا واحدا لكان لها الثلث معه، فإذا كان الإخوة ولد أم كان فرضهم الثلث اثنين كانا أو مائة، فالاثنان والجماعة في ذلك سواء، وكذلك لو كن أخوات لأب أو لأب وأم ففرض الثنتين وما زاد واحد، فحجبها عن الثلث إلى السدس باثنين كحجبها بثلاثة سواء، لا فرق بينهما ألبتة.

وهذا الفهم في غاية **اللطف**، وهو من أدق فهم القرآن، ثم طرد ذلك في الذكور من ولد الأب والأبوين لمعنى يقتضيه، وهو توفير السدس الذي حجبت عنه لهم لزيادتهم على الواحد نظرا لهم ورعاية لجانبهم، وأيضا فإن قاعدة الفرائض أن كل حكم اختص به الجماعة عن الواحد اشترك فيه الاثنان وما فوقهما كولد الأم والبنات وبنات الابن والأخوات للأبوين أو للأب، والحجب ههنا قد اختص به الجماعة، فيستوي فيه الاثنان وما زاد عليهما، وهذا هو القياس الصحيح والميزان الموافق لدلالة الكتاب وفهم أكابر الصحابة، وأيضا فإن الأمة مجمعة على أن قوله تعالى: ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾ [النساء: ١١] يدخل في حكمه الثنتان، وإن اختلفوا في كيفية دخولهما في الحكم كما سيأتي.

فهكذا دخول الأخوين في الإخوة، وأيضا فإن لفظ الإخوة كلفظ الذكور والإناث والبنات والبنين، وهذا كله قد يطلق ويراد به الجنس الذي جاوز الواحد وإن لم يزد على اثنين، فكل حكم علق بالجمع من ذلك دخل فيه الاثنان كالإقرار والوصية والوقف وغير ذلك، فلفظ الجمع قد يراد به الجنس المتكثر أعم من تكثيره بواحد أو اثنين، كما أن لفظ المثنى قد يراد به المتعدد أعم من أن يكون تعدده بواحد أو أكثر، نحو: ﴿ارجع البصر كرتين﴾ [الملك: ٤] ودلالتهما حينئذ على الجنس المتكثر، وأيضا فاستعمال الاثنين في الجمع بقرينة واستعمال الجمع في الاثنين بقرينة جائز بل واقع، وأيضا فإنه – سبحانه – قال: ﴿وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾ [النساء: ١٧٦] وهذا يتناول الأخ الواحد والأخت الواحدة كما يتناول من فوقهما، ولفظ الإخوة وسائر ألفاظ الجمع قد يعنى به الجنس من غير قصد التعدد، كقوله – تعالى –: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ [آل عمران: ١٧٣] وقد يعنى به العدد من غير قصد لعدد معين بل لجنس التعدد، وقد يعنى به الاثنان وما زاد، والثالث يتناول الثلاثة فما زاد عند إطلاقه، وإذا قيد اختص بما قيد به." (١)

"فهذه مجامع أنواع حيل الشيطان، ولا يحصي أفرادها إلا الله، ومن له مسكة من العقل يعرف الحيلة التي تمت عليه من هذه الحيل، فإن كانت له همة إلى التخلص منها، وإلا فيسأل من تمت عليه، والله المستعان.

[من حيل شياطين الإنس]

وهذه الحيل من شياطين الجن نظير حيل شياطين الإنس المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق ويتوصلوا به إلى أغراضهم الفاسدة في الأمور الدينية والدنيوية وذلك كحيل القرامطة الباطنية على إفساد الشرائع، وحيل الرهبان على أشباه الحمير من عابد الصليب بما يموهون به عليهم من المخاريق والحيل كالنور المصنوع وغيره مما هو معروف عند الناس، وكحيل أرباب

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ١/ ٢٧١

الإشارات من الإذن والتسيير والتغيير وإمساك الحيات ودخول النار في الدنيا قبل الآخرة، وأمثال ذلك من حيل أشباه النصارى التي تروج على أشباه الأنعام، وكحيل أرباب الدك وخفة اليد التي تخفى على الناظرين أسبابها ولا يتفطنون لها، وكحيل السحرة على اختلاف أنواع السحر؛ فإن سحر البيان هو من أنواع التحيل: إما لكونه بلغ **من اللطف والحسن** إلى حد استمالة القلوب فأشبه السحر من هذا الوجه، وإما لكون القادر على البيان يكون قادرا على تحسين القبيح وتقبيح الحسن فهو أيضا يشبه السحر من هذا الوجه أيضا.

وكذلك سحر الوهم أيضا هو حيلة وهمية، والواقع شاهد بتأثير الوهم والإيهام، ألا ترى أن الخشبة التي يتمكن الإنسان من المشي عليها إذا كانت قريبة من الأرض لا يمكن المشي عليها إذا كانت على مهواة بعيدة القعر؟ والأطباء تنهى صاحب الرعاف عن النظر إلى الشيء الأحمر، وتنهى المصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان أو الدوران، فإن النفوس خلقت مطية الأوهام، والطبيعة فعالة، والأحوال الجسمانية تابعة للأحوال النفسانية.

وكذلك السحر بالاستعانة بالأرواح الخبيثة إنما هو بالتحيل على استخدامها بالإشراك بها والاتصاف بهيئاتها الخبيثة؛ ولهذا لا يعمل السحر إلا مع الأنفس الخبيثة المناسبة لتلك الأرواح، وكلما كانت النفس أخبث كان سحرها أقوى، وكذلك سحر التمزيجات – وهو أقوى ما يكون من السحر – أن يمزج بين القوى النفسانية الخبيثة الفعالة والقوى الطبيعية المنفعلة، والمقصود أن السحر من أعظم أنواع الحيل التي." (١)

"فأخذ الوالي متاعه منهم، وسلمه إليه؛ فلو عملت هذه الحيلة مع مظلوم لم تنفع، وحنث الحالف؛ فإن المقصود الدفع عنه، وبالسكوت قد أعان عليه، ولم يدفع عنه.

[المثال السابع والخمسون الحيلة في بر زوج وزوجته حلف كل منهما]

[حيلة في بر زوج وزوجته حلف كل منهما]

المثال السابع والخمسون: ما سئل عنه أبو حنيفة – رحمه الله – عن امرأة قال لها زوجها: أنت طالق إذا سألتيني الخلع إن لم أخلعك، وقالت المرأة: كل مملوك لي حر إن لم أسألك الخلع اليوم؛ فجاء الزوج إلى أبي حنيفة فقال: أحضر المرأة؛ فأحضرها، فقال لها أبو حنيفة: سليه الخلع، فقالت: سألتك أن تخلعني، فقال له أبو حنيفة: قل لها قد خلعتك على ألف درهم تعطينيها، فقال لها ذلك، فقال لها قولي: لا أقبل، فقالت: لا أقبل، فقال: قومي مع زوجك فقد بر كل واحد منكما ولم يحنث في شيء، ذكرها محمد بن الحسن في كتاب الحيل له.

وإنما تتم هذه الحيلة على الوجه الذي ذكره؛ فلو قالت له: " أسألك الخلع على ألف درهم حالة، أو إلى شهر " فقال: " قد خلعتك على ذلك " وقع الخلع؛ بخلاف ما إذا قالت له: " اخلعني " قال: " خلعتك على ألف " فإن هذا لا يكون خلعا حتى تقبل وترضى، وهي لم ترض بالألف؛ فلا يقع الخلع.

[فإن قيل: فكيف إذا لم يقع الخلع؟]

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٣/٢٥٧

قيل: هو إنما حلف على فعله لا على قبولها؛ فإذا قال: " قد خلعتك على ألف " فقد وجد الخلع من جهته؛ فانحلت يمينه، ولم يقف حل اليمين على قبولها، كما إذا حلف لا يبيع، فباع، ولم يقبل المشتري، ولا بينة له؛ فإنه يحنث.

[المثال الثامن والخمسون أخوان زفت لكل منهما زوجة الآخر]

[أخوان زفت لكل منهما زوجة الآخر]

المثال الثامن والخمسون: ما ذكره محمد في كتابه أيضا عنه أتاه أخوان قد تزوجا بأختين؛ فزفت كل امرأة منهما إلى زوج أختها؛ فدخل بها ولم يعلم، ثم علم الحال لما أصبحا؛ فذكرا له ذلك، وسألاه المخرج، فقال لهما: كل منكما راض بالتي دخل بها؟ فقالا: نعم، فقال: ليطلق كل منكما امرأته التي عقد عليها تطليقة؛ ففعلا، فقال: ليعقد كل منكما على المرأة التي دخل بها، ففعلا، فقال: ليمض كل منكما إلى أهله، وهذه الحيلة في غاية **اللطف**؛ فإن المرأة التي دخل بها كل منهما قد وطئها بشبهة؛ فله أن ينكحها في عدتها؛ فإنه لا يصان ماؤه عن مائه، وأمره أن يطلق واحدة فإنه لم يدخل بالتي طلقها فالواحدة تبينها، ولا عدة عليها منه، فللآخر أن يتزوجها.." (١)

"فى غرور أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور﴾ [الملك: ٢٠- ٢١] .

فجمع سبحانه بين النصر والرزق، فإن العبد مضطر إلى من يدفع عنه عدوه بنصره، ويجلب له منافعه برزقه، فلا بد له من ناصر ورازق. والله وحده هو الذى ينصر ويرزق، فهو الرزاق ذو القوة المتين. ومن كمال فطنة العبد ومعرفته: أن يعلم أنه إذا مسه الله بسوء لم يرفعه عنه غيره وإذا ناله بنعمة لم يرزقه إياها سواه. ويذكر أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه:

"أدرك لى لطيف الفطنة، وخفى **اللطف**، فإنى أحب ذلك. قال: يا رب وما لطيف الفطنة؟ قال: إن وقعت عليك ذبابة فاعلم أنى أنا أوقعتها فاسألنى أرفعها. قال: وما خفى **اللطف؟** قال: إذا أتتك حبة فاعلم أنى أنا ذكرتك بها" وقد قال تعالى عن السحرة: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ [البقرة: ١٠٢] .

فهو سبحانه وحده الذى يكفى عبده وينصره ويرزقه ويكلؤه.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر قال: سمعت وهبا يقول: قال الله تعالى فى بعض كتبه:

"بعزتى، إنه من اعتصم بى، فإن كادته السموات بمن فيهن، والأرضون بمن فيهن، فإنى أجعل له من ذلك مخرجا، ومن لم يعتصم بى، فإنى أقطع يديه من أسباب السماء وأخسف به من تحت قدميه الأرض، فأجعله فى الهواء، ثم أكله إلى نفسه، كفى لعبدى ملأى، إذا كان عبدى فى طاعتى أعطيه قبل أن يسألنى، وأستجيب له قبل أن يدعونى، فإنى أعلم بحاجته التى ترفق به منه".

قال أحمد: وحدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو سعيد المؤدب، حدثنا من سمع عطاء الخراسانى قال: لقيت وهب بن منبه، وهو يطوف بالبيت، فقلت له: حدثنى حديثا أحفظه عنك فى مقامى هذا وأوجز، قال نعم:

"أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود: يا داود، أما وعزتى وعظمتى لا يعتصم بى عبد من عبيدى دون خلقى – أعرف ذلك

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم ٣/٢٩٧

من نيته – فتكيده السموات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له من بينهن مخرجا؛ أما وعزتى وعظمتى لا يعتصم عبد من عبادى بمخلوق دونى – أعرف ذلك من نيته– إلا قطعت أسباب السماء من يده، وأسخت الأرض من تحت قدميه، ثم لا أبالى بأى واد هلك".

وهذا الوجه أظهر للعامة من الذى قبله. ولهذا خوطبوا به فى القرآن أكثر من الأول ومنه دعت الرسل إلى الوجه الأول. وإذا تدبر اللبيب القرآن وجد الله سبحانه يدعو عباده." (١)

"الباب الثالث والستون: في ذكر ملك الجنة وان أهلها كلهم ملوك فيها قال تعالى: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾ قال ابن أبي نجيح عن مجاهد ملكا كبيرا قال عظيما وقال استئذان الملائكة عليهم لا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن وقال كعب في قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾ يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأتي الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة وقال بعضهم الخدم ولا يدخل عليهم الملائكة إلا بإذن

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراكب أهل الجنة ثم تلا ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾ وقال ابن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول في قوله عز وجل: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾ قال الملك الكبير: إن رسول الله يأتيه بالتحفة **واللطف** فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه فيقول للحاجب استأذن على ولي الله فإني لست أصل إليه فيعلم ذلك الحاجب حاجبا آخر وحاجبا بعد حاجب ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن فالملك الكبير أن رسول الله رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن وهو يدخل على ربه بلا إذن

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا صالح بن مالك حدثنا صالح المري حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك يرفعه إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم حدثنا محمد بن عباد بن موسى أنبأنا زيد بن الحباب عن أبي هلال الراسبي أنبأنا الحجاج بن عتاب العبدي عن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي هريرة قال إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنيء من يغدو عليه." (٢)

"ذلك كان معاملا فيه **باللطف** والمعونة والتأييد وكانت له فيه العاقبة الحميدة فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته عليه من الله جنة واقية وحصن حصين وبالجملة فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببا لزوالها ومن أقوى الأسباب حسد الحاسد والعائن فإنه لا يفتر ولا يني ولا يبرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود فحينئذ يبرد أنينه وتنطفيء ناره لا أطفأها الله فما حرس العبد نعمة الله تعالى عليه بمثل شكرها ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله وهو كفران النعمة وهو باب إلى كفران المنعم فالمحسن المتصدق يستخدم جندا وعسكرا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه فمن لم يكن له جند ولا عسكر وله عدو فإنه يوشك أن يظفر به عدوه وإن تأخرت مدة الظفر والله المستعان السبب التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه فكلما ازداد أذى وشرا وبغيا وحسدا ازددت إليه إحسانا وله نصيحة وعليه شفقة وما أظنك تصدق

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ١/ ٣٤

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ابن القيم ص/٢٧٤

بأن هذا يكون فضلا عن أن تتعاطاه فاسمع الآن قوله عز وجل: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ وقال: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾ وتأمل حال النبي صلى الله عليه وسلم الذي حكى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم "أنه ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم عنه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" رواه البخاري ومسلم كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه أحدها: عفوه عنهم والثاني: استغفاره لهم الثالث: اعتذاره." (١)

"ما في قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾ **من اللطف الذي** سلب العقول وقوله تعالى: ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين﴾ على أحد التأويلين أي نتركم فلا ننصحكم ولا ندعوكم ونعرض عنكم إذا أعرضتم أنتم وأسرفتم وتأمل لطف خطاب نذر الجن لقومهم وقولهم ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ .

فائدة: سئل ابن عقيل عن رجل له ماء يجري على سطح جاره فعلا داره هل يسقط حق الجري؟ فقال: "لا لكنه إذا سلط الماء على عادته حفر سطح جاره لموضع العلو فينبغي أن يجعل جريه بحدته إلى ملكه ثم يخرجه بسهولة إلى سطح جاره".

فائدة: وسئل عن رجل قالت له زوجته: طلقني فقال: إن الله قد طلقك؟ فقال: "يقع الطلاق لأنه كناية استندت إلى دلالة الحال وهي ذكر الطلاق وسؤالها إياه" وأجاب بعض الشافعية بأنه إن نوى وقع الطلاق وإلا لم يقع" قلت:

وهذا هو الصواب إن قوله إن الله قد طلقك إن أراد به شرع طلاقك وأباحه لم يقع وإن أراد أن الله قد أوقع عليك الطلاق وأراده وشاءه فهذا يكون." (٢)

"مجاورته قليلا فوحدها تقصد وتقبل وتشم إذا تكلم من يريد الدنيا بكلامه فإنه كلما حفر في قليب قلبه وأمعن في الاستنباط انهار عليه تراب الطمع فطمه إذا رأيت سربال الدنيا قد تقلص عنك فاعلم أنه لطف بك لأن المنعم لم يقبضه بخلا أن يتمزق ولكن رفقا بالساعي أن يتعثر فتش على القلب الضائع قبل الشروع فحضور القلب أول منزل من منازل الصلاة فإذا نزلته أنتقلت إلى بادية المعنى فإذا رحلت عنها أنخت بباب المناجاة فكان أول قرى ضيف اليقظة كشف الحجاب لعين القلب فكيف يطمع في دخول مكة من لا خرج إلى البادية بعد. إذا كانت مشاهدة مخلوق يوم أخرج عليهن استغرقت إحساس الناظرات فقطعن أيديهن وما شعرن فكيف بالحال يوم المزيد. لو أحببت العبود لحضر قلبك في عبادته قيل لعامر بن عبد القيس أما تسهو في صلاتك قال أو حديث أحب إلي من القرآن حتى استغل به. وكان مسلم بن يسار لا يلتفت في صلاته حتى انهدمت ناحية من نواحي المسجد فزع لها أهل السوق فما التفت وكان إذا دخل منزله سكت أهل بيته فإذا قام يصلي تكلموا وضحكوا علما منهم بالغيبة. وقيل لبعضهم إنا لنوسوس في صلاتنا قال بأي شيء بالجنة أو الحور العين

---

(١) بدائع الفوائد ابن القيم ٢/٢٤٣

(٢) بدائع الفوائد ابن القيم ٣/١٣٤

والقيامة قالوا لا بل بالدنيا فقال لأن تختلف في الأسنة أحب إلي من ذلك تقف في صلاتك بجسدك وقد وجهت وجهك إلى القبلة ووجهت قلبك إلى قطر آخر ويحك ما تصلح هذه الصلاة مهرا للجنة فكيف تصلح ثمنا للمحبة.. رأت فأرة جملا فأعجبها فجرت خطامه فتبعها فلما وصلت إلى باب بيتها وقف فنادى بلسان الحال إما أن تتخذي دارا تليق بمحبوبك أو محبوبا يليق بدارك وهكذا أنت إما أن تصلي صلاة تليق بمعبودك وإما أن تتخذ معبودا يليق بصلاتك. تعاهد قلبك فإن رأيت الهوى قد أمال أحد الحملين فاجعل في الجانب الآخر ذكر الجنة والنار ليعتدل الحمل فإن غلبك الهوى فاستعنت بصأحب القلب يعينك على الحمل فإن تأخرت الأجابة فابعث رائد الانكسار خلفها تجده عند المنكسرة **قلوبهم اللطف مع** الضعف أكثر." (١)

"حصلت ولا إلى ما قصدته بالرياء وصلت وفات الأجر والمدح فلا هذا ولا هذا. لا تنقش على الدرهم الزائف اسم الملك فإنه لا يدخل الخزانة إلا بعد النقد. المخلص يتبهرج على الخلق بستر حاله وببهرجته يصح له النقد والمرائي يتبرطل على باب الملك يوهم أنه من الخواص وهو غريب فسله عن أسرار الملك يفتضح فإن خفي عليك فانظر حاله مع خاصة الملك. يا من لم يصبر عن الهوى صبر يوسف يتعين عليه بكاء يعقوب فإن لم يطق فذل إخواته يوم تصدق علينا. إذا طاب لبث الطين على الأنهار تكامل ربه فإذا نضب عنه الماء استلبت الشمس ما فيه من الرطوبة فيشتد شوقه إلى الماء فلو وضعت منه قطعة على لسانك لأمسكه وعلق به شوقا إلى الورد فيا من نضب ماء معاملته هل أحسست بالعطش وقالوا:

يعود الماء في البئر بعدما ... كانت بالحجاز لنا ليال ... نهبناهن من أيدي الزمان

ولا تنصب خيامك في محل ... فإن النازلين على ارتحال

مداراة الضعفاء **باللطف** فإذا قووا شدد عليهم. مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر. كان الإسلام في بدايته كالنطفة فاقتنع بكلمة التوحيد فلما نفخ فيه الروح احتاج إلى الغذاء ففرضت الصلاة فلما تحرك وجبت الهجرة فلما اشتد وجبت الزكاة فلما قربت الولادة لزم الحج فلما ظهر طفلا حبا بلطف يريد الله بكم اليسر فلما خاف من الزلل والعقاب جاءت بشارة لا تقنطوا فلما ترعرع قال المؤدب من يعمل سوءا يجز به فلما بلغ أشده واستوى جاء ويحذركم الله نفسه. المتعبدون بالليل يقربون إلى نوق الأبدان خيط الرقاد فإذا تناولت سد الفاقة رفعت رؤوسها فإذا الدليل على الجادة فتأخذ في السير. من النجوم الجواري مؤذن ومنها مقيم فأرباب العزائم يؤذن في محلتهم بليل ويقام لهم أول الوقت ومن دونهم يصلون في أول الوقت وأهل الفتور في آخرة. إذا هجمت جنود الرقاد على العيون صاح حارس اليقظة بالمتعبدين الصلاة خير من النوم وهتف رقيب المعاتبة كذب من ادعى محبتي حتى إذا جنة الليل نام عني فيصيح المشتاق." (٢)

"عليهم وهو تعليم منه للأمة الرحمة والشفقة **واللطف** بالصغار

فصل وانما كان الصبر على السراء شديدا لأنه مقرون بالقدرة والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره وكذلك الشبق عند غيبة المرأة أصبر منه عند حضورها. فصل وأما النوع الثانى المخالف للهوى فلا يخلو اما أن يرتبط باختيار

---

(١) بدائع الفوائد ابن القيم ٣/٢٣٣

(٢) بدائع الفوائد ابن القيم ٣/٢٣٨

العبد كالطاعات والمعاصى أو لا ترتبط أوله باختياره كالمصائب أو يرتبط أوله باختياره ولكن لا اختيار له في ازالته بعد الدخول فيه فهاهنا ثلاثة أقسام: أحدها ما يرتبط باختياره وهو جميع أفعاله التى توصف بكونها طاعة أو معصية فأما الطاعة فالعبد محتاج إلى الصبر عليها لأن النفس بطبعها تنفر عن كثير من العبودية أما في الصلاة فلما في طبعها من الكسل وايثار الراحة ولا سيما إذا اتفق مع ذلك قسوة القلب ورين الذنب والميل إلى الشهوات ومخالطة أهل الغفلة فلا يكاد العبد مع هذه الأمور وغيرها أن يفعلها وان فعلها مع ذلك كان متكلفا غائب القلب ذاهلا عنها طالبا لفراقها كالجالس إلى الجيفة وأما الزكاة فلما في طبعها اى النفس من الشح والبخل وكذلك الحج والجهاد للأمرين جميعا ويحتاج العبد ها هنا إلى الصبر في ثلاثة أحوال أحدها قبل الشروع فيها بتصحيح النية والاخلاص وتجنب دواعى الرياء والسمعة وعقد العزم على توفية المأمورية حقها

الحالة الثانية الصبر حال العمل فيلازم العبد الصبر عن دواعى التقصير فيه والتفريط ويلازم الصبر على استصحاب ذكر النية وعلى حضور القلب بين يدى المعبود وأن لا ينساه في أمره فليس الشأن في فعل المأمور بل الشأن كل الشأن أن لا ينسى الا مرحال الإتيان بأمره بل يكون مستصحبا لذكره في أمره فهذه عبادة العبيد المخلصين لله فهو يحتاج إلى الصبر على توفية العبادة حقها بالقيام بأدائها وأركانها وواجباتها وسننها وإلى." (١)

"فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج المرضى بتطييب نفوسهم وتقوية قلوبهم

روى ابن ماجه «في سننه» من حديث أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخلتم على المريض، فنفسوا له في الأجل، فإن ذلك لا يرد شيئا، وهو يطيب نفس المريض» «١» .

وفي هذا الحديث نوع شريف جدا من أشرف أنواع العلاج، وهو الإرشاد إلى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة، وتنتعش به القوة، وينبعث به الحار الغريزي، فيتساعد على دفع العلة أو تخفيفها الذي هو غاية تأثير الطبيب.

وتفريح نفس المريض، وتطييب قلبه، وإدخال ما يسره عليه، له تأثير عجيب في شفاء علته وخفتها، فإن الأرواح والقوى تقوى بذلك، فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي، وقد شاهد الناس كثيرا من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه، ويعظمونه، ورؤيتهم لهم، ولطفهم بهم، ومكالمتهم إياهم، وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التي تتعلق بهم، فإن فيها أربعة أنواع من الفوائد: نوع يرجع إلى المريض، ونوع يعود على العائد، ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامة.

وقد تقدم في هديه صلى الله عليه وسلم أنه كان يسأل المريض عن شكواه، وكيف يجده ويسأله عما يشتهيه، ويضع يده على جبهته، وربما وضعها بين ثدييه، ويدعو له، ويصف له ما ينفعه في علته، وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه، وربما كان يقول للمريض: «لا بأس طهور إن شاء الله» «٢» ، وهذا من كمال **اللطف**، وحسن العلاج والتدبير.

---

(١) أخرجه الترمذي في الطب، وابن ماجه في الجنائز. ومعنى «فنفسوا له في الأجل» أي وسعوا له وأطمعوه في طول الحياة،

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ابن القيم ص/٦٥

وأذهبوا حزنه فيما يتعلق بأجله، بأن تقولوا: لا بأس، طهور، فإن في ذلك تنفيسا لما هو فيه من الكرب وطمأنينة لقلبه.

(٢) أخرجه البخاري." [(١)]

"لخمر الهوى فكلما طيبت الثوب فاحت رائحة المسكر من تحته فتباعد منك الصادقون وانحاز إليك الفاسقون يدخل عليك لص الهوى وأنت في زاوية التعبد فلايرى منك طردا له فلا يزال بك حتى يخرجك من المسجد أصدق في الطلب وقد جاءتك المعونة فقال رجل لمعروف علمني المحبة فقال المحبة لا تجيء بالتعليم

هو الشوق مدلولا على مقتل الفنا ... إذا لم يعد صبا بلقيا حبيبه

ليس العجيب من قوله يحبونه إنما العجب من قوله يحبهم ليس العجب من فقير مسكين يحب محسنا إليه إنما العجب من محسن يحب فقيرا مسكينا

فصل القرآن كلام الله وقد تجلى الله فيه لعباده وصفاته فتارة يتجلى في

جلباب الهيبة والعظمة والجلال فتخضع الأعناق وتنكسر النفوس وتخشع الأصوات ويذوب الكبر كما يذوب الملح في الماء وتارة يتجلى في صفات الجمال والكمال وهو كمال الأسماء وجمال الصفات وجمال الأفعال الدال على كمال الذات فيستنفد حبه من قلب العبد قوة الحب كلها بحب ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله فيصبح فؤاد عبده فارغا إلا من محبته فإذا أراد منه الغيران يعلق تلك المحبة به أبى قلبه وأحشاؤه ذلك كل الإباء كما قيل

يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل

فتبقى المحبة له طبعا لا تكلفا وإذا تجلى بصفات الرحمة والبر **واللطف** والإحسان انبعثت قوة الرجاء من العبد وانبسط أمله وقوي طمعه وسار إلى ربه وحادى الرجاء يحدو ركاب سيره وكلما قوي الرجاء جد في العمل كما أن الباذر كلما قوي طمعه في المغل غلق أرضه بالبذر وإذا ضعف رجاؤه قصر في البذر وإذا تجلى بصفات العدل والانتقام." [(٢)]

"المقدور العطف **عليه اللطف به** فيصير بين عطفه ولطفه فعطفه يقيه ما يحذره ولطفه يهون عليه ما قدره إذا نفذ القدر في العبد كان من أعظم أسباب نفوذه تحيله في رده فلا أنفع له من الاستسلام وإلقاء نفسه بين يدي القدر طريحا كالميتة فإن السبع لا يرضى بأكل الجيف

فصل لا ينتفع بنعمة الله بالإيمان والعلم إلا من عرف نفسه ووقف بها

عند قدرها ولم يتجاوزه إلى ما ليس له ولم يتعد طوره ولم يقل هذا لي وتيقن أنه لله وبالله ومن الله فهو الإيمان به ابتداء وإدامة لا سبب من العبد ولا استحقاق منه فتذله نعم الله عليه وتكسره كسرة من لا يرى لنفسه ولا فيها خيرا البتة وأن الخير الذي وصل إليه فهو لله وبه ومنه فتحدث له النعم ذلا وانكسارا عجيبا لا يعبر عنه فكلما جدد له نعمة ازداد له ذلا وانكسارا

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٨٧

(٢) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٦٩

وخشوعا ومحبة وخوفا ورجاء وهذا نتيجة علمين شريفين علمه بربه وكماله وبره وغناه وجوده وإحسانه ورحمته وأن الخير كله في يديه وهو ملكه يؤتي منه من يشاء ويمنع منه من يشاء وله الحمد على هذا وهذا أكمل حمد وأتمه وعلمه بنفسه ووقوفه على حدها وقدرها ونقصها وظلمها وجهلها وأنها لا خير فيها البتة ولا لها ولا بها ولا منها وأنها ليس لها من ذاتها إلا العدم فكذلك من صفاتها وكمالها ليس لها إلا العدم الذي لا شيء أحقر منه ولا أنقص فما فيها من الخير تابع لوجودها الذي ليس إليها ولا بها فإذا صار هذان العلمان صيغة لها لا صيغة على لسانها علمت حينئذ أن الحمد كله لله والأمر كله له والخير كله في يديه وأنه هو المستحق للحمد والثناء والمدح دونها وأنها هي أولى بالذم والعيب واللوم ومن فاته التحقيق بهذين العلمين تلونت به أقواله وأعماله." (١)

"له معلقا قال الأسود بن سالم ركعتين أصليهما لله أحب إلي من الجنة بما فيها فقيل له هذا خطأ فقال دعونا من كلامكم الجنة رضى نفسي والركعتان رضى ربي ورضى ربي أحب إلي من رضى نفسي العارف في الأرض ريحانة من رياحين الجنة إذا شمها المريد اشتاقت نفسه إلى الجنة قلب المحب بين جلال محبوبه وجماله فإذا لاحظ جلاله هابه وعظمه وإذا لاحظ جماله أحبه واشتاق إليه

فائدة من الناس من يعرف الله بالجود والإفضال والإحسان ومنهم من يعرفه
بالعفو والحلم والتجاوز ومنهم من يعرفه بالبطش والانتقام ومنهم من يعرفه بالعلم والحكمة ومنه من يعرفه بالعزة والكبرياء ومنهم من يعرفه بالرحمة والبر **واللطف** ومنهم من يعرفه بالقهر والملك ومنهم من يعرفه بإجابة دعوته وإغاثة لهفته وقضاء حاجته وأعم هؤلاء معرفة من عرفه من كلامه فإنه يعرف ربا قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال منزه عن المثال برئ من النقائص والعيوب له كل اسم حسن وكل وصف كمال فعال لما يريد فوق كل شيء ومع كل شيء وقادر على كل شيء ومقيم لكل شيء آمرناه متكلم بكلماته الدينية والكونية أكبر من كل شيء وأجمل من كل شيء أرحم الراحمين وأقدر القادرين وأحكم الحاكمين فالقرآن أنزل لتعريف عباده به وبصراطه الموصل إليه وبحال السالكين بعد الوصول إليه

فائدة من الآفات الخفية العامة أن يكون العبد في نعمة أنعم الله بها
عليه واختارها له فيملها العبد ويطلب الانتقال منها إلى ما يزعم لجهله أنه خير له منها وربه برحمته لا يخرجه من تلك النعمة وبعذره بجهله وسوء اختياره لنفسه حتى إذا ضاق ذرعا." (٢)

"فائدة قول الله تعالى
وأن من شيء إلا عندنا خزائنه متضمن لكنز من الكنوز وهو أن يطلب كل شيء لا يطلب إلا ممن عنده خزائنه ومفاتيح تلك الخزائن بيديه وأن طلبه من غيره طلب ممن ليس عنده ولا يقدر عليه وقوله وأن إلى ربك المنتهى متضمن لكنز عظيم

---

(١) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/١٣٨

(٢) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/١٨٠

وهو أن كل مراد إن لم يرد لأجله ويتصل به وإلا فهو مضمحل منقطع فإنه ليس إليه المنتهى وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها فانتهت إلى خلقه ومشيئته وحكمته وعلمه فهو غاية كل مطلوب وكل محبوب لا يحب لأجله فمحبته عناء وعذاب وكل عمل لا يراد لأجله فهو ضائع وباطل وكل قلب لا يصل إليه فهو شقي محجوب عن سعادته وفلاحه فاجتمع ما يراد منه كله في قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه واجتمع ما يراد له كله في قوله وأن إلى ربك المنتهى فليس وراءه سبحانه غاية تطلب وليس دونه غاية إليها المنتهى

وتحت هذا سر عظيم من أسرار التوحيد وهو أن القلب لا يستقر ولا يطمئن ويسكن إلا بالوصول إليه وكل ما سواه مما يحب ويراد فمراد لغيره وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحد إليه المنتهى ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره بطل عليه ذلك وزال عنه وفارقه أحوج ما كان إليه ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد

العبد دائما متقلب بين أحكام الأوامر وأحكام النوازل فهو محتاج بل مضطر إلى العون عند الأوامر **وإلى اللطف عند** النوازل وعلى قدر قيامه بالأوامر يحصل له **من اللطف عند** النوازل فإن كمل القيام بالأوامر ظاهرا وباطنا ناله **اللطف**." [١]

"ظاهرا وباطنا وإن قام بصورها دون حقائقها وبواطنها **ناله اللطف في** الظاهر وقل نصيبه **من اللطف في** الباطن

فإن قلت **وما اللطف الباطن** فهو ما يحصل للقلب عند النوازل من السكينة والطمأنينة وزوال القلق والاضطراب والجزع فيستخذى بين يدي سيده ذليلا له مستكينا ناظرا إليه بقلبه ساكنا إليه بروحه وسره قد شغله مشاهدة لطفه به عن شدة ما هو فيه من الألم وقد غيبه عن شهود ذلك معرفته بحسن اختياره له وأنه عبد محض يجري عليه سيده أحكامه رضي أو سخط فإن رضي نال الرضا وإن سخط فحظه السخط **فهذا اللطف الباطن** ثمرة تلك المعاملة الباطنة يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها

فائدة جليلة لا يزال منقطعا عن الله حتى تتصل إرادته ومحبته بوجه

الأعلى والمراد بهذا الاتصال أن تفضي المحبة إليه وتتعلق به وحده فلا يحجبها شيء دونه وأن تتصل المعرفة بأسمائه وصفاته وأفعاله فلا يطمس نورها ظلمة التعطيل كما لا يطمس نور المحبة ظلمة الشرك وأن يتصل ذكره به سبحانه فيزول بين الذاكر والمذكور حجاب الغفلة والتفاته في حال الذكر إلى غير مذكوره فحينئذ يتصل الذكر به ويتصل العمل بأوامره ونواهيه فيفعل الطاعة لا أنه أمر بها وأحبها ويترك المناهي لكونه نهى عنها وأبغضها فهذا معنى اتصال العمل بأمره ونهيه وحقيقة زوال العلل الباعثة على الفعل والترك من الأغراض والحظوظ العاجلة ويتصل التوكل والحب به بحيث يصير واثقا به سبحانه مطمئنا إليه راضيا بحسن تدبيره له غير متهم له في حال من الأحوال ويتصل فقره وفاقته به سبحانه دون سواه ويتصل خوفه ورجاؤه

---

(١) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٢٠٢

وفرحه وسروره وابتهاجه به وحده فلا يخاف غيره ولا يرجوه ولا يفرح به كل الفرح ولا يسر به غاية السرور وإن ناله بالمخلوق بعض الفرح والسرور فليس الفرح التام والسرور الكامل والابتهاج والنعيم وقرة العين وسكون." (١)

"فصل

وهو الحيي فليس يفضح عبده ... عند التجاهر منه بالعصيان

لكنه يلقي عليه ستره ... فهو الستير وصاحب الغفران

وهو الحليم فلا يعاجل عبده ... بعقوبة ليتوب من عصيان

وهو العفو فعفوه وسع الورى ... لولاه غار الأرض بالسكان

وهو الصبور على أذى أعدائه ... شتموه بل نسبوه للبهتان

قالوا له ولد وليس يعيدنا ... شتما وتكذيبا من الإنسان

هذا وذاك بسمعه وبعلمه ... لو شاء عاجلهم بكل هوان

لكن يعافيهم ويرزقهم وهم ... يؤذونه بالشرك والكفران

فصل

وهو الرقيب على الخواطر واللوا ... حظ كيف بالأفعال بالأركان

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيل ... بحفظهم من كل أمر عان

وهو اللطيف بعبده ولعبده ... **واللطف** في أوصافه نوعان

إدرك أسرار الأمور بخبرة ... **واللطف** عند مواقع الإحسان

فيريك عزته ويبدي لطفه ... والعبد في الغفلات عن ذا الشان." (٢)

"فصل: في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المعطلة وأهل الإلحاد حزب جنكيزخان

يا قوم صالحتم نفاة الذات والأ ... وصاف صلحا موجبا لأمان

وأغرتم وهنا عليهم غارة ... قعقعتم فيها لهم بشنان

ما كان فيها من قتيل منهم ... كلا ولا فيها أسير عان

ولطفتم في القول أو صانعتم ... وآتيتم في بحثكم بدهان

وجلستم معهم مجالسكم مع ال ... أستاذ بالآداب والميزان

وضرعتم للقوم كل ضراعة ... حتى أعاروكم سلاح الجاني

فغزوتم بسلاحهم لعساكر الإ ... ثبات والآثار والقرآن

---

(١) الفوائد لابن القيم ابن القيم ص/٢٠٣

(٢) نونية ابن القيم = الكافية الشافية ابن القيم ص/٢٠٧

ولأجل ذا صانعتموهم عند حر ... بكم لهم **باللطف** والإذعان

ولأجل ذا كنتم مخانيثا لهم ... لم تنفتح منكم لهم عينان." (١)

"كلمة، والكلمة لم تزل الله، والله هو الكلمة، فذاك الذي ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله، وهو ابن الله وهو كلمة الله.

هذه ألفاظهم، قالوا: فالقديم الأزلي خالق السماوات والأرض هو الذي عاينه الناس بأبصارهم ولمسوه بأيديهم، وهو الذي حبلت به مريم وخاطب الناس من بطنها، حيث قال للأعمى: أنت تؤمن بالله؟ قال الأعمى: ومن هو حتى أؤمن به؟ قال: هو المخاطب لك. فقال: آمنت بك وخر ساجدا.

قالوا: فالذي حبلت به مريم هو الله، وابن الله، وكلمة الله، قالوا: وهو الذي ولد ورضع وفطم وأخذ وصلب وصفع وكتفت يداه وسمر في وجهه ومات ودفن وذاق ألم الصلب والتسمير والقتل لأجل خلاص النصارى من خطاياهم.

قالوا: وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنبي ولا عبد صالح بل هو رب الأنبياء، وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة.

قالوا: وليس مع أمه بمعنى الخلق والتدبير **واللطف** والمعونة، فإنه لا يكون لها بذلك مزية على سائر الإناث ولا الحيوانات، ولكنه معها بحبلها به واحتواء بطنها عليه، فلهذا فارقت جميع إناث الحيوان، وفارق ابنها جميع الخلق، فصار الله وابنه الذي نزل من السماء، وحبلت به مريم وولدته إلها واحدا ومسيحا واحدا، وربا واحدا، وخالقا واحدا، لا يقع بينهما فرق، ولا يبطل الاتحاد بينهما بوجه من الوجوه لا في حبل، ولا في ولادة، ولا في حال نوم، ولا مرض، ولا صلب، ولا موت، ولا دفن، بل هو متحد به في حال الحبل، فهو في تلك الحال مسيح واحد، وخالق واحد، وإله واحد، ورب واحد، وفي حال الولادة كذلك، وفي حال الصلب والموت كذلك، قالوا: فمنا من يطلق في لفظه وعبارته حقيقة هذا المعنى فيقول: مريم حبلت بالإله، وولدت الإله، ومات الإله، ومنا." (٢)

"وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين وهذا يدل على انه لا يزال محمولا في القرون قرنا بعد قرن وفي صحيح ابي حاتم من حديث الخولاني قال قال رسول الله لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم في طاعته وغرس الله هم اهل العلم والعمل فلو خلت الارض من عالم خلت من غرس الله ولهذا القول حجج كثيرة لها موضع آخر وزاد الكذابون في حديث على إما ظاهرا مشهورا وإما خفيا مستورا وظنوا ان ذلك دليل لهم على القول بالمنتظر وكلن هذه الزيادة من وضع بعض كذا بيهم والحديث مشهور عن علي لم يقل احد عنه هذه المقالة الا كذاب وحجج اله لا تقوم بخفي مستور لا يقع العالم له على خبر ولا ينتفعون به في شيء اصلا فلا جاهل يتعلم منه ولا ضال يهتدي به ولا خائف يأمن به ولا ذليل يتعزز به فأي حجة لله قامت بمن لا يرى له شخص ولا يسمع منه كلمة ولا يعلم له مكان ولا سيما على أصول القائلين به فإن الذي دعاهم الى ذلك انهم قالوا لا بد منه **في اللطف بالمكلفين** وانقطاع حجتهم عن الله فيالله العجب أي لطف حصل

---

(١) نونية ابن القيم = الكافية الشافية ابن القيم ص/٢٢٧

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ابن القيم ٢/ ٤٩٠

بهذا المعدوم لا المعصوم وأي حجة اثبتم للخلق على ربهم باصلكم الباطل فإن هذا المعدوم إذا لم يكن لهم سبيل قط الى لقائه والاهتداء به فهل في تكليف مالا يطاق ابلغ من هذا وهل في العذر والحجة ابلغ من هذا فالذي فررتم منه وقعتم في شر منه وكنتم في ذلك كما قيل:

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

ولكن ابي الله الا ان يفضح من تنقص بالصحابة الاخيار وبسادة هذه الامة وان يرى الناس عورته ويغريه بكشفها ونعوذ بالله من الخذلان ولقد احسن القائل:

ما آن للسرداب ان يلد الذي ... حملتموه بزعمكم ما آنا فعلى عقولكم العفاء فانكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا ولقد بطلت حجج استودعها مثل هذا الغائب وضاعت اعظم ضياع فانتم ابطلتم حجج الله من حيث زعمتم حفظها وهذا تصريح من امير المؤمنين رضى الله عنه بان حامل حجج الله في الارض بحيث يؤديها عن الله ويبلغها الى عباده مثله رضى الله عنه ومثل إخوانه من الخلفاء الراشدين ومن اتبعهم الى يوم القيامة وقوله لكيلا تبطل حجج الله وبيناته أي لكيلا تذهب من بين يدي الناس وتبطل من صدورهم والا فالبطلان محال عليها لانها ملزوم ما يستحيل عليه البطلان فإن قيل فما الفرق بين الحجج والبينات قيل الفرق بينهما ان الحجج هي الادلة العلمية التي يعقلها القلب وتسمع بالاذن قال تعالى في مناظرة إبراهيم لقومه وتبيين بطلان ما هم عليه بالدليل العلمي وتلك حجتنا آتيناهم إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء قال ابن زيد بعلم الحجة وقال تعالى فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني وقال." (١)

"ذكرناها ولو انه ساقه من البحر الى الارض جاريا على ظهرها لم يحصل عموم السقي الا بتخريب كثير من الارض ولم يحصل عموم السقي لأجزائها فصاعدة سبحانه الى الجو بلطفه وقدرته ثم انزله على الارض بغاية من اللطف والحكمة التي لا اقتراح لجميع عقول الحكماء فوقها فأنزله ومعه رحمته على الارض

فصل ثم تأمل الحكمة البا لغة في إنزاله بقدر الحاجة حتى إذا اخذت

الارض حاجتها منه وكان تتابعه عليها بعد ذلك يضرها اقلع عنها واعقبه بالصحو فهما اعني الصحو والغيم يعتقبان على العالم لما فيه صلاحه ولو دام احدهما كان فيه فساده فلو توالت الامطار لاهلكت ما علي الارض ولو زادت على الحاجة افسدت الحبوب والثمار وعفنت الزروع والخضروات وأرخت الابدان وحشرت الهواء فحدثت ضروب من الامراض وفسد اكثر المآكل وتقطعت المسالك والسبل ولو دام الصحو لجفت الابدان وغيض الماء وانقطع معين العيون والابار والانهار والاودية وعظم الضرر واحتدم الهواء فيبس ما على الارض وجفت الابدان وغلب اليبس واحدث ذلك ضروبا من الامراض عسرة الزوال فاقتضت حكمة اللطيف الخبير ان عاقب بين الصحو والمطر على هذا العالم فاعتدل الامر وصح الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الاخر واستقام امر العالم وصلح

فصل ثم تأمل الحكمة الالهية في اخراج الاقوات والثمار والحبوب

والفواكه متلاحقة شيئا بعد شيء متتابعة ولم يخلقها كلها جملة واحدة فانها لو خلقت كذلك على وجه الارض ولم تكن

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١/١٤٤

تنبت على هذه السوق والاغصان لدخل الخلل وفاتت المصالح التي رتبت على تلاحقها وتتابعها فإن كل فصل واوان يقتضى من الفواكه والنبات غير ما يتقضيه الفصل الاخر فهذا حار وهذا بارد وهذا معتدل وكل في فصله موافق للمصلحة لا يليق به غير ما خلق فيه ثم انه سبحانه خلق تلك الاقوات مقارنة لمنافع اخر من العصف والخشب والورق والنور والعسف والكرب وغيرها من منافع النبات والشجر غير الاقوات كعلف البهائم وأداة الابنية والسفن والرحال والاواني وغيرها ومنافع النور من الادوية والمنظر البهيج الذي يشوق الناظرين وحسن مرائي الشجر وخلقتها البديعة المشاهدة لفاطرها ومبدعها بغاية الحكمة **واللطف** ثم إذا تأملت إخراج ذلك النور البهي من نفس ذلك الحطب ثم الورق الاخضر ثم اخراج تلك الثمار على اختلاف أنواعها وأشكالها ومقاديرها وألوانها وطعومها وروائحها ومنافعها وما يراد منها ثم تأمل اين كانت مستودعة في تلك الخشبة وهاتيك العيدان وجعلت الشجرة لها كالام." (١)

"ولو جعل في اسفل بطنها كما جعل للمرأة لم يتمكن الفحل من ضرابها الا على الوجه الذي تجامع به المرأة وقد ذكر في كتب الحيوان ان فروج الفيلة في اسفل بطنها فإذا كان وقت الضراب ارتفع ونشز وبرز للفحل فيتمكن من ضرابها فلما جعل في الفيلة على خلاف ما هو في سائر البهائم خصت بهذه الخاصية عنها ليتهيأ الامر الذي به دوام النسل

فصل ثم تأمل كيف كسيت اجسام الحيوان البهيمي هذه الكسوة من الشعر

والوبر والصوف وكسيت الطيور الريش وكسى بعض الدواب من الجلد ما هو في غاية الصلابة والقوة كالسلحفاة وبعضها من الريش ما هو كالاسنة كل ذلك بحسب حاجاتها الى الوقاية من الحر والبرد والعدو الذي يريد اذاها فانها لما لم يكن لها سبيل الى اتخاذ الملابس واصطناع الكسوة والات الحرب اعينت بملابس وكسوة لا تفارقها وآلات وأسلحة تدفع بها عن نفسها وأعينت باظلاف واخفاف وحوافر لما عدمت الاحذية والنعال فمعها حذاؤها وسقاؤها وخص الفرس والبغل والحمار بالحوافر لما خلق للركض والشد والجرى وجعل لها ذلك ايضا سلاحا عند انتصافها من خصمها عوضا عن الصياصي والمخالب والانياب والبرائن فتأمل **هذا اللطف والحكمة** فإنها لما كانت بهائم خرصا لا عقول لها ولا أكف ولا اصابع مهيأة للانتفاع والدفاع ولاحظ لها فيما يتصرف فيه الادميون من النسج والغزل ولطف الحيلة جعلت كسوتها من خلقتها باقية عليها ما بقيت لا تحتاج الى الاستبدال بها وأعطيت آلات واسلحة تحفظ بها انفسها كل ذلك لتتم الحكمة التي اريدت بها ومنها وأما الانسان فإنه ذو حيلة وكف مهيئة للعمل فهي تغزل وتنسج ويتخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالا بعد حال وله في ذلك صلاح من جهات عديدة منها ان يستريح إذا خلع كسوته إذا شاء ويلبسها إذا شاء ليس كالمضطر الى حمل كسوة ومنها انه يتخذ لنفسه ضروبا من الكسوة للصيف وضروبا للشتاء فإن كسوة الصيف لاتليق بالشتاء وكسوة الشتاء لا تليق بالصيف فيتخذ لنفسه في كل فصل كسوة موافقة ومنها انه يجعلها تابعة لشهوته وإرادته ومنها انه يتلذذ بأنواع الملابس كما يتلذذ بأنواع المطاعم فجعلت كسوته متنوعة تابعة لاختياره كما جعلت مطاعمه كذلك فهو يكتسى ما يشاء من انواع الملابس المتخذة من النبات تارة كالقطن والكتان ومن الحيوان تارة كالوبر والصوف والشعر ومن الدود تارة كالحرير والابريسم ومن المعادن تارة كالذهب والفضة فجعلت كسوته متنوعة لتتم لذته وسروره وابتهاجه وزينته بها ولذلك كانت

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١/ ٢٢٤

كسوة اهل الجنة منفصلة عنهم كما هي في الدنيا ليست مخلوقة من اجسامهم كالحيوان فدل على ان ذلك اكمل واجل وأبلغ في النعمة ومنها إرادة تمييزه عن الحيوان في ملبسه كما." (١)

"ليمسكه بصلابته وهو القصبة التي تكون في وسط الريشة وهو مع ذلك اجوف يشتمل على الهواء فيحمل الطائر فأي طبيعة فيها هذه الحكمة والخبرة **واللطف** ثم لو كان ذلك في الطبيعة كما يقولون لكانت من ادل الدلائل واعظم البراهين على قدرة مبدعها ومنشئها وعلمه وحكمته فإنه لم يكن ذلك لها من نفسها بل إنما هو لها ممن خلقها وأبدعها فما كذبه المعطل هو احد البراهين والايات التي على مثله يزداد إيمان المؤمنين وهكذا آيات الله يضل بها من يشاء ويهدي من يشاء

فصل تأمل هذا الطائر الطويل الساقين وأعرف المنفعة في طول ساقيه

فإنه يرعى أكثر مرعاه في ضحضاح الماء فتراه يركز على ساقيه كانه دست فوق مركب ويتأمل ما دب في الماء فإذا رأى شيئا من حاجته خطا خطوا رفيقا حتى يتناوله ولو كان قصير القائمتين كان إذا خطا نحو الصيد ليأخذه لصق بطنه بالماء فيثيره ويذعر الصيد منه فيفر فخلف له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسدعليه مطلبه وكل طائر فله نصيب من طول الساقين والعنق ليمكنه تناول الطعم من الارض ولو طال ساقاه وقصرت عنقه لم يمكنه ان يتناول شيئا من الارض وربما اعين مع عنقه بطول المناقير ليزداد مطلبه سهولة عليه وامكانا ثم تأمل هذه العصافير كيف تطلب اكلها بالنهار كله فلا هي تفقده ولا هي تجده مجموعا معدا بل تناله بالحركة والطلب في الجهات والنواحي فسبحان الذي قدره ويسره كيف لم يجعله ممايتعذر عليها إذا التمسته ويفوتها إذا قعدت عنه وجعلها قادرة عليه في كل حين واوان بكل ارض ومكان حتى من الجدران والاسطحة والسقوف تناوله بالهوينا من السعي فلا يشاركها فيه غير بني جنسها من الطير ولو كان ماتقتات به يوجد معدا مجموعا كله كانت الطير تشاركها فيه وتغلبها عليه وكذلك لو وجدته معدا مجموعا لاكبت عليه بحرص ورغبة فلا تقلع عنه وإن شبعت حتى تبشم وتهلك وكذلك الناس لو جعل طعامهم معدا لهم بغير سعي ولا تعب ادى ذلك الى الشره والبطنة ولكثر الفساد وعمت الفواحش والبغي في الارض فسبحان اللطيف الخبير الذي لم يخلق شيئا سدى ولا عبثا وانظر في هذه الطير التي لا تخرج الا بالليل كالبوم والهام والخفاش فإن أقواتها هيئت لها في الجو لا من الحب ولا من اللحم بل من البعوض والفراش وأشباههما مما تلقطه من الجو فتاخذ منه بقدر الحاجة ثم تأوى الى بيوتها فلا تخرج الى مثل ذلك الوقت بالليل وذلك ان هذه الضروب من البعوض والفراش وأشباههما مبثوثة في الجو لا يكاد يخلوا منها موضع منه واعتبر ذلك بان نضع سراجا بالليل في سطح او عرصه الدار فيجتمع عليه من هذا." (٢)

"فصل ثم تأمل العبرة التي ذكرها الله عز وجل في الانعام وما سقانا

من بطونها من اللبن الخالص السائغ الهنيء المريء الخارج من بين الفرث والدم فتأمل كيف ينزل الغذاء من أفواهها الى المعدة فينقلب بعضه دما باذن الله وما يسرى في عروقها واعضائها وشحومها ولحومها فإذا ارسلته العروق في مجاريها الى جملة

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٢٣٨/١

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٢٤٦/١

الاجزاء قلبه كل عضو او عصب وغضروف وشعر وظفر وحافر الى طبيعته ثم يبقى الدم في تلك الخزائن التي له إذ به قوام الحيوان ثم ينصب ثقله الى الكرش فيصير زبلا ثم ينقلب باقية لبنا صافيا ابيض سائغا للشاربين فيخرج من بين الفرث والدم حتى إذا انهكت الشاة او غيرها حلبا خرج الدم مشوبا بحمرة فصفى الله سبحانه الالطف من الثفل بالطبخ الاول فانفصل الى الكبد وصار دما وكان مخلوطا بالاخلاط الاربعة فأذهب الله عز وجل كل خلط منها الى مقره وخزانته المهيأة له من المرارة والطحال والكلية وباقي الدم الخالص يدخل في اوردة الكبد فينصب من تلك العروق الى الضرع فيقلبه الله تبارك وتعالى من صورة الدم وطبعه وطعمه الى صورة اللبن وطبعه وطعمه فاستخرج من الفرث والدم فسل المعطل الجاحد من الذي دبر هذا التدبير وقدر هذا التقدير واتقن هذا الصنع ولطف **هذا اللطف سوى** اللطيف الخبير

فصل ثم تأمل العبرة في السمك وكيفية خلقته وأنه خلق غير ذي قوائم

لانه لا يحتاج الى المشي إذ كان مسكنه الماء ولم يخلق له رئة لان منفعة الرئة التنفس والسمك لم يحتج اليه لانه ينغمس في الماء وخلقت له عوض القوائم اجنحة شدادي يقذف بها من جانبيه كما يقذف صاحب المركب بالمقاذيف من جانبي السفينة وكسى لجده قسورا متداخلة كتداخل الجوشن ليقيه من الافات واعين بقوة الشم لان بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعام من بعد فيقصده وقد ذكر في بعض كتب الحيوان ان من فيه الى صماخه منافذ فهو يصب الماء فيها بفيه ويرسله من صماخيه فيتروح بذلك كما يأخذ الحيوان النسيم البارد بأنفه ثم يرسله ليتروح به فإن الماء للحيوان البحري كالهواء للحيوان البري فهما بحران احدهما الطف من الاخر بحر هواء يسبح فيه حيوان البر وبحر ماء يسبح فيه حيوان البحر فلو فارق كل من الصنفين بحره الى البحر الاخر مات فكما يختنق الحيوان البري في الماء يختق الحيوان البحري في الهواء فسبحان من لايحصى العادون آياته ولا يحيطون بتفصيل آية منها على الانفراد بل ان علموا فيها وجها جهلوا منها اوجها فتأمل الحكمة البالغة في كون السمك اكثر الحيوان نسلا ولهذا ترى في وف السمكة الواحد من البيض مالا يحصى كثرة وحكمة ذلك ان يتسع لما." (١)

"فصل ومنها ان التوبة توجب للتائب آثارا عجيبة من المقامات التي لا

تحصل بدونها فتوجب له من المحبة والرقة **واللطف** وشكر الله وحمده والرضا عنه عبوديات أخر فإنه إذا تاب الى الله تقبل الله توبته فرتب له على ذلك القبول انواعا من النعم لا يهتدي العبد لتفاصيلها بل يزال يتقلب في بركتها وآثارها مالم ينقضها ويفسدها

فصل ومنها ان الله سبحانه يحبه ويفرح بتوبته اعظم فرح وقد تقرر ان

الجزاء من جنس العمل فلا ينسى الفرحة التي يظفر بها عند التوبة النصوح وتامل كيف تجدالقلب يرقص فرحا وأنت لا تدري بسبب ذلك الفرح ما هو وهذا امر لا يحس به الا حيي القلب وأما ميت القلب فإنما يجد الفرح عند ظفره بالذنب ولا يعرف فرحا غيره فوازن إذا بين هذين الفرحين وانظر ما يعقبه فرح الظفر بالذنب من انواع الاحزان والهموم والغموم والمصائب فمن يشتري فرحة ساعة بغم الابدو انظر ما يعقبه فرح الظفر بالطاعة والتوبة النصوح من الانشراح الدائم والنعيم

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٢٥١/١

وطيب العيش ووازن بين هذا وهذا ثم اختر ما يليق بك ويسابك وكل يعمل على شاكلته وكل امرئ يصبو الى ما يناسبه فصل ومنها انه إذا شهد ذنوبه ومعاصيه وتفريطه في حق ربه استكثر

القليل من نعم ربه عليه ولا قليل منه لعلمه ان الواصل اليه فيها كثير على مسيء مثله واستقل الكثير من عمله لعلمه بان الذي ينبغي ان يغسل به نجاسته واوضاره واوساخه اضعاف ما اتي به فهو دائما مستقل لعلمه كائنا ما كان مستكثر لنعمة الله عليه وإن دقت وقدتقدم التنبيه على هذا الوجه وهو من الطف الوجوه فعليك بمراعاته فله تأثير عجيب ولو لم يكن في فوائدالذنب إلا هذا لكفى به فأين حال هذا من حال من لا يرى لله عليه نعمة إلا ويرى انه كان ينبغي ان يعطي ما هو فوقها وأجل منها وانه لايقدر ان يتكلم وكيف يعاند القدر وهو مظلوم مع الرب لا ينصفه ولا يعطيه مرتبته بل هو مغرى بمعاندته لفضله وكماله وانه كان ينبغي له ان ينال الثريا ويطأ بأخمصه هنالك ولكنه مظلوم مبخوس الحظ وهذا الضرب من ابغض الخلق الى الله وأشدهم مقتا عنده وحكمة الله تقتضي انهم لا يزالون في سفال فهم بين عتب على الخالق وشكوى له وذل لخلقه وحاجة اليهم وخدمة لهم اشغل الناس قلوبا بارباب الولايات والمناصب ينتظرون ما يقذفون به اليهم من عظامهم وغسالة ايديهم واوانيهم وأفرغ الناس قلوبا عن معاملة الله والانقطاع اليه والتلذذ بمناجاته والطمأنينة بذكره وقرة العين بخشيته والرضاء به فعياذا بالله من زوال نعمته وتحول عافيته." (١)

"بالصلوات فقدم البيت الحرام عليه في الاستقبال لأن مصلحته أعظم وأكمل وبقي قصده وشد الرحال إليه والصلاة فيه منشأ للمصلحة فتمت للأمة المحمدية المصلحتان المتعلقتان بهذين البيتين وهذا نهاية ما يكون **من اللطف وتحصيل** المصالح وتكميلها لهم فتأمل هذا الموضع ومن ذلك نسخ التخيير في الصوم بتعيينه فإن له بقاء وبيانا ظاهرا وهو أن الرجل كان إذا أراد أفطر وتصدق فحصلت له مصلحة الصدقة دون مصلحة الصوم وإن شاء صام ولم يفد فحصلت له مصلحة الصوم دون الصدقة فحتم الصوم على المكلف لأن مصلحته أتم وأكمل من مصلحة الفدية وندب إلى الصدقة في شهر رمضان فإذا صام وتصدق حصلت له المصلحتان معا وهذا أكمل ما يكون من الصوم وهو الذي كان يفعله النبي فإنه كان أجود ما يكون في رمضان فلم تبطل المصلحة الأولى جملة بل قدم عليها ما هو أكمل منها وجوبا وشرع الجمع بينها وبين الأخرى ندبا واستحبابا ومن ذلك نسخ ثبات الواحد من المسلمين للعشرة من العدو بثباته للإثنين ولم تبطل الحكمة الأولى من كل وجه بل بقي استحبابه وإن زال وجوبه بل إذا غلب على ظن المسلمين ظفرهم بعدوهم وهم عشرة أمثالهم وجب عليهم الثبات وحرم عليهم الفرار فلم تبطل الحكمة الأولى من كل وجه ومن ذلك نسخ وجوب الصدقة بين يدي مناجاة الرسول لم يبطل حكمه بالكلية بل نسخ وجوبه وبقي استحبابه والندب إليه وما علم من تنبيهه وإشارته وهو أنه إذا استحبت الصدقة بين يدي مناجاة المخلوق فاستحبابها بين يدي مناجاة الله عند الصلوات والدعاء أولى فكان بعض السلف الصالح يتصدق بين يدي الصلاة والدعاء إذا أمكنه ويتأول هذه الأولوية ورأيت شيخ الإسلام ابن تيمة يفعله ويتحراه ما أمكنه وفاوضته فيه فذكر لي هذا التنبيه والإشارة ومن ذلك نسخ الصلوات الخمسين التي فرضها الله على رسوله ليلة الإسراء بخمس فإنها لم تبطل بالكلية بل اثبتت خمسين في الثواب والأجر خمسا في العمل والوجوب وقد أشار تعالى إلى هذا بعينه حيث

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١/ ٢٩٤

يقول على لسان نبيه لا يبدل القول لدى هي خمس وهي خمسون في الأجر فتأمل هذه الحكمة البالغة والنعمة السابغة فإنه لما اقتضت المصلحة أن تكون خمسين تكميلا للثواب وسوقا لهم بها إلى أعلا المنازل واقتضت أيضا أن تكون خمسا لعجز الأمة وضعفهم وعدم احتمالهم الخمسين جعلها خمسا من وجه وخمسين من وجه جمعا بين المصالح وتكميلا لها ولو لم نطلع من حكمته في شرعه وأمره ولطفه بعباده ومراعاة مصالحهم وتحصيلها لهم على أتم الوجوه إلا على هذه الثلاثة وحدها لكفى بها دليلا على ما راءها فسبحان من له في كل ما خلق وأمر حكمة بالغة شاهدة له بأنه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأنه الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين ومن ذلك الوصية للوالدين والأقربين فإنها كانت واجبة على من حضره الموت ثم نسخ الله ذلك بآية المواريث وبقيت مشروعة في حق الأقارب الذين لا يرثون." (١)

"مكان وإضافة دون إضافة فقد تقدم أن هذا الاختلاف لا يخرج هذه القبائح والمستحسنات عن كون الحسن والقبح ناشئا من ذواتهما وأن الزمان المعين والمكان المخصوص والشخص والقابل والإضافة شروط لهذا الاقتضاء على حد اقتضاء الأغذية والأدوية والمساكن والملابس آثارها فإن اختلافها بالأزمنة والأمكنة والأشخاص والإضافات لا يخرجها عن الاقتضاء الذاتي ونحن لا نعنى بكون الحسن والقبح ذاتيين إلا هذا والمشاحنة في الاصطلاحات لا تنقع طالب الحق ولا تجدي عليه إلا المناكدة والتعنت فكم يعيدوا ويبدوا في الذاتي وغير الذاتي سموا هذا المعنى بما شئتم ثم أن أمكنكم إبطاله فأبطلوه

الوجه الرابع عشر قولكم نحن لا ننكر اشتهار القضايا الحسنة والقبيحة من الخلق وكونها محمودة مشكورة مثنى على فاعلها أو مذموماولكن سبب ذكرها أما التدين بالشرائع وأما الاعراض ونحن إنما ننكرها في حق الله عز وجل لانتفاء الاعراض عنه فهذا معترك القول بين الفرق في هذه المسئلة وغيرها فنقول لكم ما تعنون معاشرة النفاة بالاعراض التي نفيتموها عن الله عز وجل ونفيتم لاجلها حسن أوامر الذاتية وقبح نواهيه الذاتية وزعمتم لاجلها أنه لا فرق عنده بين مذمومها ومحمودها وأنها بالنسبة إليه سواه فأخبرونا عن مرادكم بهذه اللفظة البديعة المحتملة أتعنون بها الحكم والمصالح والعواقب الحميدة والغايات المحبوبة التي يفعل ويأمر لأجلها أم تعنون بها امرا وراء ذلك يجب تنزيه الرب عنه كما يشعر به لفظ الاعراض من الارادات فان اردتم المعنى الأول فنفيكم إياه عن أحكم الحاكمين مذهب لكم خالفتم به صريح المنقول وصريح المعقول وأتيتم ما لا تقر به العقول من فعل فاعل حكيم مختار ولا لمصلحة ولا لغاية محمودة ولا عاقبة مطلوبة بل الفعل وعدمه بالنسبة إليه سيان وقلتم ما تنكره الفطر والعقول ويرده التنزيل والاعتبار وقد قرنا من ذكر الحكم الباهرة في الخلق والأمر ما تقربه به عين كل طالب للحق وهاهنا من ادلة اثبات الحكم المقصودة بالخلق والامر أضعاف أضعاف ما ذكرنا بل لانسبه لما ذكرناه إلى ما تركناه وكيف يمكن انكار ذلك والحكمة في خلق العالم وأجزائه ظاهرة لمن تأملها بادية لمن أبصرها وقد رقمت سطورها على صفحات المخلوقات يقرأها كل عاقل وغير كاتب نصبت شاهدة لله بالوحدانية والربوبية والعلم والحكمة واللطف والخبرة

تأمل سطور الكائنات فإنها ... من الملأ الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها لو تأملت خطها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٣٣/٢

وأما النصوص على ذلك فمن طلبها بهرته كثرتها وتطابقها ولعلها أن تزيد على المئين وما يحيله النفاة لحكمة الله تعالى أن اثباتها يستلزم افتقارا منها واستكمالا بغيره فهوس ووساوس." (١)

"العليا بالدلالات الثلاث، فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه.

وصفات الإلهية: هي صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ [الأعراف: ١٨٠] ويقال: الرحمن والرحيم، والقدوس، والسلام، والعزيز، والحكيم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، ولا من أسماء العزيز، ونحو ذلك.

فعلم أن اسمه الله مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله، واسم الله دال على كونه مألوها معبودا، تؤلهه الخلائق محبة وتعظيما وخضوعا، وفزعا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله.

وصفات الجلال والجمال: أخص باسم الله.

وصفات الفعل والقدرة، والتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة أخص باسم الرب.

وصفات الإحسان، والجود والبر، والحنان والمنة، والرأفة **واللطف** أخص باسم الرحمن، وكرر إيذانا بثبوت الوصف، وحصول أثره، وتعلقه بمتعلقاته.

فالرحمن الذي الرحمة وصفه، والرحيم الراحم لعباده، ولهذا يقول تعالى ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب: ٤٣] ، ﴿إنه بهم رءوف رحيم﴾ [التوبة: ١١٧] ولم يجئ: رحمن بعباده، ولا رحمن بالمؤمنين، مع ما في اسم الرحمن الذي هو على وزن فعلان من سعة هذا الوصف، وثبوت جميع معناه الموصوف به.

ألا ترى أنهم يقولون: غضبان، للممتلئ غضبا، وندمان وحيران وسكران ولهفان." (٢)

"يعني أن هذه المقايسة والمحاسبة تتوقف على نور الحكمة، وهو النور الذي نور الله به قلوب أتباع الرسل، وهو نور الحكمة، فبقدره ترى التفاوت، وتتمكن من المحاسبة.

ونور الحكمة هاهنا: هو العلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والضار والنافع، والكامل والناقص، والخير والشر، ويبصر به مراتب الأعمال، راجحها ومرجوحها، ومقبولها ومردودها، وكلما كان حظه من هذا النور أقوى كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم.

وأما سوء الظن بالنفس فإنما احتاج إليه؛ لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش ويلبس عليه، فيرى المساوئ

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٢/٦٥

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٥٦

محاسن، والعيوب كمالا، فإن المحب يرى مساوئ محبوبه وعيوبه كذلك.

فعين الرضى عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها، ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه.

وأما تمييز النعمة من الفتنة: فليفرق بين النعمة التي يرى بها الإحسان **واللطف**، ويعان بها على تحصيل سعادته الأبدية، وبين النعمة التي يرى بها الاستدراج، فكم من مستدرج بالنعم وهو لا يشعر، مفتون بثناء الجهال عليه، مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه! وأكثر الخلق عندهم أن هذه الثلاثة علامة السعادة والنجاح، ذلك مبلغهم من العلم.

فإذا كملت هذه الثلاثة فيه عرف حينئذ أن ما كان من نعم الله عليه بجمعه على الله فهو نعمة حقيقة، وما فرقه عنه وأخذه منه فهو البلاء في صورة النعمة، والمحنة في صورة المنحة، فليحذر فإنما هو مستدرج، ويميز بذلك أيضا بين المنة والحجة، فكم تلتبس إحداهما عليه بالأخرى! .

فإن العبد بين منة من الله عليه، وحجة منه عليه، ولا ينفك عنهما، فالحكم الديني متضمن لمنته وحجته، قال الله تعالى ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقال ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ [الحجرات: ١٧] وقال ﴿فلله الحجة البالغة﴾ [الأنعام: ١٤٩] .." (١)

"والرب تعالى يحب ذاته وأوصافه وأسماءه، فهو عفو يحب العفو، ويحب المغفرة، ويحب التوبة، ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظم فرح يخطر بالبال

وكان تقدير ما يغفره ويعفو عن فاعله، ويحلم عنه، ويتوب عليه ويسامحه من موجب أسمائه وصفاته، وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك، وما يحمد به نفسه ويحمده به أهل سماواته وأهل أرضه ما هو من موجبات كماله ومقتضى حمده.

وهو سبحانه الحميد المجيد، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما.

ومن آثارهما مغفرة الزلات، وإقالة العثرات، والعفو عن السيئات، والمسامحة على الجنايات، مع كمال القدرة على استيفاء الحق. والعلم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها، فحلمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته، كما قال المسيح صلى الله عليه وسلم ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [المائدة: ١١٨] أي فمغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك، لست كمن يغفر عجزا، ويسامح جهلا بقدر الحق، بل أنت عليم بحقك، قادر على استيفائه، حكيم في الأخذ به.

فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم، وفي الأمر، تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد، وتقديرها: هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال. وغاياتها أيضا: مقتضى حمده ومجده، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته.

فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة، والآيات الباهرة، والتعرفات إلى عباده بأسمائه وصفاته، واستدعاء محبتهم له، وذكرهم له، وشكرهم له، وتعبدهم له بأسمائه الحسنى، إذ كل اسم فله تعبد مختص به، علما ومعرفة وحالا، وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٨٩/١

التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع، أو عبودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم، أو التعبد بأسماء التودد، والبر، **واللطف**، والإحسان عن أسماء العدل، والجبروت، والعظمة، والكبرياء ونحو ذلك.

وهذه طريقة الكمل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن، قال الله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠] والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء." (١)

"إن بقيت حتى آكل هذه التمرات. وألقاها من يده، وقاتل حتى قتل، وكذلك أحوال الصحابة رضي الله عنهم. كانت مطابقة لما أشار إليه.

لكن بقيت نكتة عظيمة، وهي موضع السجدة، وهي أن فناءهم لم يكن في توحيد الربوبية، وشهود الحقيقة التي يشير إليها أرباب الفناء بل في توحيد الإلهية. ففنوا بحبه تعالى عن حب ما سواه. وبمراده منهم عن مرادهم وحظوظهم. فلم يكونوا عاملين على فناء. ولا الاستغراق في الشهود. بحيث يفنون به عن مراد محبوبهم منهم، بل قد فنوا بمراده عن مرادهم. فهم أهل بقاء في فناء، وفرق في جمع. وكثرة في وحدة. وحقيقة كونية في حقيقة دينية.

هم القوم. لا قوم إلا هم ولولاهم ما اهتدينا السبيلا فنسبة أحوال من بعدهم الصحيحة الكاملة إلى أحوالهم: كنسبة ما يرشح من الظرف والقربة إلى ما في داخلها.

وأما الطريق المنحرفة الفاسدة: فسبيل غير سبيلهم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم.

[فصل منزلة الأنس بالله]

[تعريف الأنس]

فصل منزلة الأنس بالله

ومن منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] منزلة الأنس بالله

قال صاحب " المنازل " رحمه الله.

وهو روح القرب ولهذا صدر منزلته بقوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ [البقرة: ١٨٦].

فاستحضار القلب هذا البر والإحسان **واللطف**: يوجب قربه من الرب سبحانه وتعالى. وقربه منه يوجب له الأنس والأنس ثمرة الطاعة والمحبة، فكل مطيع." (٢)

"تكاثرت الظباء على خراش ... فما يدري خراش ما يصيد

فوظيفته في مثل هذا الحال: أن يفنى عن وارده. ويعلق قلبه بالمتكلم. وكأنه يسمع كلامه منه. ويجعل قلبه نهرا لجريان معانيه.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٤٢٠

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٣٨١

ويفرغه من سوى فهم المراد. وينصب إليه انصبابا يتلقى فيه معانيه، كتلقي المحب للأحباب القادمين عليه. لا يشغله حبيب منهم عن حبيب. بل يعطى كل قادم حقه. وكتلقي الضيوف والزوار. وهذا إنما يكون مع سعة القلب، وقوة الاستعداد، وكمال الحضور.

فإذا سمع خطاب الترغيب والتشويق، **واللطف** والإحسان: لا يفنى به عما يجيء بعده من خطاب التخويف والترهيب والعدل. بل يسمع الخطاب الثاني مستصحبا لحكم الخطاب الأول. ويمزج هذا بهذا. ويسير بهما ومعهما جميعا، عاكفا بقلبه على المتكلم وصفاته سبحانه.

وهذا سير في الله. وهو نوع آخر أعلى وأرفع من مجرد المسير إليه. ولا ينقطع بذلك سيره إليه. بل يدرج سيره. فإن سير القلب في معاني أسمائه وصفاته وتوحيده ومعرفته.

ومتى بقيت للقلب في ذلك ملكة، واشتد تعلقه به: لم تحجبه معاني المسموع، وصفات المتكلم بعضها عن بعض، ولكن في الابتداء يعسر عليه ذلك. وفي التوسط يهون عليه، ولا انتهاء هاهنا ألبتة. والله المستعان.

فهذه كلمات تشير إلى معاني سماع أهل المعرفة والإيمان، والأحوال المستقيمة.

وأما السماع الشيطاني: فبالضد من ذلك، وهو مشتمل على أكثر من مائة مفسدة. ولولا خوف الإطالة لسقناها مفصلة. وسنفرد لها مصنفا مستقلا. إن شاء الله.

فهذا ما يتعلق بقوله: إن من الأنس بالشواهد: التغذي بالسماع.

وقوله: والوقوف على الإشارات.

الإشارات هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بعد، ومن وراء حجاب. وهي تارة تكون من مسموع. وتارة تكون من مرئي. وتارة تكون من معقول. وقد تكون من الحواس كلها.

فالإشارات: من جنس الأدلة والأعلام. وسببها: صفاء يحصل بالجمعية. فيلطف به الحس والذهن. فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة. لا يكشف حس غيره وفهمه عن إدراكها.." (١)

"قال الحسن رضي الله عنه: إن المؤمن – والله – لا تراه إلا قائما على نفسه: ما أردت بكلمة كذا؟ ما أردت بأكلة؟ ما أردت بمدخل كذا ومخرج كذا؟ ما أردت بهذا؟ ما لي ولهذا؟ والله لا أعود إلى هذا. ونحو هذا من الكلام.

فبمحاسبتها يطلع على عيوبها ونقائصها. فيمكنه السعي في إصلاحها.

الثاني: ملاطفة الخلق. وهي معاملتهم بما يحب أن يعاملوه به من **اللطف**. ولا يعاملهم بالعنف والشدة والغلظة. فإن ذلك ينفرهم عنه. ويغريهم به. ويفسد عليه قلبه وحاله مع الله ووقته، فليس للقلب أنفع من معاملة الناس **باللطف**. فإن معاملة الناس بذلك: إما أجنبي. فتكسب مودته ومحبته، وإما صاحب وحبيب فتستديم صحبته ومودته. وإما عدو ومبغض. فتطفئ بلطفك جمرته. وتستكفي شره. ويكون احتمالك لمضض لطفك به دون احتمالك لضرر ما ينالك من الغلظة عليه والعنف به.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣٨٩/٢

الثالث: مراقبة الحق سبحانه. وهي الموجبة لكل صلاح وخير عاجل وآجل. ولا تصح الدرجتان الأولتان إلا بهذه. وهي المقصود لذاته. وما قبله وسيلة إليه، وعون عليه. فمراقبة الحق سبحانه وتعالى: توجب إصلاح النفس، **واللطف** بالخلق.

[فصل الدرجة الثالثة السكينة التي تثبت الرضا بالقسم]

فصل

قال: الدرجة الثالثة: السكينة التي تثبت الرضا بالقسم. وتمنع من الشطح الفاحش. وتقف صاحبها على حد الرتبة، والسكينة لا تنزل إلا في قلب نبي، أو ولي.

هذه الدرجة الثالثة: كأنها عند الشيخ لأهل الصحو بعد السكر. ولمن شام بوارق الحقيقة.

فقوله: تثبت الرضا بالقسم

أي توجب لصاحبها أن يرضى بالمقسوم. ولا تتطلع نفسه إلى غيره.

وتمنع من الشطح الفاحش

يعني مثل ما نقل عن أبي يزيد ونحوه، بخلاف الجنيد وسهل وأمثالهما. فإنهم لما كانت لهم هذه السكينة لم تصدر منهم الشطحات. ولا ريب أن الشطح سببه عدم السكينة. فإنها إذا استقرت في القلب منعته من الشطح وأسبابه.." (١)

"قال الدرجة الثانية: طمأنينة الروح في القصد إلى الكشف، وفي الشوق إلى العدة. وفي التفرقة إلى الجمع.

طمأنينة الروح أن تطمئن في حال قصدها. ولا تلتفت إلى ما وراءها.

والمراد بالكشف: كشف الحقيقة، لا الكشف الجزئي السفلي. وهو ثلاث درجات.

كشف عن الطريق الموصل إلى المطلوب. وهو الكشف عن حقائق الإيمان. وشرائع الإسلام.

وكشف عن المطلوب المقصود بالسير: وهو معرفة الأسماء والصفات. ونوعي التوحيد وتفاصيله. ومراعاة ذلك حق رعايته.

وليس وراء ذلك إلا الدعاوى والشطح والغرور.

وقوله: وفي الشوق إلى العدة.

يعني أن الروح تظهر في اشتياقها إلى ما وعدت به، وشوقت إليه، فطمأنينتها بتلك العدة: تسكن عنها لهيب اشتياقها. وهذا شأن كل مشتاق إلى محبوب وعد بحصوله إنما يحصل لروحه الطمأنينة بسكونها إلى وعد اللقاء. وعلمها بحصول الموعود به.

قوله: وفي التفرقة إلى الجمع

أي وتطمئن الروح في حال تفرقتها إلى ما اعتادته من الجمع، بأن توافيها روحه فتسكن إليه وتطمئن به، كما يطمئن الجائع الشديد الجوع إلى ما عنده من الطعام. ويسكن إليه قلبه. وهذا إنما يكون لمن أشرف على الجمع من وراء حجاب رقيق. وشام برقه. فاطمأن بحصوله. وأما من بينه وبينه الحجب الكثيفة: فلا يطمئن به.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٤٧٨

[فصل الدرجة الثالثة طمأنينة شهود الحضرة إلى **اللطف**]

فصل

قال: الدرجة الثالثة: طمأنينة شهود الحضرة إلى **اللطف**. وطمأنينة الجمع إلى البقاء. وطمأنينة المقام إلى نور الأزل.." [١]

"بمعنى منهوب، وذبح بمعنى مذبوح، وحمل للمحمول. بخلاف الحمل – الذي هو مصدر – لخفته. ثم ألحقوا به حملا لا يشق على حامله حمله، كحمل الشجرة والولد.

فتأمل **هذا اللطف والمطابقة** والمناسبة العجيبة بين الألفاظ والمعاني، في اللغة العربية تطلعك على قدر هذه اللغة، وأن لها شأنا ليس لسائر اللغات.

[فصل رسوم وحدود قيلت في المحبة]

فصل

في ذكر رسوم وحدود قيلت في المحبة، بحسب آثارها وشواهدها. والكلام على ما يحتاج إليه منها.

الأول، قيل: المحبة الميل الدائم، بالقلب الهائم.

وهذا الحد لا تمييز فيه بين المحبة الخاصة والمشتركة، والصحيحة والمعلولة.

الثاني: إيثار المحبوب، على جميع المصحوب.

وهذا حكم من أحكام المحبة وأثر من آثارها.

الثالث: موافقة الحبيب، في المشهد والمغيب.

وهذا أيضا موجبها ومقتضاها. وهو أكمل من الحدين قبله. فإنه يتناول المحبة الصادقة الصحيحة خاصة، بخلاف مجرد الميل والإيثار بالإرادة. فإنه إن لم تصحبه موافقة فمحبته معلولة.

الرابع: محو الحب لصفاته. وإثبات المحبوب لذاته.

وهذا أيضا من أحكام الفناء في المحبة: أن تنمحي صفات المحب، وتفنى في صفات محبوبه وذاته. وهذا يستدعي بيانا أتم من هذا، لا يدركه إلا من أفناه وارد المحبة عنه، وأخذه منه.

الخامس: مواطأة القلب لمرادات المحبوب.

وهذا أيضا من موجباتها وأحكامها. والمواطأة الموافقة لمرادات المحبوب وأوامره ومراضيه.

السادس: خوف ترك الحرمة، مع إقامة الخدمة.

وهذا أيضا من أعلامها وشواهدها وآثارها: أن يقوم بالخدمة كما ينبغي، مع خوفه من ترك الحرمة والتعظيم.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢/٤٨٤

السابع: استقلال الكثير من نفسك، واستكثار القليل من حبيبك.

وهذا قول أبي يزيد، وهو أيضا من أحكامها وموجباتها وشواهدها. والمحب." (١)

"[فصل في منزلة الهيمان]

[حقيقة الهيمان]

وقد يعرض للسالك عند ورود بعض المعاني والواردات العجيبة على قلبه: فرط تعجب، واستحسان واستلذاذ، يزيل عنه تماسكه، فيورثه ذلك الهيمان.

وليس ذلك من مقامات السير، ولا منازل الطريق المقصودة بالنزول فيها للمسافرين. خلافا لصاحب المنازل. حيث عد ذلك من أعلى المنازل وغاياتها، وعبر عنه بمنزلة الهيمان ولهذا ليس له ذكر في القرآن، ولا في السنة، ولا في لسان سلف القوم.

وقد تكلف له صاحب المنازل الاستشهاد بقوله تعالى ﴿وخر موسى صعقا﴾ [الأعراف: ١٤٣] وما أبعد الآية من استشهاده. وكأنه ظن أن موسى ذهب عن تماسكه، لما ورد عليه في حالة الخطاب والتكليم الإلهي فأورثه ذلك هيمانا صعق منه، وليس كما ظنه. وإنما صعق موسى عند تجلي الرب تعالى للجبل واضمحلاله، وتدكدكه من تجلي الرب تعالى.

فالاستشهاد بالآية في منزلة الفناء التي تضمحل فيها الرسوم: أنسب وأظهر. لأن تدكدك الجبل: هو اضمحلال رسمه عند ورود نور التجلي عليه. والصعق فناء في هذه الحال لهذا الوارد المفني لبشرية موسى عليه الصلاة والسلام.

وقد حده بأنه الذهاب عن التماسك تعجبا أو حيرة.

يعني: أن الهائم لا يقدر على إمساك نفسه للوارد تعجبا منه وحيرة.

قال: وهو أثبت دواما، وأملك للنعت من الدهش.

يعني: أن الهائم قد يستمر هيمانه مدة طويلة. بخلاف المدهوش. وصاحب الهيمان يملك عنان القول. فيصرفه كيف يشاء. ويتمكن من التعبير عنه. وأما الدهش: فلضيق معناه، وقصر زمانه: لم يملك النعت. فالهائم أملك بنعت حاله ووارده من المدهوش.

[درجات الهيمان]

[الدرجة الأولى هيمان في شيم أوائل برق اللطف عند قصد الطريق]

قال: وهو على ثلاث درجات. الأولى: هيمان في شيم أوائل برق اللطف عند." (٢)

"وهذا يذكر العباد بالتطهر للموافاة والقدوم عليه، والدخول وقت اللقاء لمن عقل عن الله، وفهم أسرار العبادات. فإذا كان العبد لا يدخل عليه حتى يستقبل بيته المحرم بوجهه، ويستر عورته، ويطهر بدنه وثيابه، وموضع مقامه بين يديه.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٣/٣

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٧٩/٣

ثم يخلص له النية. فهكذا الدخول عليه وقت اللقاء، لا يحصل إلا بأن يستقبل ربه بقلبه كله. ويستر عوراته الباطنة بلباس التقوى. ويطهر قلبه وروحه وجوارحه من أدناسها الظاهرة والباطنة. ويتطهر لله طهرا كاملا. ويتأهب للدخول أكمل تأهب. وأوقات الصلاة نظير وقت الموافاة.

فإذا تأهب العبد قبل الوقت: جاءه الوقت وهو متأهب. فيدخل على الله. وإذا فرط في التأهب: خيف عليه من خروج الوقت قبل التأهب. إذ هجوم وقت الموافاة مضيق لا يقبل التوسعة. فلا يمكن العبد من التطهر والتأهب عند هجوم الوقت. بل يقال له: هيهات، فات ما فات، وقد بعدت بينك وبين التطهر المسافات. فمن شام برق الوعيد بقصر الأمل: لم يزل على طهارة.

وأما " تزهيده في الخلق على القرب " وإن كانوا أقاربه أو مناسبيه، أو مجاوريه وملاصقيه، أو معاشريه ومخالطيه: فلكمال حذره، واستعداده واشتغاله بما أمامه، وملاحظة الوعيد من أفق ذلك البارق الذي ليس بخلب، بل هو أصدق بارق.

ويحتمل أن يريد بقوله عن قرب أي عن أقرب وقت. فلا ينتظر بزهده فيهم: أملا يؤمله. ولا وقتا يستقبله.

قوله " ويرغب في تطهير السر " يعني تطهير سره عما سوى الله. وقد تقدم بيانه.

[فصل الدرجة الثالثة برق يلمع من جانب اللطف في عين الافتقار]

فصل

قال: الدرجة الثالثة: برق يلمع من جانب اللطف في عين الافتقار. فينشئ سحاب السرور. ويمطر مطر الطرب. ويجري من نهر الافتخار

هذا البرق يلمع من أفق ملاطفة الرب تعالى لعبده بأنواع الملاطفات. ومطلع هذا البرق: في عين الافتخار، الذي هو باب السلوك إلى الله تعالى، والطريق الأعظم الذي لا يدخل عليه إلا منه. وكل طريق سواه فمسدود. ومع هذا فلا يصل العبد منه إلا بالمتابعة. فلا طريق إلى الله ألبتة أبدا - ولو تعنى المتعنون، وتمنى المتمنون - إلا." (١)

"ألف الخمول صيانة وتسترا ... فكأنما تعريفه أن ينكرا

وكأنه كلف الفؤاد بنفسه ... فحمته غيرته عليها أن ترى

قوله: وأدب فيهم يصونهم، بهذا يتم أمرهم،

وهو أن يقوم بهم أدب يصونهم عن ظن السوء بهم، ويصونهم عن دناءة الأخلاق والأعمال، فأدبهم صوان على أحوالهم، فهمته العلية ترتفع به، وأدبه يرسو به إلى التراب، كما قيل:

أبلج سهل الأخلاق ممتنع ... يبرزه الدهر وهو يحتجب

إذا ترقت به عزائمه ... إلى الثريا رسا به الأدب

فأدب المريد والسالك: صوان له، وتاج على رأسه.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٨٤/٣

قوله: " وظرف يهذبهم " التهذيب: هو التأديب والتصفية. و " الظرف " في هذه الطائفة: أحلى من كل حلو. وأزين من كل زين. فما قرن شيء إلى شيء أحسن من ظرف إلى صدق وإخلاص، وسر مع الله وجمعية عليه، فإن أكثر من عني بهذا الشأن تضيق نفسه وأخلاقه عن سوى ما هو بصدده، فتثقل وطأته على أهله وجليسه، ويضمن عليه ببشره، والتبسط إليه، ولين الجانب له. ولعمر الله إنه لمعذور، وإن لم يكن في ذلك بمشكور، فإن الخلق كلهم أغيار، إلا من أعانك على شأنك وساعدك على مطلوبك.

فإذا تمكن العبد في حاله وصار له إقبال على الله وجمعية عليه ملكة ومقاما راسخا أنس بالخلق وأنسوا به، وانبسط إليهم وحملهم على ضلعهم وبطء سيرهم، فعكفت القلوب على محبته للطفه وظرفه، فإن الناس ينفرون من الكثيف ولو بلغ في الدين ما بلغ، ولله ما **يجلب اللطف والظرف** من القلوب، ويدفع عن صاحبه من الشر، ويسهل له ما توعر على غيره، فليس الثقلاء بخواص الأولياء، وما ثقل أحد على قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفة هناك، وإلا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة ولطافة وظرفا، فترى الصادق فيها من أحلى الناس وألطفهم وأظرفهم، قد زالت عنه ثقالة النفس وكدورة الطبع، وصار روحانيا سمائيا بعد أن كان حيوانيا أرضيا، فتراه أكرم الناس عشرة، وألينهم عريكة، وألطفهم قلبا وروحا، وهذه خاصة المحبة، فإنها تلطف وتظرف وتنظف.

ومن ظرف أهل هذه الطبقة: أن لا يظهر أحدهم على جليسه بحال ولا مقام.." (١)

"ولا يواجهه إذا لقيه بالحال، بل بلين الجانب، وخفض الجناح، وطلاقة الوجه، فيفرش له بساط الأنس ويجلسه عليه. فهو أحب إليه من الفرش الوثيرة. وسئل محمد بن علي القصاب أستاذ الجنيد عن التصوف؟ فقال: أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم مع قوم كرام.

وبالجملة: فهذه الطريق لا **تنافي اللطف والظرف**. والصلف بل هي أصلف شيء لكن هاهنا دقيقة قاطعة وهي الاسترسال مع هذه الأمور، فإنها أقطع شيء للمريد والسالك، فمن استرسل معها قطعته، ومن عاداها بالكلية وعرت عليه طريق سلوكه، ومن استعان بها أراحته في طريقه، أو أراحت غيره به، وبالله التوفيق.

فصل

وأهل هذه الطبقة، أثقل شيء عليهم: البحث عما جريات الناس، وطلب تعرف أحوالهم، وأثقل ما على قلوبهم سماعها، فهم مشغولون عنها بشأنهم، فإذا اشتغلوا بما لا يعنيهم منها فاتهم ما هو أعظم عناية لهم، وإذا عد غيرهم الاشتغال بذلك وسماعه من باب الظرف والأدب، وستر الأحوال كان هذا من خدع النفوس وتلبيسها، فإنه يحط الهمم العالية من أوجها إلى حضيضها، وربما يعز عليه أن يحصل همة أخرى يصعد بها إلى موضعه الذي كان فيه، فأهل الهمم والفطن الثاقبة لا يفتحون من آذانهم وقلوبهم طريقا إلى ذلك، إلا ما تقاضاه الأمر، وكانت مصلحته أرجح، وما عداه فبطالة وحط مرتبة.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٧١/٣

[فصل الثالثة طائفة أسرهم الحق عنهم فألاح لهم لائحا أذهلهم عن إدراك ما هم فيه]

فصل

قال: الطبقة الثالثة: طائفة أسرهم الحق عنهم، فألاح لهم لائحا أذهلهم عن إدراك ما هم فيه وهيمهم عن شهود ما هم له، وضن بحالهم عن علمهم ما هم به، فاستسروا عنهم مع شواهد تشهد لهم بصحة مقامهم، عن قصد صادق يهيجه غيب وحب صادق يخفى عليه علمه، ووجد غريب لا ينكشف له موقده، وهذا من أدق مقامات أهل الولاية.." (١)

"ليس اليتيم الذي قد مات والده ... إن اليتيم يتيم العلم والأدب

وإذا كان الأمر كما قاله أبو الفرج بن الجوزي في كتابه المذكور فينبغي للمشايخ الإحسان إليهم، والصبر على ما يكون منهم **واللطف** بهم، لئلا يتضاعف ألمهم وهمهم، فيضعف الصبر، وتحصل النفرة عن العلم، واستحباب ذلك من الطلبة أولى بهم والأدب والتلطف وما يعينهم على المقصود. وقد قال تعالى: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ [الأنعام: ٥٤] .

وفي الصحيحين من حديث أنس «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا» .

وفي مسلم من حديث أبي هريرة «إنما بعثتم ميسرين» وقد ذكرت قوله لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلى اليمن: «بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا» ، وكان أبو سعيد يقول: مرحبا بوصية رسول الله.

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا إسماعيل بن عياش حدثني حميد بن أبي سويد عن عطاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله قال: «علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف» . حميد له مناكير تكلم فيه ابن عدي وغيره، ويأتي قبل ذكر الكرم والبخل في فضول الكسب قول محمد بن عبد الباقي الحنبلي: يجب على المعلم أن لا يعنف، وعلى المتعلم أن لا يأنف.

وقال الأعمش: كان ابن مسعود إذا جاءه أصحابه قال: أنتم جلاء قلبي. ويأتي في أول فصول العلم قول عمر - رضي الله عنه -: تواضعوا لمن علمكم، وتواضعوا لمن تعلمون، ولا تكونوا من جباري العلماء، ويأتي بعده في فصل قال المروذي: قول عمر لا تعلم العلم لتماري به، ولا لترائي به، ولا لتباهي به، ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه، ولا." (٢)

"في قصة الإفك في رواية مثنى الأنباري، وقد سأله أكثر ما يعرف في المجانبة فذكر حديث عائشة - رضي الله عنها - في ترك النبي - صلى الله عليه وسلم - كلامها، والسلام عليها حين ذكر ما ذكر كذا حكاه، ولم أجد في قصة الإفك هذا بل كان قبل أن يأذن لها أن تذهب إلى بيت أبيها إذا دخل عليها يسلم ثم يقول: "كيف تيكم؟ " ففي هذا **ترك اللطف فقط**، وأما قصة كعب ففيها ترك السلام والكلام، ولهذا كان يسلم على النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: فأقول: هل حرك شفتيه؟ وإنه سلم على أبي قتادة فلم يرد عليه وحمله جماعة ممن شرحه على ظاهره في هجر أهل البدع والمعاصي بترك الكلام، والسلام بخوف المعصية.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٧٢/٣

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢٢٤/١

وفي رواية مثنى المذكورة والتي قبلها إباحة الهجر وترك الكلام والسلام بخوف المعصية، ورواية الميموني تدل على وجوبه وكلام الأصحاب صريحة في النشوز على تحريمه.

وأما ما رواه مسلم بعد قصة الإفك عن أنس «أن رجلا كان يتهم بأم ولده فأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – فأمر عليا أن يذهب فيضرب عنقه فذهب فوجده يغتسل في ركي وهي البئر فرآه مجبوبا فتركه» فلعل معناه: اذهب فاضرب عنقه إن ثبت ذلك عليه، وحذف للعلم به.

وفي شرح مسلم قيل: لعله مستحق القتل بغير الزنا وحركة الزنا، وكف عنه علي اعتمادا على أن القتل بالزنا، وقد علم انتفاء الزنا.

قال القاضي: وذكر الآجري في هجرة أهل البدع والأهواء قصة حاطب بن أبي بلتعة وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر بهجره، ثم تاب الله عز وجل عليه كذا ذكره القاضي عن رواية الآجري، ولم أجد هذا في قصة حاطب بل فيها في صحيح البخاري «أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: صدق ولا تقولوا له إلا خيرا فقال عمر – رضي الله عنه –: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني أضرب عنقه فقال: يا عمر وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل." [1]

"عرفت ومن لم تعرف» .

وكان ابن عمر يدخل إلى السوق فلا يمر بأحد إلا سلم عليه. فقال له الطفيل بن أبي بن كعب ما تصنع في السوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق؟ فقال يا أبا بطن وكان الطفيل ذا بطن إنما نغدو من أجل السلام ونسلم على من لقينا رواه مالك في الموطأ، ويأتي بالقرب من نصف الكتاب قول ابن مسعود إن من التواضع أن تسلم على من لقيت.

ولمسلم عن أبي هريرة مرفوعا «والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» ولعل المراد من السلام على من عرفه ومن لم يعرف أنه يكثر منه ويفشيه ويشيعه، لا أنه يسلم على كل من رآه، فإن هذا في السوق ونحوه يستهجن عادة وعرفا. ولو كان النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم – بمثل هذه المحافظة والمواظبة عليه لشاع وتواتر ونقله الجم الغفير خلفا عن سلف والله أعلم.

روى ابن ماجه عن عائشة مرفوعا «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين» وقال الشاعر:

قد يمكث الناس دهرا ليس بينهم ... ود فيزرعه التسليم واللطف

وعن أنس قال قال رسول الله: – صلى الله عليه وسلم – «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك» رواه الترمذي وقال حسن غريب وقال ابن حمدان: إن سلم بالغ على بالغ وصبي رده البالغ ولم يكف رد الصبي، وكذا في شرح الهداية لأبي المعالي بناء على أن فرض الكفاية لا يحصل به، ويتوجه، يخرج من الاكتفاء بأذانه وصلاته

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ١/٢٣٠

على الجنازة قال أبو المعالي: والسلام على الصبي لا يستحق جوابا لعدم أهليته للجواب والأمر به، كذا قال ويتوجه أن يستحق الجواب، ويرده الصبي لكنه لا يجب عليه، وسبق كلامهم أنه يسلم عليه، وكيف يشرع السلام على من." (١)

"[فصل في صلة الرحم وحد ما يحرم قطعه منها]

قد تقدم أن عليه صلة رحمه قال المروذي أدخلت على أبي عبد الله رجلا قدم من الثغر فقال لي قرابة بالمراغة فترى لي أن أرجع إلى الثغر أو ترى أن أذهب فأسلم على قرابتي وإنما جئت قاصدا لأسألك؟ فقال له أبو عبد الله: قد روي «صلوا أرحامكم ولو بالسلام» استخر الله واذهب فسلم عليهم وقال مثنى قلت لأبي عبد الله: الرجل يكون له القرابة من النساء فلا يقومون بين يديه فأيش يجب عليه من برهم وفي كم ينبغي أن يأتيهم **قال: اللطف والسلام**.

وقد ذكر أبو الخطاب وغيره في مسألة العتق بالملك: قد توعد الله سبحانه بقطع الأرحام باللعن وإحباط العمل، ومعلوم أن الشرع لم يرد صلة كل ذي رحم وقرابة إذ لو كان ذلك لوجب صلة جميع بني آدم فلم يكن بد من ضبط ذلك بقرابة تجب صلتها وإكرامها ويحرم قطعها وتلك قرابة الرحم المحرم.

وقد نص عليه بقوله – صلى الله عليه وسلم – «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها، ولا على بنت أخيها وأختها فإنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم» . وهذا الذي ذكره من أنه لا يجب إلا صلة الرحم المحرم اختاره بعض العلماء ونص أحمد الأول أنه تجب صلة الرحم محرما كان أو لا، وقد عرف من كلام أبي الخطاب أنه لا يكفي في صلة الرحم مجرد السلام وكلام أحمد محتمل. قال الفضل بن عبد الصمد لأبي عبد الله: رجل له إخوة وأخوات بأرض غصب ترى أن يزورهم؟ قال: نعم يزورهم ويراودهم على الخروج منها فإن أجابوا إلى ذلك وإلا لم يقم معهم، ولا يدع زيارتهم.." (٢)

"وإداما وفاكهة، إلى غير ذلك من العقاقير، ثم إرخاء السحاب بالغيوث في زمن الحاجات ثم تطييب الأمزجة وإحياء النبات، وخلق هذه الأبنية على أحسن إتقان، وتسخير الرياح والنسيم المعد للأنفاس، إلى غير ذلك من النعم، ثم نعمة العقل والذهن ثم سائر الآيات الدالة على الصانع، ثم إنزال الكتب التي تحث على الطاعات وتردع عن المخالفة، **ثم اللطف بالمكلف**، وإباحة الشرك مع الإكراه، وأمر بالجمعة فضايقوه في ساعة السعي بنفس ما نهى عنه من البيع في أنواع العبادات، وعظموا كل ما هونه وارتكبوا كل ما هونه حتى استخفوا بحرمة كتابه، فأنا أستقل لهم كل محنة.

وقال أيضا: لا تتم الرجلة في العبد حتى يكون في مقام اختلال أحواله، وإشباط أخلاطه وأفراحه، وتسلط أعدائه ثابتا بثبوت المتلقي والمتوقي، فيتلقى النعم بالشكر لا بالبطر، متماسكا عن تحرك الرعن، وعند المصائب مستسلما ناظرا إلى المبتلى بعين الكمال، وعند اشتطاط الغضب متلقيا بالحكم، وعند الشهوات مستحضرا للوعد والوعيد، فسبحان من كمن جواهر الرجال في هذه الأجساد، ثم أظهرها بابتلائه ليعطي عليها جزيل ثوابه، ويجعلها حجة على بقية عباده.

وقال: زنوا أنفسكم: من المبادئ ماء وطين، وفي الثواني ماء مهين، وفي الوسط عبيد محاويج لو حبس عنكم نسيم الهواء لأصبحتم جيفا، ولو مكنت منكم البقوق عن السباع لأكلتكم، كونوا متعرفين لا عارفين.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣٧٣/١

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٤٥٢/١

وقال لنا: عندك ذخائر وودائع بالله لا تضعها في الترهات، ودموع ودماء ونفوس، بالله لا تجري الدموع إلا على ما فات ويفوت، ولا ترق الدماء، إلا في مكافحة الأعداء، وإعلاء كلمتنا، وأنفاس من نفائس الذخائر، فبحقنا لا تتنفس الصعداء إلا في الشوق إلينا، والتأسف علينا.." (١)

"وأن يجعل مع السويق في جرار جدد ويستقطر وقد يصفو إذا ألقي فيه الشب أو لب نوى المشمش ونحوه أو الجمر الملتهب.

والمياه الرديئة يصلحها الخل ونحوه وماء الآبار **قليل اللطف وماء** القنى المدفونة تحت الأرض ثقيل لتعفن أحدهما بانحقانه وحجب الآخر عن الهواء، وينبغي ترك شربه حتى يضمد للهواء، ويأتي عليه ليلة. وأردؤه ماء مجاريه من رصاص أو بئر معطلة خاصة إن كانت تربتها رديئة.

وأما ماء البحر فعن أبي هريرة عن النبي أنه قال في ماء البحر «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» رواه أحمد وأهل السنن وصححه البخاري والترمذي وغيرهما قال تعالى ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ [الفرقان: ٥٣] .

أي خلى بينهما معناه أرسلهما في مجاريهما فما يلتقيان (هذا عذب) طيب (فرات) صفة لعذب وهو أشد الماء عذوبة (وهذا ملح أجاج) يقال: ماء ملح واستعمله الشافعي – رضي الله عنه – وقيل: هو لغة والأجاج صفة الملح قال الزجاج: وهو المر الشديد المرارة.

قال ابن قتيبة: هو أشد الماء ملوحة، وقيل: هو الذي يخالطه مرارة ﴿وجعل بينهما برزخا﴾ [الفرقان: ٥٣] أي حاجزا وهو مانع من قدرة الله عند أكثر المفسرين فهما في قدرة الله منفصلان لا يختلطان وقد يكونان." (٢)

"فسالة وفسولة فهو فسل من قوم فسلاء وأفسال وفسول، وفسالة الحديد سحالته، والفسيلة والفسيل الودي وهو صغار النخل، والجمع الفسلان، والفسكل بالكسر الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل وهو السكيت والقاشور ومنه قيل رجل فسكل إذا كان رذلا، والعامة تقول فسكل بالضم وقال آخر:

وصاحب إذا صاحبت حرا فإنما ... يزين ويزري بالفتى قرناؤه

وقال المأمون الإخوان على ثلاث طبقات كالغذاء لا يستغنى عنهم أبدا وهم إخوان الصفاء، وإخوان كالدواء يحتاج إليهم في بعض الأوقات وهم الفقهاء وإخوان كالداء لا يحتاج إليهم أبدا وهم أهل الملق والنفاق لا خير فيهم قال الجوهري الملق الود **واللطف** الشديد، وأصله التبين وقد ملق بالكسر يملق ملقا ورجل ملق يعطي بلسانه ما ليس في قلبه، والملق أيضا ما استوى من الأرض: والملق ساكن مثل الملح السير الشديد والميلق السريع وانملق الشيء واملق بالإدغام أي صار أملس وقيل لأعرابي لم قطعت أخاك من أبيك؟ فقال إني لأقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب لي من أبي وأمي أعز نقدا.

وقال أكثم بن صيفي أحق من شركك في النعم شركاؤك في المكاره. أخذه بعضهم فقال:

وإن أولى البرايا أن تواسيه ... عند السرور لمن واساك في الحزن

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/١٩٧

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣/٥٧

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

وقال المثقب العبدي:." (١)

"القمر من حرث الأرض وقطع الزرع وغير ذلك، فجعل ضوء القمر في الليل معونة للناس على هذه الأعمال، وجعل في الكواكب جزءا يسيرا من النور ليسد مسد القمر إذا لم يكن، وجعلت زينة السماء معالم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ودلالات واضحات على الخلاق العليم، وغير ذلك من الحكم التي بها انتظام هذا العالم، وجعلت الشمس على حالة واحدة لا تقبل الزيادة والنقصان لئلا تتعطل الحكم المقصودة منها، وجعل القمر يقبل الزيادة والنقصان لئلا تتعطل الحكم المقصودة من جعله كذلك، وإن كان نوره من التبريد والتصلب ما يقابل ما في ضوء الشمس من التسخين والتحليل، فتنضم المصلحة وتتم الحكمة من هذا التسخين والتبريد.

ثم **تأمل اللطف والحكمة** الإلهية في جعل الكواكب السيارات ومنازلها تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها، لأنها لو ظهرت دائما أو اختفت دائما لفاتت الحكمة المطلوبة منها، كما اقتضت الحكمة أن يظهر بعضها ويحتجب بعضها، فلا تظهر كلها دفعة واحدة، ولا تحتجب دفعة واحدة، بل ينوب ظاهرها عن خفيها في الدلالة، وجعل بعضها ظاهرا لا يحتجب أصلا بمنزلة الأعلام المنصوبة التي يهتدي بها الناس في الطرق المجهولة في البر والبحر، فهم ينظرون إليها متى أرادوا ويهتدون بها حيث شاءوا.

ثم تأمل حال النجوم واختلاف مسيرها، ففرقة منها لا تريم مراكزها من الفلك ولا تسير إلا مجتمعة كالجيش الواحد، وفرقة منها مطلقة تنتقل في البروج وتتفرق في مسيرها، وكل واحد منها يسير سيرين مختلفين، أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق، وذلك من أعظم الدلالات على الفاعل المختار العليم الحكيم وعلى كمال علمه وحكمته.

وتأمل كيف صار هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه يدور على هذا العالم هذا الدوران العظيم السريع المستمر بتقدير محكم لا يزيد ولا ينقص ولا يختل نظامه، بل هو تقدير العزيز العليم، كما أشار تعالى إلى أن ذلك التقدير صادر عن كمال عزته وعلمه، قال تعالى: ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [الأنعام: ٩٦].

وتأمل الحكمة في تعاقب الحر والبرد على هذا العالم وتعاورهما عليهما في." (٢)

"فتأمل ما تحت هذا الخطاب من العدل **واللطف** والرحمة، وأنه سبحانه ليس له غرض في تعذيبكم، ولا يعذبكم تشفيا ولا لحاجة به إلى ذلك، ولا هو ممن يعذب سدى باطلا بلا موجب ولا سبب، ولكن لما تركتم الشكر والإيمان واستبدلتم به الكفر والشرك وجحود حقه عليكم وإنكار كماله، وأبدلتم نعمته كفرا، أحللتم بأنفسكم جزاء ذلك وعقوبته وسعيتم بجهدكم إلى دار العقوبة ساعين في أسبابها، بل دعاته ورسله تمسك بأيديكم، وحجزكم عن الطريق الموصلة إلى محل عذابه، وأنتم تجاذبونهم أشد المجاذبة وتتهافتون فيها، ولم يكفكم ذلك حتى بغيتم طريق رضاه ورحمته عوجا، وصددتم عنها

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣/٥٦٠

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ابن الموصلي ص/٢٢٩

ونفرتم عباده عنها بجهدكم، وآثرتم موالاة عدوه على موالاته وطاعته، فتحيزتم إلى أعدائه متظاهرين عليه، ساعين في إبطال دعوته الحق، فما يفعل سبحانه بعذابكم لولا أنكم أوقعتم أنفسكم فيه بما ارتكبتم.

وهذا المسلك ظاهر المصلحة والحكمة والعدل في حقهم وإن كانوا هم الذين فوتوا على أنفسهم المصلحة، قال الله تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [النحل: ١١٨] ، وهذا الأمر لا بد أن يشهدوه إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، ويقروا به ولا يبقى عندهم ريب ولا شك، وتأمل قوله الحق: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ [التوبة: ٦٧] ، وقوله: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ [الحشر: ١٩] كيف عدل فيهم كل العدل بأن نسيهم كما نسوه، وأنساهم حظوظ أنفسهم ونعيمها وكمالها، وأسباب لذاتها وفرحها، عقوبة لهم على نسيان المحسن إليهم بصنوف النعم، المتحبب إليهم بآلائه، فقابلوا ذلك بنسيان ذكره والإعراض عن شكره، فعدل فيهم بأن أنساهم مصالح أنفسهم فعطلوها، وليس بعد تعطيل مصلحة النفس إلا الوقوع فيما تفسد به وتتألم بفوته غاية الألم.

ونحن في هذا المسلك في غنية عن أن نقول: إن تعذيبهم غير مصلحتهم كما قاله غير واحد من أرباب المقالات، كما حكاه عنهم الأشعري وغيره، فإن هؤلاء لم يثبتوا وجه المصلحة لهم في تعذيبهم، بل أرسلوا القول بذلك إرسالا، وكأنهم حاموا حول أمر لم يمكنهم وروده، وهو أن هؤلاء وإن كانوا به مشركين ولحقه جاحدين، فإنهم إنما خلقوا على الفطرة السليمة التي هي دين الله، ولكن عرض لهم ما نقلهم عنها." (١)

"منه قوله تعالى في أول السورة ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ﴾ [ق: ٤] ونحو قوله: ﴿قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ [طه: ٥٢] .

الثالث: إن قرب الرب تعالى إنما ورد خاصا ولا عاما، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة ومن مطيعه بالإثابة، ولم يجئ القرب كما جاءت المعية خاصة وعامة، فليس في القرآن ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد وأنه قريب في الكافر والفاجر، وإنما جاء خاصا كقوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ [البقرة: ١٨٦] فهذا قربه من داعيه وسائله به، وقال تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٦] ولم يقل قريبة، وإنما كان الخبر عنها مذكورا، إما لأن فعيلا بينه وبين فعول اشتراك من وجوه، منها الوزن والعدد والزيادة والمبالغة، وكون كل منهما يكون معدولا عن فاعل استوى مذكره ومؤنثه في عدم إلحاق التاء، كامرأة نئوم وضحوك فحملوا فعيلا عليه في بعض المواضع لعقد الأخوة التي بينهما، وإما لأن قريبا معدول عن مفعول في المعنى كأنها قربت منهم وأدنيت، وهم يراعون اللفظ تارة والمعنى أخرى، وأما ذهابهم بالرحمة إلى الإحسان واللطف والبر، وهو كثير في لغتهم حتى يكثر أنهم يستعملون ضد ذلك، فيقولون جاءت فلانا كتابي تذهبون به إلى الصحيفة، وإما على حذف مضاف يكون قريب خبرا عنه تقديره مكان رحمة الله أو تناولها ونحو ذلك قريب، وإما على تقدير موصوف محذوف يكون قريب صفة له تقديره أمر أو شيء قريب كقول الشاعر:

قامت تبكيه على قبره ... من لي من بعدك يا عامر

تركتني في الدار ذا غربة قد ... ذل من ليس له ناصر

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ابن الموصلي ص/٢٥٦

أي شخصا ذا غربة، وعلى هذا حمل سيبويه حائضا وطالقا وطامثا ونحوها، وإما على اكتساب المضاف إليه، نحو ذهبت بعض أصابعه، وتواضعت سور المدينة وبابه، إما من الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر، والدلالة بالمذكور على المحذوف، والأصل إن الله قريب من المحسنين، ورحمته قريبة منهم، فيكون قد أخبر." (١)

"(ويرفع أقواما وكانوا بذلة ... ويسقط أقواما وكانوا لدى النجم)

(فعد نحوه واطلب رضاه وعفوه ... فلله جود وهو **ذو اللطف والحلم**)." (٢)

"إذا بعث سرية قال لهم: لا تصوموا فإن التقوى على الجهاد أفضل من الصوم.

فأفضل الصيام أن لا يضعف البدن حتى يعجز عما هو أفضل منه من القيام بحقوق الله تعالى أو حقوق عباده اللازمة فإن أضعف عن شيء من ذلك مما هو أفضل منه كان تركه أفضل فالأول: مثل أن يضعف الصيام عن الصلاة أو عن الذكر أو عن العلم كما قيل في النهي عن صيام الجمعة ويوم عرفة بعرفة أنه يضعف عن الذكر والدعاء في هذين اليومين وكان ابن مسعود يقل الصوم ويقول: إنه يمنعني من قراءة القرآن وقراءة القرآن أحب إلي فقراءة القرآن أفضل من الصيام نص عليه سفيان الثوري وغيره من الأئمة وكذلك تعلم العلم النافع وتعليمه أفضل من الصيام وقد نص الأئمة الأربعة على أن طلب العلم أفضل من صلاة النافلة والصلاة أفضل من الصيام المتطوع به فيكون العلم أفضل من الصيام بطريق الأولى فإن العلم مصباح يستضاء به في ظلمة الجهل والهوى فمن سار في طريق على غير مصباح لم يأمن أن يقع في بئر بوار فيعطب قال ابن سيرين: إن قوما تركوا العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا بغير علم والله ما عمل أحد بغير علم إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح والثاني: مثل أن يضعف الصيام عن الكسب للعيال أو القيام بحقوق الزوجات فيكون تركه أفضل وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: "إن لأهلك عليك حقا".

ومنها: ما أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله: "إن لنفسك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه" يشير إلى أن النفس وديعة لله عند ابن آدم وهو مأمور أن يقوم بحقها ومن **حقها اللطف بها** حتى توصل صاحبها إلى المنزل قال الحسن: نفوسكم مطاياكم إلى ربكم فأصلحوا مطاياكم توصلكم إلى ربكم فمن وفى نفسه حظها من المباح بنية التقوى به على تقويتها على أعمال الطاعات كان مأجورا في ذلك كما قال معاذ بن جبل: إني أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي ومن قصر في حقها حتى ضعفت وتضررت كان ظالما وإلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لعبد الله بن عمرو بن العاص: "إنك إذا فعلت ذلك نفهت له النفس وهجمت له العين" ومعنى نفهت: كلت وأعيت ومعنى هجمت العين: غارت وقال لأعرابي جاءه فأسلم ثم أتاه من عام قابل وقد تغير فلم يعرفه فلما عرفه سأله عن حاله؟ قال: ما أكلت بعدك طعاما بنهار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ومن أمرك أن تعذب نفسك؟! " فمن عذب نفسه بأن حملها ما لا تطيقه

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ابن الموصلي ص/٤٨١

(٢) نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف الوَصَابي ص/١٤٣

من الصيام ونحوه فربما أثر ذلك في ضعف بدنه وعقله فيفوته من الطاعات الفاضلة أكثر مما حصله بتعذيبه نفسه بالصيام.." (١)

"اعتمد على كرمي وغيره اعتمد على عمله ... حكاية عن بعض الصالحين قال دخل عظم في رجلي فتألمت منه ألما شديدا فجلست تحت شجرة وتضرعت إلى الله بأسمائه الحسنى فغلبني النوم فرأيت حية تمص رجلي وتمج القيح والدم وأخرجت العظم فاستيقظت فرأيت الدم والقيح والعظم على الأرض قال الأمام الرازي رضي الله عنه وللدعاء بأسماء الله الحسنى شروط أحسنها أن يكون مستحضرا عز الربوبية وذل العبودية وأن يعرف معاني تلك الأسماء وها أنا أذكر بعض ما يحتاج إليه ذلك.. الله معناه الجامع لصفات الألوهية المتصف بأوصاف الربوبية وهو الاسم الأعظم.. الرحمن الرحيم تقدم الفرق بينهما في الفاتحة في فضل البسملة.. القدوس معناه المنزه عن كل معنى يدركه حسن أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم قال الغزالي رضي الله عنه ولست أقول منزه عن العيوب لأن ذلك يرقب من ترك الأدب فليس من الأدب أن يقال ملك البلد ليس بحق.. السلام معناه الذي سلمت فاته وأفعاله سلمت من الشر والسلام من العباد من سلم قلبه من الحقد والغش.. المؤمن معناه من التجأ إليه صار آمنا من كل شر والمؤمن من الناس من هو في أمان.. المهيمن معناه العالم بخلقه وأرزاقهم وآجالهم وهو من أسماء الله في الكتب القديمة.. الخالق البارئ المصور قال الغزالي رضي الله عنه قد يظن أن هذه الثلاثة بمعنى واحد وليس كذلك ثم قال البناء مثلا يحتاج إلى الأخشاب حتى يبنى له قدر الخشب ثم بعد ذلك يحتاج إلى من ينقش ظاهر البناء ويزين صورته وحاصل كلامه أن الصنعة لا تقوم بواحد كما ذكر في الإحياء أن الرغيف لا يوضع على المائدة إلا بثلثمائة وستين صانعا والله تعالى غني في صنعه عن غيره فإن احتاجت الصنعة إلى موجد فهو خالقها وإن احتاجت إلى مخترع يخترعها ويصورها فهو مصورها وخالقها وإن احتاجت إلى زينة فهو مصورها في أحسن زينة وأتم حالة.. القابض الباسط معناه يقبض القلوب بالخوف ويبسطها بالرجاء كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه لما قال يقول الله تعالى يا آدم أخرج بعث النار فيقول كم فيقول من ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فانقبضت قلوبهم فلما رأى ذلك منهم بسطها بقوله صلى الله عليه وسلم إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وقيل يقبض الرزق عن الفقراء ويبسطه على الأغنياء وقيل يقبض الأرواح عن الأشباح.. الخافض لأهل الشقاوة.. الرافع لأهل السعادة والخافض الرافع من العباد الذي يخفض الباطل وأهله ويرفع الحق وأهله.. اللطيف معناه العالم بدقائق المصالح وموصلها إلى أهلها بالرزق **واللطف** ومن العباد من يعلم الطريق إلى الله تعالى بغير عنف.. الغفور بمعنى الغفار لكنه أبلغ من الغفور ... لطيفة: رأيت في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة من أسماء الله تعالى غفار وغافر وغفور وسمى العبد بثلاثة أسماء ظالم لنفسه وظلوم كفار وظلام وهو المسرف على نفسه فكأنه سبحانه وتعالى يقول أنا للظالم غافر وللمظلوم كفور ولظلام كفار وقيل معنى غافر مزيل للذنب من الصحيفة وغفور منسي للملائكة ذلك الذنب وغفار منسي للمذنب ذنبه وقيل غافر في الدنيا وغفور في القبر وغفار في القيامة.. الشكور معناه يجازي بيسر الطاعة كثير الدرجات..." (٢)

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ابن رجب الحنبلي ص/١٢٥

(٢) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ٨٦/١

"يناسبه، وجعلوا الركعة الأولى فرقا، والثانية جمعا (١)، وهو شيء يشبه الفلسفة، فدخوله في الشرعيات لا عبرة به، واعتبار ذلك من حيث الخاصية (٢) أيضا خارج عن الحق، هذه سورة البروج قد نص المشايخ على أن مداومتها في صلاة العصر تنفع من الدماميل، وهي مجربة، ولكن العبادة لا ينبغي أن تدخل بالعادة، فأبدلناها بعد الصلاة فانتفعنا بها، واحترام الشريعة لا يأتي إلا بخير، فإن قيل: فالرسول (ص) قد كان يصلي صبح يوم الجمعة بالسجدة وهل أتى (٣) وصلاة الجمعة بالجمعة والغاشية (٤) والعيد بسبح والشمس وضحاها (٥) والخسوف بالأول الأربع الطوال (٦) والفجر بالكافرون والإخلاص (٧)، والوتر بالإخلاص والمعوذتين (٨) ومغرب ليلة الجمعة بالكافرون والإخلاص (٩) إلى غير ذلك وهذه كلها تقيدات.

---

(١) الجمع: ما يشهده الله تعالى العبد من اللطف والإحسان، والفرق: القيام بحق العبودية، الرسالة القشيرية ص ٢٩.

(٢) أي: تخصيص قراءة سورة معينة في الصلاة لظن أن لها خاصية معينة كالاستشفاء بها أو الحفظ ونحوه، كل ذلك خارج عن الحق، لأن التخصيص لا يكون إلا بنص الشارع.

(٣) حديث قراءة النبي (ص) في صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى في مسلم من حديث ابن عباس ٢/ ٥٩٩.

(٤) حديث قراءة النبي (ص) في الجمعة بسورة الجمعة والغاشية في الموطأ ١/ ١١١.

(٥) في الموطأ ١/ ١٨١: كان النبي (ص) يقرأ في العيدين بسورة ﴿ق والقرآن المجيد﴾ و ﴿اقتربت الساعة﴾ أحيانا، وأحيانا ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ و ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ أو ﴿والليل إذا يغشى﴾، يقرأ سورة في كل ركعة.

(٦) حديث ابن عباس في صفة صلاة رسول الله (ص) عندما كسفت الشمس، قال: فقرأ نحوا من سورة البقرة في الركعة الأولى، قال في الفتح: زاد أبو داود: أنه قرأ في القيام الأول من الركعة الثانية نحوا من آل عمران. البخاري مع فتح الباري ٣/ ١٩٤، وفتح الباري ٣/ ١٨٣.

(٧) حديث قراءة النبي (ص) في الفجر بالكافرون والإخلاص في مسلم ١/ ٥٠٢.

(٨) حديث قراءة النبي (ص) في الوتر بالإخلاص والمعوذتين في النسائي ٣/ ٢٠٣، والترمذي ٢/ ٣٢٦.

(٩) خرج ابن حبان في الإحسان ٥/ ١٤٩ حديث جابر بن كسرة: "كان النبي (ص) يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة بـ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾ " وانظر السنن الكبرى ٢/ ٣٩١.." [1]

"بخسة نفسه، وضعتها وعيوبها وآفاتها، فإذا أحاط علما بهذين الأصلين نظر إلى نفسه وإلى ما أجرى الحق تعالى عليه من الأفعال والأقوال، وما صرفه فيه من الأحوال، فسيرى حينئذ من لطف الله تعالى به ورحمته وعنايته وفضله ما لا مطمع لأحد في إدراكه وفهمه، فيوجب ذلك له محبة وحياء يحملانه على الشكر لله تعالى بشهود النعم منه وحسن الأدب معه، فإذا رأى نفسه على طاعة فرح بمنة الله تعالى عليه من غير استحقاق ولا وسيلة، وكم من شخص لم يعطها، وليستعمل حينئذ حسن الأدب في تحسينها ونفي الآفات عنها وإخلاصه فيها ربه عز وجل، فيكون حينئذ بهذه الرؤية والأدب أفضل

---

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/١٠٧

ممن استغرق أوقاته في الطاعات وأنواع العبادات، مع فقدان ذلك، وكذلك إن رأى نفسه بحال نعمة، من صحة بدن ونيل رزق وإن قل، فليفرح بذلك ويشكر ربه عليه لعلمه أنه لا يستأهل ذلك ولا يليق به، ويستعمل حينئذ حسن الأدب في الاستعانة بها على طاعة الله عز وجل، ولا يستعملها في معصية، وكم من شخص مبتلى بمرض أو فقر يتمنى ذلك ولا يجده، وكذلك إذا ابتلي بفقر أو أصيب بمرض من مصائب الدنيا فليفرح بذلك، لأنه سلك به مسلك الأولياء والصالحين، وليفرح بمنة ربه عز وجل في أن لم تكن أكثر من ذلك، كما ابتلي به طوائف من الناس، وليستعمل حسن الأدب في الصبر والرضى ونفي الجزع والشكوى، والدعاء إلى الله تعالى في سعة الرزق وكشف الضر وسؤال العافية في الدين والدنيا، وإن أمكنه السبب لاكتساب ما يغنيه والتطبب لبرئه، فيفعل ذلك فهو من حسن الأدب، وليشكر الله تعالى على تمكينه من ذلك وإذنه له فيه، وكذلك إن ابتلي بذنب أو غفلة أو سوء أدب فلا يغفل **عن اللطف وخفي** السنة بذلك، فقد يكون ذلك سببا لخوفه ونفي عجبه والتجائه ربه، كما ورد في الخبر في قوله (ص): ((لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من ذلك العجب)) (١) وكم نت شخص مرتكب للكبائر مستحل لها، فرح بها.

---

(١) رواه البزار عن أنس مرفوعا بلفظ: ((لو لم تكونوا مذنبين لخشيت عليكم ما هو أكبر منه: العجب))، وقال: لا نعلم من رواه عن ثابت إلا سلام، وهو مشهور، (مختصر =." (١)

"الثالث: تعظيم حرمات المسلمين بكف الأذى وحمل الأذى، والإنصاف من نفسك وترك الانتصاف لها، فتتقي أعراضهم، وتبلغ أغراضهم، وتسامحهم فيما لا ينالك ضرره منهم، وقد كان السلف (ض) يكرهون أن يستذلوا، فإذا قدروا عفوا، بل كما قيل:

ارحم بني جميع الخلق كلهم ... وانظر إليهم **بعين اللطف والشفقة**

وقر كبيرهم وارحم صغيرهم ... وراع في كل خلق حق من خلقه

الرابع: الحذر والاشفاق واتهام النفس في جميع الأحوال، والحكم عليها بالعلم الظاهر المؤيد بحقائق الباطن، فإنها تنقاد للباطن المجرد وللظاهر المجرد (١)، وتحب الإكثار كما تحب الترك، ولا تقبل الوسط إلا بعد مشقة فادحة وجهاد كبير، وهي التي ﴿لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾ (٢)، كما قال بعض المشايخ، ويرحم الله القائل في معنى ذلك:

توق نفسك لا تأمن غوائلها ... فالنفس أخبث من سبعين شيطانا

وأما إصلاح المختل، وإدراك الفائت فبالعود إلى ما كنت عليه أولا

من الصفاء والتوبة، ((فما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة)) (٣)، ولا يغرنك الشيطان بقوله: أي فائدة لتوبة لا ثبات لها، نظرا إلى حالك الأول، فإنك بين ثبات وموت على إثر توبة، أو غفران الماضي واستئناف عمل، فكما اتخذت الذنب والعود إليه حرفة، فاتخذ التوبة والعود إليها حرفة، عالما أن توبتك تعرض لنفحات رحمتك، وتوبته عليك منة وعناية،

---

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/١٩٦

(١) في خ وت ١: للباطن المجرد والظاهر المجرد.

(٢) الفتح ٢١.

(٣) ((ما أصر من استغفر إلخ))، لفظ حديث عند أبي داود من طريق أبي بكر الصديق رقم ١٥١٤ وخرجه البزار في المسند ١/ ٢٠٥، وقال: لا يحفظ عن النبي (ص) إلا من طريق ابن نصيرة عن مولى لأبي بكر وكلاهما لا يعرفان، وخرج الحديث االترمذي رقم ٣٥٥٩ وقال: غريب إنما نعرفه من حديث أبي نصيرة، وليس إسناده بالقوي، وحسن الحديث الزيلعي والحافظ ابن كثير، انظر تخريج الأحاديث والآثار ١/ ٢٢٧ وفتح الباري ١/ ١١٢..." [١]

"(قصيدة المنفرجة)

(شعر)

(حجة الإسلام أبي حامد الغزالي)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصف الشدائد والكروب والمحن وطلب الفرج والعفو والنجاة من الله والإلحاح في الطلب)

١ -

(الشدة أودت بالمهج ... يا رب فعجل بالفرج)

٢ -

(والأنفس أضحت في حرج ... وبيدك تفريج الحرج)

٣ -

(هاجت لدعاك خواطرنا ... والويل لها إن لم تهج)

٤ -

(يا من **عودت اللطف أعد** ... عاداتك **باللطف** البهج)

٥ -

(واغلق ذا الضيق وشدته ... وافتح ما سد من الفرج)

٦ -

(عجنا لجنابك نقصده ... والأنفس في أوج الوهج)

٧ -

---

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/٢١٧

(والى أفضالك يا أملي ... يا ضيعتنا إن لم نعج)

٨ -

(من للملهوف سواك يغث ... أو للمضطر سواك نجي)

٩ -

(وإساءتنا لن تقطعنا ... عن بابك حتى لم نلج)

١٠ -

(فلكم عاص أخطا ورجاك ... ابحث له ما منك رجى)

١١ -

(يا سيدنا يا خالقنا ... قد ضاق الحبل على الودج)." [١]

"٣٩ -

(والأمر إليك تدبره ... فأغثنا **باللطف** البهج)

٤٠ -

(وادرج في العفو إساءتنا ... والخيبة إن لم تندرج)

(حديث لوم وعتاب ونصح للنفس)

٤١ -

(يا نفس وما لك من فرج ... إلا مولاك له فعج)

٤٢ -

(وبه فلذي وبه فوزي ... ولباب مكارمه فلجي)

٤٣ -

(كي تنصلحي كي تنشرحي ... كي تنبسطي كي تبتهج)

٤٤ -

(ويطيب مقامك مع نفر ... أضحوا في الحندس كالشرج)

٤٥ -

(وفوا لله بما عهدوا ... في بيع الأنفس والمهج)

(دعوة للإقتداء بالنبي الهادي وآله وصحابته)

---

(١) المنفرجتان الأنصاري، زكريا ص/١٥١

- ٤٦

(وهم الهادي وصحابته ... ذو الرتبة والعطر الأرج)

- ٤٧

(وعلى الصديق خليفته ... وكذا الفاروق وكل نج)

- ٤٨

(وعلى عثمان شهيد الدار ... أبي العرفان على الدرج)

- ٤٩

(وأبي الحسنين مع الأولاد ... كذا الأزواج وكل شج)

- ٥٠

(قوم سكنوا الجرعاء وهم ... شرفوا الجرعاء ومنعرج)." [١]

"«وقال علي –كرم الله وجهه –: دخلت على النبي – صلى الله عليه وسلم – أنا وفاطمة – رضي الله عنهما – فوجدناه يبكي بكاء شديدا، فقلت: فداك أبي وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ قال: يا علي ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي يعذبن بأنواع العذاب فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها، ورأيت امرأة قد شد رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط الله عليها الحيات والعقارب، ورأيت امرأة معلقة بثدييها، ورأيت امرأة رأسها برأس خنزير وبدنها بدن حمار وعليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار، فقامت فاطمة الزهراء – رضي الله تعالى عنها – وقالت: يا حبيبي وقرة عيني ما كان أعمال هؤلاء حتى وقع عليهن هذا العذاب؟ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: يا بنية أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما المعلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تؤذي فراش زوجها، وأما التي شد رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط الله عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تغتسل من الجنابة والحيض وتستهزئ بالصلاة، وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت نمامة كذابة، وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة. يا بنية الويل لامرأة تعصي زوجها» . اهـ ما ذكره ذلك الإمام والعهدة عليه.

وإذا أمرت الزوجة ببذل تمام الطاعة والاسترضاء لزوجها فهو مأمور أيضا بالإحسان إليها بإيصالها حقها نفقة ومؤنة وكسوة برضا وطيب نفس ولين قول وبالصبر على نحو سوء خلقها. ومر في الحديث الأمر بالوصية بهن وأنهن عوان أخذن بأمانة الله جمع عانية وهي الأسيرة، شبه النبي – صلى الله عليه وسلم – المرأة في دخولها تحت حكم الرجل وقهره بالأسير. ومر في الحديث: «خيركم خيركم لأهله» . وفي رواية: «ألطفكم بأهله» . وكان – صلى الله عليه وسلم – **شديد اللطف بالنساء**،

---

(١) المنفرجتان الأنصاري، زكريا ص/١٥٤

قال ذلك الإمام بعد ذكره نحو ذلك. وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر من مثل ما أعطى أيوب – عليه الصلاة والسلام – على بلائه، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون» .." (١)

"يبنين أو يموت عنهن كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها» . وفي أخرى صححها جماعة: «ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة» . وفي أخرى شواهدها كثيرة: «ما من مسلم له ثلاث بنات فينفق عليهن حتى يبنين أو يمتن إلا كن له حجابا من النار، فقالت له امرأة أو بنتان؟ فقال وبنتان» . وفي أخرى للترمذي: «فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة» . وفي أخرى لأبي داود: «فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة» . وأبو داود والحاكم وصححه: «من كانت له أنثى فلم يئدها – أي يدفنها حية على عادة الجاهلية – ولم يهنها ولم يؤثر ولده يعني الذكر عليها أدخله الله الجنة» .

وأحمد والطبراني: «من أنفق على ابنتين أو أختين أو ذواتي قرابة يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما من فضل الله أو يكفيهما كانتا له سترا من النار» . وأحمد بإسناد جيد عن جابر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من كن له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة ألبتة قيل يا رسول الله وإن كانتا اثنتين؟ قال وإن كانتا اثنتين. قال فرأى بعض القوم أن لو قال واحدة لقال واحدة» . ورواه البزار والطبراني: وزاد «ويزوجهن» . والحاكم وصححه: «من كان له ثلاث بنات يصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن أدخله الله الجنة برحمته إياهن. فقال رجل: وابنتان يا رسول الله؟ قال وابنتان، قال رجل يا رسول الله وواحدة؟ قال وواحدة» .

[الكبيرة الثانية بعد الثلاثمائة عقوق الوالدين أو أحدهما وإن علا ولو مع وجود أقرب منه]

. (الكبيرة الثانية بعد الثلاثمائة: عقوق الوالدين أو أحدهما وإن علا ولو مع وجود أقرب منه) قال – تعالى –: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا﴾ [النساء: ٣٦] قال ابن عباس: يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب، فلا يغلظ لهما في الجواب، ولا يحد النظر إليهما، ولا يرفع صوته عليهما، بلى يكون بين يديهما مثل العبد بين يدي السيد تذللا لهما، وقال – تعالى –:." (٢)

"من وطئ امرأة يظنها أجنبية وهي زوجته أثم إثم الزنا وفي عكسه لا إثم عليه، ومحل استوائهم أيضا إن استووا في القدرة باليد وباللسان، فلو قدر واحد باليد وآخرون باللسان تعين على الأول إلا أن يكون الرجوع لذي اللسان أقرب أو أنه يرجع له ظاهرا وباطنا ولا يرجع لذي اليد إلا ظاهرا فقط فيتعين على ذي اللسان حينئذ ولا يسقط الإنكار بالقلب عن مكلف أصلا إذ هو كراهة المعصية.

وهو واجب على كل مكلف، بل ذهب جماعة منهم أحمد أن ترك الإنكار بالقلب كفر لخبر «وهو أضعف الإيمان» . ومن

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ٢/٧٩

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ٢/١٠٥

قدم على منكر جاهلا به ولو علمه رجع عنه يجب تعليمه برفق، حتى لو علم أنه يفيد إسماعه مخاطبة الغير بالتعليم خوطب به الغير أو عالما به ابتداء أو لكونه عرفه كالمواظب على نحو مكس أو غيبة وعظه وخوفه بذكر وعيد ذنبه ثم يتدرج معه **بغاية اللطف والبشاشة** إذ كل شيء بقضاء وقدر ويلاحظ لطف الله به إذ حفظه من ذلك ولو شاء لعكس، بل ليس هو آمنا من ذلك، فإن عجز عن الإنكار باللسان أو لم يقدر وقدر على التعبيس والهجر والنظر شزرا لزمه ذلك ولا يكفيه إنكار القلب، فإن لم يتعظ ويتذكر وعلم منه الإصرار خشن عليه الكلام وسبه بلا فحش كيا فاسق يا جاهل يا أحمق يا من لا يخاف الله.

وليحذر أن يغضب فيبقى إنكاره؛ لنصرة نفسه أو يسترسل لما يحرم فينقلب الثواب عقابا، هذا كله فيما لا ينكر باليد أما ما ينكر بها كخمر غير محترمة وكسر آلة اللهو وتجريده من حلي ذهب أو حرير ومنعه من شدخ نحو شاة وإخراج نحو جنب وأكل منتن وذي نجس ينضح من مسجد فلا يكفي غير الإنكار باليد فيجره برجله أو بمعين إن عجز، وليتوق في نحو إراقة الخمر وكسر آلة اللهو الكسر الفاحش إلا إذا لم ترق إلا به أو يخشى أن الفساق يدركونه ويمنعونه فيفعل ما لا بد منه ولو بحرق وغرق.

وللإمام ذلك مطلقا زجرا أو تعزيرا وله فيمن لم ينكف بخشن الكلام أن يضربه بنحو يده فإن لم ينكف إلا بشهر سلاح منه وحده أو مع جماعة فعلوا لكن بإذن الإمام على المعتمد. وقال الغزالي: لا يحتاج لإذنه، قيل وهو الأقيس كما يجوز قتل فاسق يناضل عن فسقه، وإذا قتل المنكر المحق فهو شهيد، ونحو السلطان يوعظ ثم يخشن له إن لم يخش ضرره وله ذلك وإن أدى إلى قتله للحديث الصحيح «أفضل الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله» .

ولو رأى بهيمة تتلف مال غيره لزمه كفها إن لم يخف، ومن وجده يريد قطع طرف نفسه منعه، وإن أدى إلى قتله؛ لأن الغرض." (١)

"جرت العادة أن يقول المدرس عند ختم كل درس: والله أعلم، كذلك يكتب المفتي بعد كتابة الجواب، لكن الأولى أن يقال قبل ذلك كلام يشعر بختم الدرس كقوله: وهذا آخره أو ما بعده يأتي أن شاء الله تعالى ونحو ذلك، ليكون قوله والله أعلم خالصا لذكر الله تعالى ولقصد معناه. ولهذا ينبغي أن يستفتح كل درس ببسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله، كما يستفتح جواب الفتيا بذلك ليكون ذاكرا لله تعاطا في بدأته وخاتمته.

والأولى للمدرس أن يمكث قليلا بعد قيام الجماعة فإن فيه فوائد وآدابا له ولهم، منها عدم مزاحمتهم، ومنها أن كان في نفس أحدهم بقايا سؤال سأله، ومنها عدم ركوبه بينهم أن كان يركب وغير ذلك. ويستحب إذا قام أن يدعو بما ورد به الحديث، سبحانك الله، اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الثاني عشر:

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ٢/٢٨١

أن لا ينتصب للدرس إذا لم يكن أهلا له، ولا يذكر الدرس من علم لا يعرفه، فإن ذلك لعبا في الدين وازدراء بين الناس. قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: المتشبع بما لم يعط، كلابس ثوب زور، وعن الشبلي: من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه. وعن أبي حنيفة رحمه الله: من طلب الرياسة في غير حينه، لم يزل في ذل ما بقي، واللبيب من صان نفسه عن تعرضها لما يعد فيه ناقصا وبتعاطيه ظالما وبإصراره فاسقا، فإنه متى لم يكن أهلا استهزئ بحاله وانتقص به، ولا يرضى ذلك لنفسه أريب ولا يتعاطاه مع الغنا عنه لبيب. وأقل مفاسد ذلك أن الحاضرين يفقدون الإنصاف لعدم من يرجعون إليه عند الاختلاف، لأن رب الصدر لا يعرف المصيب فينصره، أو المخطئ فيزجره. وقيل لأبي حنيفة رضي الله عنه: في المسجد حلقة ينظرون في الفقه؛ فقال الهم رأس؟ قالوا: لا، قال: لا يفقه هؤلاء أبدا. ولبعضهم في تدريس من لا يصلح:

تصدر للتدريس كل مهوس ... جهول ليسمى بالفقيه المدرس

فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيت قديم شاع في كل مجلس

لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... كلاها وحتى سامها كل مفلس

الفصل الثالث

في آداب العالم مع طلبته

وهو أربعة عشر نوعا: الأول: أن يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى، ونشر العلم، وإحياء الشرع، ودوام ظهور الحق، وخمول الباطل، ودوام خير الأمة بكثرة علمائها، واغتنام ثوابهم، وتحصيل ثواب من ينتهي إليه علمه من بعدهم وبركه دعائهم له، وترحمهم عليه، ودخوله في سلسلة العلم، بين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبينهم، وعداده في جملة مبلغي وحي الله وأحكامه، فإن تعليمه العلم من أهم أمور الدين، وأعلى درجات المؤمنين على ما سبق إيضاحه. أولا: نعوذ بالله من قواطعه ومكدراته وموجبات حرمانه وفواته.

الثاني: أن لا يمتنع من تعليم الطالب لعدم خلوص نيته، فإنه يرجى له حسن النية، وربما عسر في كثير من المبتدين، تصحيح النية لضعف نفوسهم، وقلة أنسهم بموجبات تصحيح النية، والامتناع من تعليمهم، يؤدي إلى تفويت كثير من العلم، مع أنه يرجى ببركة العلم تصحيحها إذا انس بالعلم. وقد قالوا: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، معناه كانت عاقبته أن صار لله وينبغي للشيخ أن يحرض المبتدئ على حسن النية بتدريج، وبعلمه بعد أنسه به أنه ببركة حسن النية ينال الرتبة العالية من العلم، والعمل، أو **اللطف**، وأنواع الحكم، وتنوير القلب، وانشراح الصدر، وتوفيق العزم، وإصابة الحق، وحسن الحال، والتسديد في المقال، وعلو الدرجات.." (١)

"من سرادقات الجلال والكبرياء يا إبليس ما عرفتني لو عرفت لعلمت أنه لا اعتراض علي في شيء من أفعالي فإني أنا الله لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل وفي رواية الشهرستاني قال تعالى للملائكة قولوا له كل ما قلت من عدم تسليمك إياي والحكم والاعتراض علي كفر.

---

(١) آداب العلماء والمتعلمين الحسين بن المنصور اليمني ص/٩

وعن بعض العارفين لا جواب غير ما أجابه تعالى وأقول إنما أجاب تعالى بكذا لعلمه عجز إدراك فهم اللعين عن تحقيق أجوبة تلك الأسئلة فمن قبيل أسلوب الحكيم كيف والحكمة موجودة في كلها ألبتة قال المحقق الدواني بعضها مما يظهر علينا وبعضها مما يخفى لا على الراسخين في العلم المؤيدين بنور من الله وروح منه.

وقال البعض هذه الشبه غير بالغ في الخفاء وملالة التطويل مانع من الذكر وأقول وبالله الهداية والتوفيق لا يبعد أن يكون حكمة خلق الكافر هو العبادة لقوله تعالى – ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦]– وعدم إرادة عبادتهم لعدم شرط خلق عبادتهم من صرف القدرة إلى الطاعة كما مر والعلم تابع للمعلوم وهذا الصرف ليس من الله، وتمامه سيفهم مما سيذكر وفائدة التكليف أنه تعالى لما خلق الإنسان بأنواع النعم لزم الشكر والإنسان قاصر عن كيفيته فمن كمال رأفته بين طرق الشكر بالتكليفات ثم إن الإنسان فيها مطيع وعاص فلو أثاب الكل لزم عدم تفريق من عبده عمن يعبد عدوه أي الشيطان ولو عاقب الكل لزم صورة ظلم وإن الإنسان خليفة الله في أرضه يتجلى له بصفات الجلال والإكرام والقهر **واللطف** ذكره المناوي عند حديث لو أن العباد لم يذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون ثم يغفر لهم وهو الغفور الرحيم.

ففائدة التكليف راجعة إلى العبد بالإثابة وإلى الله لا بالاستكمال ونحوه بل بإظهار صفاته من نحو الكرم والعفو والقهر ووجه تكليف اللعين إلى السجدة مع سائر الملائكة هو تعظيم لآدم – عليه السلام – لإنبائهم الأسماء وتعليمهم العلوم واعتراف فضله وأداء لحقه واعتذار لما وقع منهم من قولهم أتجعل فيها الآية وفائدة اللعن عرفت مما سبق من جزاء عصيانه وعقوبة اعتراضه وحكمه على الله تعالى وقد تضمن حكما أخرى كعدم اغترار العابدين على عبادتهم بل اللائق عدم الأمن وكالاعتبار عن حال الشيطان بسبب العصيان والانزجار عن الطغيان وكإعلام ضرر الكبر والبغيان على أهل الإيمان وفائدة التمكين تعظيم أجر العاملين بمشاق الجهاد الأعظم واختبار وليه تعالى وعدوه وإظهار التمييز بينهما فإن من عبده تعالى فهو وليه ومن عبد عدوه تعالى فهو عدوه وإظهار مظهرية عفوه وغفرانه وإظهار شرف آدم – عليه السلام – باستغفاره ورجوعه إليه تعالى في فوره خلاف الشيطان وبه يظهر وجه تسليطه على بني آدم على أن فيه تكذيب دعوى الشيطان بقوله – ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ [ص: ٨٢]– بمخالفة الصديقين والمخلصين.

وأيضا ظهر وجه إمهاله المدة الطويلة باستمهاله مما سبق وبه يتخرج الجواب عما يقال ما الحكمة في موت النبي وبقاء الشيطان وأن في موته – صلى الله تعالى عليه وسلم – تقدمه للشفاعة عند عرض أعمال أمته كما في الحديث «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» قيل ومن فوائده فتح باب الاجتهاد والعمل بالاحتياط والإثابة بحزن موته وتسهيل كل مصيبة بمصيبته وحصول الرحمة من اختلاف أمته وفيه تنبيه على أن الدنيا ليست بلائقة للقرار بل للفرار وليست بدار السعداء بل الأشقياء وأن الراحة في العقبى أعلى مما في الدنيا وأن الدنيا إنما تليق بأهلها دون أهله تعالى.

(والمؤمن) الظاهر كل مؤمن ولو متنسكا جاهلا أو غافلا عالما لكن ينبغي تخصيص الجاهل العامي المحض فإنه قد يخفى عليه الأولى والثانية وإليه يشير قوله (الطالب للحق والباقية) الظاهر الحق هو طريق الحق والباقية الآخرة ويمكن الحق متابعته الرسول والباقية عداوة الشيطان وبغيتاه وقيل الحق معرفته تعالى والباقية دار الآخرة (لا يخفى عليه) البغية.

(الأولى) من السلب والخلود والظلم (ولا) البغية.

(الثانية) من نحو التثبيط والحط فإذا لم يخفيا على كل مؤمن فلا اشتباه فيهما لأحد فلا يحتاج إلى بيانهما فاقتصر المصنف إلى ما فيه اشتباه مما سنذكره فإن قيل كيف يتم هذا وقد كان فيهما أمور مفصلة." (١)

"(ولا يجب عليه شيء) **كاللطف** والأصلح دينيا أو دنيويا فلا يجب إثابة المطيع وعقوبة العاصي وإلا لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا والآخرة ولما يستحق الله الحمد والشكر في إضافة الخيرات لكونهما أداء للواجب ولما كان لسؤال العصمة والتوفيق وكشف الضرر ونحوها معنى لأن ما لم يفعل في حق كل مفسدة يجب على الله تركها والتفصيل في شرح العقائد ثم الواجب إما ما يكون تركه مخلا بالحكمة أو ما يستحق تاركه الذم أو ما قدر الله على نفسه فعله بحيث لا يتركه وإن كان جائزا والأول باطل لأنا نعلم إجمالا أن جميع أفعاله على حكمة وإن لم يحط علمنا وكذا الثاني لأنه مالك الكل على الإطلاق فلا يتصور الذم في فعله أو تركه وكذا الثالث لأنه إذا كان الترك جائزا فإطلاق الوجوب عليه مجرد اصطلاح وموهم للمعنيين الممنوعين السابقين.

وفي شرح الطوالع ثواب المطيع فضل ودليله الطاعة وعقاب العصاة عدل ودليله العصيان.

(ولا يحل فيه حادث) وما في بعض النسخ من قوله ولا يحل في حادث فلعله من قلم الناسخ وإن صحح بتكلف.

قال الشريف العلامة في بيانه لأن ما يقوم به تعالى لا بد أن يكون من صفات الكمال فلو كان حادثا لكان خاليا عنه في الأزل والخلو عن صفة الكمال نقص وأورد عليه شيء يمكن دفعه ولا يتحمل المقام إيراده.

وقال في تهذيب الكلام لأنه تغير ولأنه يمتنع في الأزل فيلزم الانقلاب ويوجب زوال ضده فيلزم عدم الخلو عن الحوادث.

وأما الاتصاف بما له تعلق حادث أو بما يتجدد من السلوب والإضافات والأحوال فليس من المتنازع انتهى (حكيم) وصف مبالغة بمعنى العليم أو بمعنى المتقن أو بمعنى الحاكم كما نقل عن اليافعي أو بمعنى عالم الأشياء على ما هي عليه ومعرفة لوازمها وخواصها على ما كانت عليه أو واضع كل موضعه الحري فقوله (لا يفعل شيئا إلا بحكمة) كالتفسير له أو ذلك دليل لهذا قيل عن مفردات الراغب الحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات.

لعل هذا راجع إلى ما قيل: إنه إتقان للصنع في القاموس وأحكمه أتقنه ومنعه عن الفساد ثم قيل: اختلف في حقيقة الحكمة والسفه فعند الماتريدية الحكمة ماله عاقبة حميدة والسفه ضده والأشعرية هي ما وقع على قصد فاعله وهو ضده والمعتزلة هي ما فيه منفعة للفاعل وهو ضده أيضا ثم المراد من الفعل ما يعم خلقه وأمره كما قال العلامة المضدراعي الحكمة فيما خلق أوأمر لكن ينبغي أن يعلم أن تلك الحكمة ليست بباعث على فعله وإلا يلزم كون فعله تعالى معللا بالأغراض وقد أبطل في محله والنصوص الظاهرة في ذلك نحو قوله تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾ [البينة: ٥] ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] معللة بتلك الحكم والمصالح

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١/ ٢٩

وبالجملة أن أفعاله تعالى معللة بالحكم والمصالح عند الماتريدية خلافا للأشاعرة.

وفي شرح المقاصد أن بعض أفعاله سيما الأحكام الشرعية." [١]

"الأصلي.

قال في الوسيلة قال شارح الطريقة جارح الشريعة محمد الكردي في شرحه المسمى بالتوفيق: هذا الاعتقاد صحيح في نفس الأمر مطابق لاعتقاد جميع الأنبياء، والأولياء موافق لما ورد في الكتب الإلهية، والأخبار النبوية وإن خولف متشبثا بأذيال الفلاسفة كما قال – صلى الله تعالى عليه وسلم – «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»

.

وقال خلق الله آدم على صورته فتأمل فيه **باللطف** ولا تكن سفيها فإن السفيه محروم من الكمالات انتهى." [٢]

"يجدها الإنسان في نفسه عند رؤية مبتلى أو صغير أو ضعيف تحمله على الإحسان له **واللطف** والرفق به والسعي في كشف ما به، وقد جعل الله هذه الرحمة في الحيوان كله يعطف الحيوان على نوعه وولده ويحن عليه حال ضعفه وحكمتها تصغير القوي للضعيف، وهذه الرحمة التي جعلها الله في القلوب في هذه الدار التي ثمرتها هذه المصلحة العظيمة التي هي حفظ النوع رحمة واحدة من مائة ادخرها الله تعالى يوم القيامة يرحم بها عباده فمن كان فيه الرحمة في هذه الدار فسيرحمه الله تعالى في تلك الدار على قدر رحمته فمن سلب منه ذلك بالقسوة والغلظة، **وعدم اللطف بضعيف** وشفقة بمبتلى فقد شقي حالا وكان ذلك علامة على شقوته مآلا نعوذ بالله تعالى.

هذا ثم قيل هنا بنحو أمثال العرب لا تكن رطبا فتعصر، ولا يابسا فتكسر وبنحو حديث «لا تكن مرا فتعقى أي تكره، ولا حلوا فتسرط» ويقول لقمان لابنه لا تكن حلوا فتؤكل، ولا مرا فتلفظ ففي هذا كله نهي عن اللين وأجيب بأن خير الأمور أوسطها أقول لا يخفى أن بعضها لا يصلح إشكالا على الحديث في نفسه، وفي حديث الطبراني «المؤمن هين لين جواد سمح له خلق حسن، والكافر فظ غليظ له خلق سيئ» .

وأسبابها أي الفظاظة النوم على الطعام قبل انهضامه والمواظبة على اللحم أربعين يوما وكثرة الضحك والتوغل على القيل والقال والتكلم بما لا يعنيه والتوغل على الفقه دون علم الزهد، وعلامتها جمود العين، وعبوسة الوجه وكثرة المجادلة والتعصب، ولزوم الظواهر، والعمل بالعرف دون الشرع وترك الصدقة وآفاتها السقوط في نظر الله تعالى والبعد عن رحمة الله تعالى، والخذلان في الدنيا والآخرة، وعلاجها مسح رأس اليتيم، وإكثار الصدقة ومجالسة الفقراء والجوع والذكر، وضدها اللين ورقة القلب والرحمة والشفقة والألفة ويقال العنف نتيجة الفظاظة والرفق نتيجة اعتدال قوة الشهوة والغضب، ولذلك ورد في الحديث «يا عائشة من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة» قال المناوي في شرحه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير الحديث: إذ به تنال المطالب الدينية والدنيوية وبفوته يفوتان

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١/١٦٠

(٢) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١/٣٠٢

[السادس والثلاثون الوقاحة قلة الحياء]

(السادس والثلاثون الوقاحة قلة الحياء) . (وضدها الحياء، وهو انحصار النفس) احتباسها (خوف ارتكاب القبائح) أو خوف ترك الجميل أو خوف لحوق العيون، وعن شرح القرطبي على مسلم الحياء انقباض وحشمة يجدها الإنسان من نفسه عندما يطلع ما منه على ما يستقبح ويذم عليه، وأصله غريزي في الفطرة ومنه مكتسب للإنسان كما قيل في العقل

رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومصنوع

ولا ينفع مصنوع إذا لم يك مطبوع ... كما لا تنفع العين

وضوء الشمس ممنوع

أقول تخصيص الغريزي بالحياء تحكم إذ هو مشترك في جميع الأخلاق كما مر.

وقال في مفتاح السعادة المطلب الثاني في تهذيب الأخلاق قبول الأخلاق التغيير بطريق الرياضة، وقد أنكر التغيير بعض من غلبت عليه الشقوة والبطالة، ولم تسمح نفسه بأن يجرب ذلك لقصوره ونقصه.

واستدل على ذلك بوجهين أحدهما الخلق الباطن بمنزلة الخلق الظاهر وإذا لا يتغير هذا فلا يتغير ذاك.

والثاني أن الغضب مثلا من مقتضى المزاج والطبع وكذا الشهوة فكيف يتبدلان،. فنقول لو لم تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولم يكن لقوله – صلى الله تعالى عليه وسلم – «حسنوا أخلاقكم» معنى، وإذا أمكن تغيير أخلاق البهائم فالإنسان أولى، وكشف الغطاء فيه أن قمع الغضب والشهوة بالكلية غير ممكن أصلا، وإنما الذي يمكن لنا بالرياضة تعديلهما وصرفهما إلى ما خلقا لأجله نعم الجبلات مختلفة بالسرعة والبطء في التغيير لأمرين أحدهما قوة الغريزة في أصل الخلقة وامتداد مدة الوجود وثانيهما تأكده." (١)

"والجلوس على بساطهم إن كان غالب أموالهم حراما فليس بجائز، وأما السكوت فإن رأى من فرشهم، وأوانيهم وملبوساتهم الحرام أو سمع الفحش والكذب فالسكوت في كله حرام إلا أن يكره، وأما القول فإن دعا له أو أثنى عليه أو صدقه في باطله بتصريح أو بتحريك رأس أو باستبشار أو بإظهار حب واشتياق وحرص على طول عمره فكله حرام وردت فيه الأخبار فلا يجوز الدخول عليهم إلا لدفع الظلم عن نفسه أو غيره بشرط عدم الكذب والثناء، ولا يدع النصيحة إن توقع قبولها.

والثانية: دخول السلطان الظالم عليك زائرا فإن في جمع يقوم عند دخوله رعاية لحشمته، وإن في خلوة جاز القيام لكن الأولى عدمه إظهارا لعز الدين ورغما للظلم ويظهر غضبه للدين على حسب حاله مع السلطان ثم يخوفه مما ارتكبه لكن باللين والرفق بل بالكناية والتعريض والنصح بالمصلحة والإرشاد عما غفل من تدبير الممالك ونظام الرعايا.

والثالثة: الاعتزال عنهم بحيث لا يراهم، ولا يرونه، وهو الأسلم فلا يستخبر عنهم، ولا يصاحب مصاحبهم، وأما حال دخول السلف عليهم فكالمحال في حقنا؛ لأنهم يعاتبون ويعظون، ولا يخافون في الحق لومة لائم، وأما نحن فنجتهد في التقرب إليهم بالدلالة على الرخص فيما يوافق أغراضهم، ولنا في ذلك غرور أن إظهار إصلاحهم، وإرادة الشهرة والتقرب إليهم،

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٧١/٣

وإظهار الشفاعة في دفع ظلامة لمسلم، وإرادة نحو الألفة معهم كل ذلك تلخيص مفتاح السعادة.

(ت عن بريدة – رضي الله تعالى عنه – أن رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – «قال لا تقولوا للمنافق سيد» من ساد يسود سيادة والاسم السؤدد، وهو المجد والشرف فهو سيد والأنثى سيدة كما نقل عن المصباح يعني لا تصفوا المنافق بالسيادة «فإنه إن يك» أي إن يكن «سيدا» بزعمكم بجاهه ونسبه وماله «فقد أسخطتم الله» بتعظيم من أهانه الله تعالى ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾ [الحج: ١٨] قال في الأشباه تبجيل الكافر كفر فلو سلم على الذمي تبجيلا كفر، ولو قال لمجوسي يا أستاذ تبجيلا كفر (وضده) أي ضد حب الفسقة (البغض في الله تعالى) أي لأجل دين الله تعالى كما في قوله – عليه الصلاة والسلام – «عذبت امرأة في هرة» (لكل عاص) قيل، ولو بصغيرة أو بمكروه (لعصيانه) لا لغرض دنيوي.

وعن الحسن أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران هل عملت لي عملا قط قال إلهي صليت لك وصمت لك وتصدقت لك وذكرت لك فقال الله تعالى إن الصلاة لك برهان والصوم لك جنة والصدقة لك ظل والذكر لك نور فأي عمل عملت لي فقال موسى إلهي دلني على عمل هو لك فقال يا موسى هل واليت لي وليا قط، وهل عاديت لي عدوا قط فعلم موسى أن أحب الأعمال الحب في الله والبغض في الله قال المحشي هذا إذا كان متيقنا أو مظنونا، وأما إذا كان عصيانه موهوما أو مشكوكا فلا يجوز البغض له؛ لأنه من سوء الظن بهم بل يحملهم على الصلاح لا على الفساد (لا سيما المبتدعين) اعتقادا، وعملا (والظلمة لكون معصيتهم) أي معصية المبتدعة والظلمة فافهم (متعدية) دينا ودنيا (فلا بد من إظهار البغض لهم) ليرتدعوا من ذلك؛ ولئلا يشترك في وزره كما روي عنه – عليه الصلاة والسلام – «ما من قوم يكون فيهم رجل يعمل المعاصي ويقدرون أن يغيروا عليه فلا يغيرون إلا عمهم الله بالعذاب قبل أن يموتوا» .

وفي تنبيه الغافلين عن عمر بن عبد العزيز إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، ولكن إذا ظهرت المعاصي فلم ينكروها فقد استحل القوم جميعا العقوبة وذكر أن الله تعالى أوحى إلى يوشع – عليه الصلاة والسلام – إني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار فقال إنهم لم يغضبوا لغضبي وآكلوهم وشاربوهم كذا أيضا في النصاب ونقل عن البزازية أنه رأى ابن المبارك في المنام فقيل له ما فعل ربك بك فقال عاتبني، وأوقفني ربي ثلاثين سنة بسبب أني نظرت **باللطف** يوما إلى مبتدع فقال إنك لم تعاد عدوي في الدين فكيف حال القاعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين." (١)

"في مستحمه» موضع استحمامه ويقال لمطلق المكان الذي يغتسل فيه «فإن عامة الوسواس منه» أي أكثره قيل عن التوفيق، وقد عمت هذه البلية في بعض البلاد فمنهم من لا يقدر على الوضوء أو الغسل إلا في زمان طويل، ومنهم من لا يخرج من الحمام إلا بعد مدة طويلة، ومنهم من لا يقدر على تكبير الافتتاح إلا بعد تكبيرات كثيرة وأما ما رواه الديلمي في الفردوس عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – عن النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – أنه قال «الوسوسة صريح الإيمان أو محض الإيمان» فليس المراد بها ما ذكر من الأمور الفاسدة بل المراد بها منازعة الشيطان مع الإنسان في

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٩١/٣

بعض الأمور الاعتقادية من أحوال الذات والصفات والمبدأ والمعاد ونحوها فإن الوسوسة في أمثال هذه الأمور بعد التصديق بها تدل على صريح الإيمان ومحضه وكماله؛ لأن الشيطان سارق والسارق إنما يدخل بيتا معمورا؛ ولهذا قيل: الشيطان لا يوسوس للكفار لعدم إيمانهم

وسئل إبراهيم النخعي عن الوسوسة في الصلاة، فقال: كل صلاة لا وسوسة فيها لا تقبل؛ لأن اليهود والنصارى لا وسوسة في صلاتهم وقال أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنهما -: الفرق بين صلاتنا وصلاة الكفار الوسوسة؛ لأنه ليس للشيطان مع الكفار وسوسة ومحاربة؛ لأنهم يوافقونه وأهل الإيمان يخالفونه، والمحاربة لا تكون إلا بالمخالفة (تذنيب) ثم لا علينا أن نلحق نبذا من مبحث الوسوسة وإن عرف بعضها مما سبق اعلم أنه إذا أدرك الحواس شيء يحصل منه أثر في القلب ثم القلب ينتقل بسبب تلك الآثار من حال إلى حال دائما وتسمى الخواطر، والخواطر محركة للرغبة، وهي تحرك العزم، والنية تحرك الأعضاء فالخواطر مبدأ للأفعال وتنقسم إلى ما يدعو إلى الشر وإلى ما يدعو إلى الخير فالمحمود إلهام، والمذموم وسوسة فسبب المحمود يسمى ملكا والمذموم شيطانا، **واللطف** الذي يتهيأ به القلب لقبول الإلهام للملك يسمى توفيقا، الذي يتهيأ به لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا، القلب متجاذب بين الملك والشيطان، وإنما يترجح أحد الجانبين بالمجاهدة أو باتباع الهوى والشهوات التي هي سلاح الشيطان وكثيرا ما يعسر تمييز إلهام الملك ووسوسة الشيطان؛ إذ الشيطان يعرض الشر في معرض الخير فلا بد من إمعان النظر، ولا يطلع إلا بنور التقوى، ولا ينجو من تلك الخواطر إلا من سد أبواب الخواطر، واختار العزلة وقطع العلائق ودوام الذكر ثم إن القلب إذا غلبت عليه الشهوة يستقر الشيطان فيه ولا يتمكن الذكر من سويدائه بل يرجع إلى حواسه، وأما إذا صفا وخلا عن الشهوات ربما يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها عن الذكر فإذا ذكر خنس الشيطان ثم إن الشياطين جنود مجندة ولكل من المعاصي شيطان يخصه ويدعوه إليه كما سبق فالولهان شيطان الوضوء، وكذلك الملائكة إذ يختص كل منهم بعمل لكن لا يمكن تفصيل ذلك هنا

[مراتب الوسوسة]

ثم للوسوسة مراتب أربع قبل العمل الأولى الخاطر، وهو حديث النفس الثانية: الميل وهو حركة الشهوة التي في الطبع الثالث: الاعتقاد والحكم بأن هذا ينبغي أن يفعل الرابعة الهم وهو العزم وجزم النية فإما أن يندم فيترك أو يغفل لعارض فلا يعمل أو يعوقه عنه عائق، والأولان لا يؤاخذ بهما لعدم كونهما تحت الاختيار ويسميان حديث النفس كما قال - صلى الله تعالى عليه وسلم - «عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها» .

وأما الثالث فإن اختياريا يؤاخذ به وإلا فلا وأما الرابع فمؤاخذ به إلا أنه إن لم يفعل خوفا من الله وندما على همه كتبت له حسنة؛ لأن ترك السيئة حسنة وإن لم يكن خوفا من الله بل لأمر آخر كتبت عليه سيئة فإن همه فعل اختياري إلا أن يكفره بحسنة كما عرفت سابقا أيضا فافهم هذا عصارة ما في مفتاح السعادة وتفصيله فيه

[النوع الرابع في اختلاف الفقهاء في أمر الطهارة والنجاسة]." (١)

"قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: أيها الناس، إنكم تقرءون الآية وتتأولونها خلاف تأويلها (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ما من قوم عملوا المعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم ولم يفعل أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده ". وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا أعمالهم كأعمال الأنبياء قالوا: يا رسول الله كيف ذلك؟ قال: لم يكونوا يغضبون لله – عز وجل – ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ". وقال الغزالي – رحمه الله –: كل من شاهد منكرا ولم تغيره ولم ينكره وسكت عنه فهو شريك فيه، فالمستمع شريك المغتاب، ويجري هذا في جميع المعاصي، حتى في مجالسة من يلبس الديباج، ويتختم بالذهب ويجلس على حرير، والجلوس في دار أو في حمام على حيطانها صور أو فيها أواني من ذهب أو فضة، والجلوس في مسجد يسيء الناس الصلاة فيه فلا يتمون الركوع والسجود، والجلوس في مجلس وعظ يجري فيه ذكر البدعة، أو في مجلس مناظرة أو مجادلة يجري فيها الإيذاء والإفحاش بالسفه والشتم. وبالجملة من خالط الناس كثرت معاصيه وإن كان تقيا في نفسه إلا أن يترك المداهنة لا تأخذه في الله لومة لائم، ويشتغل بالحسنة والمنع من المنكر وإنما عنه يسقط الوجوب بأحد أمرين: أحدهما: أن يعلم أنه إن أنكر لم يلتفت إليه ولم يترك المنكر، ونظر إليه بعين الاستهزاء وهو الغالب في منكرات يرتكبها الفقهاء، ومن يزعم أنه من أهل الدين فههنا يجوز السكوت، ولكن يستحب الزجر باللسان إظهارا لشعائر الدين مما لم يقدر على غير الزجر باللسان، ويجب أن يفارق ذلك الموضع، فليس يجوز مشاهدة المعصية بالاختبار فمن جلس في مجلس الشرب فهو فاسق، وإن لم يشرب، ومن جالس مغتابا أو لابس حريرا أو آكل ربا أو حرام فهو فاسق فليقم من موضعه. الثاني: أن يعلم أنه يقدر على المنع من المنكر بأن يرى زجاجة فيها خمر فيرميها فيكسرها، أو يسكب آلة الملاهي من يد صاحبها ويضربها على الأرض ولكن يعلم أنه يضرب أو يصاب بمكروه فههنا يستحب الحسبة لقوله تعالى: (وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) .ولا يجب إلا أن المكروه الذي يصيبه له درجات كثيرة يطول النظر فيها ذكرها الغزالي في الإحياء في كتاب الأمر بالمعروف. وعلى الجملة فلا يسقط الوجوب إلا بمكروه في بدنه بالضرب، أو في ماله بالاستهلاك، أو في وجاهه بالاستخفاف به بوجه يقدح في مرؤته. فأما خوف إفحاش المنكر عليه، وخوف تعرضه له باللسان، وعداوته له؛ أو يوهم سعيه في المستقبل بما يسوءه، ويحول بينه وبين زيادة خير ينتظرها؛ فكل ذلك موهومات وأمور ضعيفة لا يسقط الوجوب بها. واعلم أن عمدة الحسبة شيئان: **أحدهما: اللطف والرفق** والبداية بالوعظ على سبيل الدين لا على سبيل العنف والترفع والإدلال بدالة الصلاح فإن ذلك يؤكد داعية المعصية، ويحمل المعاصي على المناكرة وعلى الإيذاء، ثم إذا أذاه ولم يكن حسن الخلق غضب لنفسه، ويرد الإنكار لله – عز وجل – واشتغل بشفاء غليله منه فيصير عاصيا، بل ينبغي أن يكون كارها للحسبة يود لو ترك العاصي المعصية بقول غيره، فإذا أحب أن يكون هو المعترض كان ذلك لما في نفسه من حالة الاحتساب وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢٣٥/٤

لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن منكر إلا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به، حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به، فقيه فيما ينهى عنه ". ووعظ المأمون واعظ بعنف فقال: يا رجل؛ ارفق فقد بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني فأمره بالرفق فقال تعالى: (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) . وروى أبو أمامة أن غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتأذن لي في الزنا؟ فصاح الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أقروه ادن مني؛ فدنا منه فقال صلى الله عليه وسلم: أتحبه لأمك؟ قال: ل – جعلني الله فداك – قال: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، ثم قال صلى الله عليه وسلم: أتحبه لابنتك؟ قال: لا. قال: كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، حتى ذكر له الأخت، والعمة، والخالة، ويقول وكذلك الناس لا يحبونه ثم وضع يده على صدره ثم قال: اللهم طهره واغفر ذنبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك." (١)

"من رسله فقد كانوا صلى الله عليه وسلم يدبرون عباد الله بتدبيرات فيها من الرفق واللطف وحسن المسلك ما لا يخفى على أهل العلم فإن نبينا صلى الله عليه وسلم قد تألف رؤساء المشركين وهم إذ ذاك حديثو عهد بجاهلية وترك المهاجرين والأنصار من الغنيمة وسيوفهم تقطر من دماء المؤلفين واتباعهم ومن يشاكلهم فيما كانوا عليه وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه ترك من كان منافقا على نفاقه وعصمهم بظاهر كلمة الإسلام ولم يكشفهم ويتلف مما عندهم بعد أن ظهر منهم ما ظهر من النفاق كعبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين وقال لا يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه وقد اشتمل الكتاب والسنة على ما كان يقع من الأنبياء صلى الله عليه وسلم من تدبير أمرهم والرفق بهم واغتنام الفرص في إرشادهم وإلقاء ما يحدوبهم إلى الحق في الوقت بعد الوقت والحالة بعد الحالة على حسب ما تقبله عقولهم وتحتمله طبائعهم وتفهمه أذهانهم

فالعالم الذي أعطاه الله الأمانة وحمله الحجة وأخذ عليه البيان يورد الكلام مع كل أحد على حسب ما يقبله عقله وبقدر استعداده

فإن كان كلامه مع أهل العلم الذين يفهمون الحجة ويعقلون البرهان ويعلمون أن الله سبحانه لم يتعبد عباده إلا بما أنزله في كتابه وعلى لسان رسوله وحال بينهم وبين الالتفات إلى ذلك والرجوع إليه والعمل عليه ما تكدرت به فطرهم وتشوشت عنده أفهامهم من اعتقاد حقية لتقليد أو استعظام الأموات من أهل العلم أو استقصار أنفسهم عن معرفة الحق بنص الدليل فعليه أن يعتمد معهم تسهيل ما تعاظموه من الوقوف على الحق قائلا

إن الله تعبد جميع هذه الأمة بما في الكتاب والسنة ولم يخص بفهم ذلك." (٢)

"وأما الأسباب الباطنة فهي أشد، فإن من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب. فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره، ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وهو

---

(١) سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان المشتولي ص/٥٧

(٢) أدب الطلب ومنتهى الأدب الشوكاني ص/١١٠

المطلع، ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره.
فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذي يقمع مادة الداء من أعماق العروق، وهو أن ينظر في الأمور الصارفة عن إحضار القلب، ولا شك أنها تعود إلى مهماته، وأنها إنما صارت مهمات بشهواته، فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق كما روي أنه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التي أتاه بها «أبو جهم» وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته، وقال صلى الله عليه وسلم: «اذهبوا بها إلى أبي جهم فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي وائتوني بإنبجانية أبي جهم» .

بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة:
إذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم ينادون **باللطف** يوم العرض الأكبر.
وأما الطهارة: فإذا أتيت بها في مكانك وهو طرفك الأبعد، ثم في ثيابك وهو غلافك الأقرب، ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى، فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك، فاجتهد له تطهرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك في المستقبل، فطهر بها باطنك فإنه موقع نظر معبودك.

وأما ستر العورة: فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل، فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها، وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر، وإنما يكفرها الندم والحياء والخوف، فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث وجود الخوف والحياء من مكانها فتذل به نفسك، ويستكن تحت الخجلة قلبك، وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف.

وأما الاستقبال: فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى،." (١)

"البيع وسهل الشراء، وأما احتمال الغبن من الغني فليس محمودا بل هو تضييع مال من غير أجر ولا حمد، وكان كثير من السلف يستقصون في الشراء ويهبون من ذلك الجزيل من المال، فقيل لبعضهم في ذلك فقال: إن الواهب يعطي فضله، وإن المغبون يغبن عقله.
الثالث: في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالإمهال والتأخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد، وكل ذلك مندوب إليه ومحثوث عليه، وفي الخبر: من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله، فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة، ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يلازم

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/٣٧

رجلا بدين فأومأ إلى صاحب الدين بيده أي: ضع الشطر ففعل، فقال للمديون: قم فأعطه.

الرابع: في توفية الدين، ومن الإحسان فيه حسن القضاء وذلك بأن يمشي إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشي إليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم: خيركم أحسنكم قضاء، ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته، وإن عجز فلينو قضاءه مهما قدر، ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليتحمله وليقابله **باللطف** اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لما ردد عليه كلامه صاحب الدين فهم به أصحابه فقال: دعوه فإن لصاحب الحق مقالا، ومن الإحسان أن يميل الحكم إلى من عليه الدين لعسره.

الخامس: أن يقيل من يستقيله فإنه لا يستقيل إلا متندم مستضر بالبيع، ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه، وفي الخبر من أقال نادما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة.

السادس: أن يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطالبهم إن لم يظهر لهم ميسرة، وكان من السلف من يقول لفقير: «خذ ما تريد فإن يسر لك فاقض وإلا فأنت في حل منه وسعة» .

فهذه طرق تجارات السلف.

وبالجملة فالتجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه.." (١)

"درجات القيام بالإنكار:

الأولى: التعريف، أي تعريف المزجور أن ما يفعله منكر؛ فإنه قد يقدم عليه بجهله، فلعله إذا عرف أنه منكر تركه، فيجب تعريفه **باللطف** من غير عنف، فإن في التعريف كشفا للعورة وإيذاء للقلب، فلا بد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق فتقول له: إن الإنسان لا يولد عالما ولقد كنا جاهلين فعلمنا العلماء، فالصواب هو كذا وكذا. فيتلطف به هكذا ليصل التعريف من غير إيذاء، فإن إيذاء المسلم حرام محذور، كما أن تقريره على المنكر محظور، وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول، ومن آذى بالإنكار فهذا مثاله.

الدرجة الثانية: النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى، وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا، كالذي يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجري مجراه، فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى، وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك، وتحكى له سيرة السلف وعبادة المتقين، وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر المترحم عليه.

الدرجة الثالثة: التعنيف بالقول الغليظ وذلك عند العجز عن المنع **باللطف** وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح، وذلك مثل قول «إبراهيم» عليه السلام: (أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) [الأنبياء: ٦٧] ولا يفحش في سبه. ولهذه الرتبة أدبان:

أحدهما: أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن **اللطف**.

والثاني: أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطيل لسانه بما لا يحتاج إليه، بل يقتصر على قدر الحاجة.

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/١١٧

الدرجة الرابعة: التغيير باليد وذلك كإراقة الخمر وإتلاف المنكر المتمول أو دفعه عن محرم. وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع، وأما الإراقة والإتلاف فإلى الولاة ومأذونيهم كالضرب والحبس.

آداب القائم بالأمر والنهي

جملتها ثلاث صفات: العلم والورع وحسن الخلق.

وأما العلم: فليعلم مواقع الأمر والنهي ليقتصر على حد الشرع فيه.

وأما الورع: فليردعه عن مخالفة معلومة، ولا يحمله على مجاوزة الحد المأذون شرعا غرض من الأغراض، وليكون كلامه مقبولا فإن الفاسق يهزأ به إذا أمر أو نهى ويورث ذلك جراءة عليه.

وأما حسن الخلق: فليتمكن به **من اللطف والرفق** وهو أصل الباب وأساسه، والعلم." (١)

"أعجز الخلق عن تدبير نفسه. ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا، ثم شابا ثم كهلا، ثم شيخا إما كفورا أو شكورا، مطيعا أو عاصيا، مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) [الإنسان: ١ – ٣] فانظر **إلى اللطف والكرم** ثم إلى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية. والعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا أو نقشا حسنا على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همته إلى التفكر في النقاش والخطاط، وأنه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه، ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول: ما أحذقه وما أكمل صنعته وأحسن قدرته، ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا يدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته.

فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها فهو أقرب مجال لفكرك، وأجلى شاهد على عظمة خالقك، وأنت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك، لا تعرف من نفسك إلا أن تجوع فتأكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل، والبهائم تشاركك في معرفة ذلك، وإنما خاصية الإنسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السماوات والأرض وعجائب الآفاق والأنفس، إذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة المقربين، ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين، وليست هذه المنزلة للبهائم ولا لإنسان رضي من الدنيا بشهوات البهائم فإنه شر من البهائم بكثير إذ لا قدرة للبهيمة على ذلك، وأما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها، فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا [الفرقان: ٤٤] . وإذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الأرض التي هي مقرك، ثم في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها، ثم ارتفع منها إلى ملكوت السماوات.

آية الأرض

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/١٦١

من آياته تعالى أن خلق الأرض فراشا ومهادا، وسلك فيها سبلا فجاجا، وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها، وجعلها قارة لا تتحرك، وأرسى فيها الجبال أوتادا لها تمنعها من أن تميد، ثم وسع أكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها. وقد أكثر تعالى في كتابه العزيز من ذكر الأرض ليتفكر في عجائبها، فظهرها مقر الأحياء، وبطنها مرقد الأموات، قال الله تعالى: (ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا) [المرسلات: ٢٥، ٢٦] فانظر إلى الأرض وهي ميتة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت عجائب النبات [الحج: ٥] وخرجت منها أصناف الحيوانات، ثم انظر كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب، وكيف أودع المياه تحتها ففجر العيون وأسال الأنهار تجري على وجهها، وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا صافيا زلالا، وجعل به كل شيء حي [الأنبياء: ٣٠] فأخرج به فنون الأشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون." (١)

"وعبادهم، فتمام محبة الله محبة أوليائه، بحسب مقاماتهم وعملهم واجتهادهم، ووطنوا نفوسكم على ما ينالكم من الناس من الأذى، وقابلوه بالإحسان، وتقربوا بذلك إلى الله راجين فضل الكريم المنان، فمن كمال حسن الخلق أن تعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن الخلق لمن أبغضك وهجرك، فإن الجزاء من جنس العمل، فمن عفي عن عباد الله عفى الله عنه، ومن سامحهم سامحه الله، ومن أغضى معائبهم ومساويهم ستر الله عليه، فاجعل كبير المسلمين بمنزلة أبيك وصغيرهم بمنزلة ابنك ونظيرهم محل أخيك، وتكلم مع كل أحد منهم بما يناسب الحال؛ فمع العلماء بالتعلم، وبالتعليم مع الجهال، ومع الصغار **باللطف**، ومع الفقراء بالرحمة والعطف، ومع النضراء بالآداب والظرف. ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ [آل عمران: ١٥٩] بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.." (٢)

"[خطبة في التعرف إلى الله]

٥٢ - خطبة في التعرف إلى الله الحمد لله ذي الألطاف الواسعة والنعم، وكاشف الشدائد والمكاره والنقم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجود والكرم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي فضل على جميع الأمم، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم في طريقهم من الأمم.

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله تعالى وتعرفوا إلى الله في الرخاء يعرفكم في الشدة، وتقربوا إليه بطاعته يجلب لكم السعادة ويدفع عنكم المشقة، فمن اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه عرفه الله في شدته ورعى له تعرفه السابق، وكان معه ومحل طمعه ورجائه، قال تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين - للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤] فكان ليونس مقدمة صدق نجي بها، ويعين الله ما يتحمله المتحملون، فمن عامل الله في حال صحته

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/٣١٦

(٢) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية والخطب المنبرية على المناسبات عبد الرحمن السعدي ص/١١٤

وشبابه وقوته عامله الله **باللطف** والإعانة في حال شدته، ومن كان مطيعا لله لاهجا بذكره في حال السراء أغاثه الله وأنقذه من المكاره والضراء، لا سيما عند انتقاله." (١)

"عليكم رحمته برأفته وحنانه، فأصبح الناس بهذا وبهذا مستبشرين، وبنزوله ثم بإقلاعه فرحين، فكانت النعمة في إمساكه كالنعمة في إنزاله، فلم يزل العبد يتقلب بنعم ربه في كل أحواله. فاشكروا ربكم شكرا كثيرا، وسبحوه بكرة وأصيلا، وتوسلوا بنعمه وإحسانه إلى طاعته واتباع رضوانه. فمن شكر الله بقلبه ولسانه وعمله فليبشر بالمزيد، ومن قابل النعم بالغفلة والمعاصي فالعقاب شديد. والعباد في غاية الضعف والفقر والاضطرار، ولا ثبات لهم على حالة ولا قوة ولا اصطبار. إذا تباطأ الغيث يئسوا وقنطوا، وإذا تتابع عليهم قلقوا وجزعوا، فعليهم أن يلجأوا في أمورهم كلها إلى المولى، **ويسألوه اللطف في** مواقع القدر والقضاء، فتعرضوا لألطاف المولى بالتضرع والدعاء، واقصدوه في حالة السراء والضراء.

«دخل رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فشكى إليه الضرر، فقال يا رسول الله: هلكت الأموال، وجاعت المواشي، وتقطعت السبل، فادع الله أن يغيثنا، فرفع يديه صلى الله عليه وسلم وهو يخطب، فقال: "اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا". قال أنس: فلا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، حتى نشأت سحابة من وراء سلع مثل الترس، فانتشرت وأمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس من الجمعة إلى الجمعة.." (٢)

"في قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه﴾ ١، و"الظلم" في قوله تعالى: ﴿إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء﴾ ٢، و"الذنب" في قوله: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ ٣، وهي ألفاظ يصف بها القرآن أحيانا الأنبياء، ولم ينج منها رسول الإسلام محمد، صلى الله عليه وسلم.

وهذه الألفاظ كلها، وهي التي تعني حين يوصف بها عامة الناس أشد الذنوب نكرا، هي هنا ذات معنى بالغ **اللطف**، كالنسيان: ﴿فنسي ولم نجد له عزما﴾ ٤، والخطأ: ﴿لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ ٥، أو حتى مجرد الانعكاس الطبيعي: ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ ٦، وهذه كلها أمور لا معنى لها في نظر العامة، ولكنها تتعرض لنوع من التضخيم في ضمير الصفي. ولقد قيل دائما بحق: "إن النبل ملزم" "noblesse oblige".

والواقع أن القرآن يعلمنا أن ذنوب الكبار ضعف ذنوب الآخرين: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ ٧، ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ ٨، على حين أن الذين يجاهدون حتى لا يقعوا في الكبائر تغفر لهم الصغائر برحمة من الله: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ ٩، ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة﴾ ١٠.

---

١ طه: ١٢١.

٢ النحل: ١١.

---

(١) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية والخطب المنبرية على المناسبات عبد الرحمن السعدي ص/١٣٩

(٢) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية والخطب المنبرية على المناسبات عبد الرحمن السعدي ص/٢٧١

٣ الفتح: ٢.

٤ طه: ١١٥.

٥ التوبة: ٤٣.

٦ النمل: ١٠.

٧ الأحزاب: ٣٠.

٨ الأحزاب: ٣٢.

٩ النساء: ٣١.

١٠ النجم: ٣٢.." [(١)]

"إلى أن يتدارك لديهم ردود فعل الإفراط: كالنفرة والتراخي، وتصدع العمل وهجره، وعدم التوازن أو إهمال الواجبات الأخرى التي ليست بأقل أهمية. وهو يستهدف أن يتحاشى التكلف، والأساليب المتجاوزة للحد، التي يبغضها، أولا وقبل كل شيء، ولقد أمره ربه أن يقول: ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ ١.

بيد أن هذه الرحمة التي يبديها تجاه الناس لا تنفي لديه، أو لدى من يريدون ويستطيعون الاقتداء به التزاما واضحا نحو أنفسهم أن يبذلوا أشجع الجهد، ولكنه في الوقت نفسه أعقله وأوفقه.

وجملة القول أننا هنا أمام تركيب تلتقي فيه الشدة **واللطف**، أما وهذا هو الفقه القرآني في هذه المسألة، فلسنا نجد أصدق من أن نقدم بين يدي هذا الفقه شاهدا من النص ذاته، وهو يجمع هاتين الفكرتين في آية واحدة:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ٢.

وكذلك ترد على لسان النبي –صلى الله عليه وسلم– تعبيرات مماثلة، والواقع أنه كان يقرر دائما أن أهم سمات النظام الإسلامي أن يضم صفتين معا في وقت واحد: إنه "متين"، وإنه "يسر"، وذلك قوله، صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق" ٣، "ولن يشاد الدين أحدا إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا" ٤.

---

١ ص: ٨٦.

٢ الحج: آخر آية.

٣ انظر مسند أحمد، من طريق أنس.

٤ البخاري، كتاب الإيمان، باب ٢٩، ٣/ ١٩٩. "المعرب".." [(٢)]

"وعندما يعلن القرآن أن قيده لطيف، وحمله خفيف، فإن **هذا اللطف يأتي** بلا شك في جانب كبير منه نتيجة هذا التدخل الثلاثي للضمير الإنساني، في الاعتراف بالواجب، وتنظيمه.

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز ص/٦٢٨

(٢) دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز ص/٦٦١

ومن هنا نرى أن هذا التدخل لم يقتصر على أن أحاط بالعامل الديني، حين استبقه وأصحبه، وألحقه بعناصر إنسانية، ولكنه حوله إلى عامل أخلاقي بالمعنى الصحيح.

وهكذا لا نستطيع أن نخلع على هذه الأخلاق نعتا دينيا فحسب، سواء من حيث التشريع، أو الجزاء، أو التسويغ، أو المادة التي هي موضوع تعليمها، إذ كان الجانب الديني لا يخالطها دائما إلا باعتباره عنصرا واحدا، في تركيب كبير جدا.

ومع ذلك، فهناك نقطة لا يظهر عليها الطابع الديني ويغلب فحسب، بل إنه يحتل كل مجال الضمير، وبهذا يجعل من الممكن، بل من الضروري أن يطلق على هذه النظرية لقب: الأخلاق الدينية. هذه النقطة هي "النية" أو جانب القصد، وفيها ينفرد المعنى الديني حقا، دون منازع.

إن الهدف الذي ينبغي لنشاط المؤمن الطائع أن يتوخاه وهو يؤدي واجبه لا يكمن في طيبات هذه الدنيا، ولا في السرور والمجد في الأخرى، ولا في إشباع شعوره الخير، بل ولا في إكمال وجوده الباطن.

إنه الله، الله الذي يجب أن يكون نصب أعيننا، وأية غاية أخرى تدفع الإنسان للعمل هي في ذاتها انتفاء للقيمة وعدم.

ولا مرية في أننا يجب أن نخاف، وأن نرجو، وبوسعنا أن ننشد رفاهتنا المادية والأخلاقية لذاتها، أو لأن هذا هو واجبنا، أو حقنا، ولكن لا لأنه." (١)

"قدمت علي أمي وهي مشركة وكان أبو بكر قد طلقها في الجاهلية فقدمت على ابنتها أسماء في المدينة بعد صلح الحديبية قالت أسماء فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: «يا رسول الله قدمت علي أمي وهي راغبة أي راغبة في أن تصلها ابنتها أسماء بشيء أفأصل أمي يا رسول الله قال نعم صلي أمك» .

أيها المسلمون إن بر الوالدين يكون ببذل المعروف والإحسان إليهما بالقول والفعل والمال أما الإحسان بالقول فأن تخاطبهما باللين **واللطف** مستصحبا كل لفظ طيب يدل على اللين والتكريم وأما الإحسان بالفعل فأن تخدمهما ببدنك ما استطعت من قضاء الحوائج والمساعدة على شؤونهما وتيسير أمورهما وطاعتهما في غير ما يضرك في دينك أو دنياك والله أعلم بما يضرك في ذلك فلا تفت نفسك في شيء لا يضرك بأنه يضرك ثم تعصهما في ذلك. وأما الإحسان بالمال فأن تبذل لهما من مالك كل ما يحتاجان إليه طيبة به نفسك منشرحا به صدرك غير متبع له بمنة ولا أذى بل تبذله وأنت ترى أن المنة لهما في ذلك في قبوله والانتفاع به.

وإن بر الوالدين كما يكون في حياتهما يكون أيضا بعد مماتهما فقد أتى رجل من بني سلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال «يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما يعني الدعاء لهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما أي وصيتهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما» (رواه أبو داود) . الله أكبر ما أعظم بر الوالدين وأشمله حتى إكرام صديقهما وصلته من برهما. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه كان يسير في طريق مكة راكبا على حمار يتروح عليه إذا مل الركوب على الراحلة فمر به أعرابي فقال أنت فلان بن فلان قال بلى فأعطاه الحمار وقال: اركب هذا وأعطاه عمامة كانت عليه وقال اشدد بها رأسك فقالوا لابن

(١) دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز ص/٦٨٠

عمر غفر الله لك أعطيته حماراكنت تروح عليه وعمامة تشد بها رأسك فقال ابن عمر إن هذاكان صديقا لعمر وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه» .

أيها المسلمون هذا بيان منزلة البر وعظيم مرتبته أما آثاره فهي الثواب الجزيل في الآخرة والجزاء بمثله في الدنيا فإن من بر بوالديه بر به أولاده. وتفريج الكربات ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما «في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه." (١)

"فالله سبحانه ينشئ الماء من السحاب إنشاء: تارة بقلب الهواء ما فيلقح به السحاب، وتارة يحمله الهواء من البحر فيلقح به السحاب. ولهذا تجد البلاد القريبة من البحر كثيرة الأمطار وإذا بعدت من البحر قل مطرها.

ثم تأملوا الحكمة البالغة في نزول المطر على الأرض من علو ليعم بسقيه وهادها وتلولها وظرابها وآكامها ومنخفضها ومرتفعها، ولو كان ربها يسقيها من ناحية من نواحيها لما أتى الماء على الناحية المرتفعة إلا إذا اجتمع في السفلى وكثر وفي ذلك فساد، فاقتضت حكمته أن سقاها من فوقها، ثم أنزله إلى الأرض بغاية **من اللطف والحكمة** التي لا اقتراح لجميع عقول الحكماء فوقها، فيرش السحاب الماء على الأرض رشا، ويرسله قطرات مفصلة لا تختلط منه قطرة بأخرى، ولا يتقدم متأخرها، ولا يتأخر متقدمها، ولا تدرك القطرة صاحبتها فتمتزج بها، بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه حتى تصيب الأرض قطرة قطرة، قد عينت كل قطرة منها لجزء من الأرض لا تتعداه إلى غيره. فلو اجتمع الخلق كلهم أن يخلقوا منها قطرة واحدة أو يحصوا عدد القطر في لحظة واحدة لعجزوا عنه. أنزله ومعه رحمته إلى الأرض.

ثم تأمل الحكمة البالغة في إنزاله بقدر الحاجة، حتى إذا ما أخذت الأرض حاجتها منه وكان تتابعه عليها بعد ذلك يضرها أقلع عنها وأعقبه بالصحو، فلو توالت الأمطار لأهلكت ما في الأرض، ولو زادت على الحاجة أفسدت الحبوب والثمار وعفنت الزرع والخضراوات وأرخت الأبدان وخثرت الهواء فحدثت ضروب من." (٢)

"فانظروا إلى هذه العناية وهذا الإحسان وهذا التحنن والعطف والتحبب إلى العباد **واللطف** التام بهم.

ومع هذا بعد أن أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وتعرف إليهم بأسمائه وصفاته وآلائه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا يسأل عنهم ويستعرض حوائجهم بنفسه، ويدعوهم إلى سؤاله فيدعو مسيئهم إلى التوبة، ومريضهم إلى أن يشفيه، وفقيرهم إلى أن يسأله غناه، وذا حاجتهم أن يسأله قضاءها كل ليلة.

ويدعوهم إلى التوبة وقد حاربوه وعذبوا أولياءه وأحرقوهم بالنار، قال تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ [البروج: ١٠] وقال بعض السلف: انظروا إلى كرمه كيف عذبوا أولياءه وحرقوهم بالنار وهو يدعوهم إلى التوبة.

فهذا الباب يدخل منه كل أحد إلى محبته سبحانه وتعالى؛ فإن نعمته على عباده مشهودة لهم يتقلبون فيها عدد الأنفاس واللحظات.

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٥٠٢/٧

(٢) موضوعات صالحة للخطب والوعظ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ص/٩٢

فإذا انضم داعي الإحسان والإنعام إلى داعي الكمال والجمال لم يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها، وأشدها نقصا وأبعدها من كل خير؛ فإن الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه، ولا أحد أعظم إحسانا منه سبحانه وتعالى، ولا شيء أكمل منه ولا أجمل فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعه سبحانه وتعالى ودال على كمال مبدعه، كما أن كل علم في الوجود فهو من آثار علمه، وكل قدرة فمن آثار." (١)

"فقد قصر سعي من كانت خطاه معدودة وسفه رأي من كان هواه معبوده وقل حاصل من جمع الحطام وورثه الأكال بينما أحدكم يلهو في أسبابه ويخط في سرباله ويزهو بإعجابه ولا يخطر الموت بباله إذ صدع المرض هامته وأحال الدهر قامته ذات الاعتدال ففتت الوجع في أعضاده وقطعت الصحة حبل وداده وأصبح يندب ما يسفر عنه من الأهوال. والنفوس لسوء منظره تجزع والقلوب للفكر في مصرعه تخشع وعيون أهله على فرقته في انهمال. هذا وهو بين يدي ربه محضر والروح تتصعد في حلقومه وتتحدر والأرض قد استعدت لدفن جثته إلى يوم المآل فاتقوا الله ونبهوا من غفل ولهى.

واستعدوا لهذه النازلة فالسعيد من استعد لها وودعوا شهركم هذا بما ينفعه من صالح الأعمال فقد مضى شهركم المحرم وأنت عنه في المقال فليت شعري هل فيكم من تجافى جنبه عن المضاجع في تلك الليال أو تذكر ما يعود نفعه عليه في يوم تشيب فيه الأطفال.

فتداركوا رحمكم الله ما فات في هذه الخصة وتجرعوا مياه الندم عسى أن تسيغوا بها ما للذنوب من غصة فعسى أن يمن الكريم بالمسامحة والقبول والإقبال وسلوه سبحانه العفو العافية واللطف بكم في السر والعلانية فإنه لا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال والأعمال.

وفقني الله وإياكم لعمل الساعين الأبرار وجنبنا طريق أهل التباب والخسار إن أحسن القصص والاعتبار كلام الملك العزيز الغفار والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ [الأعراف: ٢٠٤] .." (٢)

"وساعات عمرك وأخرجت ذليلا من حرمك وقصرك وبعد عنك من كنت ترجوه عند الشدائد لنصرك. أخي لقد نصحتك والمولى لا يخفاه سرك وجهرك جعلني الله وإياكم ممن سابق إلى رضاه فاستقاله مما جناه فلم يؤثر على لزوم طاعته شيئا سواه.

إن أحسن ما نطق به متكلم وأبلغ ما أصغى إليه مستفهم كلام من لا يقع في ربوبيته توهم والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ [الأعراف: ٢٠٤] .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ [البقرة: ٢٨١] . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر والحكيم ... إلخ.

١٣٠- (خطبة)

---

(١) موضوعات صالحة للخطب والوعظ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ص/١٣٨

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ١٤٨/٢

الحمد الله الذي حدد الأعوام عاما فعاما. وحددها شهورا وجمعا وأياما. وأجرى على حسب ذلك الآجال والأرزاق على مقتضى الحكمة والتدبير وافتتح كل عام بهذا الشهر المحرم وجمله بيوم عاشوراء المبجل المعظم الذي فضله في الجاهلية والإسلام شهير.

أحمده سبحانه على نعمه التي لا تحصى وأشكره على مننه التي لا تستقصى وأسأله **تعالى اللطف فيما** جرت به المقادير وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتعالي عن المشاركة والمشاكلة المنزه عن كل ما يخطر بالبال والضمير.." [(١)]

"(فصل)

١٧٥- إياك والكذب وإن نفعك في الدنيا.

١٧٦- إياك وما يعتذر منه.

١٧٧- إياك ومن مودته قدر حاجته إليك.

١٧٨- الإيمان أمان بإذن الله.

١٧٩- بئس الشعار الحسد والحقد والغضب.

١٨٠- بئس الطعام الحرام والمشتبهات.

١٨١- بادر لعمل الخير مهما أمكنك فإن الأجل يأتي بغتة.

١٨٢- بحسن المعاشرة تدوم المحبة بإذن الله جل وعلا.

١٨٣- البخل والشح واللؤم جامعات للمساوئ والعيوب.

١٨٤- البخل فقر عاجل والبخيل ذليل في الغالب.

١٨٥- بالاستقامة على طاعة الله والعمل بكتابه وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – تصلح الرعية.

١٨٦- ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا كان العنف في شيء إلا شانه.

١٨٧- بالرفق **واللطف** واللين تنقاد القلوب في الغالب بإذن الله.

تلقي الكريم فتستدل ببشره ... وترى العبوس على اللئيم دليلا

واعلم بأنك عن قريب صائر ... خبرا فكن خبرا يروق جميلا

١٨٨- بالتأني تسهل المطالب وبالعجلة يكثر الزلل

١٨٩- إحالة الأعمال وتأخيرها إلى وقت آخر يؤمل فيه الفراغ غلط." [(٢)]

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ١٥٢/٢

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ٧/٣

"ويتبين لك حقيقة النفس وصفاتها وعظمة جلال الربوبية وتفرد الرب بالكمال والأفضال وأن كل نعمة فضل، وكل نقمة منه عدل وأنت قبل هذه المقايسة جاهل بحقيقة وبربوبية فاطرها وخالقها.

فإذا قايست ظهر لك أنها منبع كل شر وأساس كل نقص وأن حدها الجاهلة الظالمة وأنه لولا فضل الله ورحمته بتزكيته لها ما زكت أبدا ولولا هداه ما اهتدت ولولا إرشاده وتوفيقه لما كان لها وصول إلى خير البتة وإن حصول ذلك لها من بارئها وفاطرها، ثم تقايس بين الحسنات والسيئات فتعلم بهذه المقايسة أيهما أكثر وأرجح قدرا وصفة.

قال: وهذه المقايسة تشق على من ليس له ثلاثة أشياء: نور الحكمة، وسوء الظن بالنفس، وتمييز النعمة من الفتنة، يعني أن هذه المقايسة والمحاسبة تتوقف على نور الحكمة وهو النور الذي نور الله به قلوب أتباع الرسل فبقدره ترى التفاوت وتتمكن من المحاسبة، نور الحكمة ها هنا هو العلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والضار والنافع، والكامل والناقص، والخير والشر ويبصر به مراتب الأعمال راجحها ومرجوحها ومقبولها ومردودها كلما كان حظه من هذا النور أقوى كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم.

أما سوء الظن بالنفس فإنما احتاج إليه لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش ويلبس عليه فيرى المساوئ محاسن والعيوب كمالا ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها، ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه. وأما تمييز النعمة من الفتنة فليفرق بين النعمة التي يرى بها الإحسان **واللطف** ويعان بها على تحصيل سعادته الأبدية وبين النعمة التي يرى بها الاستدراج فكم من مستدرج بالنعم وهو لا يدري." (١)

"لا ينفع العبد إلا ما يقدمه

فبادر الفوت واصطد قبل تصطاد

والموت للمؤمن الأواب تحفته

وفيه كل الذي يبغي ويرتاد

لقا الكريم تعالى مجده وسما

مع النعيم الذي ما في أنكاد

فضل من الله إحسان ومرحمة

فالفضل لله كالآزال آباد

فالظن بالله مولانا وسيدنا

ظن جميل مع الأنفاس يزداد

نرجوه يرحمنا نرجوه يسترنا

فمنه للكل إمداد وإيجاد

ندعوه نسأله عفوا ومغفرة

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ١٩٢/١

مع حسن خاتمة فالعمر نفاد

وقد رضينا قضاء الله كيف قضا

واللطف نرجو وحسن الصبر إرشاد

اللهم وفقنا لسلوك مناهج المتقين، وخصنا بالتوفيق المبين، واجعلنا بفضلك من المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فصل: ٣- بعض فوائد الصيام:

عباد الله إن لشهر رمضان شرفه الله فوائد عظيمة ومنافع جمة وآثار." (١)

"وتحسبها بالبشر تبطن خلة ... فيظهر منها غير ما تتحسب

إذا رضيت أعمتك عن طرق الهدى ... فما ظن ذي لب بها حين تغضب

وفي سلبها ثوب الشباب دلالة ... على أنها تعطي خداعا وتسلب

أترضى بأن ينهاك شيبك والحجا ... وأنت مع الأيام تلهو وتلعب

والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

" فصل "

قال شيخ الإسلام رحمه الله: من لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه فإن لم يكن مبغضا لشيء من المحرمات أصلا لم يكن معه إيمان أصلا.

والحاصل أن الإنسان يأتي من ذلك بما يستطيع ولا يقصر في نصرة دين الله ولا يعتذر في إسقاط ذلك بالأعذار التي لا تصح ولا يسقط بها ما أوجب الله عليه من أمر الله، وعليه بالأخذ بالرفق واللطف وإظهار الشفقة والرحمة فإن ذلك عليه مدار كبير عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ ومن الحكم أن يدعو كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم والبداءة بالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم وبما يكون قبوله أتم، والرفق واللين فإن انقاد

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣٦٢/١

بالحكمة وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

وليحذر من المداهنة في الدين، ومعناه أن يسكت الإنسان عن الأمر." (١)

"الحديث: «الولد مبخلة مجبنة» . وقال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني زيد بن واقد قال حدثني عبد الله بن بريدة قال سمعت أبي يقول: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران. فنزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما» . وهذ من كمال رحمته – صلى الله عليه وسلم – ولطفه بالصغار وشفقته عليهم، وهو تعليم منه للأمة الرحمة والشفقة **واللطف** بالصغار.

وإنما كان الصبر على السراء شديد لأنه مقرون بالقدرة والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره، وكذلك الشبق عند غيبة المرأة أصبر منه عند حضورها

مشقة الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته على العبد، فإذا اجتمع في الفعل هذا الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر وإن فقدا معا سهل الصبر عنه، وإن وجد أحدهما وفقد الآخر سهل الصبر من وجه وصعب من وجه، فمن لا داعي إلى القتل والسرقة وشرب المسكر وأنواع الفواحش ولا هو مسهل.

فصبره عنه أيسر شيء وأسهله، ومن أشتد داعيه إلى ذلك وسهل عليه فعله فصبره عنه أشق شيء ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم، وصبر الشاب عن الفاحشة، وصبر الغنى عن تناول اللذات والشهوات عند الله بمكان.

وفي المسند وغيره عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: «عجب ربك من شاب ليست له صبوة» . ولذلك استحق السبعة المذكورون في الحديث الذين يظلهم الله في ظل عرشه لكمال صبره ومشقته، فإن صبر الإمام المتسلط على العدل في قسمه وحكمه.." (٢)

"" فصل ": السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء، ودفع العين، وشر الحاسد، ولو لم يكن في هذا إلا بتجارب الأمم قديما وحديثا لكفى به. فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق.

وإذا أصابه شي من ذلك كان معاملا فيه **باللطف** والمعونة والتأييد وكانت له فيه العافية الحميدة. فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته، عليه من الله جنة واقية وحصن حصين.

والجملة: فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببا لزوالها. ومن أقوى الأسباب: حسد الحاسد والعائن، فإنه لا يفتر ولا يني ولا يبرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود فحينئذ يبرد أنينه، وتنطفئ ناره، لا أطفأها الله.

فما حرس العبد نعمة الله عليه بمثل شكرها، ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله، وهو كفران النعمة، وهو باب

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ١٣٨/٢

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣٣٥/٢

إلى كفران المنعم.

فالمحسن المتصدق يستخدم جندا وعسكرا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه، فمن لم يكن له جند ولا عسكر، وله عدو، فإنه يوشك أن يظفر به عدوه، وإن تأخرت مدة الظفر، والله المستعان.

السبب التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس وشقها عليها، ولا يوفق لها إلا من عظم حظه من الله وهو إطفاء نار الحسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشرا وبغيا وحسدا، ازدادت إليه إحسانا، وله نصيحة، وعليه شفقة.

وما أظنك تصدق بأن هذا يكون، فضلا عن أن تتعاطاه، فاسمع الآن قوله عز وجل: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم." (١)

"إذا ابتدأت الأمر سم الله ... واحمده واشكره إذا تناها

وكلما رأيت مصنوعاته ... والمبدعات من علا آياته

فاذكره سرا سرمدا وجهرا ... لتشهدن يوم الجزاء أجرا

هذا وإن تعارض الأمران ... فأبدأ بحق الملك الديان

واعمل به تنلهما جميعا ... ولا تقل سوف تكن مضيعا

وإن أتاك مستشير فاذكرن ... قول النبي المستشار مئتمن

شاور لبيبا في الأمور تنجح ... من يخف الرحمن فيها يربح

وأخلص النيات في الحالات ... فإنما الأعمال بالنيات

واستخر الله تعالى واجتهد ... ثم ارض بالمقضي فيه واعتمد

من استخار ركب الصوابا ... أو استشار أمن العقابا

من استخار لم يفته حزم ... أو استشار لم يرمه خصم

ما زالت الأيام تأتي بالعبر ... أفق وسلم للقضاء والقدر

كم آية مرت بنا وآية ... في بعضها لمن وعى كفاية

ونحن في ذا كله لا نعتبر ... ولا نخاف غيبها فنزدجر

أليس هذا كله تأديبا؟ ... فما لنا لا نتقي الذنوبا

لكن قسى قلب وجفت أدمع ... إنا إلى الله إليه المرجع

فنسأل الرحمن ستر ما بقي ... وعفوه واللطف فيما نتقي

فكم وكم قد أظهر الجميلا ... وستر القبيح جيلا جيلا

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣٤٢/٢

حتى متى لا ترعوي بالوعظ ... وأنت تنبو كالغليظ الفظ

سر سير من غايته السلامة ... وعد على نفسك بالملامة

بادر بخير إن نويت واجتهد ... وإن نويت الشر فازجر واقتصد

وخذ في عتاب نفسك الأمارة ... فإنها غدارة غرارة." (١)

"يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شعرا: ... دوام حال من قضايا المحال ... **واللطف** موجود على كل حال

والنصر بالصبر محلى الظبى ... والجد بالحد مريش النبال

وعادة الأيام معهودة ... حرب وسلم والليالي سجال

وما على الدهر انتقاد على ... حال فإن الحال ذات انتقال

من لليالي بائتلاف وكم ... من اعتبار باختلاف الليال

أخذ عطاء محنة منحة ... تفرق جمع جلال جمال

حال انتظام وانتثار معا ... كأنما هذي الليالي لآل

وهل سنا الصبح وجنح الدجى ... لخلقة الأضداد إلا مثال

والظلم الحلك على نورها ... تدل والعسر بيسر يدال

والسيف قد يصدأ في غمده ... ثم يجلي صفحتيه الصقال

والشمس بعد الغيم تجلى كما ... للغيث من بعد القنوط انهمال

والفرج الموهوب تجري به ... لطائف لم تجر يوما ببال

فصابر الدهر بحاليه من ... حلو ومر واعتدا واعتدال

فما له صبر على حالة ... وإنما الصبر حلي الرجال

ولا يضيق صدرك من أزمة ... ضاقت فصنع الله رحب المجال

وانظر بلطف العقل كم كربة ... فرجها لطف كحل العقال

وكل إليه كل حاج فما ... لذي حجى إلا عليه اتكال

وكل بدء فله غاية ... وغاية الخطب الشديد انحلال

وكل عود فله آية ... وآية العقل اعتبار المآل

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣٧/٣

وفي مآل الصبر عقبى الرضا ... من فرج يدني وأجر ينال

عجبت للعبد الضعيف القوى ... يغر بالرب الشديد المحال." (١)

"فسبعون ألفا من ملائكة الرضا

تصلي على من عاد ممسى إلى الغد

وإن عاده في أول اليوم واصلت

عليه إلى الليل الصلاة فاسند

فمنهم مغبا عد وخفف ومنهم الذي

لذي يؤثر التطويل من متودد

ففكر وراع في العيادة حال من

تعود ولا تكثر سؤالا تنكد

وذكر لمن تأتي وقو فؤاده

ومره بأن يوصي إذا خفت وارشد

وند بماء أو شراب لسانه

ولقنه عند الموت قول الموحد

ولا تضجرن بل إن تكلم بعده

فعاود بلفظ **واسأل اللطف واجهد**

ويس إن تتلى يخفف موته

ويرفع عنه الإصر عند التلحد

ووجهه عند الموت تلقاء قبلة

فإن مات غمضه ولحيه فاشدد

وملبوسه فاخلع ولين مفاصلا

وضع فوق بطن الميت مانع مصعد

ووف ديون الميت شرعا وفرقن

وصية عدل ثم تجهيزه أقصد." (٢)

"ولم يساهموا في مشاريع دينية، كبناء مساجد، وقضاء دين عن مدين ومساعدة فقير، وإجراء مياه للمسلمين، والمساعدة على نشر الإسلام وطباعة مصاحف طباعة جيدة وتوزيعها على التالين لكتاب الله، وطباعة الكتب الدينية المقوية

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ١١٨/٣

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٢٨٩/٣

للشريعة المحمدية، وبناء بيوت لمن لا مساكن لهم، ونحو ذلك.

وقسم أنفقوا المال في الملاذ والملاهي، والمنكرات، وسائر المحرمات، أذهبوها في الحياة الدنيا، واستمتعوا بها، ولم يراقبوا الله فيها، أنعم عليهم في الصحة والفراغ المفروض أن تغتنم في طاعة الله.

ولكن يا للأسف صرفت في السهر، وفي الفساد، وفي المجون والكسل والتكسع، والخمول أو التطاول بالقوة على الضعفاء، والمساكين، وإعانة الظلمة والفاسقين، ونحو ذلك، من المفاسد والشرور.

وقس على ذلك باقي النعم من السمع والبصر واللسان والرجل فلم يبق نعمة إلا وقلبوها، ولا هبة من الله إلا وجحدوها فنزلوا بعد الرفعة وذلوا بعد العزة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال بعضهم في مدح اللطيف الخبير جل وعلا وذكر بعض ألطافه:

أحاط بتفصيل الدقائق علمه

فأتقنها صنعا وأحكمها فعلا

فمن لطفه حفظ الجنين وصونه

بمستودع قد مر فيه وقد حلا

تكنفه **باللطف** في ظلماته

ولا مال يغنيه هناك ولا أهلا." (١)

"من توبة؟ فقال: «هل لك من أم» . وفي رواية ابن حبان والحاكم «هل لك والدان» ؟ قال: لا. قال: «فهل لك من خالة» . قال: نعم، قال: «فبرها» . ومن الفوائد أن أبا هريرة رأى رجلا يمشي خلف رجل فقال: من هذا؟ قال: أبي قال: لا تدعه باسمه، ولا تجلس قبله، ولا تمشي أمامه.

وذكر في الحديث في تفسير قوله تعالى: ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ عنه صلى الله عليه وسلم قال: «المصاحبة بالمعروف أن يطعمهما إذا جاعا ويكسوهما إذا عريا» .

ومن حقوقهما خدمتهما إذا احتاجا أو أحدهما على خدمة وإجابة دعوتهما، وامتثال أمرهما ما لم يكن معصية لله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ومن حقوقهما التكلم معهما باللين **واللطف**، ومن ذلك أن لا يدعوهما باسمهما، وأن يمشي خلفهما، وأن يدعو الله لهما بالمغفرة والرحمة. والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

(موعظة)

عباد الله أحسنوا إلى الوالدين ما أمكن لكم الإحسان، وإن حسبتم أنكم كافأتموهم في ذلك الإحسان، وكنوا معهما في غاية الأدب والاحترام، واحذروا سوء الأدب عندهما وإلا هويتم في هوة شقاء ما لها من قرار وكونوا معهما في إجلال واحترام، وتقدير تام وإن حصل منهما لك ظلم.

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣/٤٠٢

لأنهما اللذان لولا الله ثم لولاهما لم تخرج على هذا الوجود ولأنهما اللذان سخرهما الله لك فصبرا على ما رأيا من الأهوال، وسخرهما لتربيتك والعناية بك في هذه الحياة. تذكر زمن حمل أمك." (١)

"يعقوب وإذا أصبح نادى مناديه من كان مفطرا فليفطر على طعام يعقوب» . رواه الحاكم والبيهقي والأصبهاني واللفظ له.

شعرا: ... ألم تر أن النفس يرديك شرها ... وأنك مأخوذ بما كنت ساعيا

فمن ذا يريد اليوم للنفس حكمة ... وعلما يزيد العقل للصدر شافيا

هلم إلي الآن إن كنت طالبا ... سبيل الهدى أو كنت للحق باغيا

فعندي من الأنباء علم مجرب ... فمنه بإلهام ومنه سماعيا

أخبر أخبارا تقادم عهدها ... وكيف بدأ الإسلام إذ كان باديا

وكيف نمى حتى استتم كماله ... وكيف ذوى إذ كالثوب باليا

ومن بعد ذا عندي من العلم جوهر ... يفيدك علما إن وعيت كلاميا

فأحوج ما كنا إلى وصف ديننا ... ووصف دلالات العقول زمانيا

فقد ندب الإسلام أحمد ندبه ... كما ندب الأموات ذو الشجو شاجيا

فأول ما أبدأ فبالحمد للذي ... برانى للإسلام إذ كان باريا

وصيرني إذ شاء من نسل آدم ... ولم أك شيطانا من الجن عاتيا

ولو شاء من إبليس صير مخرجي ... فكنت مضلا جاحد الحق طاغيا

ولكنه قد كان **باللطف** سابقا ... وإذا لم أكن حيا على الأرض ماشيا

وصيرني من بعد في دين أحمد ... وعلمني ما غاب عنه سؤاليا

وفهمني نورا وعلما وحكمة ... فشكري له في الشاكرين موازيا

فمن أجل ذا أرجوه إذ كان ناظرا ... لضعفي وجهلي في الملائم حاليا

ومن أجل إذا أرجوه إذا كان غافرا ... ومن أجل ذا قد صح مني رجائيا

ولو كنت ذا عقل لما قد رجوته ... لقد كنت ذا خوف وشكري محاذيا

ولو كنت أرجوه لحسن صنيعه ... شكرت فصح الآن مني حيائيا

فشكري له إذ صبرت بالحق عالما ... وللشر وصافا وللخير واصيا." (٢)

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٤٣٤/٣

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٤٨٠/٣

"تنزع الرحمة إلا من شقي» . أي ولا تسكن إلا في قلب تقي فالرحمة فضيلة والقسوة والغلظة رذيلة وعمل منكر والرحمة لا تختص بالإنسان بل تعم الحيوان وكل ذي روح وإحساس.

فمن آثارها ما يجده الوالد لولده وآثرها تقبيله ومعانقته وشمه وضمه وحنوه عليه كما صنع الله عليه وسلم بالحسين والحسن رضي الله عنهما ومن أثرها تأديبه وتربيته وإجابة رغائبه ما دامت في سبيل المصلحة وإبعاده من الشر.

وتكون الرحمة بالآباء والأمهات **وأثرها اللطف بهما** والعطف عليهما والقول الكريم لهما وصنع الجميل فيهما والذب عنهما والحنو عليهما والشفقة عليهما وإظهار البشر لهما قال الله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ .

ومن آثارها جريان الدمع مع العين وذرفها عند المصيبة كما كان صلى الله عليه وسلم حال وفاة ولده جعلت عيناه تذرفان الدمع فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»

.

ولذا أجاب الأعرابي الذي قال: أتقبلون صبيانكم فما نقبلهم قال له: «أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك» ومن آثار الرحمة بالقريب والصديق أن تخصه بمزيد من البر والإحسان فتنفس كربه وتخفف ألمه وتفرج همه وتسعى لإزالة الشحناء ورفع البغضاء ويواسي فقره ويرشده عند الحيرة وينبهه عند الغفلة وينصحه إذا استنصحه ويعين العاجز ويعود." (١)

"يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له» . قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجر؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر» . والله أعلم. وصلى الله على محمد.

(فصل)

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن للجار على جاره حق عظيم في الأديان كلها والشرائع والأوضاع كافة، والعرب كانوا يعظمون حق الجار ويحترمون الجوار في الجاهلية قبل الإسلام، ويعتزون بثناء الجار عليهم ويفخرون بذلك، والضعيف إذا جاور القوي صار قويا بإذن الله، له ما لهم وعليه ما عليهم، وحين جاء الإسلام أعزه الله وأكد حق الجوار وحث عليه وجعله بعد القرابة وكاد يورثه.

والجار يطلق ويراد به الداخل في الجوار ويطلق على المجاور في الدار، وعلى الساكن مع الإنسان في البلد، وعلى أربعين دارا من كل جانب وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو المشرك له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار والإسلام، وجار له ثلاثة حقوق وهو المسلم القريب، له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم» .

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٤٨٦/٣

إذا عرفت ذلك فتعلم أن من توفيق الإنسان وسعادته أن يكون في بيته يشعر بالعطف **واللطف** عليه والتقدير له والمحبة له، ومن قلة توفيقه." (١)

".. وأحسن مقرونين في عين ناظر ... جلالة قدر في خمول تواضع ...

آخر: ... ليس الخمول بعار ... على امرئ ذي جلال ... ›

... فليلة القدر تخفى ... وتلك خير الليال ...

آخر: ... إن التواضع من خصال المتقي ... وبه التقي إلى المعالي يرتقي ... ›

... ومن العجائب عجب من هو جاهل ... في حاله أهو السعيد أم الشقي ...

... أم كيف يختم عمره أو روحه ... يوم النوى متسفل أو مرتقي ...

... والكبرياء لربنا صفة له ... مخصوصة فتجنبها واتقي ... ›

وقال بعض الحكماء: من برئ من ثلاث نال ثلاثا من برئ من السرف نال العز ومن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال كرامة التواضع. وقال مصعب بن الزبير: التواضع مصائد الشرف. وقيل في منثور الحكم من دام تواضعه كثر صديقه.

أما المتكبر فهو كالمغرور فإنه كثيرا ما تفوته الحقائق العلمية لأنه تأبى عليه نفسه أن يأخذ الحق حيث وجده ولهذا قيل ضاع العلم بين الحياء والكبر ثم إن كان المتواضع تلميذا يجد لطفا وعطفا من الأستاذ فلا يبخل عليه بمجهوده ولا يشح عليه بفائدة لأن التواضع يستلزم الأدب.

وأما أحسن الأدب والتواضع **واللطف** مع المعلم الذي يبذل جهده في سبيل تثقيفه وتهذيبه وتربيته تربية صالحة وأنه بتواضعه وحسن سيرته مع معلمه يبرهن على أنه ممن يعرف قدر العلم والعلماء وأنه يدرك قيمة المعروف وأنه ممن يجازي على الإحسان بالإحسان.

أما المتكبر الذي يتكبر ويتعاظم في نفسه ويحمله الكبر على سوء الأدب واحتقار المعلم فهو بالحقيقة غبي جاهل جلف فدم لا يعرف للعلم قيمته ولا يريد أن يخرج من جهله وهذا شيء مشاهد معروف فإنك ترى المتكبرين على المعلمين يعمهون في حمقهم وجهلهم ولا يخرجون عن السخف فضلا عما." (٢)

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٤٨٨/٣

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ١٥٢/٤

"بالإحسان إليها واللطف بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره وإيصالها حقها من النفقة. والكسوة والعشرة الجميلة لقوله تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ .

ولقوله : «ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن (أي ضربا غير مبرح) فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا.

ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» .

وقال : «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله : «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم» .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله : «إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله» .

وقال : «إن المرأة خلقت من ضلع، فإن أقمتها كسرتها فدارها تعش بها» . رواه ابن حبان في صحيحه.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء» . وفي رواية." (١)

"شعرا:

كرهت وعلام الغيوب حياتي ... وأصبحت أرجو أن تحين وفاتي

فشا السوء إلا في القليل من الورى ... وخاضوا بحار اللهو والشهوات

وضاعت لديهم حرمة الدين واغتدت ... نفوسهموا في الفسق منغمسات

وقد فسدت أخلاقهم وتغيرت ... وأضحت خلال الخزي منتشرات

وسار الخنا فيهم فلست أري سوى ... كتائب فساق وجمع طغاة

فمنهم كذوب في الوداد مخادع ... أراه صديقي وهو رأس عداتي

يقابلني بالبشر واللطف عندما ... يراني ويدعو لي بطول حياتي

وإن غبت عنه سبني وأهانني ... وعد عيوبي للورى وهناتي

ومنهم شقي همه الفسق والزنا ... ولو كان عقباه إلى الهلكات

تلاقيه يجري خلف مسلمة بلا ... حياء ولا خوف من اللعنات." (٢)

"الله بما آتاه ومن عليه بالتواضع.

... أيا لائمي مالي سوى البيت موضع

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٢٦٧/٤

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣٣٧/٤

أرى فيه عزا إنه لي أنفع

فراشي ونطعي فروتي فرجيتي

لحافي وأكلي ما يسد ويشبع

ومركوبي الآن الأتان ونجلها

لأخلاق أهل الدين والعلم أتبع

وقد يسر الله الكريم بفضله

غنى النفس مع شيء به أتقنع

أوفره للأهل خوفا يراهم

عدو بعيش ضيق فيشنع

وأصبر في نفسي على ما ينوبني

وأطلب عفو الله فالعفو أوسع

وما دمت أرضى باليسير فإنني

غني لغير الله ما كنت أخضع

وربي قد آتاني الصبر والغنى

عن الناس في هذا لي العز أجمع

وقد مر من عمري ثلاث أعدها

وستون في روض **من اللطف أرتع**

ووجهي من ذل التبذل مقفر

مقل ومن عز القناعة موسع ... › ." (١)

"فيه القيام وتتابع فيه الهموم والآلام وتظهر الجرائم والآثار وينقطع فيه الكلام.

ياله من يوم، يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم الزلزلة والطامة يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة يوم الصاخة: ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ .

شعرا: ... كأس المنية دائر ما بيننا ... يسقيكموا ويدور للندماء

في الموت أعظم عبرة لمبصر ... أو عبرة ممزوجة بدماء

فهو المصيبة وهو أكبر آية ... مفني الوراء ومحنة العقلاء

وهو الرزية والبلية والذي ... يسطو على الآباء والأبناء

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٥٤٦/٤

فاشدد حيازيم الرحيل إلى الأولى ... واخرج من الأدواء والحكماء

إن الغنائم في التوكل والرضا ... ليست مع الصفراء والحمراء

لو أن عمرا من طبيب يشترى ... عاش الطبيب ولم يمت بالداء

يا موت أقرب من يكون على الفتى ... تلقيه في الصعقاء والرمضاء

يا موت ما لك لا تبقي ماجدا ... يا هاذم اللذات والسراء

يا فتنة الأمراء والوزراء يا ... مستهلك الشرفاء والخلفاء

يا حسرة الظرفاء **واللطفاء** يا ... مستأصل النبلاء والنجباء

الموت حتم يوم يأتي وعده ... ما وعده وعدا بغير فاء

كم فل جيشا كم رمى من أسهم ... كم فض شملا كم قضى بعزاء

كم خص طفلا كم كوى من والد ... كم هد ركنا بعد دك بناء

كم فض نفسا كم برى من حاكم ... من بعد عز قائم وحصاء

لا عز للدنيا الدنية أهلها ... دار الفنا ليست بدار بقاء

ثم الصلاة على النبي المصطفى ... من صفوة الفصحاء والنجباء

والآل والأصحاب أعلام الهدى ... ما سار ركب الحج في البطحاء." (١)

"ابن الجزار أيضا مع المبدأ الإسلامي في تربية الطفل بأن آخر العقاب الضرب بعد أن تفشل الوسائل الأخرى مثل الترغيب والترهيب.

العدل في المعاملة:

إن أساس المعاملة في الإسلام هو العدل، يستوي في ذلك الصغار والكبار على السواء. فقد أوجب الإسلام على الآباء العدل بين أولادهم. قال صلى الله عليه وسلم: "اعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يعدل بينكم" وقال صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم". كما أوجب على الآباء المساواة بين الأبناء وعدم التمييز بينهم في المأكل والملبس والعطاء والمحبة والتقدير.

احترام الطفل ومعاملته **باللطف:**

تؤكد التربية الإسلامية على ضرورة احترام الطفل واحترام شخصيته وعدم التقليل من شأنه لصغره. كما يجب معاملته **باللطف** واللين، ومن الشواهد على ذلك: أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا مر على الصبيان سلم عليهم، واقتدى صحابته به في ذلك. وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لا يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا" وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلاطف الأطفال ويمازحهم ليدخل السرور على قلوبهم كما كان يهش ويبش في وجوههم. ويروى أن أناسا من الأعراب قدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ قال: "نعم" قالوا: لكنا والله ما نقبل: قال

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٥/٤٣٥

صلى الله عليه سلم: "أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلوبكم" وقال صلى الله عليه وسلم: "من كان له صبي فليتصاب له".

الرفق في المعاملة:

من الاعتبارات الإسلامية الهامة في معاملة الصبي الرفق به، وعلى المعلم أن يترفق بتلاميذه ولا يتشدد معهم. ومن حسن رعايته لهم أن يكون بهم رفيقا وعليه أن يجريهم منه مجرى بنيه. وإذا ما أخطأ الصبي منتهكا الطريق السوي راضه المعلم مبينا له السبيل التي ينبغي سلوكها وأول سبل الرياضة الإفهام والتنبيه. يقول ابن مسكويه:

"وإذا أخطأ الصبي فأولى ألا يوبخ عليه ولا يكاشف بأنه أقدم عليه بل." (١)

"الفضيلة وصفاتها الأخلاقية:

يسلك ابن مسكويه في نظرته إلى المستقبل مسلك أرسطو الذي يقول بأن الفضيلة وسط بين رذيلتين أو نقيضين كل منهما ليس بفضيلة. ويؤكد ابن مسكويه أن هذه الفضائل لا تحقق إلا بالممارسة والتعامل بين الناس. وذلك أن فصيلة الفرد من فضيلة الجماعة والعكس. كما أن خير الفرد من خير الجماعة والعكس صحيح أيضا. ومن هنا تكون العلاقة بين الفرد والجماعة علاقة تفاعلية تبادلية تقوم على أساس الأخذ والعطاء وكل منهما يستمد قوته من الطرف الآخر.

وأمهات الفضائل عن ابن مسكويه الحكمة والشجاعة والعفة والعدل. وإذا كانت الحكمة ترتبط بالعقل والشجاعة ترتبط بالقلب والعفة ترتبط بالحسن فإن العدل كما يراه ابن مسكويه هو العدل بين هذه الفضائل حتى لا تشط إحداها إلى أحد طرفيها فتصبح رذيلة. فالحكمة قد تصبح سفها أو بلاهة والشجاعة قد تصبح تهورا أو جنبا والعفة قد تصبح شرها أو خمودا "عزوفا". وينقلب الإنسان من أخلاق الفضيلة إلى أخلاق الرذيلة، ويندرج تحت ما يسميه ابن مسكويه بالنفوس الضالة الشريرة.

ويورد ابن مسكويه الصفات الأخلاقية التي تتدرج تحت كل فضيلة. ففضيلة الحكمة يندرج تحتها صفات منها الذكاء وهو سرعة اقتراح النتائج وسهولتها على النفس. ومنها الذكر أو التذكير وهو ثبات صورة ما يخلعه العقل أو الوهم من الأمور. ومنها التعقل وصفاء الذهن وقوته وسهولة التعلم وحدة الفهم للأمور النظرية. وفضيلة العدل أو العدالة يندرج تحتها صفات منها حسن القضاء والمعاملة والألفة والمحبة وصلة الرحم وترك الحقد والمعادة **واستعمال اللطف وترك** القيل والقال والبحث عن السؤال. ويندرج تحت فضيلة العفة صفات أخلاقية منها الحياء والورع والوقار والقناعة ومقاومة الهوى بالصبر والعطاء. ويندرج تحت فضيلة الشجاعة صفات أخلاقية منها عظم الهمة وكبر النفس والنجدة والشهامة والثبات والحلم واحتمال الكد والكدح. وقد نقل الغزالي عن ابن مسكويه كثيرا من هذه الصفات. "انظر: طه عبد الباقي سرور: ص١١٤، والإحياء: ص٣، ص٥٣".." (٢)

"الاسترسال في وعد أو وعيد يعجز عنها المتكلم ولا يقدر على الوفاء بها. ومن آداب الكلام العمل بالقول وأن ما يقال يصدقه العمل ومن آدابه أيضا مراعاة مخارج الكلام بحسب مقاصده وأغراضه. فإن كان ترغيبا قرن الكلام باللين

---

(١) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية محمد منير مرسي ص/٢٠٨

(٢) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية محمد منير مرسي ص/٣٢٤

واللطف وأن كان ترهيبا خلطه بالخشونة والعنف. ومن آدابه أيضا ألا يرفع بكلامه صوتا مستكرها وأن يتأنى مستقبح الكلام، وليعدل إلى التلميح فيما استقبح فيه التصريح. ومن آداب الكلام اجتناب أمثال العامة الغوغاء والتمثل بأقوال العلماء والأدباء.

ويتحدث عن الصبر والجزع. ويذكر ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب". وقوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا﴾ . وقال بعض البلغاء: "من صبر نال ما تمنى". والصبر مفتاح الفرج. ويقول الشاعر:

إن الأمور إذا سدت مطالبها ... فالصبر يفتق منها كل ما ارتجا

لا تيأس وإن طالب مطالبة ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

ويتحدث عن الجزع فيذكر إن من أسبابه تذكر المصاب وشدة الحسرة والأسف وكثرة الشكوى واليأس.

ويتحدث عن المشورة ويعتبر أن من الحزم لكل ذي لب ألا يعمل شيئا إلا بمشورة ذوي الرأي الناصح وذي العقل الراجح. قال تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "المشورة حصن من الندامة وأمان من الملامة".

ويروي الماوردي ضرورة توفر خصال خمس في الشخص المطلوب مشورته هي العقل الكامل وكثرة التجارب والدين والتقوى وأن يكون ناصحا ودودا، سليم الفكر وألا يكون له غرض في الأمر موضع الاستشارة. ويتحدث الماوردي عن كتمان السر فيرى أنه من أقوى أسباب النجاح وأدوم لأحوال الصلاح.

ويتحدث عن المزاح والضحك فيرى في المزاح ذهاب الهيبة وتجرئ أو." (١)

"طريقة التعليم:

يشير الطهطاوي في طريقة التعليم بالنسبة للمتعلم إلى بعض المبادئ التي سبق أن قررها سابقوه منها أن يبدأ المتعلم بالعلوم الأهم وألا يخرج المتعلم من علم إلى غيره إلا بعد أن يجيده وأن يقسم الدرس إلى أقسام حتى يسهل استيعابه وحفظه واعتبر المناظرة والمطارحة أجدى في تحصيل العلوم من التكرار. ويجب على المتعلم أن يأخذ العلوم عن أساتذتها. ويحذر الطهطاوي من استخدام الكتب إلا في علم الحديث.

تعليم المرأة:

ينظر الطهطاوي إلى المرأة على أنها أجمل ما صنع الله القدير وهي قرينة الرجل في الخلقة والمعينة له في تدبير أمره والحافظة لأطفاله والقائمة بأمر عياله والمسلية له في أيام حياته. وهي تمتاز عن الرجل باللين **واللطف** والرخاوة، ويعتبر الطهطاوي أن التربية أساس صلاح المرأة ومن صفات كمالها. وترفع قدرها في نظر الرجل، والتعليم يزيل عنها سخافة العقل والطيش الذي يصيب المرأة الجاهلة. كما أن التعليم يمكن المرأة من العمل على قدر قوتها وطاقتها. وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن

---

(١) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية محمد منير مرسي ص/٣٥٤

البطالة فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل. فالعلم يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة. ويرد الطهطاوي على التخوف من تعلم المرأة يقول: "إن التجربة في كثير من البلاد قضت أن نفع تعليم البناب لا ضرر فيه" ويستعين أيضا بما روي في كتب الأحاديث وما كان في زمن الرسول من تعليم النساء والتعليم الذي يليق بالبنات في نظره هو القراءة والكتابة والحساب وبعض الصنائع كالخياطة والتطريز.

وهو يرد على من ذهب على تحريم تعليم القراءة والكتابة والحساب وبعض الصنائع وأنها مكروهة في حقهن لما قد يؤدي إليه تعليمها من إساءة استخدام، بأن ذلك لا ينبغي أن يكون عمومه. ويضرب أمثلة بمن كان يعرف القراءة والكتابة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن من النساء في كل زمان.

ويرجع التشدد في عدم تعليم المرأة إلى المبالغة في الغيرة عليها وفي ذلك يقول: "وليس مرجع التشديد في حرمان البنات من الكتابة إلا التغالي في الغيرة عليهن من إبراز محمود صفاتهن أيا ما كانت في ميدان الرجال تبعا للعوائد المحلية المشوبة بحمية جاهلية، ولو جرب خلاف هذه العادات لصحت التجربة" "المرجع السابق: ص٢٩٤"." (١)

"٤- التربية بتكوين العادات الحسنة:

العادة تلعب دورا كبيرا في حياة الإنسان، والإسلام يستخدم العادة كوسيلة من وسائل التربية، وذلك عن طريق تحويل الخبرة والقيم الثابتة إلى عادات يقوم بها الفرد دون مجهود، وقد سار منهج التربية الإسلامية في اتجاهين من أجل تكوين العادات الجديدة عند المسلمين الأوائل، الاتجاه الأول يتمثل في تخليصهم من العادات القديمة السيئة، والاتجاه الثاني ينحو إلى تثبيت العادات الجديدة والمبادئ السامية والقيم العليا.

ولتخليص الجماعة الإسلامية الأولى من العادات السيئة فقد اهتدى المنهج إلى طريقتين أيضا: "الطريقة الأولى: هي الاستئصال والحسم منذ اللحظة الأولى، وذلك تجاه الشرك بكل عاداته وتصوراته، وعادة وأد البنات، وكذلك عادات الكذب والغيبة والنميمة والكبرياء الزائف، وهذه كلها عادات فردية، والطريقة الثانية: وهي طريقة التدرج في تكوين العادات، خاصة العادات "الاجتماعية" التي لا تقوم على مشاعر الفرد وحده، وإنما ترتبط بأحوال اجتماعية واقتصادية متشابكة، مثل الخمر والزنى والرق والربا"١.

ويقوم المنهج الإسلامي في التغيير الاجتماعي على إثارة الوجدان وبعث الرغبة في العمل وتكوين الميل، ثم تحويل الرغبة والميل إلى عمل وسلوك واقعي فيتطابقان، ولنأخذ الصلاة مثلا لذلك، فالصلاة تتحول بالتعود إلى عادة ثابتة تلح على الإنسان ولا يستريح حتى يؤديها، ويسري ذلك على الصوم والزكاة وكل الآداب وأنماط السلوك الإسلامي، مثل آداب الطعام والشراب، وآداب النوم، وآداب التحية، وآداب الحديث، وتجدر بنا الإشارة إلى أن القدوة عامل مهم في تكوين العادة فضلا عن التشجيع والتلقين والإلزام **باللطف** أو بالشدة.

---

(١) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية محمد منير مرسي ص/٤٣٩

١ علي أحمد مدكور، مرجع سابق، ص٣٥١.." (١)

"عندما قدمت إلى المدينة عند افتتاح الجامعة الإسلامية في عام ١٣٨١هـ كنت أسمع ويتردد على سمعي الشيخ عمر مدير دار الحديث، فذهبت إليه ودخلت مع باب الدار الذي هو إلى جهة الجنوب، وبعدما يدخل الإنسان مع هذا الباب يجد أمامه ساحة واسعة وعلى يساره غرفة هي مكان مدير الدار وإذا الشيخ عمر رحمه الله تعالى في زاوية من زوايا هذه الغرفة على مكتبه، فسلمت عليه ورأيت من أول وهلة منه السماحة **واللطف** والبشر والدعاء ومحبة الخير للناس.

فكان هذا أول لقاء حصل لي معه وأول تعرف عليه في تلك الجلسة التي دخل حبه في قلبي، وبعد ذلك توطدت العلاقة بيني وبينه ولاسيما بعدما انتقل إلى الجامعة الإسلامية، فكنت لا يمر يوم غالبا إلا وألتقي به وأجلس معه وأستأنس به كثيرا رحمه الله تعالى، ثم في عام ١٣٨٩هـ وكذلك في العام الذي." (٢)

"أعرف السبب، فقد أخذت الدموع تنهمر على وجهي، ووجدت نفسي أنتحب بشدة.... وكلما ازداد بكائي، ازداد إحساسي بأن قوة خارقة **من اللطف والرحمة** تحتضنني. ولم أكن أبكي بدافع من الشعور بالذنب، رغم أنه يجدر بي ذلك، ولا بدافع من الخزي أو السرور ... لقد بدا كأن سدا قد انفتح مطلقا عنان مخزون عظيم من الخوف والغضب بداخلي. وبينما أنا أكتب هذه السطور، لا يسعني إلا أن أتساءل عما لو كانت مغفرة الله عز وجل لا تتضمن مجرد العفو عن الذنوب، بل وكذلك الشفاء والسكينة أيضا ... ظللت لبعض الوقت جالسا على ركبتي، منحنيا إلى الأرض، منتحبا ورأسي بين كفي. وعندما توقفت عن البكاء أخيرا، كنت قد بلغت الغاية في الإرهاق. فقد كانت تلك التجربة جارفة وغير مألوفة إلى حد لم يسمح لي حينئذ أن أبحث عن تفسيرات عقلانية لها ... وقد رأيت حينها أن هذه التجربة أغرب من أن أستطيع إخبار أحد بها. أما أهم ما أدركته في ذلك الوقت فهو أنني في حاجة ماسة إلى الله وإلى الصلاة، وقبل أن أقوم من مكاني، دعوت بهذا الدعاء الأخير: «اللهم، إذا تجرأت على الكفر بك مرة أخرى، فاقتلني قبل ذلك، خلصني من هذه الحياة ... ومن الصعب جدا أن أحيا بكل ما عندي من النواقص والعيوب لكنني لا أستطيع أن أعيش يوما واحدا آخر وأنا أنكر وجودك» .

....

(١) الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمسح أثر ماء الوضوء، تارة، ويدعه تارة، وقال بعض العلماء أن تركه محمول على قصد التبرد وليس قصد التقرب، وبعضهم ذهب إلى أن السنة ترك المسح أحيانا، وفعله أحيانا والله أعلم ...

(٢) الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يلمس بإبهاميه شحمة أذنيه، وإنما كان يرفع يديه عند التكبير حذو منكبيه أو حذو إذنيه مضمومة الأصابع مستقبلا بكفيه القبلة.. والله أعلم..

---

(١) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها عاطف السيد ص/٥٩

(٢) الشيخ عمر بن محمد فلاته رحمه الله وكيف عرفته عبد المحسن العباد ص/١٤

المصدر: إحدى الصحف السعودية." [١]

"والأستاذ يس فى انسياقه وراء المذاهب الوثنية قد هدم الأساس الأول الذى بنيت عليه عقيدة الثالوث من حيث أراد تبريرها وتدعيمها، ذلك أن عقيدة الثالوث مؤسسة على الاعتقاد بمشابهة المخلوقات للخالق، وبأن البشر والحيوانات والنباتات الراقية مكونة من ثلاثة أجزاء كالله الثالوث تماما، فالمماثلة والمشابهة بين الخالق والمخلوق هى الدعامة الأولى لعقيدة الثالوث.

ونحن إذا أخذنا الإنسان، صورة الله ومثاله كما تقرر نظرية الثالوث، لوجدناه يتصف بعدة صفات متباينة مختلفة، وبعدة خصائص متغايرة متعارضة، تظهر أى منها وقت الحاجة إليها، وتبعا للظروف التى اقتضتها.

فمن صفات الإنسان مثلا: العطف والحنان والقسوة والانتقام، والإنسان نفسه قد تدعوه الظروف تارة إلى القسوة، وتارة أخرى إلى الرحمة.

فالجندى الذى يكون رحيما عطوفا مع ابنه الصغير هو نفسه الجندى الصلب القاسى مع أعداء وطنه ومستعمريه، والمدرس الذى يقسو على الطلاب الخاملين هو نفس المدرس الذى ينبض عطفا على الطلاب النابغين، والعاشق الذى يذوب رقة فى معاملة محبوبته قد يكون قاسيا فى معاملة موظفيه وعماله، وهكذا بالنسبة لبقية الصفات والخصائص التى يتحلى بها الإنسان، والتى تظهر أى منها تبعا للظروف والملابسات التى فرضتها وحتمتها. ولم يقل أحد إن من يقسو لظرف لا يرحم لآخر، أو من يحب شخصا لا يكره آخر.

بل إنه حتى الوحوش المفترسة قد أودعت فيها مع القوة والقسوة العطف والحنان، بحيث يمكن أن تتحول فى لحظة من التوحش إلى الوداعة ومن العنف إلى **اللطف**، فالأسد الذى ينقض فى شراسة على فريسته لينهش لحمها ويفتت عظامها، هو الأسد نفسه الذى ينساب ليونة فى تدليل زوجته، وهو الأسد نفسه الذى يعتصره الحزن والألم عند موت وليده، والأسد كما هو فى كافة حالاته، وبجميع صفاته وخصائصه المختلفة المتباينة.." [٢]

"عندما غادرت أمي البيت، أخذت دور العناية بأبي وأخوي الاثنين. واستمر ذهابنا إلى الكنيسة، ولكن بسبب زيارتنا لأمي في عطل نهاية الأسبوع، أصبحت زياراتنا للكنيسة أقل. عندما كنا في بيت والدي، كنا نتجمع ليلا –وفي كل ليلة– لقراءة "الرسالة الأولى إلى مؤمني كورونثوس (١-١٣) " والتي تتحدث عن المحبة والإحسان. وقد كررت القراءة معهم مرات كثيرة جدا حتى حفظتها عن ظهر قلب. فقد كانت تمثل نوعا من الدعم المعنوي لأبي، على الرغم من أني لم أكن أفهم لماذا.

وفي فترة ثلاث سنوات متتالية انتقل أخي الأكبر، ثم أخي الأصغر، ثم أنا إلى بيت والدتي. وفي ذلك الوقت لم تعد أمي

---

(١) رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا عبد الرحمن محمود ص/٢٤٥

(٢) رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا عبد الرحمن محمود ص/٣٥٣

تذهب إلى الكنيسة، وهكذا وجد أخواي أن الذهاب إلى الكنيسة ليس ضروريا. وبانتقالي إلى بيت أمي –خلال السنة قبل الأخيرة من مرحلة الدراسة الثانوية– أنشأت صداقات جديدة، واكتشفت طريقة مختلفة في الحياة. ففي يومي الدراسي الأول تعرفت إلى فتاة كانت غاية في **اللطف**. وفي اليوم الدراسي التالي دعتني لزيارتها في بيتها خلال عطلة نهاية الأسبوع، لأقابل عائلتها وأزور كنيستها. تقبلتني عائلتها على الفور "كفتاة طيبة" و "قدوة حسنة" لها. وأيضا صدمتني المفاجأة من جماعة المصلين الذين حضروا إلى كنيستها، فعلى الرغم من أني كنت غريبة عنهم إلا أن كل النساء والرجال حيوني بالعناق والقبل وجعلوني أشعر بأني في موضع ترحيب.." (١)

"فهذه القضية – قضية الألوهية – الدليل الهادي فيها هو دليل الوحي. وما لم يستصحبه العقل، فهو عرضة للأوهام والتخليطات بين الصحيح فيها وغير الصحيح. مما يفسد العقل ذاته، ويفسد استقامته على الطريق (١).

(إن كل ما ينشئه العقل البشري من عند نفسه عن هذه الحقيقة – حقيقة الألوهية – إنما هو ظن وخرص، فهو لم ير الله، ولا يمكن أن يراه في الحياة الدنيا، والحقيقة الإلهية أكبر من هذا العقل، ومن هذا الكون. فلا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق ما يعرفنا صاحبها – سبحانه وتعالى – في حدود ما يعلم هو أن العقل البشري قادر على تصوره وإدراكه) (٢).

(إن القرآن وهو يصحح صورة الألوهية في عقول البشر، كان يصحح في الوقت ذاته منهج التفكير العقلي بجملته، ويعلم الإنسان كيف يفكر تفكيرا صحيحا، فيعتمد على عقله فيما هو من شئون العقل، ويستصحب دليل الوحي فيما وراء ذلك ليهتدي العقل بهذا الدليل القطعي، ولا يعتمد على الظن في قضية كبرى كهذه القضية) (٣).

التفكر يقود إلى المعرفة:

معنى ذلك أن توجيه العقل للتفكر في خلق الله والاعتبار بأحداث الحياة، وربطها به سبحانه، هو الطريق الأساسي للمعرفة: ﴿ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون﴾ [غافر:٨١].

والمتدبر لآيات القرآن يجدها في مواضع كثيرة تحث الناس على الانتفاع بالآيات والرسائل الإلهية والاعتبار بها؛ لأنها الطريق الأكيد لمعرفة الله عز وجل ومن ثم عبوديته .. تأمل قوله تعالى: ﴿إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين (٣) وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون (٤) واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون (٥) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ [الجاثية:٣ – ٦].

وفي مقابل الحث القرآني على الانتفاع بالآيات والاستدلال من خلالها على أسماء الله وصفاته، نجد الترهيب الشديد لمن كذب بهذه الآيات أو غفل عنها ولم يعتبر بها: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾ [السجدة:٢٢].

وما أكثر الآيات التي يغفل عنها الناس: ﴿وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾

---

(١) رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا عبد الرحمن محمود ص/٥٣١

[يوسف:١٠٥].

جاء في بعض الآثار أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه: "أدرك لي لطيف الفطنة، وخفي **اللطف**، فإني أحب ذلك، قال: يا رب ما لطيف الفطنة؟ قال: إن وقعت عليك ذبابة فاعلم أني أنا أوقعتها فاسألني رفعها. قال: وما خفي **اللطف؟** قال: إذا أتتك حبة فاعلم أني أنا ذكرتك بها" (٤).

---

(١) مقومات التصور الإسلامي ص (٢٩٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) إغاثة اللهفان لابن القيم (١:٥٤) طبعة المكتب الإسلامي.." [1]

"فكن معه وسيحميك ويحرسك ويحفظك ويسددك وينجيك ، وإن ابتلاك فسيرضيك.

قال ابن القيم – رحمه الله –: " اصدق الله ، فإذا صدقت عشت بين عطفه ولطفه ، فعطفه يقيك ما تحذره ، ولطفه يرضيك بما يقدره " اهـ.

ستعيش وتحيا بين العطف **واللطف** .. فيعطف عليك .. فكل ماتخاف منه لن يحدث ، لأنه – سبحانه – هو الملك – فلا يجرى فى الكون شيء إلا بقدره وإذنه ومشيئته ، فسيحميك بعطفه .. وإذا قدر عليك شيئا تكرهه فسيرضيك بلطفه.

إذا فكل لله كما يريد ، يحميك ويرضك .. فسلم له تسلم.

فلان كان يقود السيارة وفى لحظة القدر لم ير أمامه ، فكانت الحادثة .. وفيها حصل العطف **واللطف** .. فالعطف: أن السيارة تكسرت لكنه خرج هو وأولاده سالمين .. هذا عطف ..

أما **اللطف**: فإنه نزل من السيارة ساجدا يقول: الحمد لله .. يقولون له: السيارة انتهت ، يقول: يا أخى ، الحمد لله ، الحمد لله .. فهذا لطف .. وعلى العكس: من يحلق لحيته: فيعصى فيؤذى فيتلفظ بما يسخط الله .. فلا هو نفذ الامر فعاش بعطف الله ، ولا هو سكت فعاش سعيدا وفاز بلطف الله.

وهكذا .. إذا عشت لله فنفذت أوامره ، وسلمت له زمام نفسك فأطعته فى كل مايأمرك به ، سلمت ، وسيرك بين عطفه ولطفه – اللهم احفظنا بعطفك ولطفك يا رب .. فسلم تسلم لتصل فالامر كله لله.

* * *." (٢)

"وتنمو المحبة على الإجابة بالفاقة .. لابد أن تظهر فقرك وضعفك وذلك ومسكنتك بين يدى الله .. بعضنا – يا شباب – يظن أنه " فتوة " .. ما لا يكون بالله لا يكون بغيره ، قال – تعالى –: " وما تشاءون إلا أن يشاء الله " (الإنسان:: ٣٠) ، ولذلك تنمو المحبة بإظهار الفاقة والضعف والفقر والذل والمسكنة.

---

(١) حقيقة العبودية مجدي الهلالي ص/٣٢

(٢) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/١٨٣

شيخ الإسلام ابن تيمية رأى إنسانا يقف تحت حر الشمس حاسر الرأس حافيا ، فسأل عنه فقالوا له: إنه نذر أن لا يجلس فى الظل ، فقال شيخ الإسلام: " يا جاهل ، هذا تقاو على الله " .. أتتقاوى على الله؟!! .. قال لك الله: البس وتستر واركب ، فلماذا تتقاوى عليه؟!! .. لا تتقاو بنفسك على الله ، قال – تعالى –: " إنما الصدقات للفقراء " (التوبة: ٦٠) ، فأظهر فقرك ليتصدق الله عليك .. أظهر ضعفك ليرحمك.

يقول ابن الجوزى: " تضاعف ما أمكنك ، **فإن اللطف مع** الضعف أكثر ".

كلما أظهرت ضعفك كلما لطف بك ، ولا تقل: أنا أستطيع أن أواجه كذا وأقدر على كذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تتمنوا لقاء العدو ، لكن اسألوا الله العافية " [متفق عليه] .. اللهم إنا نسألك العافية فى الدنيا والآخرة .. فإياك أن تعتقد أنك " فتوة " ..." [١]

"لا تدعون أصم ولا غائبا؛ إنكم تدعون سميعا قريبا، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته" (١).

إنني أريد أن تنزل النصوص السابقة على قلبك دواء نقطة نقطة، لعلاج الأمراض القلبية الخطيرة، قبل دخول رمضان مثل: الكبر، والعجب، والغرور، ورؤية النفس، والتعالي على الآخرين، والأنانية وحب الذات، والأثرة، والافتخار، والمن، والتألي.

قال ابن الجوزي –عليه رحمة الله: "تضاعف ما أمكنك؛ **فإن اللطف مع** الضعف أكثر".

أنت تحتاج إلى لطف الله بك ليعافيك ويعينك، فأظهر ضعفك وانكسارك ولا تشمخ بأنفك فيعرض عنك فتخسر الدنيا والآخرة.

التمرين الحادي عشر: ملاحظة المنة:

قال ابن القيم –عليه رحمة الله: "والعبد يسير إلى الله بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل".

وأنت تتمرن على الطاعات استعدادا لرمضان؛ ينبغي أيضا أن تلاحظ فضل الله عليك لنوالك شرف الطاعة والتوفيق لها .. ملاحظة المنة لنوالك شرف القيام بين يدي الله .. لنوالك شرف ذكره .. وكرامة ورود كلماته على لسانك .. لنوالك شرف جريان العبادة على جوارحك رغم كثرة معاصيك .. أدخلك بيته ومن عليك بالحج والعمرة، وعافاك وقواك .. وسمح لك وهو العظيم، وزاد فضله عليك فاختارك واصطفاك؛ على الرغم من عدم استحقاقك ..

إذا استشعرت أنه سبحانه الأول الذي يبتدأ من عنده الخير والرحمة؛ فهو

---

(١) متفق عليه، البخاري (٢٨٣٠)، مسلم (٢٧٠٤).." [٢]

"أن غض البصر سبيل لحصول النور والبصيرة في القلب، ولذا جاءت آيات النور بعد آيات الأمر بغض البصر، وليس غض البصر عن النساء فقط، وإنما كذلك غضه عن النظر إلى متاع الدنيا الذي ينسي ويلهي، قال تعالى: ﴿ولا

---

(١) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/٣٠١

(٢) أسرار المحبين في رمضان محمد حسين يعقوب ص/٧٣

تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ [طه: ١٣١].

لا بد من راحة للبصر لكي تنطلق البصيرة، وسبيل ذلك أن يسعك بيتك ولا تنطلق في الشوارع، اشغل نفسك ببعض الطاعات: لا تجد وقتا للخروج، واشغل بصرك بالنظر في المصحف، لا ترى أحدا.

الوصية الرابعة: عمل هدنة الأرحام والوالدين:

إن شعورك –مجرد شعورك– أن كل الناس يحبونك ويعجبون بك.

مجرد شعور أنك ليس لك أعداء ولا أحد يحقد عليك.

هذا الشعور بمجرده يجلب راحة نفسية وهدوءا قلبيا وراحة ضمير، وراحة بال مطلوبة يحتاج الإنسان إليها.

وأنت أحوج لأن تستشعر هذا الأمر من المحيطين بك، وأقرب الناس إليك، أن ترى رضاهم عنك وسرورهم بك وحبهم لك، إننا نطلب هذا لا لنعجب بأنفسنا ولا طلبا لراحة قلوبنا فقط وهدوئنا النفسي فحسب ولكن:

لنستطيع أن نجمع الهم ويسكن روع القلب، كي نعبد ربنا كما ينبغي .. إن الأجواء الإيمانية تتسم بالهدوء والسكينة واللطف .. ولاستقبال رمضان كما ينبغي لا بد من تهيئة هذه الأجواء، ولكن كيف؟!! ..

الإحسان إلى الجميع .. إراحة الجميع .. ولو على حساب نفسك .. مسامحة الكل والتنازل عن الحقوق، وأداء جميع الواجبات تجاه الجميع، ابذل كل ما تستطيع لعقد هدنة مع كل من حولك من الأقارب.." (١)

"ومن اللطف في الموعظة أن ينادي الواعظ من يعظهم بلقبهم الشريف، وأن ينعتهم بوصف شأنه أن يبعث صاحبه على قبول الموعظة.

وهذا الأدب مقتبس من مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾، وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿يا أهل الكتاب﴾، وقوله: ﴿يا أولي الألباب﴾، وقوله: ﴿يا أولي الأبصار﴾.

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم هرقل في كتاب دعوته إلى الإسلام بعظيم الروم١.

٤٥ـ الجمع بين الخوف والرجاء: فلا بد للواعظ أن يجمع بين هذين الأمرين في موعظته؛ إذ هما جناحا العبادة، ولا تستقيم أحوال العباد إلا بالجمع بينهما، والواعظ الحكيم يحسن الجمع بينهما في موعظته؛ لأن الخوف يردعهم عن التمادي في المعاصي، والرجاء يفتح لهم أبواب التوبة، والإقبال على العمل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فلا يحل لأحد أن يقنط من رحمة الله ولا أن يقنط الناس من رحمته؛ لذا قال بعض السلف: وإن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله، ولا يجرؤهم على معاصي الله"٢.

قال الله عز وجل: ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ [الحجر٤٩].

ومن فقه الإمام مسلم رحمه الله أنه ساق في صحيحه حديثين عظيمين متتاليين: أحدهما يناسب الخوف وهو حديث المرأة التي سجنت الهرة، والآخر يناسب الرجاء وهو حديث المرأة البغي التي سقت كلبا.

---

(١) أسرار المحبين في رمضان محمد حسين يعقوب ص/٨٥

١ انظر: صحيح البخاري ٢٩٤٠ و ٤٥٥٣.

٢ التوبة والاستغفار لابن تيمية، تحقيق الحجاجي، وبدران، ص٢٧-٢٨، وانظر: الاستقامة لابن تيمية٢/١٩٠.." [(١)]

"نسأل الله عز وجل ما لا يحصل إلا به، وهو توفيقه، إنه سميع مجيب"١.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم على يدي أكثر من مائتي نفس، وكم سالت عين متكبر بوعظي لم تكن تسيل، ويحق لمن تلمح هذا أن يرجو التمام.

وربما لاحت أسباب الخوف بنظري إلى تقصيري وزللي.

ولقد جلست يوما فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا من رق قلبه، أو دمعت عينه فقلت لنفسي: كيف بك إن نجو وهلكت؟ ! فصحت بلساني وجدي: إلهي وسيدي! إن قضيت علي بالعذاب غدا فلا تعلمهم بعذابي؛ صيانة لكرمك، لا لأجلي؛ لأن لا يقولوا عذب من دل عليه.

إلهي قد قيل لنبيك صلى الله عليه وسلم اقتل ابن أبي المنافق فقال: "لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه" ٢.

إلهي! فاحفظ حسن عقائدهم في بكرمك أن تعلمهم بعذاب الدليل عليك٣، حاشا والله يا رب . من تكدير الصافي"٤.

وقال رحمه الله في موضع آخر: "تفكرت في نفسي يوما تفكرا محقق فحاسبتها قبل أن تحاسب، ووزنتها قبل أن توزن؛ **فرأيت اللطف الرباني**.

فمنذ الطفولة إلى الآن أرى لطفا بعد لطف، وسترا على قبيح وعفوا

---

١ صيد الخاطر ٣٤٠-٣٤٢.

٢ رواه البخاري ٣٥١٨، ومسلم٦٥٨٣.

٣ يعني ابن الجوزي نفسه.

٤ صيد الخاطر، ص٣٩٧.." [(٢)]

"ولكن فلنحذر أن نجعل وسيلتنا في تربية النفوس أن نجاريها في انحرافاتها ونتلمس لها الأعذار فإن ذلك يبعث على الانحراف ويزيد عدد المنحرفين.

إن التربية الرقيقة اللطيفة الحانية كثيرا ما تفلح في تربية الأطفال على استقامة ونظافة واستواء.

ولكن التربية التي تزيد من الرقة **واللطف** والحنو -التي بها حماية زائدة وتدليل زائد- تضر ضررا بالغا لأنها تنشئ كيانا ليس له قوام.

والنفس في ذلك كالجسم إذا رفقت بنفسك رفقا زائدا فلم تحمله جهدا خشية التعب، ولا مشقة خشية الإنهاك فالنتيجة أنه لا يقوى أبدا ولا يستقيم له عود

---

(١) أدب الموعظة محمد بن إبراهيم الحمد ص/٨٨

(٢) أدب الموعظة محمد بن إبراهيم الحمد ص/١٠٣

-يعني الشخص الذي يتجنب حمل أشياء ثقيلة أو عمل مهام فيها مشقة خشية أن يرهق.

ما الذي يحصل؟

يحصل ما يسمونه في الطب الضمور الناتج عن الإهمال أو عدم الاستعمال (use it or loose it)، يعني استعمل الحاسة وإلا سوف تفقدها ويحصل لها ضمور.

فالشخص الذي يريد أن يبني العضلة ماذا يعمل؟

لابد أن يحمل أثقالا متدرجة في الازدياد حتى يعود ذلك عليه بالقوة والنماء، ولكن الذي يهمل ذلك ويعطل عضلاته، فما الذي يحصل؟

الرخاوة والليونة والضعف.

يقول: فالنفس في ذلك كالجسم إذا رفقت بنفسك رفقا زائدا

هو مطلوب الرفق بالنفس لكن في حدود.

فالشخص الذي يرفق بنفسه رفقا زائدا فلم تحمله جهدا خشية التعب، ولا مشقة خشية الإنهاك فالنتيجة أنه لا يقوى أبدا ولا يستقيم له عود." [1]

"نوع من التدبير، حظ **من اللطف والمصلحة** تختص به، كما أن لكل أمة نوعا من التدبير يصلحهم وإن كان ذلك مفسدة في حق غيرهم» (١٦٨) .

وقد اتفقت كلمة علماء الأمة على أن أحكام الشريعة كلها معللة بمصالح العباد، ولأجلها شرعت، سواء منها ما هدانا الله لمعرفته بالنص عليه أو بالإيماء إليه؛ وما لم نهتد اليه فلحكمة يعلمها الله جل شأنه، ولذلك فإن كثيرا من الأحكام الاجتهادية تتغير بتغير الأزمنة، وقد تختلف باختلاف الأشخاص وطاقاتهم وقدراتهم وظروفهم.

كذلك ينبغي أن نصوص الكتاب والسنة، منها ما هو قطعي في ثبوته، وهو القرآن العظيم والمتواتر من السنة.. وأن من السنة ما هو ظني في ثبوته، مثل: أخبار الآحاد. ودلالة النص قد تكون ظنية، قد تكون قطعية كذلك، ومعرفة كل ذلك له أثره في الاستنباط والاجتهاد والفهم من النص، فليس لأحد أن ينكر على الآخرين ما قد يفهمونه من الص من فهم مخالف لفهمه، ما دام اللفظ يحتمله، والدليل يتسع له، ونصوص الشرع الأخرى لا تناقضه أو تعارضه، ومعظم الأحكام المتعلقة بالفروع والمتناولة للنواحي العملية هي من النوع الذي يثبت بالطرق الظنية رحمة من الله تعالى بعباده، ليتسع للناس مجال الاجتهاد فيها، وما دام

---

(١٦٨) كتاب الوصول إلى الأصول المسألة الرابعة في مسائل النسخ «مخطوط» .." [2]

---

(١) محو الأمية التربوية محمد إسماعيل المقدم ٢٣/١٣

(٢) أدب الاختلاف في الإسلام طه جابر فياض العلواني ١٦٠/١

"وشر الحاسد، فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق، وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملا فيه **باللطف** والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة، والصدقة والإحسان من شكر النعمة، والشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببا لزوالها.

السبب التاسع: أن يطفئ نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشرا وبغيا وحسدا ازددت إليه إحسانا وله نصيحة وعليه شفقة، قال الله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ ١، وتأمل في ذلك حال النبي عليه السلام الذي حكى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم

١ سورة: فصلت، الآيتان (٣٤ . ٣٥) .." (١)

"(اختلف) أي نافر قلبه قلب الآخر وإن تقاربا جسدا فالائتلاف والاختلاف للقلوب والأرواح البشرية التي هي النفوس الناطقة مجبولة على ضرائب مختلفة وشواكل متباينة فكل ما تشاكل منها في عالم الأمر تعارف في عالم الخلق وكل ما كان في غير ذلك في عالم الأمر تناكر في عالم الخلق فالمراد بالتعارف ما بينهما من التناسب والتشابه وبالتناكر ما بينهما من التباين والتنافر وذلك لأنه سبحانه عرف ذاته للأرواح [ص ١٧٥] بنعوته فعرفها بعض بالقهر والجلال وبعض **باللطف** والجمال وبعض بصفات أخر ثم استنطقها بقوله ﴿ألست بربكم﴾ ثم أوردها في الأبدان فالتعارف والتنافر يقع بحسب ذلك والتعارف والتناكر بحسب الطباع التي جبل عليها من خير وشر وكل شكل يميل إلى شكله فالتعارف والتناكر من جهة المناسبة المحكمة بين الفريقين فيميل الطيب للطيب والخبيث للخبيث و يألفه ومنشأ ذلك أحكام التناسب ولهذا قال الشافعي: العلم جهل عند أهل الجهل كما أن الجهل جهل عند أهل العلم. (حكى) الشيرواني أن تمرلنك كان يحب رجلا من معتقدي العجم ويتردد إليه فوجد الرجل في قلبه ميلا لتمرلنك فتخوف وقال: ما المناسبة فمنع تيمورا من دخوله عليه فسأله عن سببه فذكر ما خطر له فقال تمرلنك: بيني وبينك مناسبة وهي أنك تحب بيت آل النبي صلى الله عليه وسلم وأنا والله أحبهم وأنت رجل كريم وأنا أحب الكرم فهذه المناسبة المقتضية للميل لا ما في من الشر وقد يتفق اجتماع مادتي الخبيث والطيب في شخص واحد فيصدران منه ويميل لكل منهما بكل من الوصفين (نكتة) حكى بعضهم أن اثنين اصطحبا في سفينة فقعد أحدهما على طرفها والآخر بوسطها فسقط من على الطرف في البحر فرما الآخر نفسه عليه فأخرجا بالحياة فقال الأول للثاني: أنا كنت بطرفها فوقعت فمالك أنت قال لما وقعت: أنت غبت بك عني * فحسبت أنك أني. أهـ

إعلام المحبوب بما تجنه القلوب:

(حديث المقدام بن معد يكرب الثابت في صحيح أبي داوود والترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه إياه.

(حديث المقدام بن معد يكرب الثابت في صحيح الأدب المفرد) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إذا أحب أحدكم

(١) التبيين لدعوات المرضى والمصابين عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٢١

أخاه فليعلمه أنه أحبه.

(إذا أحب أحدكم) محبة دينية قال الحراني: من الحب وهو إحساس بوصلة لا يدرك كنهها.." [1]

"قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة **وبمعنى اللطف والمبرة** وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق. أهـ

(البر) بالكسر أي الفعل المرضي الذي هو في تزكية النفس كالبر في تغذية البدن وقوله البر أي معظمه فالحصر مجازي وضده الفجور والإثم ولذا قابله به وهو بهذا المعنى عبارة عما اقتضاه الشارع وجوبا أو ندبا والإثم ما ينهى عنه وتارة يقابل البر بالعقوق فيكون هو الإحسان والعقوق الإساءة.

(حسن الخلق) أي التخلق مع الخلق والخالق والمراد هنا المعروف وهو طلاقة الوجه وكف الإذى وبذل النداء وأن يحب للناس ما يحب لنفسه وهو راجع التفسير [ص ٢١٨] أهـ

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين " (١).

قال الاحنف بن قيس: ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ قالوا بلى. قال الخلق الدني واللسان البذي.

وقال بعض الحكماء: من ساء خلقه ضاق رزقه. وعلة هذا القول ظاهرة.

وقال بعض البلغاء: الحسن الخلق من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة. والسيئ الخلق الناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء،

وقال بعض الحكماء: عاشر أهلك بأحسن أخلاقك فإن الثواء فيهم قليل.

قال يحيى بن معاذ: " في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق" (٢).

وقال الجنيد: " أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق، وهو كمال الإيمان" (٣).

أخرج الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن الفضيل بن عياض قال: إذا خالطت فخالط حسن الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى خير، وصاحبه منه في راحة، ولا تخالط سيىء الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر وصاحبه منه في عناء.

كمال خلق النبي صلى الله عليه وسلم:

مسألة: من أحسن الخلق أخلاقا؟

أحسن الخلق أخلاقا هو النبي وتأمل في النصوص الآتية بعين البصيرة وأمعن النظر فيها واجعل لها من سمعك مسمعا وفي قلبك موقعا عسى الله أن ينفعك بما فيها من غرر الفوائد، ودرر الفرائد.

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٢٠.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٢٣/١٠

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٧.

(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٧.." [١]

"هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه، فلم يجعلوا الناس لا مستحقا للثواب فقط، ولا مستحقا للعقاب فقط. وأهل السنة يقولون: إن الله يعذب بالنار من أهل الكبائر من يعذبه، ثم يخرجه منها بشفاعة من يأذن له في الشفاعة بفضل رحمته، كما استفاضت بذلك السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم) (١)

كيفية التغيير باليد:

أورد أبو بكر الخلال رحمه الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن المروذي، قال: قلت لأبي عبد الله: كيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: " باليد واللسان وبالقلب، وهو أضعف الإيمان، قلت: كيف باليد قال: تفرق بينهم "

وأورد أبو بكر الخلال رحمه الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن المروذي أنه قال: كنت مع أبي عبد الله في طريق، فرأى صبيانا يقتتلون، فعدل إليهم ففرق بينهم.

وأورد أبو بكر الخلال رحمه الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن صالح، أن أباه، قال: " التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح "

المرتبة الثانية: الإنكار باللسان وضوابطه:

وذلك حينما لا يستطيع من رأى المنكر تغييره بيده لعدم سلطته على مرتكبه، أو لما يترتب عليه من المفسدة المساوية أو الراجحة، فإنه ينتقل إلى التغيير باللسان، وذلك بتعريف الناس بالحكم الشرعي بأن هذا محرم ومنهي عنه، فقد يرتكب المنكر لجهله به، فيمكن تغيير المنكر عن طريق الوعظ، والنصح، والإرشاد، والترغيب، والترهيب، والتقريع، والتعنيف ونحو ذلك من البيان.

وهذه المرتبة يلتقي فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالدعوة إلى الله، فكلاهما بيان للحق وترغيب فيه، وتنبيه على الباطل، وتحذير منه، وتخويف وترهيب عنه، بما يناسب حال المخاطب ويقتضيه المقام (٢).

خطوات تغيير المنكر باللسان:

ولتغيير المنكر باللسان أربع خطوات:

الخطوة الأولى: التعريف باللين **واللطف:**

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وأبنه، (٢٨/ ١٢٩)، طبعة مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة،

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٧٢/١٠

نشر وزارة الشئون الإسلامية، ١٤١٦ هـ، (٢٨/ ٢٠٨).
(٢) انظر إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، ٢/ ٤٠٢، وتذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٤٦.." (١)

"وذلك بأن يعرف مرتكب المنكر ـ إما بالإشارة أو التعريض حسب الموقف ـ بأن هذا العمل لا ينبغي أو حرام، وأنت لست ممن يفعل ذلك بالقصد، فأنت أرفع من ذلك، فإن الجاهل يقدم على الشيء لا يظنه منكرا، فإذا عرف أنه منكر تركه وأقلع عنه، فيجب تعريفه **باللطف** والحكمة والرفق واللين، حتى يقبل ولا ينفر. ويقال له مثلا: إن الإنسان لا يولد عالما ولقد كنا جاهلين بأمور الشرع حتى علمنا العلماء .. وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء (١).
وتأمل في الأحاديث الآتية بعين البصيرة وأمعن النظر فيها واجعل لها من سمعك مسمعا وفي قلبك موقعا عسى الله أن ينفعك بما فيها من غرر الفوائد، ودرر الفرائد.
(حديث عائشة رضي الله عنها الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: يحب الرفق في الأمر كله.
(حديث جرير ابن عبد الله الثابت في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: من يحرم الرفق يحرم الخير
(حديث عائشة رضي الله عنها الثابت في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه.
(حديث عائشة الثابت في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه.
(حديث عائشة الثابت في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى، ١٥/ ٣٣٩، و٢٨/ ١٢٧، ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ص، ٢٨. والكنز الأكبر ص٢٣٦.." (٢)

"وهذه الخطوة يلجأ إليها المنكر بعد عدم جدوى **أسلوب اللطف واللين**، فحينئذ يغلظ له القول، ويزجره مع مراعاة قواعد الشرع في ذلك. وعليه ألا ينطق إلا بالصدق، ولا يطيل لسانه بما لا يحتاج إليه بل على قدر الحاجة.
وقد استعمل أبو الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ هذا الأسلوب، قال تعالى حكاية عنه: (أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) [الأنبياء: ٦٧]
الخطوة الرابعة: التهديد والتخويف:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٦٧/١٠
(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٦٨/١٠

وهذه الخطوة هي آخر المحاولات في النهي باللسان، ويعقبها بعد ذلك إيقاع الفعل كأن يقال لمرتكب المنكر: إن لم تنته عن هذا الفعل لأفعلن بك كذا وكذا. أو لأخبرن بك السلطات لتسجنك وتعاقبك على فعلك.

ولكن ينبغي أن يكون هذا التهديد والتخويف في حدود المعقول عقلا وشرعا حتى يعرف أن المنكر صادق في تهديده، لأنه لو هدده بأمور غير جائزة شرعا وغير معقولة عرف أنه غير جاد في كلامه (١).

المرتبة الثالثة: الإنكار بالقلب:

إذا عجز المؤمن عن الإنكار باليد واللسان، انتهى إلى الإنكار بالقلب فيكره المنكر بقلبه، ويبغضه، ويبغض أهله. يعلم الله ذلك منه. إذا عجز عن تغييره بيده ولسانه. وهذا الواجب لا يسقط عن المؤمن بوجه من الوجوه، إذ لا عذر يمنعه ولا شئ يحول بينه وبينه، وليس هناك شيء من التغيير ما هو أقل منه، كما جاء في حديث أبي سعيد المتقدم «وذلك أضعف الإيمان» (٢) يعني أقل ما يمكن به تغيير المنكر.

وكذلك الحديث الآخر عن ابن مسعود - رضي الله عنه - «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» أي لم يبق بعد هذا من الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن ويثاب عليه، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان.

قيل لابن مسعود - رضي الله عنه - من ميت الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا (٣).

---

(١) انظر إحياء علوم الدين، ٢/ ٤٢٠ - ٤٢٢، والكنز الأكبر، ص ٢٣٤ - ١٤٣، وفقه الدعوة في إنكار المنكر ص ٦٩ - ٧١، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لعبد العزيز المسعود، ١/ ٥٢١ - ٥٢٥.

(٢) مسلم الإيمان (٤٩)، الترمذي الفتن (٢١٧٢)، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩)، أبو داود الصلاة (١١٤٠)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥)، أحمد (٣/ ١٠).

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن تيمية ص ٩.." [1]

"هذا يونس بن متى نبي الله يسقط في لجج البحار فيبتلعه الحوت فهو في ظلمة جوف الحوت في ظلمة جوف البحر في ظلمة الليل، في ظلمات ثلاث، فلا أحد يعلم مكانه، ولا أحد يسمع نداءه، ولكن يسمع نداءه من لا يخفى عليه الكلام، ويعلم مكانه من لا يغيب عنه مكان، فدعا وقال وهو على هذه الحال: (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) [الأنبياء / ٨٧]

فسمعت الملائكة دعائه، فقالت: صوت معروف في أرض غريبة، هذا يونس لم يزل يرفع له عمل صالح ودعوة مستجابة.

«تنبيه»: هذا الدعاء من أعظم أنواع الدعاء، لاشتماله على الآتي:

أولا: على توحيد الله (لا إله إلا أنت)

وهو أعظم وسيلة إلى الله تعالى، وأعظم طاعة وأعظم وقربة.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٠/٤٧١

ثم ثنى بالتنزيه (سبحانك) تنزيه الله عما لا يليق به عز وجل، فكل ما يفعل، وكل ما يقدر فله فيه الحكمة البالغة، فهو منزه عما لا يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى وعظيم شأنه.

ثم ثلث ببيان عجزه وضعفه وفقره وظلمه لنفسه، وهكذا كل عبد بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى ينبغي له أن يكون كذلك إني كنت من الظالمين [الأنبياء:٨٧]

فيجئ الجواب الإلهي له:

(فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)

[الصافات ١٤٣، ١٤٤]

أتاه الجواب بالنجاة (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين)

[الأنبياء / ٨٨]

[*] قال الحسن البصري:

"ما كان ليونس صلاة في بطن الحوت، ولكن قدم عملا صالحا في حال الرخاء فذكره الله في حال البلاء، وإن العمل الصالح ليرفع صاحبه فإذا عثر وجد متكأ".

﴿تنبيه﴾: هنا نذكر قول النبي – صلى الله عليه وسلم – وفعل المعروف يقي مصارع السوء.

(حديث أبي سعيد الثابت في صحيح الجامع) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء)

هناك فرق بين من عرف الله في الرخاء ومن ضيعه، فرق بين من أطاع الله في الرخاء ومن عصاه.

فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله **باللطف** والإعانة في حال شدته.." [١]

"(فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول): أي: الإقرار بالوحدانية والرسالة، وعلمهما بذلك إما بإخبار الله تعالى إياهما بذلك، أو بمشاهدتهما في جبينه أثر السعادة والنعيم في قبر المؤمن وشعاع نور الإيمان والعبادة.

(ثم يفسح) بصيغة المجهول أي: يوسع

(سبعون ذراعا في سبعين) أي: في عرض سبعين ذراعا. يعني: طوله وعرضه كذلك، قال الطيبي: أصله يفسح قبره مقدار سبعين ذراعا فجعل القبر ظرفا للسبعين، وأسند الفعل إلى السبعين مبالغة في السعة

(ثم ينور له فيه) أي: يجعل النور له في قبره الذي وسع عليه.

(نم) أمر من نام ينام

(فيقول) أي: الميت لعظيم ما رأى من السرور

(أرجع إلى أهلي) أي: أريد الرجوع، كذا قيل، والأظهر أن الاستفهام مقدر قاله القاري.

(فأخبرهم) أي: بأن حالي طيب، ولا حزن لي ليفرحوا بذلك

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٠/٥٨٠

(نم كنومة العروس) هو يطلق على الذكر والأنثى في أول اجتماعهما، وقد يقال للذكر العريس

(الذي لا يوقظه) الجملة صفة العروس، وإنما شبه نومه بنومة العروس؛ لأنه يكون في طيب العيش

(إلا أحب أهله إليه) قال المظهر: عبارة عن عزته وتعظيمه عند أهله يأتيه غداة ليلة زفافه من هو أحب وأعطف فيوقظه على الرفق **واللطف**

(حتى يبعثه الله) هذا ليس من مقول الملكين، بل من كلامه – صلى الله عليه وسلم – وحتى متعلق بمحذوف أي: ينام طيب العيش حتى يبعثه الله.

(وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون قولا) والمراد بالقول هو أن محمدا رسول الله.

(فقلت مثله) أي: مثل قولهم." (١)

"(والطيب) على طبع أرضهم، وكل ذلك بتقدير الله تعالى لونا وطبعا وخلقا. قال الطيبي: لما كانت الأوصاف الأربعة ظاهرة في الإنسان والأرض أجريت على حقيقتها وأولت الأربعة الأخيرة لأنها من الأخلاق الباطنة، فإن المعني بالسهل الرفق واللين. وبالحزن الخرق والعنف، وبالطيب الذي يعني به الأرض العذبة المؤمن الذي هو نفع كله، وبالخبيث الذي يراد به الأرض السبخة الكافر الذي هو ضر كله. أهـ

وفي هذا دليل أوفى على أن من خلق من الصفا صفا له ومن خلق من الكدر كدر عليه فلم يصلح للقرب والرياضة وإنما يصلح عبد نجيب .

[*] عليه السلام قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه المواعظ: خلق إبليس من ماء غير طاهر فكانت خلعة العبادة عليه عارية فسخن ماء معاملته بإيقاد نار الخوف فما أعرض عنه الموقد عاد إلى برودة الغفلة .

وخلق عمر من أصل نقي فكانت أعمال الشرك عليه كالعارية فلما عجب نيران حمية الجاهلية أثرت في طبعه إلى أن فني مدد حظها بفناء مدة تقدير إعراضه فعاد سخنه إلى برد العرفان: وكل إلى طبعه عائد وإن صده الصد عن قصده كما أن الماء من بعد إسخانه سريعا يعود إلى برده.

يا هذا: لاحت عقبة المعصية لآدم وإبليس فقال لهما لسان الحال: لابد من سلوكها فسلكا يتخبطان في ظلامها فأما آدم فانكسر قلبه في طريقه وبكى لصعوبة مضيقه فهتف به هاتف **اللطف**: لا تجزع أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي وأما إبليس فجاء ضاحكا معجبا بنفسه فثار الكبر من قلبه فتكاثرت ظلمة طريقه فلما ارتفعا إلى رأس العقبة ضرب (بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) فقال إبليس: يا آدم كنا رفيقين في عقبة المعصية فكيف افتراقنا فنادى منادى الأزل: نحن قسمنا .

باب حفظ الوقت:

[*] عليه السلام عناصر الباب:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٢٧/٢

ﷺ قيمة الوقت وأهميته:

ﷺ أهمية حفظ الوقت:

ﷺ أسباب تعين على حفظ الوقت:

ﷺ التحذير من إضاعة الوقت:

ﷺ التخلي عن إهدار أوقات الآخرين:

ﷺ الترويح عن النفس ليس مضيعة للوقت:

ﷺ ضوابط الترويح عن النفس في الإسلام:

ﷺ تفاوت الناس في اغتنامهم لأوقاتهم:." (١)

"وبهذه المقايسة تعلم أن الرب رب والعبد عبد ويتبين لك حقيقة النفس وصفاتها وعظمة جلال الربوبية وتفرد الرب بالكمال والإفضال وأن كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل وأنت قبل هذه المقايسة جاهل بحقيقة نفسك وبربوبية فاطرها وخالقها فإذا قايست ظهر لك أنها منبع كل شر وأساس كل نقص وأن حدها الجاهلة الظالمة وأنه لولا فضل الله ورحمته لتزكيته لها ما زكت أبدا ولولا هداه ما اهتدت ولولا إرشاده وتوفقه لما كان لها وصول إلى خير البتة وأن حصول ذلك لها من بارئها وفاطرها وتوقفه عليه كتوقف وجودها على إيجاده فكما أنها ليس لها

من ذاتها كمال الوجود فليس لها من ذاتها إلا العدم عدم الذات وعدم الكمال فهناك تقول حقا "أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي".

ثم تقايس بين الحسنات والسيئات فتعلم بهذه المقايسة أيهما أكثر وأرجح قدرا وصفة.

وهذه المقايسة الثانية مقايسة بين أفعالك وما منك خاصة.

قال: "وهذه المقايسة تشق على من ليس له ثلاثة أشياء نور الحكمة وسوء الظن بالنفس وتمييز النعمة من الفتنة".

يعني أن هذه المقايسة والمحاسبة تتوقف على نور الحكمة وهو النور الذي نور الله به قلوب أتباع الرسل وهو نور الحكمة فبقدره ترى التفاوت وتتمكن من المحاسبة.

ونور الحكمة ههنا: هو العلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل والهدى والضلال والضار والنافع والكامل والناقص والخير والشر ويبصر به مراتب الأعمال راجحها ومرجوحها ومقبولها ومردودها وكلما كان حظه من هذا النور أقوى كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم.

وأما سوء الظن بالنفس: فإنما احتاج إليه لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش ويلبس عليه فيرى المساويء محاسن والعيوب كمالا فإن المحب يرى مساويء محبوبه وعيوبه كذلك.

فعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٤٧/٣

وأما تمييز النعمة من الفتنة فليفرق بين النعمة التي يرى بها الإحسان **واللطف** ويعان بها على تحصيل سعادته الأبدية وبين النعمة التي يرى بها الاستدراج فكم من مستدرج بالنعم وهو لا يشعر مفتون بثناء الجهال عليه مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه وأكثر الخلق عندهم أن هذه الثلاثة علامة السعادة والنجاح ذلك مبلغهم من العلم.." (١)

"ومن معرفة عزته في قضائه أن يعرف أنه مدبر مقهور ناصيته بيد غيره، لا عصمة له إلا بعصمته ولا توفيق له إلا بمعونته فهو ذليل حقير في قبضة عزيز حميد، ومن شهود عزته في قضائه أن يشهد أن الكمال والحمد والعزة كلها لله وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم والعيب والظلم والحاجة، . وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره ازداد شهودا لعزة الله وكماله —وحده —غناه.

(ومن أسرار التوبة: أن التوبة توجب للتائب آثارا عجيبة من المقامات التي لا تحصل بدون التوبة: فتوجب له المحبة، والرقة، **واللطف**، وشكر الله، وحمده، والرضا عنه؛ فرتب له على ذلك أنواع من النعم لا يهتدي العبد لتفاصيلها، بل لا يزال يتقلب في بركتها وآثارها ما لم ينقضها أو يفسدها.

(ومن أسرار التوبة: أن يعلم بره سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له ولو شاء لفضحه بين خلقه، ومنها مشاهد حلم الله عز وجل في إمهال راكب الخطيئة ولو شاء لعاجله بالعقوبة فيحدث له معرفة ربه سبحانه باسمه " الحليم ".

(ومن أسرار التوبة: أن يعرف العبد حاجته إلى حفظ الله ومعونته وصيانته: وأنه كالوليد في حاجته إلى من يحفظه؛ فإنه إن لم يحفظه مولاه، ويصونه، ويعينه فهو هالك ولا بد.

(ومن أسرار التوبة: أن يعرف العبد حقيقة نفسه: وأنها الظالمة الجهول، وأن ما صدر منها من شر فقد صدر من أهله ومعدنه؛ إذ الجهل والظلم منبع الشر كله، وأن كل ما فيها من خير، وعلم، وهدى، وإنابة وتقوى فهو من ربها الذي زكاها، وأعطاها إياه، فإذا ابتلي العبد بالذنب عرف نفسه، ونقصها؛ فرتب له على ذلك حكم ومصالح عديدة، منها أن يأنف نقصها، ويجتهد في كمالها، ومنها أن يعلم فقرها إلى من يتولاها، ويحفظها.

(ومن أسرار التوبة: تعريف العبد بكرم الله وستره، وسعة حلمه: وأنه لو شاء لعاجله على الذنب، ولهتك ستره بين العباد؛ فلم يطب له عيش معهم أبدا، ولكنه الله تعالى جلله بستره، وغشاه بحلمه، وقيض له من يحفظه_وهو في حالته هذه_بل كان شاهدا عليه وهو يبارزه بالمعاصي والآثام، ومع ذلك يحرسه بعينه التي لا تنام.

(ومن أسرار التوبة: تعريف العبد بكرم الله في قبول التوبة: فلا سبيل إلى النجاة إلا بعفو الله، وكرمه، ومغفرته؛ فهو الذي جاد عليه بأن وفقه للتوبة، وألهمه إياها ثم قبلها منه، فتاب عليه أولا وآخرا.." (٢)

"وقد تمتد هذه الأراييح (١) بعد الموت على قدرها؛ فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة ثم ينسى، ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره، وقبره، (٢) ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبدا.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٨٧/٤

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٥٦/٤

وعلى عكس هذا من هاب الخلق، ولم يحترم خلوته بالحق فإنه على قدر مبارزته بالذنوب، وعلى مقادير تلك الذنوب_يفوح منه ريح الكراهة، فتمقته القلوب.

فإن قل مقدار ما جنى قل ذكر الألسن له بالخير، وبقي مجرد تعظيمه.

وإن كثر كان قصارى الأمر سكوت الناس عنه لا يمدحونه، ولا يذمونه.

ورب خال بذنب كان سبب وقوعه في هوة شقوة في عيش الدنيا والآخرة، وكأنه قيل له: ابق بما آثرت؛ فيبقى أبدا في التخبيط.

فانظروا إخواني إلى المعاصي أثرت، وعثرت.

[*] (قال أبو الدرداء رحمه الله تعالى: إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر.

فتلمحوا ما سطرته، واعرفوا ما ذكرته، ولا تهملوا خلواتكم ولا سرائركم؛ فإن الأعمال بالنية، والجزاء على مقدار الإخلاص (٣).

[*] (وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: إنه بقدر إجلالكم لله عز وجل يجلكم، وبمقدار تعظيم قدره واحترامه يعظم أقداركم وحرمتكم.

ولقد رأيت والله من أنفق عمره في العلم إلى أن كبرت سنه، ثم تعدى الحدود، فهان عند الخلق، وكانوا لا يلتفتون إليه مع غزارة علمه، وقوة مجاهدته.

ولقد رأيت من كان يراقب الله عز وجل في صبوته مع قصوره بالإضافة إلى ذلك العالم فعظم الله قدره في القلوب، حتى علقته، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير.

ورأيت من كان يرى الاستقامة إذا استقام (٤)، وإذا زاغ مال عنه **اللطف**.

ولولا عموم الستر، وشمول رحمة الكريم لافتضح هؤلاء المذكورون، غير أنه في الأغلب تأديب، أو تلطف في العقاب (٥).

(التوبة طريق السعادة:

لا ريب أن الوقوف على سر السعادة ومعناها الحقيقي من أعظم الدوافع للتوبة النصوح، والإقبال على الله عز وجل، ذلك أن من أعظم الدوافع لفعل المعاصي وترك الطاعات هو البحث عن السعادة والراحة؛ فالعالم بأسره مؤمنه وكافره، وبره وفاجره يبتغي السعادة ويروم طرد الهم والقلق.

ولكن ما أقل من يهتدي إلى ذلك السبيل، وما أكثر من يحيد عنه يمنة ويسرة.

---

(١) الأراييح: يعني الروائح الزكية.

(٢) لا يضره إذا خفي قبره.

(٣) صيد الخاطرص٣٠١_٣٠٢.

(٤) أي كانت أموره مستقيمة ميسرة عند استقامته مع ربه.

(٥) صيد الخاطر ص٣٣٦_٣٣٧.." [١]

"وقيل مأخوذة من الحب جمع حبة وهو لباب الشيء وخالصه وأصله فإن الحب أصل النبات والشجر وقيل بل مأخوذة من الحب الذي هو إناء واسع يوضع فيه الشيء فيمتلئ به بحيث لا يسع غيره وكذلك قلب المحب ليس فيه سعة لغير محبوبه. وقيل مأخوذة من حبة القلب وهي سويداءه ويقال ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها إلى حبة القلب.

وأيا ما كان فإن هذه الصفات تجتمع في المحب وتكون مما يشعر به،

و محبة الله هي التي نتحدث عنها وهي أمر هائل جسيم وفضل غامر جزيل لا يقدر على إدراك قيمته إلا من عرف الله بصفاته كما وصف نفسه.

[*] (علامات محبة الله تعالى للعبد:

العلامات التي إذا وجدت في العبد أو أحس بها تدل على أن الله يحبه ..

(١) حسن التدبير له فيربيه من الطفولة على أحسن نظام ويكتب الإيمان في قلبه وينور له عقله فيجتبيه لمحبته ويستخلصه لعبادته فيشغل لسانه بذكره وجوارحه بطاعته، فيتبع كل ما يقربه إلى محبوبه و هو الله عز وجل ويجعله الله نافرا من كل ما يباعد بينه وبينه ثم يتولى هذا العبد الذي يحبه بتيسير أموره من غير ذل للخلق فييسر أموره من غير إذلال، ويسدد ظاهره وباطنه، ويجعل همه هما واحدا بحيث تشغله محبته عن كل شيء.

(٢) الرفق بالعبد والمراد اللين **واللطف** والأخذ بالأسهل وحسن الصنيع.

(٣) القبول في الأرض والمراد قبول القلوب لهذا العبد الذي يحبه الرب والميل إليه والرضا عنه والثناء عليه كما جاء في الحديث الآتي:

(حديث أبي هريرة الأشعري في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض.

(٤) الابتلاء: فإنه من علامات محبة الله تعالى للعبد كما جاء في الحديث الآتي:

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء و إن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا و من سخط فله السخط.

(حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: أشد

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٥٩/٤

الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه و إن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض و ما عليه خطيئة.." (١)

"وبهذه المقايسة تعلم أن الرب رب والعبد عبد ويتبين لك حقيقة النفس وصفاتها وعظمة جلال الربوبية وتفرد الرب بالكمال والإفضال وأن كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل وأنت قبل هذه المقايسة جاهل بحقيقة نفسك وبربوبية فاطرها وخالقها فإذا قايست ظهر لك أنها منبع كل شر وأساس كل نقص وأن حدها الجاهلة الظالمة وأنه لولا فضل الله ورحمته لتزكيته لها ما زكت أبدا ولولا هداه ما اهتدت ولولا إرشاده وتوقفه لما كان لها وصول إلى خير البتة وأن حصول ذلك لها من بارئها وفاطرها وتوقفه عليه كتوقف وجودها على إيجاده فكما أنها ليس لها

من ذاتها كمال الوجود فليس لها من ذاتها إلا العدم عدم الذات وعدم الكمال فهناك تقول حقا "أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي".

ثم تقايس بين الحسنات والسيئات فتعلم بهذه المقايسة أيهما أكثر وأرجح قدرا وصفة.

وهذه المقايسة الثانية مقايسة بين أفعالك وما منك خاصة.

قال: "وهذه المقايسة تشق على من ليس له ثلاثة أشياء نور الحكمة وسوء الظن بالنفس وتمييز النعمة من الفتنة".

يعني أن هذه المقايسة والمحاسبة تتوقف على نور الحكمة وهو النور الذي نور الله به قلوب أتباع الرسل وهو نور الحكمة فبقدره ترى التفاوت وتتمكن من المحاسبة.

ونور الحكمة ههنا: هو العلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل والهدى والضلال والضار والنافع والكامل والناقص والخير والشر ويبصر به مراتب الأعمال راجحها ومرجوحها ومقبولها ومردودها وكلما كان حظه من هذا النور أقوى كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم.

وأما سوء الظن بالنفس: فإنما احتاج إليه لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش ويلبس عليه فيرى المساويء محاسن والعيوب كمالا فإن المحب يرى مساويء محبوبه وعيوبه كذلك.

فعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه.

وأما تمييز النعمة من الفتنة فليفرق بين النعمة التي يرى بها الإحسان **واللطف** ويعان بها على تحصيل سعادته الأبدية وبين النعمة التي يرى بها الاستدراج فكم من مستدرج بالنعم وهو لا يشعر مفتون بثناء الجهال عليه مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه وأكثر الخلق عندهم أن هذه الثلاثة علامة السعادة والنجاح ذلك مبلغهم من العلم.." (٢)

"فأجاب: الحمد لله رب العالمين، للناس في هذه الأسماء مقالات معروفة منها أن يقال علم اليقين ما علمه بالسماع والخبر والقياس والنظر وعين اليقين ما شاهده وعاينه بالبصر وحق اليقين ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار فالأولى مثل

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٥٥/٥

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٣٧/٥

من أخبر أن هناك عسلا وصدق المخبر أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده والثاني مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه وهذا أعلى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المخبر كالمعاين

كتاب الزهد والورع والعبادة، الجزء ١، صفحة ٧٧.

(فصل في منزلة الأنس بالله:

((قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين:

ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الأنس بالله

قال صاحب المنارل رحمه الله: وهو روح القرب ولهذا صدر منزلته بقوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) [البقرة: ١٨٦] فاستحضار القلب هذا البر والإحسان **واللطف**: يوجب قربه من الرب سبحانه وتعالى وقربه منه يوجب له الأنس و الأنس ثمرة الطاعة والمحبة فكل مطيع مستأنس وكل عاص مستوحش كما قيل:

فإن كنت قد أوحشتك الذنوب فدعها إذا شئت واستأنس

والقرب يوجب الأنس والهيبة والمحبة. أهـ

((كل طائع مستأنس، وكل عاص مستوحش:

من أبرز العلامات الدالة على صحة القلب وسلامته أن صاحبه يأنس بالله وطاعته وذكره سبحانه.

((قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

ومن علامات صحة القلب: أن لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمن يدله عليه، ويذكره به، ويذاكره بهذا الأمر" إغاثة اللهفان.

فالأنس بالله تعالى روح القرب منه جل وعلا، والأنس بالله تعالى حالة وجدانية تحمل على التنعم بعبادة الرحمن، والشوق إلى لقاء ذي الجلال والإكرام ..

((قال أحد السلف:" مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها. قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه، والتنعم بذكره وطاعته".

وكما أنه لا نسبة لنعيم ما في الجنة إلى نعيم النظر إلى وجهه الأعلى سبحانه، فلا نسبة لنعيم الدنيا إلى نعيم محبته ومعرفته والشوق إليه والأنس به، بل لذة النظر إليه سبحانه تابعة لمعرفتهم به ومحبتهم له، فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة، فكلما كان المحب أعرف بالمحبوب وأشد محبة له كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه وأنسه به أعظم.." [1]

"وهو أعظم وسيلة إلى الله تعالى، وأعظم طاعة وأعظم وقربة.

ثم ثنى بالتنزيه (سبحانك) تنزيه الله عما لا يليق به عز وجل، فكل ما يفعل، وكل ما يقدر فله فيه الحكمة البالغة، فهو منزه

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٦٢/٦

عما لا يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى وعظيم شأنه.

ثم ثلث ببيان عجزه وضعفه وفقره وظلمه لنفسه، وهكذا كل عبد بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى ينبغي له أن يكون كذلك إني كنت من الظالمين [الأنبياء:٨٧]

(فيجيء الجواب الإلهي له:

(فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)

[الصافات ١٤٣، ١٤٤]

(أتاه الجواب بالنجاة (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين)

[الأنبياء / ٨٨]

[*] قال الحسن البصري:

"ما كان ليونس صلاة في بطن الحوت، ولكن قدم عملا صالحا في حال الرخاء فذكره الله في حال البلاء، وإن العمل الصالح ليرفع صاحبه فإذا عثر وجد متكأ".

﴿تنبيه﴾: (هنا نذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - وفعل المعروف يقي مصارع السوء.

(حديث أبي سعيد الثابت في صحيح الجامع) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء)

هناك فرق بين من عرف الله في الرخاء ومن ضيعه، فرق بين من أطاع الله في الرخاء ومن عصاه.

فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله **باللطف** والإعانة في حال شدته.

أذكرك أخي خبر الثلاثة من بني إسرائيل الذين قص النبي عليه السلام قصتهم، وأخبر خبرهم، يوم أن آواهم المبيت إلى غار فتدهدهت عليهم صخرة عظيمة أغلقت فم الغار، فإذا الغار صندوق مغلق محكم الإغلاق، مقفل موثق الإقفال.

إن نادوا فلن يسمع نداؤهم، وإن استنجدوا فلا أحد ينجدهم، وإن دفعوا فسواعدهم أضعف وأعجز من أن تدفع صخرة عظيمة سدت باب هذا الغار، وكانت كربة، وكانت شدة، فلم يجدوا وسيلة يتوسلون بها في هذه الشدة إلا أن يتذكروا معاملتهم في الرخاء، فدعوا الله في الشدة بصالح أعمالهم في الرخاء. وإليك الحديث:

(حديث ابن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة، قال: فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه.." (١)

"ولو رزق من المعرفة حظا وافرا لعد المنع نعمة، والبلاء رحمة، وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية، وتلذذ بالفقر أكثر من لذته بالغنى، وكان في حال القلة أعظم شكرا من حال الكثرة. (١)

(٦) أن اختيار الله للعبد خير من اختيار العبد لنفسه:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٤٨/٧

وهذا سر بديع يحسن بالعبد أن يتفطن له حال دعائه لربه؛ ذلك أن الله ــ عز وجل ــ أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، فهو أعلم بمصالح عباده منهم، وأرحم بهم من أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم.

وإذا أنزل بهم ما يكرهون كان خيرا لهم من ألا ينزل بهم؛ نظرا منه لهم، وإحسانا إليهم، ولطفا بهم.

ولو مكنوا من الاختيار لأنفسهم لعجزوا عن القيام بمصالحهم علما، وإرادة، وعملا.

لكنه تعالى تولى تدبير أمورهم بموجب علمه، وعدله، وحكمته، ورحمته أحبوا أم كرهوا.

فإذا سلم العبد لله، وأيقن بأن الملك ملكه، والأمر أمره، وأنه أرحم به من نفسه ــ طاب قلبه، قضيت حاجته أو لم تقض.

وإذا فوض العبد ربه، ورضي بما يختاره له ــ أمده فيما يختاره له بالقوة عليه، والعزيمة، والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

وهذا يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة، وينزل في أخرى.

ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به.

ومتى صح تفويضه ورضاه اكتنفه في المقدور العطف عليه، واللطف فيه، فيصير بين عطفه ولطفه؛ فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يهون عليه ما قدر له.

[*] قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى:

منعه عطاء؛ وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم، وإنما نظر في خير العبد فمنعه اختيارا وحسن نظر. (٢)

(٧) أن الإنسان لا يعلم عاقبة أمره:

فربما يطلب ما لا يحمد عاقبته، وربما كان فيه ضرره، كمثل طفل محموم يطلب الحلوى وهي لا تناسبه.

والمدبر للإنسان أعلم بمصالحه، وعاقبة أمره، كيف وقد قال تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) [البقرة / ٢١٦]

(ومن أسرار هذه الآية أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يقضيه عليه؛ لما يرجوه من حسن العاقبة.

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢١٥ــ٢١٦.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢١٥.." (١)

"وخرج أبو قلابة صائما حاجا فتقدم أصحابه في يوم صائف فأصابه عطش شديد فقال اللهم إنك قادر على أن تذهب عطشي من غير فطر فأظلته سحابة فأمطرت عليه حتى بلت ثوبه وذهب العطش عنه فنزل فحوض حياضا فملأها فانتهي إليه أصحابه فشربوا وما أصاب أصحابه من ذلك المطر شيء. (١)

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٢٠/٧

[*] (قصة عبد الواحد بن زيد:
خرجت في بعض غزواتي في البحر، ومعي غلام لي له فضل، فمات الغلام فدفنته في جزيرة فنبذته الأرض ثلاث مرات في ثلاثة مواضع، فبينا نحن وقوف نتفكر ما نصنع له إذ انقضت النسور والعقيان فمزقوه حتى لم يبق منه شيء فلما قدمنا البصرة أتيت أم الغلام فقلت لها: " ما كانت حال ابنك؟ قالت: خيرا كنت اسمعه: يقول: " اللهم احشرني من حواصل الطير " (٢).
[*] (حبيب بن أبي ثابت:
جيء بحبيب بن أبي ثابت وسعيد بن حبيب وطلق بن حبيب يراد بهم الحجاج . قال: فأصابهم عطش وخوف فقال سعيد لحبيب: ادع الله فقال له حبيب أني أراك أوجه مني قال: فدعا سعيد وأمن أصحابه فرفعت سحابة فمطروا وشربوا وسقوا واستقوا. (٣)
[*] (عن أصبغ ابن زيد قال: مكثت أنا ومن عندي ثلاثا لم نطعم شيئا من الجوع، فخرجت إلي ابنتي الصغيرة وقالت يا أبتي الجوع، تشكو الجوع، قال فأتيت مكان الوضوء — انظروا إلى من اللجاءة، انظروا إلى من يلجئون- فتوضأت وصليت ركعتين، وألهمت دعاء دعوت به وفي آخره: اللهم افتح علي رزقا لا تجعل لأحد علي فيه منة، ولا لك علي فيه في الآخرة تبعة برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم انصرفت إلى البيت فإذا بابنتي الكبيرة قامت إلي وقالت: يا أبه جاء رجل يقول أنه عمي بهذه الصرة من الدراهم وبحمال عليه دقيق وحمال عليه من كل شيء في السوق، وقال: أقرءوا أخي السلام وقول له إذا احتجت إلى شيء فأدعو بهذا الدعاء تأتيك حاجتك.
قال أصبغ ابن زيد والله ما كان لي أخو قط، ولا أعرف من كان هذا القائل، ولكن الله على كل شيء قدير.
فقلت للفكر لما صار مضطربا .... وخانني الصبر والتفريط والجلد
دعها سماوية تمشي على قدر .... لا تعترضها بأمر منك تنفسد
فحفني **بخفي اللطف خالقنا** .... نعم الوكيل ونعم العون والمدد

(١) - جامع العلوم والحكم ص٥٢٥ - ٥٢٧
(٢) - مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٥٥ - ٥٦
(٣) -كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٨٨." (١)

"(٩) كأن يدعو على شخص أن يكون مدمنا للخمر، أو أن يميته الله كافرا، أو أن يبتلى بالزنا أو غير ذلك، أو أن يدعو الله أن ييسر له الفساد والفجور.
(١٠) الدعاء بقطيعة الرحم:
(١١) الدعاء بانتشار المعاصي:

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٣٧/٧

(١٢) تحجير الرحمة:

(١٣) ترك الأدب في الدعاء:

(١٤) الدعاء على وجه التجربة والاختبار لله تعالى:

(١٥) أن يكون غرض الداعي فاسدا:

(١٦) أن يعتمد العبد على غيره في الدعاء:

(١٧) استبدال لفظ وارد (مأثور) بغيره:

(١٨) التغني والتمطيط (تحرير النغم):

(١٩) التفصيل في الدعاء (كثرة الألفاظ):

(٢٠) تكلف السجع والإعراب:

(٢١) النهي عن تكلف الإعراب:

(٢٢) رفع الصوت فوق الحاجة والنوح والبكاء:

(٢٣) كثرة اللحن: خصوصا إذا كان يحيل المعنى، أو كان ناتجا عن قلة مبالاة، أو كان ناتجا من إمام يؤمن الناس خلفه.

(٢٤) قلة الاهتمام باختيار الاسم المناسب أو الصفة المناسبة:

(٢٥) اليأس أو قلة اليقين من إجابة الدعاء:

(٢٦) أن يفصل الداعي تفصيلا لا لزوم له:

(٢٧) دعاء الله بأسماء لم ترد في الكتاب والسنة:

(٢٨) المبالغة في رفع الصوت:

(٢٩) الدعاء بـ: اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن **أسألك اللطف فيه**:

(٣٠) تعليق الدعاء على المشيئة:

(٣١) الإدلال على الله وترك التضرع:

(٣٢) تصنع البكاء ورفع الصوت بذلك:

(٣٣) ترك الإمام رفع يديه إذا استسقى في خطبة الجمعة:

(٣٤) الإطالة بالدعاء حال القنوت، والدعاء بما لا يناسب المقصود فيه:

(٣٥) أن يكون الدعاء فيه طلب يناقض حكمة الله تعالى:

(٣٦) أن يكون الدعاء مشتملا على مناقضة شرع أمر الله به:

(٣٧) أن يكون الدعاء محتويا مسألة لا يليق طلبها:

(ثانيا صور الاعتداء في الدعاء المنهي عنها تفصيلا:

(١) أن يشتمل الدعاء على شيء من التوسلات الشركية:

كأن يدعى غير الله ــ تبارك وتعالى ــ من بشر، أو حجر، أو شجر، أو جن، أو غير ذلك، فهذا أقبح أنواع الاعتداء في الدعاء؛ لأن الدعاء عبادة، وصرفه لغير الله شرك، والشرك أعظم ذنب عصى الله به.

(٢) أن يشتمل على شيء من التوسلات البدعية:." (١)

"كالتوسل بذات النبي"، أو بجاهه ــ عليه الصلاة والسلام ــ، فهذا التوسل توسل بدعي، والدين مبناه على الاتباع لا الابتداع، والبدعة بريد الكفر. (١)

(٣) تمني الموت وسؤال ذلك:

ومن مكروهات الدعاء تمني الموت، وهنا يتبين صدق المؤمن وثباته، من كذبه وضعف دينه، فبعض الناس ما إن تصيبه مصيبة، أو بلاء، إلا وتراه يسأل الله الموت، فلا يصبر ولا يحتسب، بل تراه جزعا يريد الخروج من دوامة الابتلاء والفتنة، ولا ريب أن ذاك خطأ في الدعاء، بل لا بد من الصبر لتمحيص الذنوب والخطايا، ورفعة الدرجات، وهذا هو شأن المؤمن مع ربه جل وعز.

(لحديث أنس الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد متمنيا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي و توفني إذا كانت الوفاة خيرا لي.

[*] قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي في شرحه لهذا الحديث:

هذا نهي عن تمني الموت؛ للضر الذي ينزل بالعبد، من مرض، أو فقر، أو خوف، أو وقوع في شدة أو مهلكة أو نحوها من الأشياء؛ فإن في تمني الموت لذلك مفاسد منها: أنه يؤذن بالتسخط والتضجر من الحالة التي أصيب بها، وهو مأمور بالصبر، والقيام بوظيفته، والصبر ينافي ذلك.

ومنها أنه يضعف النفس، ويحدث الخور والكسل، ويوقع في اليأس.

والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور، والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به.

وذلك موجب **لأمرين: اللطف الإلهي** لمن أتى بالأسباب المأمور بها، والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه.

ومنها أن تمني الموت جهل وحمق؛ فإنه لا يدري ما يكون بعد الموت؛ فربما كان كالمستجير من الضر إلى ما هو أفظع منه، من عذاب البرزخ وأهواله.

ومنها أن الموت يقطع على العبد الأعمال الصالحة التي هو بصدد فعلها، والقيام بها، وبقية عمر المؤمن لا قيمة له؛ فكيف يتمنى انقطاع عمل الذرة منه خير من الدنيا وما عليها؟!.

وخص من هذا العموم قيامه بالصبر على الضر الذي أصابه؛ فإن الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب. (٢)

(٤) الدعاء بتعجيل العقوبة:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٤٨/٧

(١) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، ص١٦٠ و ١٧٠.

(٢) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص ٢٥١_٢٥٢ شرح الحديث رقم ٧٧.." [١]

"وهذا الأمر قد انتشر في زماننا هذا بخاصة، لوجود مكبرات الصوت، فربما سمعت الداعي إماما في شرق المدينة وأنت في غربها.

وهذا خطأ؛ إذ لا داعي للتزيد في رفع الصوت؛ فإنه اعتداء، وباب من أبواب الرياء؛ فالأولى بالداعي إذا كان إماما أن يرفع صوته بقدر ما يسمعه المصلون إذا كانوا يؤمنون وراءه.

أما إذا كان الداعي وحده _ فليكن دعاؤه سرا.

(٢٩) الدعاء بـ: اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن **أسألك اللطف فيه**:

فهذا الدعاء يكثر على الألسنة، وهو خطأ؛ ذلك لأنه شرع لنا أن نسأل الله رد القضاء،

(حديث سلمان في صحيح الترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لا يرد القضاء إلا الدعاء و لا يزيد في العمر إلا البر.

(وكل ما يصيب الإنسان من بلاء فهو من القضاء، فهل يستسلم الإنسان لذلك ويدع الدعاء، أم ينازع قدر الله بقدر الله؟.

بل إن الله _ عز وجل _ أمرنا بذلك كما في قوله تعالى: (قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق) [الفلق: ١، ٢]

فالله _ عز وجل _ أمرنا في هذه السورة أن نستعيذ به من شر ما خلق، وشر ما خلق داخل في القضاء.

وكذلك في قوله _ تعالى (من شر ما خلق * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذى يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس) [سورة: الناس]

(وكما في الدعاء المشهور: وقني شر ما قضيت

(حديث الحسن بن علي في صحيح السنن الأربعة) قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر ﴿اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت﴾

(ولهذا بوب البخاري في صحيحه بابا قال فيه: باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء:

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

(٣٠) تعليق الدعاء على المشيئة:." [٢]

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٤٩/٧

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٦٨/٧

"وقال في موضع آخر: «ينبغي للعالم أنه إذا قطع عنه معلوم المدرسة لا يترك ما كان منه من الاجتهاد ولا يتبرم، ولا يضجر لأنه قد يكون المعلوم قد قطع عنه اختبارا من الله تعالى لكي يرى صدقه في علمه وعمله، فإن رزقه مضمون له لا ينحصر في جهة غير أخرى. قال عليه الصلاة والسلام: «من طلب العلم تكفل الله برزقه» ومعناه يسره له من غير تعب ولا مشقة، وإن كان الله تعالى تكلف برزق الخلق أجمعين، لكن حكمة تخصيص العالم بالذكر أن ذلك ييسر له بلا تعب، ولا مشقة، فجعل نصيبه من التعب والمشقة في الدرس والمطالعة والتفهم للمسائل وإلقائها وذلك من الله تعالى على **سبيل اللطف به** والإحسان إليه وهذا من كرامات العلماء، أعني فهم المسائل وحسن إلقائها، والمعرفة بسياسة الناس في تعلمها، كما أن كرامات الأولياء فيها أشياء أخرى يطول تعدادها مثل المشي على الماء والطيران في الهواء. وينبغي له أن يصون هذا المنصب الشريف من التردد لمن يرجى أن يعين على إطلاق المعلوم، أو التحدث فيه أو إنشاء معلوم عوضه. وقد حدثني من أثق به أنه رأى بعض العلماء، وكان يدرس في مدرسة وانقطع المعلوم عنه وعن طلبته فقالوا للمدرس: لعلك أن تمشي إلى فلان! وكان من أبناء الدنيا لتجتمع به عسى أن يأمر بإطلاق المعلوم فقال: «والله إني لأستحي من ربي عز وجل أن تكذب هذه الشيبة عنده» فقالوا له: وكيف ذلك!؟ فقال: «إني أصبح كل يوم، أقول: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت» فأقول هذا وأقف بين يدي مخلوق أسأله في ذلك والله لا فعلته» والعالم أولى من يثق بربه عز وجل في المنع والعطاء، ولا عذر له في الطلب لأجل العائلة لأنه إن ترك ذلك تقية على هذا المنصب الشريف لم يضيع الله الكريم قصده وأتاه به أو فتح له من غيبه ما هو أحسن له من ذلك وأعانه وسد خلته على ما شاء، كيف شاء، وليس رزقه بمخصوص في جهة بعينها، وعادة الله أبدا المستمرة على أنه سبحانه وتعالى يرزق من هذا حاله من غير باب يقصده، أو يؤمله، لأن مراد الله تعالى من العلماء انقطاعهم إليه، وتعويلهم في كل أمورهم عليه، ولا ينظرون إلى الأسباب وإلى مسبب الأسباب ومدبرها، والقادر عليها، وكيف لا يكون العالم كذلك وهو المرشد للخلق والموضح الطريق المستقيم للسلوك إليه سبحانه، ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه من حيث لا يحتسب» انتهى.." (١)

"(أتاه الجواب بالنجاة (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين)

[الأنبياء / ٨٨]

[*] قال الحسن البصري:

"ما كان ليونس صلاة في بطن الحوت، ولكن قدم عملا صالحا في حال الرخاء فذكره الله في حال البلاء، وإن العمل الصالح ليرفع صاحبه فإذا عثر وجد متكأ".

﴿تنبيه﴾: (هنا نذكر قول النبي – صلى الله عليه وسلم – وفعل المعروف يقي مصارع السوء.

(حديث أبي سعيد الثابت في صحيح الجامع) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء)

هناك فرق بين من عرف الله في الرخاء ومن ضيعه، فرق بين من أطاع الله في الرخاء ومن عصاه.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٢٧/٨

فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله **باللطف** والإعانة في حال شدته.

أذكرك أخي خبر الثلاثة من بني إسرائيل الذين قص النبي عليه السلام قصتهم، وأخبر خبرهم، يوم أن آواهم المبيت إلى غار فتدهدهت عليهم صخرة عظيمة أغلقت فم الغار، فإذا الغار صندوق مغلق محكم الإغلاق، مقفل موثق الإقفال.

إن نادوا فلن يسمع نداؤهم، وإن استنجدوا فلا أحد ينجدهم، وإن دفعوا فسواعدهم أضعف وأعجز من أن تدفع صخرة عظيمة سدت باب هذا الغار، وكانت كربة، وكانت شدة، فلم يجدوا وسيلة يتوسلون بها في هذه الشدة إلا أن يتذكروا معاملتهم في الرخاء، فدعوا الله في الشدة بصالح أعمالهم في الرخاء. وإليك الحديث:

(حديث ابن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة، قال: فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه.

فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب، فآتي أبواي فيشربان، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما، حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، قال: ففرج عنهم.." (١)

"ولو رزق من المعرفة حظا وافرا لعد المنع نعمة، والبلاء رحمة، وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية، وتلذذ بالفقر أكثر من لذته بالغنى، وكان في حال القلة أعظم شكرا من حال الكثرة. (١)

(٦) أن اختيار الله للعبد خير من اختيار العبد لنفسه:

وهذا سر بديع يحسن بالعبد أن يتفطن له حال دعائه لربه؛ ذلك أن الله ـ عز وجل ـ أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، فهو أعلم بمصالح عباده منهم، وأرحم بهم من أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم.

وإذا أنزل بهم ما يكرهون كان خيرا لهم من ألا ينزل بهم؛ نظرا منه لهم، وإحسانا إليهم، ولطفا بهم.

ولو مكنوا من الاختيار لأنفسهم لعجزوا عن القيام بمصالحهم علما، وإرادة، وعملا.

لكنه تعالى تولى تدبير أمورهم بموجب علمه، وعدله، وحكمته، ورحمته أحبوا أم كرهوا.

فإذا سلم العبد لله، وأيقن بأن الملك ملكه، والأمر أمره، وأنه أرحم به من نفسه ـ طاب قلبه، قضيت حاجته أو لم تقض.

وإذا فوض العبد ربه، ورضي بما يختاره له ـ أمده فيما يختاره له بالقوة عليه، والعزيمة، والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

وهذا يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة، وينزل في أخرى.

ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به، وإلا جرى عليه

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٦٢/٨

القدر وهو مذموم غير ملطوف به.

ومتى صح تفويضه ورضاه اكتنفه في المقدور العطف عليه، **واللطف** فيه، فيصير بين عطفه ولطفه؛ فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يهون عليه ما قدر له.

[*] قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى:

منعه عطاء؛ وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم، وإنما نظر في خير العبد فمنعه اختيارا وحسن نظر. (٢)

(٧) أن الإنسان لا يعلم عاقبة أمره:

فربما يطلب ما لا يحمد عاقبته، وربما كان فيه ضرره، كمثل طفل محموم يطلب الحلوى وهي لا تناسبه.

والمدبر للإنسان أعلم بمصالحه، وعاقبة أمره، كيف وقد قال تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) [البقرة / ٢١٦]

(ومن أسرار هذه الآية أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يقضيه عليه؛ لما يرجوه من حسن العاقبة.

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢١٥_٢١٦.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢١٥.." (١)

"[*] (عن أصبغ ابن زيد قال: مكثت أنا ومن عندي ثلاثا لم نطعم شيئا من الجوع، فخرجت إلي ابنتي الصغيرة وقالت يا أبتي الجوع، تشكو الجوع، قال فأتيت مكان الوضوء – انظروا إلى من اللجاءة، انظروا إلى من يلجئون- فتوضأت وصليت ركعتين، وألهمت دعاء دعوت به وفي آخره: اللهم افتح علي رزقا لا تجعل لأحد علي فيه منة، ولا لك علي فيه في الآخرة تبعة برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم انصرفت إلى البيت فإذا بابنتي الكبيرة قامت إلي وقالت: يا أبه جاء رجل يقول أنه عمي بهذه الصرة من الدراهم وبحمال عليه دقيق وحمال عليه من كل شيء في السوق، وقال: أقرءوا أخي السلام وقول له إذا احتجت إلى شيء فأدعو بهذا الدعاء تأتيك حاجتك.

قال أصبغ ابن زيد والله ما كان لي أخو قط، ولا أعرف من كان هذا القائل، ولكن الله على كل شيء قدير.

فقلت للفكر لما صار مضطربا .... وخانني الصبر والتفريط والجلد

دعها سماوية تمشي على قدر .... لا تعترضها بأمر منك تنفسد

فحفني **بخفي اللطف خالقنا** .... نعم الوكيل ونعم العون والمدد

[*] (وعن شقيق البلخي قال: كنت في بيتي قاعدا فقال لي أهلي قد ترى ما بهؤلاء الأطفال من الجوع، ولا يحل لك أن تحمل عليهم ما لا طاقة لهم به، قال فتوضأت – نرجع إلى السبب الذي كانوا يدورون حوله رضوان الله عليهم- فتوضأت وكان لي صديق لا يزال يقسم علي بالله إن يكون لي حاجة أعلمه بها ولا أكتمها عنه، فخطر ذكره ببالي، فلما خرجت من المنزل مررت بالمسجد، فذكرت ما روي عن أبي جعفر قال: من عرضت له حاجة إلى مخلوق فليبدأ فيها بالله عز وجل،

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٨/٥٣٥

قال فدخلت المسجد فصليت ركعتين، فلما كنت في التشهد أفرغ علي النوم، فرأيت في منامي أنه قيل: يا شقيق أتدل العباد على الله ثم تنساه، يا شقيق أتدل العباد على الله ثم تنساه، قال فاستيقظت وعلمت أن ذلك تنبيه نبهني فيه ربي، فلم أخرج من المسجد حتى صليت العشاء الآخرة، ثم تركت الذهاب لصاحبي وتوكلت على الله، ثم انصرفت إلى المنزل فوجدت الذي أردت أن اقصد قد حركه الله وأجرى لأهلي على يديه ما أغناهم.

[*] قال مالك بن دينار:." [1]

"(٩) كأن يدعو على شخص أن يكون مدمنا للخمر، أو أن يميته الله كافرا، أو أن يبتلى بالزنا أو غير ذلك، أو أن يدعو الله أن ييسر له الفساد والفجور.

(١٠) الدعاء بقطيعة الرحم:

(١١) الدعاء بانتشار المعاصي:

(١٢) تحجير الرحمة:

(١٣) ترك الأدب في الدعاء:

(١٤) الدعاء على وجه التجربة والاختبار لله تعالى:

(١٥) أن يكون غرض الداعي فاسدا:

(١٦) أن يعتمد العبد على غيره في الدعاء:

(١٧) استبدال لفظ وارد (مأثور) بغيره:

(١٨) التغني والتمطيط (تحرير النغم):

(١٩) التفصيل في الدعاء (كثرة الألفاظ):

(٢٠) تكلف السجع والإعراب:

(٢١) النهي عن تكلف الإعراب:

(٢٢) رفع الصوت فوق الحاجة والنوح والبكاء:

(٢٣) كثرة اللحن: خصوصا إذا كان يحيل المعنى، أو كان ناتجا عن قلة مبالاة، أو كان ناتجا من إمام يؤمن الناس خلفه.

(٢٤) قلة الاهتمام باختيار الاسم المناسب أو الصفة المناسبة:

(٢٥) اليأس أو قلة اليقين من إجابة الدعاء:

(٢٦) أن يفصل الداعي تفصيلا لا لزوم له:

(٢٧) دعاء الله بأسماء لم ترد في الكتاب والسنة:

(٢٨) المبالغة في رفع الصوت:

(٢٩) الدعاء بـ: اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن **أسألك اللطف فيه**:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٨/٥٥٣

(٣٠) تعليق الدعاء على المشيئة:

(٣١) الإدلال على الله وترك التضرع:

(٣٢) تصنع البكاء ورفع الصوت بذلك:

(٣٣) ترك الإمام رفع يديه إذا استسقى في خطبة الجمعة:

(٣٤) الإطالة بالدعاء حال القنوت، والدعاء بما لا يناسب المقصود فيه:

(٣٥) أن يكون الدعاء فيه طلب يناقض حكمة الله تعالى:

(٣٦) أن يكون الدعاء مشتملا على مناقضة شرع أمر الله به:

(٣٧) أن يكون الدعاء محتويا مسألة لا يليق طلبها:

(ثانيا صور الاعتداء في الدعاء المنهي عنها تفصيلا:

(١) أن يشتمل الدعاء على شيء من التوسلات الشركية:

كأن يدعى غير الله ــ تبارك وتعالى ــ من بشر، أو حجر، أو شجر، أو جن، أو غير ذلك، فهذا أقبح أنواع الاعتداء في الدعاء؛ لأن الدعاء عبادة، وصرفه لغير الله شرك، والشرك أعظم ذنب عصى الله به.

(٢) أن يشتمل على شيء من التوسلات البدعية:." (١)

"كالتوسل بذات النبي"، أو بجاهه ــ عليه الصلاة والسلام ــ، فهذا التوسل توسل بدعي، والدين مبناه على الاتباع لا الابتداع، والبدعة بريد الكفر. (١)

(٣) تمني الموت وسؤال ذلك:

ومن مكروهات الدعاء تمني الموت، وهنا يتبين صدق المؤمن وثباته، من كذبه وضعف دينه، فبعض الناس ما إن تصيبه مصيبة، أو بلاء، إلا وتراه يسأل الله الموت، فلا يصبر ولا يحتسب، بل تراه جزعا يريد الخروج من دوامة الابتلاء والفتنة، ولا ريب أن ذاك خطأ في الدعاء، بل لا بد من الصبر لتمحيص الذنوب والخطايا، ورفعة الدرجات، وهذا هو شأن المؤمن مع ربه جل وعز.

(لحديث أنس الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد متمنيا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي و توفني إذا كانت الوفاة خيرا لي.

[*] قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي في شرحه لهذا الحديث:

هذا نهي عن تمني الموت؛ للضر الذي ينزل بالعبد، من مرض، أو فقر، أو خوف، أو وقوع في شدة أو مهلكة أو نحوها من الأشياء؛ فإن في تمني الموت لذلك مفاسد منها: أنه يؤذن بالتسخط والتضجر من الحالة التي أصيب بها، وهو مأمور بالصبر، والقيام بوظيفته، والصبر ينافي ذلك.

ومنها أنه يضعف النفس، ويحدث الخور والكسل، ويوقع في اليأس.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٦٥/٨

والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور، والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به.

وذلك موجب **لأمرين: اللطف الإلهي** لمن أتى بالأسباب المأمور بها، والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه.

ومنها أن تمني الموت جهل وحمق؛ فإنه لا يدري ما يكون بعد الموت؛ فربما كان كالمستجير من الضر إلى ما هو أفظع منه، من عذاب البرزخ وأهواله.

ومنها أن الموت يقطع على العبد الأعمال الصالحة التي هو بصدد فعلها، والقيام بها، وبقية عمر المؤمن لا قيمة له؛ فكيف يتمنى انقطاع عمل الذرة منه خير من الدنيا وما عليها؟!.

وخص من هذا العموم قيامه بالصبر على الضر الذي أصابه؛ فإن الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب. (٢)

(٤) الدعاء بتعجيل العقوبة:

---

(١) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، ص١٦٠ و ١٧٠.

(٢) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص ٢٥١_٢٥٢ شرح الحديث رقم ٧٧.." [١]

"وهذا الأمر قد انتشر في زماننا هذا بخاصة، لوجود مكبرات الصوت، فربما سمعت الداعي إماما في شرق المدينة وأنت في غربها.

وهذا خطأ؛ إذ لا داعي للتزيد في رفع الصوت؛ فإنه اعتداء، وباب من أبواب الرياء؛ فالأولى بالداعي إذا كان إماما أن يرفع صوته بقدر ما يسمعه المصلون إذا كانوا يؤمنون وراءه.

أما إذا كان الداعي وحده _ فليكن دعاؤه سرا.

(٢٩) الدعاء بـ: اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن **أسألك اللطف فيه**:

فهذا الدعاء يكثر على الألسنة، وهو خطأ؛ ذلك لأنه شرع لنا أن نسأل الله رد القضاء،

(حديث سلمان في صحيح الترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لا يرد القضاء إلا الدعاء و لا يزيد في العمر إلا البر.

(وكل ما يصيب الإنسان من بلاء فهو من القضاء، فهل يستسلم الإنسان لذلك ويدع الدعاء، أم ينازع قدر الله بقدر الله؟.

بل إن الله _ عز وجل _ أمرنا بذلك كما في قوله تعالى: (قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق) [الفلق: ١، ٢]

فالله _ عز وجل _ أمرنا في هذه السورة أن نستعيذ به من شر ما خلق، وشر ما خلق داخل في القضاء.

وكذلك في قوله _ تعالى (من شر ما خلق * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذى يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس) [سورة: الناس]

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٦٦/٨

(وكما في الدعاء المشهور: وقني شر ما قضيت

(حديث الحسن بن علي في صحيح السنن الأربعة) قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر ﴿اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت﴾

(ولهذا بوب البخاري في صحيحه بابا قال فيه: باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء:

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

(٣٠) تعليق الدعاء على المشيئة:." (١)

"وقال في موضع آخر: «ينبغي للعالم أنه إذا قطع عنه معلوم المدرسة لا يترك ما كان منه من الاجتهاد ولا يتبرم، ولا يضجر لأنه قد يكون المعلوم قد قطع عنه اختبارا من الله تعالى لكي يرى صدقه في علمه وعمله، فإن رزقه مضمون له لا ينحصر في جهة غير أخرى. قال عليه الصلاة والسلام: «من طلب العلم تكفل الله برزقه» ومعناه يسره له من غير تعب ولا مشقة، وإن كان الله تعالى تكلف برزق الخلق أجمعين، لكن حكمة تخصيص العالم بالذكر أن ذلك ييسر له بلا تعب، ولا مشقة، فجعل نصيبه من التعب والمشقة في الدرس والمطالعة والتفهم للمسائل وإلقائها وذلك من الله تعالى على **سبيل اللطف به** والإحسان إليه وهذا من كرامات العلماء، أعني فهم المسائل وحسن إلقائها، والمعرفة بسياسة الناس في تعلمها، كما أن كرامات الأولياء فيها أشياء أخرى يطول تعدادها مثل المشي على الماء والطيران في الهواء. وينبغي له أن يصون هذا المنصب الشريف من التردد لمن يرجى أن يعين على إطلاق المعلوم، أو التحدث فيه أو إنشاء معلوم عوضه. وقد حدثني من أثق به أنه رأى بعض العلماء، وكان يدرس في مدرسة وانقطع المعلوم عنه وعن طلبته فقالوا للمدرس: لعلك أن تمشي إلى فلان! وكان من أبناء الدنيا لتجتمع به عسى أن يأمر بإطلاق المعلوم فقال: «والله إني لأستحي من ربي عز وجل أن تكذب هذه الشيبة عنده» فقالوا له: وكيف ذلك!؟ فقال: «إني أصبح كل يوم، أقول: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت» فأقول هذا وأقف بين يدي مخلوق أسأله في ذلك والله لا فعلته» والعالم أولى من يثق بربه عز وجل في المنع والعطاء، ولا عذر له في الطلب لأجل العائلة لأنه إن ترك ذلك تقية على هذا المنصب الشريف لم يضيع الله الكريم قصده وأتاه به أو فتح له من غيبه ما هو أحسن له من ذلك وأعانه وسد خلته على ما شاء، كيف شاء، وليس رزقه بمخصوص في جهة بعينها، وعادة الله أبدا المستمرة على أنه سبحانه وتعالى يرزق من هذا حاله من غير باب يقصده، أو يؤمله، لأن مراد الله تعالى من العلماء انقطاعهم إليه، وتعويلهم في كل أمورهم عليه، ولا ينظرون إلى الأسباب وإلى مسبب الأسباب ومدبرها، والقادر عليها، وكيف لا يكون العالم كذلك وهو المرشد للخلق والموضح الطريق المستقيم للسلوك إليه سبحانه، ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه من حيث لا يحتسب» انتهى.." (٢)

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٨٥/٨

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٢٣/٩

"قال حاتم: إذا رأيت من أخيك عيبا فإن كتمته فقد خنته، وإن قلته لغيره فقد اغتبته، وإن واجهته به فقد أوحشته

فقيل له: كيف أصنع؟

فقال: تكني عنه، وتعرض به، وتجعله في جملة الحديث ....

فمثلا: ترى أخاك لا يغض بصره، فتذهب لتنصحه تقول: حديث جميل جدا كنت أحب أن يكون حديثا صحيحا " النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها من خوف الله أثابه ـ جل وعز ـ إيمانا يجد حلاوته في قلبه " (١).

ثم تتكلم معه عن فوائد غض البصر، ولذة غض البصر، ومتعة غض البصر، وحسن غض البصر، وخطورة إطلاق الطرف، وهكذا لا بد من **اللطف**، فتجمل العبارة وتتكلم بأسلوب غير منفر هذا بين الإخوة بعضهم مع بعض، أما الشيخ المربى فقد يقسو ويشتد على تلاميذه ليصلح اعوجاجهم، وهذا أمر مقبول ينبغي أن يفهم ذلك.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الحافظ العراقي في تخريج الإحياء، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٧٣)، وهو في مسند الشهاب (١/ ١٩٥)، وقال الهيثمى في المجمع (٨/ ٦٣): رواه الطبراني وفيه عبد الله بن اسحق الواسطى وهو ضعيف، وضعفه المنذري في الترغيب (٣/ ٣٤)، والألباني ـ رحمه الله ـ في الضعيفة (١٠٦٥) ...." [1]

"وقراءة القرآن " (١)

وقصته مع الأعرابي الذي بال في المسجد، وترفقه به في إيضاح وجه الخطأ الذي ارتكبه (٢) وهذا الذي ينبغي أن نكون عليه.

ثالثا: اختيار العبارات اللطيفة في إصلاح الأخطاء.

إذا كنا ندرك أن من البيان لسحرا، فلماذا لا نستخدم هذا السحر الحلال في معالجة الأخطاء؟!

فمثلا: حينما يخطئ إنسان فقل له: لو فعلت كذا، أو ما رأيك أن تفعل كذا؟ أو اقترح عليك هذا الفعل، أو أرأيت هذه الوجهة لو توليت إليها .. وغير ذلك من العبارات اللطيفة التي لا تعرف خشونة عبارات التعنيف، والتي لا تخلو من سباب وشتم وتعيير، يقول: أعدم سمعك؟ أزال عنك عقلك؟ أجننت؟ يا كذا ... يا كذا إلى آخر ما ينبغي التنصل منه.

إخوتاه ..

لاشك أن البون شاسع **بين اللطف والخشونة**، بين الرقة والعنف، فلماذا لا ترق وتلطف بإخوانك؟!

كان – صلى الله عليه وسلم – يستخدم مثل هذه العبارات اللطيفة في حديث أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ " لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا " (٣).

وكان يقول – صلى الله عليه وسلم –: " ما على أحدكم إن وجد أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى

---

(١) الأخوة أيها الإخوة محمد حسين يعقوب ص/٩٢

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدمه تخريجه.

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري (٩٠٢) ك الجمعة، باب من أين تؤتى الجمعة وعلى من تجب. ومسلم (٨٤٧) ك الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال وبيان ما أمروا به.." (١)

"ويكفينا في بيان أهميتها وفضلها ما جاء في حديث الملائكة السيارة التي تلتمس مواضع الذكر فإذا وجدت واحدا منها بعثت برائدهم إلى الله تبارك وتعالى فيقولون: «ربنا أتينا على عباد من عبادك، يعظمون آلاءك، ويتلون كتابك، ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم، فيقول تبارك وتعالى: غشوهم رحمتي» (١).

كيفية ذكر النعم

وذكر النعم يكون بالعمل على إحصائها- قدر المستطاع - من خلال الجوانب المختلفة التي تم الحديث عنها:

(نعم سبق الفضل - نعم الهداية والعصمة- نعم العافية - نعم التسخير - نعم القيومية والحفظ - نعم الإمهال والستر- **نعم اللطف والرحمة**- ...).

فمن خلال توجيه الفكر إلى جانب من هذه الجوانب يمكن للواحد منا أن يعمل عقله في تذكر ما أنعم الله به عليه في هذا الجانب، حبذا لو قام بتسجيل هذه النعم كتابة حتى يسهل عليه الرجوع إليها في أي وقت شاءه وقراءتها وهذا من شأنه أن يستثير مشاعر الحب لله عز وجل داخله.

ومع قيام المرء بالتفكر في نعم الله عليه والاجتهاد في إحصائها مع نفسه، فعليه كذلك أن تكون له مجالس مع أهله وأصدقائه يتذاكرون فيها نعم الله عليهم.

ولقد كان الصحابة والسلف يجلسون مثل تلك المجالس التي تذكرهم بفضل الله عليهم وتزيدهم حبا له.

فعن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «ما أجلسكم»؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا، قال: «آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟» قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة» (٢).

وجلس الفضيل بن عياض وسفيان بن عيينه ليلة إلى الصباح يتذاكرون النعم، فجعل سفيان يقول: أنعم الله علينا في كذا، أنعم الله علينا في كذا، أنعم الله علينا في كذا، فعل بنا كذا، فعل بنا كذا (٣).

فلنجلس مثل هذه المجالس المباركة وبخاصة مع الأهل والأولاد لنزداد حبا لله عز وجل، وحبذا لو كانت هذه المجالس بعد النعم الكبيرة التي تمر بالأسرة كنجاح وتفوق الأولاد، وصيام رمضان وقيامه، و ...

---

(١) الأخوة أيها الإخوة محمد حسين يعقوب ص/٢٢٨

ونحن بهذه الطريقة نتعلم ونقتدي بالقرآن حيث كان يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النعم الإلهية الكبيرة ليذكره وأصحابه بها، وبما أنعم الله عليهم من خلالها فيزدادوا له حبا وشكرا، فبعد بدر وما كان فيها من نصر مبين نزلت سورة الأنفال تذكر بنعم الله العظيمة التي صاحبت هذا النصر: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين – وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم – إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام – إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ [الأنفال: ٩ – ١٢].

---

(١) رواه البزار بإسناد حسن.

(٢) رواه مسلم (٢٧٠١) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) الشكر لابن أبي الدنيا/٥٠.." (١)

"النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ثم تابع قائلا: وكيف يكون الاستئذان يا والدي؟

– سأرد على سؤالك هذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو معلمنا وهادينا: «فقد أتى رجل من بني عامر فاستأذن على الرسول وهو في بيته فقال: أألج (١) ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لخادمه: اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: السلام عليكم. . أأدخل؟ فسمعها الرجل فقال: السلام عليكم. . أأدخل؟ فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل» (٢) .

فانظر يا بني إلى هذا الحد **من اللطف والدقة**، بلغ حس رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته بما علمهم الله من ذلك الأدب الرفيع الوضيء المشرق بنور الله.

– ولكننا لا نرى اليوم يا أبي من يستأذن فلا يؤذن له منعا للحرج أو خجلا من هذا الطارق.

– نعم يا بني، فنحن اليوم مسلمون، ولكن حساسيتنا بمثل هذه الدقائق قد تبلدت وغلظت، وإن الرجل ليهجم على أخيه في بيته في أي لحظة من لحظات الليل والنهار يطرقه ويطرقه ولا ينصرف

---

(١) أأدخل.

(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح في صحيح سنن أبي داود مجلد ٣ ص ٩٧٢ – ٩٧٣ رقم ٤٣١٢ ٥١٧٧. قال الألباني في حديث صحيح في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٨١٨.." (٢)

---

(١) كيف نحب الله ونشتاق إليه مجدي الهلالي ص/٦٦

(٢) سلسلة أهل الذكر شريفة سلامة أبو مريفة ص/٧٠

"الفصل الرابع: طبيعة الحياة والمجتمع

مفهوم الحياة

...

الفصل الرابع: طبيعة الحياة والمجتمع

في هذا الفصل نتناول الأساس الثالث من أسس بناء مناهج التربية، وهو طبيعة الحياة والمجتمع، وسنحاول هنا الإجابة عن الأسئلة التالية: ما مفهوم الحياة؟ وما العلاقة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة؟ وما مفهوم المجتمع، وما مكوناته؟ وما المعايير التي يجب أن توجه السلوك الفردي والجمعي في المجتمع؟ وكيف يتغير المجتمع، وما دور التربية في هذا؟ وما المبادئ التي يجب أن تراعيها مناهج التربية في كل كذلك.

مفهوم الحياة:

الحياة دنيا وآخرة، شهود وغيب، والحياة الدنيا هي دار التكليف والعمل وعمارة الأرض، والآخرة هي دار القرار، فيها يكون الثواب والعقاب على مقدار حسن الأداء في الدنيا.

والحياة الدنيا هي مجموع أنشطة الكائنات التي خلقها الله خلال أعمارها الزمنية، وعمارة الأرض، وترقية الحياة على ظهرها إنما تكون باستثمار ما أودعه الله في الكائنات من طاقات استثمارا صالحا، وتوجيه ألوان النشاط البشري لاستخدام تلك الطاقات بالرفق **واللطف** وفق منهج الله، وبذلك يتحقق التناسق والتكامل بين أنشطة الكائنات من إنسان، وحيوان، ونبات، وجماد في أعمارها الزمنية من أجل إعمار الحياة.

وكل شأن من شئون الحياة ينبغي أن يسير وفق منهج الله، فسياسة الاقتصاد والمال، ونظام السياسة، ونظام الأسرة، وجميع ألوان التشريعات المدنية والإدارية، يجب أن تسير وفق هذا المنهج حتى تكون الحياة إنسانية حقا، إن الضابط الوحيد للحركة البشرية، والتطورات الحيوية، حتى لا تمضي شاردة على غير هدي، هو أن تسير كل هذه الأوضاع وفق الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة، ومع." (١)

"هو الدواء ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا، حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثون أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك، فإذن لا مطمع فيه لأمثالنا، وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوساوس لتكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا.

وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بخل، فبقدر ما يدخل فيه الماء يخرج من الخل لا محالة ولا يجتمعان.

***

بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند

كل ركن وشرط من أعمال الصلاة

---

(١) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها على أحمد مدكور ص/١٠٥

فنقول: حقك إن كنت المريدين للآخرة أن لا تغفل أولا عن التنبيهات التي في شروط الصلاة وأركانها، أما الشروط السوابق فهي الآذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية.

فإذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة، وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون **باللطف** يوم العرض." (١)

"وبالموعظة فلا يحتاج في حياته كلها إلى عقاب. ولكن الناس كلهم ليسوا كذلك بلا ريب. ففيهم من يحتاج إلى الشدة مرة أو مرات.

وليست العقوبة أول خاطر يخطر على قلب المربي ولا أقرب سبيل. فالموعظة هي المقدمة، والدعوة إلى عمل الخير، والصبر الطويل على انحراف النفوس لعلها تستجيب.

﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ ١.

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ ٢.

﴿واصبر على ما يقولون﴾ ٣.

والموعظة وسائل مختلفة لا وسيلة واحدة، والقرآن مليء باللمسات الدقيقة اللطيفة الموحية المؤثرة التي تهز الوجدان وتؤثر فيه بكل وسائل التأثير.

ولكن الواقع المشهود أن هناك أناسا لا يصلح معهم ذلك كله؛ أو يزدادون انحرافا كلما زيد لهم في الوعظ والإرشاد!

وليس من الحكمة أن نتجاهل وجود هؤلاء أو نتصنع الرقة الزائدة فنستنكر الشدة عليهم!

إنهم مرضى. نعم. ومنحرفون. و"العيادات السيكلوجية" قد تصلحهم! ولا أحد يمنع عنهم العلاج النفسي أو أي نوع من أنواع العلاج. ولكن فلنحذر أن نجعل وسيلتنا في تربية النفوس أن نجاريها في انحرافاتها ونتلمس لها الأعذار فإن ذلك نفسه يبعث على الانحراف ويزيد عدد المنحرفين!

إن التربية الرقيقة اللطيفة الحانية كثيرا ما تفلح في تربية الأطفال على استقامة ونظافة واستواء. ولكن التربية التي تزيد من الرقة **واللطف** والحنو تضر ضررا بالغا لأنها تنشئ كيانا ليس له قوام.

والنفس في ذلك كالجسم! إذا رفقت بجسمك رفقا زائدا فلم تحمله جهدا خشية التعب، ولا مشقة خشية الإنهاك، فالنتيجة أنه لا يقوى أبدا

---

١ سورة فصلت ٣٣-٣٤.

---

(١) القواعد الحسان في أسرار الطاعة والاستعداد لرمضان رضا أحمد صمدي ص/٧١

٢ سورة النحل ١٢٥.

٣ سور المزمل ١٠.." (١)

"لأنها هي عنوان الإسلام الأول والأكبر، حتى ليقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة" ١.

ولكن جميع آداب الإسلام وأوامره سائرة على ذات النهج. وإن كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدد لها زمنا معينا كالصلاة. فكلها تحتاج إلى تعويد مبكر، وكلها تحتاج بعد فترة من الوقت إلى الإلزام بها بالحسم إن لم يتعودها الصغير من تلقاء نفسه.

والقدوة الصالحة من أعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة، حتى إنها لتيسر معظم الجهد في كثير من الحالات، ذلك أن الطفل يحب المحاكاة من تلقاء نفسه، وأطفال المسلمين يحاكون أبويهم في الصلاة حتى من قبل أن يتعلموا النطق! ويصبح تعويدهم عليها أمرا سهلا في الموعد المحدد. إلا الشواذ من الأطفال. والشذوذ أمر متوقع حدوثه دائما بسبب وراثات سيئة أو ظروف خاصة سيئة. وهؤلاء هم الذين يحتاجون إلى المزيد من الجهد للتعويد -بالتلقين إلى جانب القدوة- وهؤلاء هم الذين توقع عليهم العقوبة إن لم يستجيبوا للتعويد في الموعد المحدد.

وكما يكون تكوين العادة بالقدوة فإنه يكون بالتشجيع، ويكون عن طريق الإلزام **باللطف**، أو الإلزام بالشدة.

فتعويد الطفل -مثلا- على تنظيم أشيائه وترتيبها وعدم إلقائها وبعثرتها في الحجرة أمر ضروري ولازم. وقد يصنعه من تلقاء نفسه نتيجة وراثات طيبة، أو نتيجة القدوة الصالحة أمامه٢. فإذا لم يصنع وجب تشجيعه على ذلك بكل وسائل التشجيع الحسية والمعنوية التي مر ذكرها من قبل، ومن أهمها إضفاء المديح له والإشادة بنظافته وترتيبه ونظامه. فإن كان كل ذلك لا يجدي فلا بد من الأمر، ومتابعة الأمر حتى ينفذ. ومداومة الأمر والمتابعة حتى تتكون العادة. فإذا كان الأمر لا ينفذ، أو لا ينفذ إلا ما دامت الرقابة قائمة، فالمسألة في حاجة إلى مزيد من الحسم. إلى حد العقوبة بكل درجاتها التي بيناها من قبل.

---

١ أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

٢ يحدث في أحيان غير نادرة أن يقوم الطفل بترتيب أشيائه وتنظيمها من تلقاء نفسه، استجابة لاستعداد وراثي فائق، على الرغم من وجود القدوة السيئة أمامه متمثلة في أحد والديه أو كليهما١." (٢)

"وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء» (صحيح رواه الترمذي).

(الفاحش) الذي يتكلم بما يكره سماعه أو من يرسل لسانه بما لا ينبغي.

---

(١) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ١/١٩٠

(٢) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ٢/٣٨٤

(البذيء) هو المتكلم بالفحش، والبذاء الفحش في القول.

ومن المقرر أن كل ما يكون مبغوضا لله ليس له وزن وقدر كما أن كل ما يكون محبوبا له يكون عنده عظيما، قال تعالى في حق الكفار ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ (الكهف:١٠٥).وفي الحديث المشهور: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» (رواه البخاري).

وعن النواس بن سمعان الأنصاري – رضي الله عنه – قال: «سألت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» (رواه مسلم).

قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة، **وبمعنى اللطف والمبرة** وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع الخلق.

ومعنى (حاك في صدرك) أي تحرك فيه، وتردد، ولم ينشرح له الصدر، وحصل في القلب منه الشك، وخوف كونه ذنبا.

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل» (صحيح رواه الترمذي).

(على كل قريب) أي إلى الناس. (هين) أي تحرم على كل سهل طلق حليم لين الجانب (سهل) هو ضد الصعب، أي سهل الخلق كريم الشمائل.

عليه السلام حسن الخلق يقوم على أربعة أمور: وهي الصبر والعفة والشجاعة والعدل.

فالصبر يحمل صاحبه على الاحتمال وكظم الغيظ وكف الأذى والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة.." [١]

"ومعرفة الله أيضا لعبده نوعان:

الأول: معرفة عامة: وهي علمه سبحانه بعباده، واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه، كما قال: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ (ق:١٦)، وقال: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾ (النجم:٣٢).

والثاني: معرفة خاصة: وهي تقتضي محبته لعبده وتقريبه إليه، وإجابة دعائه، وإنجاءه من الشدائد، وهي المشار إليها بقوله – صلى الله عليه وآله وسلم – فيما يحكى عن ربه: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» (رواه البخاري).

ولما هرب الحسن من الحجاج دخل إلى بيت حبيب أبي محمد، فقال له حبيب:

يا أبا سعيد، أليس بينك وبين ربك ما تدعوه به فيسترك من هؤلاء؟ ادخل البيت، فدخل، ودخل الشرط على أثره، فلم يروه، فذكر ذلك للحجاج، فقال: «بل كان في البيت، إلا أن الله طمس أعينهم فلم يروه».

فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، عامله الله **باللطف** والإعانة في حال شدته.

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٢١٢/١

قال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرخاء، يذكركم في الشدة، فإن يونس – عليه السلام – كان يذكر الله تعالى، فلما وقع في بطن الحوت، قال الله – عز وجل –: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ (الصافات:١٤٣ – ١٤٤)، وإن فرعون كان طاغيا ناسيا لذكر الله، فلما أدركه الغرق، قال: آمنت، فقال الله تعالى: ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ (يونس:٩١).

وقال رجل لأبي الدرداء: أوصني، فقال: اذكر الله في السراء يذكرك الله – عز وجل – في الضراء.." [١]

"فليعلم المهموم أن ما يصيبه من الأذى النفسي نتيجة للهم لا يذهب سدى بل هو مفيد في تكثير حسناته وتكفير سيئاته، وليعلم المسلم أنه لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس كما ذكر بعض السلف؛ ولذلك كان أحدهم يفرح بالبلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء.

وإذا علم العبد أن ما يصيبه من المصائب يكفر عنه سيئاته فرح واستبشر، وخصوصا إذا عوجل بشيء بعد الذنب مباشرة، قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة» (رواه الترمذي، وصححه الألباني).

(إذا أراد الله بعبده الخير عجل) أي أسرع (له العقوبة) أي الابتلاء بالمكاره (في الدنيا) ليخرج منها وليس عليه ذنب، ومن فعل ذلك معه فقد **أعظم اللطف به** والمنة عليه (أمسك) أي أخر (عنه) ما تستحقه من العقوبة (بذنبه) أي بسببه (حتى يوافي به يوم القيامة) أي حتى يأتي العبد بذنبه يوم القيامة، يعني لا يجازيه بذنبه حتى يجيء في الآخرة متوفر الذنوب وافيها فيستوفي حقه من العقاب.

ثالثا: معرفة حقيقة الدنيا:

فإذا علم المؤمن أن الدنيا فانية، ومتاعها قليل، وما فيها من لذة فهي مكدرة ولا تصفو لأحد. إن أضحكت قليلا أبكت طويلا، وإن أعطت يسيرا منعت كثيرا، والمؤمن فيها محبوس كما قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (رواه مسلم).

وهي كذلك نصب وأذى وشقاء وعناء؛ ولذلك يستريح المؤمن إذا فارقها كما جاء عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أنه كان يحدث أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – مر عليه بجنازة فقال: «مستريح ومستراح منه»، قالوا: «يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه»، قال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب» (رواه البخاري).." [٢]

"تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا﴾ (النساء: ٣٦).وقال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٢٣) واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (٢٤)﴾ (الإسراء:٢٣ – ٢٤).

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٢٢٥/١

(٢) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٦٤٧/٢

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: «يزيد البر بهما مع **اللطف**، ولين الجانب، فلا يغلظ لهما في الجواب، ولا يحد النظر إليهما، ولا يرفع صوته عليهما، بل يكون بين يديهما مثل العبد بين يدي السيد، تذللا لهما».

وقال سعيد بن المسيب في قوله تعالى: ﴿وقل لهما قولا كريما﴾: «هو: قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ».

ولا يمنع من برهما والإحسان إليهما كونهما غير مسلمين أو عاصيين، قال تعالى: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ (لقمان: ١٥).

فأمر تعالى بمصاحبتهما بالمعروف مع كفرهما، بل ومع أمرهما ولدهما بالكفر بالله تعالى، وعن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – قالت: «قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدهم فاستفتيت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فقلت: «يا رسول الله، قدمت علي أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟»، قال: «نعم صلي أمك» (رواه البخاري ومسلم).

(راغبة) قيل: معناه راغبة عن الإسلام وكارهة له، وقيل: معناه طامعة فيما أعطيتها. وحريصة عليه. وفي الحديث: جواز صلة القريب المشرك.

وحق الأم مقدم على حق الأب ويزيد عليه بأضعاف ثلاثة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فقال: «يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: «ثم من؟»، قال: «ثم أمك»، قال: «ثم من؟»، قال: «ثم أمك»، قال: «ثم من؟»، قال: «ثم أبوك» (رواه البخاري ومسلم).." [١]

"نجوت من القوم الظالمين (٢٥)﴾ [القصص: ٢٥].

* من أدب يوسف – صلى الله عليه وسلم –:

يوسف عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم، الموصوف في القرآن الكريم بحسن الخلق والخلق، الممدوح على لسان رسولنا الكريم عليه أفضل السلام وأتم التسليم.

ومن أدب يوسف عليه السلام قوله عندما خرج من السجن عندما رفع أبويه على العرش قال: ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن﴾ [يوسف: ١٠٠].

ولم يضف سبب وقوعه في السجن إليه (١)، وإنما ذكر إحسان الله إليه، ونحو هذه الآية قول الله سبحانه حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين (٨٠)﴾ [الشعراء: ٨٠].

قلت: وهذا الخطاب غاية **في اللطف والأدب**، فقد نسب يوسف عليه السلام الإحسان إلى ربه، سبحانه وتعالى.

* من أدب أيوب – صلى الله عليه وسلم –:

قال الله عز وجل: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (٨٣) فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر﴾

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٨٣٨/٢

[الأنبياء٨٣: ٨٤].
فبعدما ذكر أيوب عليه السلام حالته بهذه الجملة الموجزة ﴿أني مسني الضر﴾، وهذه الجملة الاسمية ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ محل نصب حال؛ لأن الواو فيها هي واو الحال، أي أنا مسني الضر، والحال أنك أرحم الراحمين، فتأمل رقة العبارة، وحسن العرض، فلم يفصل في الضر الذي

---

(١) "شأن الدعاء" للإمام أبي سليمان الخطابي (١٥٣).." [١]

"يحقر مبتدئا.
والعنف من العالم، أو المعلم ربما أفضى بالمتعلم إلى هجر مجالس العالم بسبب القسوة، أو استصغاره للمتعلم؛ لهذا "عليه أن يحذر كل الحذر من إظهار الضيق والتبرم لأحد من طلبته، فقد يحدث أن يبدر من بعض الطلبة، أو من أحد منهم سوء أدب في حق الشيخ، أو تخطئة له في مسألة ما، فيجد الشيخ عليه في نفسه ولا يغفرها له، وتكون معاملته لذلك الطالب فيها نوع جفاء، وهذا فيه محاذير شرعية كثيرة، منها أن ذلك الجفاء قد ينعكس أثره على الطالب، فيحدث له ما لا تحمد عقباه، من هجر للعلم وحلقاته، بل قد يتعدى الأمر إلى هجر الخير وأهله.
وعلى هذا، فليجتهد في إصلاح خلل تلميذه بما يراه مناسبا من الطرق والأساليب [التربوية]، قاصدا الإصلاح ما استطاع، وسيجعل الله بعد عسر يسرا" (١).
فالواجب على العقلاء معاملة الطلاب بالسهولة واللين، **واللطف** في القول والعمل، وإن أراد تأديبه فالرفق ما كان في شيء إلا زانه (٢).

١٠ - طيب الخلق مع مجالسيه:
قال الإمام الآجري -رحمه الله-: "وإن كان له مجلس قد عرف بالعلم ألزم نفسه حسن المداراة لمن جالسه، والرفق بمن ساءله، واستعمال الأخلاق

---

(١) "معالم في طريق طلب العلم" (١٥٥).
(٢) من الكتب النافعة في هذا الفصل كتاب "مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين" للشيخ صالح بن سليمان المطلق البقعاوي. طبع دار ابن الجوزي.." [٢]

"والتلطف، كقوله: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسمآء بنآء وأنزل من السمآء مآء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ ١،

---

(١) موسوعة الأخلاق - الخراز خالد الخراز ص/١٣١
(٢) موسوعة الأخلاق - الخراز خالد الخراز ص/٣١٧

﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ ٢، ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ ٣، وأكثر القرآن جاء على هذا النمط من خطابه لعباده بالتودد والتحنن **واللطف** والنصيحة البالغة.

يقول تعالى: ﴿وإذ قلنا للملآئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أوليآء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾ ٤، قال ابن القيم – رحمه الله –: "فتحت هذا الخطاب: إني عاديت إبليس وطردته من سمائي وباعدته من قربي؛ إذ لم يسجد لأبيكم آدم، ثم أنتم يا بنيه توالونه وذريته من دوني وهم أعداؤكم، فليتأمل اللبيب مواقع هذا الخطاب وشدة لصوقه بالقلوب والتباسه بالأرواح.

ثم إنه – سبحانه – قد أعلم عباده بأنه لا يرضى لهم إلا أكرم الوسائل

وأفضل المنازل، وأجل العلوم والمعارف، قال تعالى: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾ ٥، وقال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ ٦، وقال: ﴿يريد الله

---

١ سورة: البقرة، الآيات: (٢١، ٢٢) .

٢ سورة: لقمان، الآية: (٣٣) .

٣ سورة: الإنفطار، الآية: (٦) .

٤ سورة: الكهف، الآية: (٥٠) .

٥ سورة: الزمر، الآية: (٧) .

٦ سورة: المائدة، الآية: (٣) .." [1]

"فاتقوا الله عباد الله وأفيقوا من سكرتكم، وانتبهوا من غفلتكم، واستيقظوا من رقدتكم، وتداركوا ما فات من تفريطكم وإهمالكم لأمر ربكم، وقوموا قيام صدق علما وعملا قولا وفعلا وأمرا ونهيا، ولا تأخذكم في ذلك لومة لائم، وأخلصوا النية وأصلحوا الطوية. واحذروا الأسباب التي توجب ترك ذلك والإعراض عنه، فإن ذلك من كيد الشيطان وتسويفه وغروره ولا تقولوا ما لا تفعلون، وتداركوا رحمكم الله أعماركم بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله والندم والإقلاع من قبائح الذنوب والآثام. والانتباه والإقبال على طاعة الملك العلام. من قبل أن يحل بكم من أمر الله ما لا قبل لكم به، فستذكرن ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون – أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون – أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون – أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ [الأعراف: ٩٦ – ٩٩]

---

(١) دراسات في الباقيات الصالحات عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٨١

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم. بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم (١) .

---

(١) من خطب فضيلة الشيخ محمد بن **عبد اللطف آل** الشيخ انظر الخطب المنبرية ص ٥١.." [١]

"إليه تمد الأكف في الأسحار، والأيادي في الحاجات، والأعين في الملمات، والأسئلة في الحوادث.

باسمه تشدو الألسن وتستغيث وتلهج وتنادي، وبذكره تطمئن القلوب وتسكن الأرواح، وتهدأ المشاعر وتبرد الأعصاب، ويثوب الرشد، ويستقر اليقين، ﴿الله لطيف بعباده﴾

الله: أحسن الأسماء وأجمل الحروف، وأصدق العبارات، وأثمن الكلمات، ﴿هل تعلم له سميا﴾ ؟! .

الله: فإذا الغنى والبقاء، والقوة والنصرة، والعز والقدرة والحكمة، ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ .

الله: **فإذا اللطف والعناية**، والغوث والمدد، والود والإحسان، ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ .

الله: ذو الجلال والعظمة، والهيبة والجبروت.

اللهم فاجعل مكان اللوعة سلوة، وجزاء الحزن سرورا، وعند الخوف أمنا. اللهم أبرد لاعج القلب بثلج اليقين، وأطفئ جمر الأرواح بماء الإيمان.." [٢]

"فوائد الشدائد

فإن الشدائد تقوي القلب، وتمحو الذنب، وتقصم العجب، وتنسف الكبر، وهي ذوبان للغفلة، وإشعال للتذكر، وجلب عطف المخلوقين، ودعاء من الصالحين، وخضوع للجبروت، واستسلام للواحد القهار، وزجر حاضر، ونذير مقدم، وإحياء للذكر، وتضرع بالصبر، واحتساب للغصص، وتهيئة للقدوم على المولى، وإزعاج عن الركون على الدنيا والرضا بها والاطمئنان إليها، وما خفي **من اللطف أعظم**، وما ستر من الذنب أكبر، وما عفي من الخطأ أجل.

وقفة

لا تحزن: لأن الحزن يضعفك في العبادة، ويعطلك عن الجهاد، ويورثك الإحباط، ويدعوك إلى سوء الظن، ويوقعك في التشاؤم.

لا تحزن: فإن الحزن والقلق أساس الأمراض النفسية، ومصدر الآلام العصبية، ومادة الانهيار والوسواس والاضطراب.

---

(١) خطب مختارة مجموعة من المؤلفين ص/١٢٢

(٢) لا تحزن عائض القربي ص/٣٢

لا تحزن: ومعك القرآن، والذكر، والدعاء، والصلاة، والصدقة، وفعل المعروف، والعمل النافع المثمر.

لا تحزن: ولا تستسلم للحزن عن طريق الفراغ والعطالة، صل.. سبح اقرأ.. اكتب.. اعمل.. استقبل.. زر.. تأمل.." [1]

"حاسب الله رجلا مسرفا على نفسه موحدا، فلم يجد عنده حسنة، لكنه كان يتاجر في الدنيا، ويتجاوز عن المعسر، قال الله: نحن أولى بالكرم منك، تجاوزوا عنه. فأدخله الله الجنة.

﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ ، ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ .

عند مسلم: أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – صلى بالناس، فقام رجل فقال: أصبت حدا، فأقمه علي. قال: ((أصليت معنا؟)) . قال: نعم. قال. ((اذهب فقد غفر لك)) .

﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ .

هناك لطف خفي يكتنف العبد، من أمامه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحت قدميه، **صاحب اللطف الخفي** هو الله رب العالمين، انطبقت عليهم الصخرة في الغار، وأنجى إبراهيم من النار، وأنجى موسى من الغرق، ونوحا من الطوفان، ويوسف من الجب وأيوب من المرض.

وقفة

عن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: ((ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ اللهم اجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها؛ إلا أخلف الله له خيرا منها)) .." [2]

"أيها الإنسان: آن أن تداوي شكك باليقين، والتواء ضميرك بالحق، وعوج الأفكار بالهدى، واضطراب المسيرة بالرشد.

آن أن تقشع عنك غياهب الظلام بوجه الفجر الصادق، ومرارة الأسى بحلاوة الرضا، وحنادس الفتن بنور يلقف ما يأفكون.

أيها الإنسان: إن وراء بيدائكم القاحلة أرضا مطمئنة، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان

وإن على رأس جبل المشقة والضنى والإجهاد، جنة أصابها وابل، فهي ممرعة، فإن لم يصبها وابل فطل من البشرى والفأل الحسن، والأمل المنشود.

يا من أصابه الأرق، وصرخ في وجه الليل: ألا أيها الليل الطويل ألا انجل، أبشر بالصبح ﴿أليس الصبح بقريب﴾ . صبح يملؤك نورا وحبورا وسرورا.

يا من أذهب لبه الهم: رويدك، فإن من أفق الغيب فرجا، ولك من السنن الثابتة الصادقة فسحة.

يا من ملأت عينك بالدمع: كفكف دموعك، وأرح مقلتيك، اهدأ فإن لك من خالق الوجود ولاية، وعليك من لطفه

---

(١) لا تحزن عائض القرني ص/١٤١

(٢) لا تحزن عائض القرني ص/٢٩٢

رعاية، اطمئن أيها العبد، فقد فرغ من القضاء، ووقع الاختيار، وحصل **اللطف**، وذهب ظمأ المشقة، وابتلت عروق الجهد، وثبت الأجر عند من لا يخيب لديه السعي.." (١)

"﴿الله لطيف بعباده﴾

الدقائق الغالية:

ذكر التنوخي: أن أحد الوزراء في بغداد – وقد سماه – اعتدى على أموال امرأة عجوز هناك، فسلبها حقوقها وصادر أملاكها، ذهبت إليه تبكي وتشتكي من ظلمه وجوزه، فما ارتدع وما تاب وما أناب، قالت: لأدعون الله عليك، فأخذ يضحك منها باستهزاء، وقال: عليك بالثلث الأخير من الليل. وهذا لجبروته وفسقه يقول باستهزاء، فذهبت وداومت على الثلث الأخير، فما هو إلا وقت قصير إذ عزل هذا الوزير وسلبت أمواله، وأخذ عقاره، ثم أقيم في السوق يجلد تعزيرا له على أفعاله بالناس، فمرت به العجوز، فقالت له: أحسنت! لقد وصفت لي الثلث الأخير من الليل، فوجدته أحسن ما يكون. إن ذاك الثلث غال من حياتنا، نفيس في أوقاتنا، يوم يقول رب العزة: ((هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فأجيبه)) .

لقد عشت في حياتي على أني شاب. وسمعت سماعات وأثر في حياتي حادثات لا أنساها أبد الدهر، وما وجدت أقرب من القريب، عنده الفرج، وعنده الغوث، **وعنده اللطف سبحانه** وتعالى.

ارتحلت مع نفر من الناس في طائرة من أبها إلى الرياض في أثناء أزمة الخليج، فلما أصبحنا في السماء أخبرنا أننا سوف نعود مرة ثانية إلى مطار أبها لخلل في الطائرة، وعدنا وأصلحوا ما استطاعوا إصلاحه، ثم." (٢)

"مسرعا، لا يلوي على شيء، وأخذ يدخل من بين الناس حتى وصل إلى الرجل، ثم داسه بخفيه حتى قتله أمام مشهد ومرأى من الناس.

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ .

وإنني أعرض لك هذه القصص لتزداد إيمانا ووثوقا بموعود ربك فتدعوه وتناجيه، وتعلم **أن اللطف لطفه** سبحانه، وأنه قد أمرك في محكم التنزيل فقال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ . ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ ..

لقد استدعى الحجاج الحسن البصري ليبطش به، وذهب الحسن وما في ذهنه إلا عناية الله ولطف الله، والوثوق بوعد الله، فأخذ يدعو ربه، ويهتف بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، فيحول الله قلب الحجاج، ويقذف في قلبه الرعب، فما وصل الحسن إلا وقد تهيأ الحجاج لاستقباله، وقام إلى الباب، واستقبل الحسن، وأجلسه معه على السرير، وأخذ يطيب لحيته، ويترفق به، ويلين له في الخطاب!! فما هو إلا تسخير رب العزة والجلال.

---

(١) لا تحزن عائض القرني ص/٣٧٣

(٢) لا تحزن عائض القرني ص/٤٥٨

إن لطف الله يسري في العالم، في عالم الإنسان، في عالم الحيوان، في البر والبحر، في الليل والنهار، في المتحرك والساكن، ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾ .

صح: أن سليمان عليه السلام قد أوتي منطق الطير، خرج يستسقي بالناس، وفي طريقه من بيته إلى المصل رأى نملة قد رفعت رجليها تدعو." (١)

"- السعادة أن يكون مصحفك أنيسك، وعملك هوايتك، وبيتك صومعتك، وكنزك قناعتك.

- الفرح بالطعام والمال فرح الأطفال، والفرح بحسن الثناء فرح العظماء، وعمل البر مجد لا يفنى.

- صلاة الليل بهاء النهار، وحب الخير للناس من طهارة الضمير، وانتظار الفرج عبادة.

- في البلاء أربعة فنون: احتساب الأجر، ومعايشة الصبر، وحسن الذكر، وتوقع **اللطف**.

- الصلاة جماعة، وأداء الواجب، وحب المسلمين، وترك الذنوب، وأكل الحلال صلاح الدنيا والآخرة.

- لا تكن رأسا فإن الرأس كثير الأوجاع، ولا تحرص على الشهرة فإن لهل ضريبة، والكفاف مع الخمول سعادة.

- علامة الحمق ضياع الوقت، وتأخير التوبة، واستعداء الناس، وعقوق الوالدين، وإفشاء الأسرار.

- يعرف موت القلب بترك الطاعة، وإدمان الذنوب، وعدم المبالاة بسوء الذكر، والأمن من مكر الله، واحتقار الصالحين.

- من لم يسعد في بيته لن يسعد في مكان آخر، ومن لم يحبه أهله لن يحبه أحد، ومن ضيع يومه ضيع غده.

- أربعة يجلبون السعادة: كتاب نافع، وابن بار، وزوجة محبوبة، وجليس الصالح، وفي الله عوض عن الجميع.." (٢)

"- ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ هديناك واجتبيناك، وحفظناك ومكناك، ونصرناك وأكرمناك، ومن كل بلاء حسن أبليناك.

- ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فلا ينالك عدو ، ولا يصل إليك طاغية ، ولا يغلبك حاسد ، ولا يعلو عليك حاقد ، ولا يجتاحك جبار.

- ﴿وكان فضل الله عليك عظيما﴾ خلقك ورزقك ، علمك وفهمك ، هداك وسددك، أرشدك وأدبك، نصرك وحفظك، تولاك ورعاك.

- ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ أعطى الخلق والرزق ، والسمع والبصر ، والهداية والعافية ، والماء والهواء ، والغذاء والدواء ، والمسكن والكساء.

- إذا سألت فاسأل الله تجد العون والكفاية والرشد والسداد ، **واللطف** والفرج ، والنصر والتأييد.

- على الله توكلنا وبدينه آمنا ولرسوله اتبعنا ولقوله استمعنا وبدعوته اجتمعنا، فلا تحزن إن الله معنا.

- ولينصرن الله من ينصره ، فيرفع قدره، ويعلي شأنه، ويتولى أمره، ويخذل عدوه ويكبت خصمه ويخزي من كاده.

- ((لا حول ولا قوة إلا بالله)) لا إرادة ولا قدرة ولا تأييد ولا نصر ولا فرج ولا عون ولا كفاية ولا طاقة إلا بالله العظيم.

---

(١) لا تحزن عائض القرني ص/٤٦٩

(٢) لا تحزن عائض القرني ص/٥٣٣

- ﴿ألم نجعل له عينين﴾ يطالع كتاب الكون، ويقرأ دفتر الجمال ، ويتمتع بمشاهد الحسن ويسرح طرفه في مهرجان الحياة.
- ﴿ولسانا وشفتين﴾ يتكلم بالبيان المشرق ، ينطق بالحديث الجذاب ، يتحدث بالكلمات الآسرات ، يترجم عما في قلبه.." (١)

"- ومن عرف حسن اختيار الله لعبده هانت عليه المصائب، وسهلت عليه المصاعب ، **وتوقع اللطف من** الله، واستبشر بما حصل، ثقة بلطف الله وكرمه، وحسن اختياره، حينها يذهب حزنه وضجره وضيق صدره ، ويسلم الأمر لربه جل في علاه، فلا يتسخط ولا يعترض، ولا يتذمر، بل يشكر ويصبر، حتى تلوح له العواقب، وتنقشع عنه سحب المصائب.
- نوح عليه السلام يؤذى ألف عام إلا خمسين عاما في سبيل دعوته ، فيصبر ويحتسب ويستمر في نشر دعوته إلى التوحيد ليلا ونهارا ، سرا وجهرا ، حتى ينجيه ربه ويهلك عدوه بالطوفان.
- إبراهيم عليه السلام يلقى في النار فيجعلها الله عليه بردا وسلاما ، ويحميه من النمرود، وينجيه من كيد قومه وينصره عليهم، ويجعل دينه خالدا في الأرض.
- موسى عليه السلام يتربص به فرعون الدوائر، ويحيك له المكائد، ويتفنن في إيذائه ويطارده ، فينصره الله عليه ويعطيه العصا تلقف ما يأفكون ، ويشق له البحر ويخرج منه بمعجزة، ويهلك الله عدوه ويخزيه.
- عيسى عليه السلام يحاربه بنو إسرائيل، ويؤذونه في سمعته وأمه ورسالته ، ويريدون قتله فيرفعه الله إليه وينصره نصرا مؤزرا، ويبوء أعداؤه بالخسران.
- رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - يؤذيه المشركون واليهود والنصارى أشد الإيذاء ، ويذوق صنوف البلاء، من تكذيب ومجابهة ورد واستهزاء وسخرية وسب وشتم." (٢)

"تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسمآء بنآء وأنزل من السمآء مآء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ ١، ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ ٢، ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ ٣، وأكثر القرآن جاء على هذا النمط من خطابه لعباده بالتودد والتحنن **واللطف** والنصيحة البالغة.

يقول تعالى: ﴿وإذ قلنا للملآئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أوليآء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾ ٤، قال ابن القيم رحمه الله: "فتحت هذا الخطاب: إني عاديت إبليس وطردته من سمائي وباعدته من قربي؛ إذ لم يسجد لأبيكم آدم، ثم أنتم يا بنيه توالونه وذريته من دوني وهم أعداؤكم، فليتأمل اللبيب مواقع هذا الخطاب وشدة لصوقه بالقلوب والتباسه بالأرواح.

ثم إنه سبحانه قد أعلم عباده بأنه لا يرضى لهم إلا أكرم الوسائل وأفضل المنازل، وأجل العلوم والمعارف، قال تعالى: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾ ٥، وقال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت

---

(١) لا تحزن عائض القربي ص/٥٥١

(٢) لا تحزن عائض القربي ص/٥٧٤

عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ ٦، وقال:

---

١ سورة: البقرة، الآيات: (٢١،٢٢) .

٢ سورة: لقمان، الآية: (٣٣) .

٣ سورة: الإنفطار، الآية: (٦) .

٤ سورة: الكهف، الآية: (٥٠) .

٥ سورة: الزمر، الآية: (٧) .

٦ سورة: المائدة، الآية: (٣) .." [1]

"أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم"١، فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه، فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب، وليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها، فإذا عوفي من الذنوب عوفي من موجباتها، فليس للعبد إذا بغي عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح من الذنوب التي كانت سببا لتسلط عدوه عليه.

السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه؛ فإن لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد، فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق، وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملا فيه **باللطف** والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة، والصدقة والإحسان من شكر النعمة، والشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببا لزوالها.

السبب التاسع: أن يطفئ نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشرا وبغيا وحسدا ازددت إليه إحسانا وله نصيحة وعليه شفقة، قال الله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ ٢، وتأمل في ذلك حال النبي عليه السلام الذي حكى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم أنه ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم عنه ويقول: " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون "٣.

---

١ رواه البخاري في الأدب المفرد (رقم:٧١٩) من حديث معقل بن يسار، وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح الأدب (رقم:٥٥١) .

٢ سورة: فصلت، الآيتان (٣٤ ـ ٣٥) .

٣ صحيح البخاري (رقم:٣٤٧٧) ، وصحيح مسلم (رقم:١٧٩٢) .." [2]

---

(١) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢٥٢/١

(٢) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢١٧/٣

"قال ابن حبان تعليقا على حديث ((مداراة الناس صدقة)) ١: (المداراة) التي تكون صدقة للمداري هي تخلق الإنسان الأشياء المستحسنة مع من يدفع إلى عشرته مالم يشبها بمعصية الله.

والمداهنة هي: استعمال المرء الخصال التي تستحسن منه في العشرة، وقد يشوبها ما يكره الله جل وعلا.

وقال ابن القيم: ((الفرق بين المداراة والمداهنة: أن المداراة التلطف بالإنسان لتستخرج منه الحق أو ترده عن الباطل، والمداهنة: التلطف به لتقره على باطله وتتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق)) ٢.

وقال أبو هلال العسكري:

الفرق بين (**اللطف**) و (المداراة) أن (المداراة) ضرب من الاحتيال، والختل، من قولك: (دريت) الصيد إذا ختلته.

وإنما يقال: (داريت) الرجل إذا توصلت إلى المطلوب من جهته بالحيلة، والختل.

---

١ رواه ابن حبان في صحيحه: ٢١٦/٢، حديث رقم (٤٧١) ، والطبراني (في الأوسط) برقم (٤٦٦) ، وأبو نعيم في (الحلية) : ٢٤٦/٨، وابن السني (في عمل اليوم والليلة) برقم (٣٢٥) . قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: إسناده ضعيف. المسيب بن واضح: صدوق يخطيء كثيرا، فإذا قيل له لم يقبل، قاله أبو حاتم. وانظر الكامل لابن عدي (٢٣٨٣/٦ . ٢٣٨٥) ، كشف الخفاء (٢٠٠/٢) .

٢ انظر كتاب ((الروح)) ص (٢٨١) .." (١)

"قال: وفلان لطيف الحيلة إذا كان يتوصل إلى بغيته بالرفق، والسهولة. **ويكون اللطف حسن** العشرة، والمداخلة في الأمور بسهولة ١.

---

١ الفروق، لأبي هلال العسكري ص (٢٤١) .." (٢)

"وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ [النازعات / ١٥ - ١٩] .

قال النسفي:

بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض.

كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا؟

وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه **باللطف** في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه ١.

ولقد بذل موسى وأخوه هارون - عليهما السلام - وسعيهما في دعوة فرعون وقومه المشركين إلى الإيمان بالله وحده، ولكن ذلك الجهد المضني، وعدم التواني في الدعوة منهما لم يجديا نفعا مع طاغية أعمى الهوى، والشيطان، وشهوة النفس بصره، وبصيرته.

---

(١) المداراة وأثرها في العلاقات العامة بين الناس محمد بن سعد آل سعود ص/٢٧٧

(٢) المداراة وأثرها في العلاقات العامة بين الناس محمد بن سعد آل سعود ص/٢٧٨

فتدخلت القدرة الإلهية في التخلص منه بإغراقه في اليم ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قالءامنت أنه لا إله إلا الذيءامنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفكءاية وإن كثيرا من الناس عنءاياتنا لغافلون﴾ [يونس / ٩٠ - ٩٢]

.

فالمداراة بالملاينة من موسى وأخيه هارون - عليهما السلام - لفرعون وقومه المشركين هي من باب إقامة الحجة عليهم ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبعءاياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ [طه / ١٣٤]

.

---

١ انظر تفسير النسفي: ٤/٣٣٠.." [1]

"قال ابن العربي: الكذب في الحرب من المستثنى الجائز بالنص رفقا بالمسلمين لحاجتهم إليه، وليس للعقل فيه مجال، ولو كان تحريم الكذب بالعقل ما انقلب حلالا ١.

ب - والأسير من المسلمين عند الأعداء سيستنطقونه بطرق شتى: أخبار قومه، وعددهم، وعدتهم، وخططهم، وتوجهاتهم. فإن ذهب يخبرهم بالحقيقة هلك، وأهلك قومه، بل عليه مداراتهم بالختل، والحيلة، وقلب الحقائق، وإن تعرض للأذى تحمل ذلك.

ج- والمرأة التي لا ترضى إلا بالزيادة، ولا تقنع بما عندها والتي يتقنعها الشك في تصرفات زوجها وتعصف بها الغيرة ينعكس ذلك على تصرفاتها في بيتها مع زوجها، وعيالها: ضجر، وانفعال يؤديان في الغالب إلى تقصير في الواجبات الزوجية، فتنشأ بسبب ذلك الخلافات، وتتكدر النفوس. مما يهدد دعائم الأسرة بالانهيار، والفرقة.

فدور الرجل في مثل هذه الحالة وغيرها يتمثل في مداراتها، واستمالتها بالحديث اللين، والوعود الواسعة، **واللطف** معها، والإحسان إليها، حتى إذا سكنت نفسها، واطمأنت عادت إلى إحسانها له، مبتهجة، راضية، ووجد هو في قربها السكينة، والمودة.

---

١ شرحه لسنن الترمذي، كتاب البر (٢٦) .." [2]

"وروى الطبري عن ابن عباس قوله:

نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين، إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين، فيظهرون لهم **اللطف**، ويخالفونهم في الدين ١.

(٧) وفيما يتعلق ببعض أمور العبادة التي دارى الشارع فيها أحوال أصحابها لتأليف قلوبهم، ما رواه أبو سعيد الخدري قال:

---

(١) المداراة وأثرها في العلاقات العامة بين الناس محمد بن سعد آل سعود ص/٢٨٦

(٢) المداراة وأثرها في العلاقات العامة بين الناس محمد بن سعد آل سعود ص/٢٩٧

جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده فقالت: يا رسول الله إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت، ويفطرني إذا صمت، ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس.

وصفوان عنده. فسأله عما قالت. فقال: يا رسول الله أما قولها يضربني إذا صليت، فإنها تقرأ بسورتين، وقد نهيتها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو كانت سورة واحدة لكفت الناس ".

وأما قولها يفطرني، فإنها تنطلق فتصوم، وأنا رجل شاب فلا أصبر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: " لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها ".

وأما قولها إني لا أصلي حتى تطلع الشمس، فإنا أهل بيت قد عرف لنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس.

قال صلى الله عليه وسلم: " فإذا استيقظت فصل " ٢.

---

١ انظر تفسيره (بتحقيق محمود وأحمد شاكر) ، ج٦، ص٣١٣.

٢ رواه أبو داود في سننه، كتاب الصيام، باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها. صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٦٦) ، رقم (٢١٤٧) .." (١)

"عادته، رحمه الله، ونزلنا إلى مواقف السيارات، فقلت له: يا شيخ معي نسخة من كتاب أود أن أعطيك إياه. فقال: من تأليفكم؟. قلت: نعم. قال: هذا شيء طيب، ويسعدني أن أقراه وأستفيد منه!. فقلت في نفسي: لقد أثقل الشيخ كاهلي بلطفه في المقابلة ثم بتواضعه هذا. وظننت أن الأمر يقف عند هذا الحد، لكنه لم يقف عند ذلك، بل مشى معي الشيخ بخطواته التي قيدها السن والمرض بعض الشيء، ومشى معي إلى السيارة مسافة عرض الموقف ليأخذ الكتاب، وكنت أظن أن هذه الوجهة هي وجهة سيارته، ولكنه أذهلني حينما رأيته بعد أن أخذ الكتاب قفل راجعا، فاعتذرت إليه، وتمنيت عليه لو لم يتجشم هذه الخطوات، ولو أخبرني بحقيقة الأمر لآتيه بالكتاب في مكانه!.

وقد أبدى لي السرور حينما رأى الكتاب، وقرأ العنوان، وهو: "الأخلاق الفاضلة: قواعد ومنطلقات لاكتسابها"؛ فقال: عظيم عظيم، كل إناء بما فيه ينضح. قلت له: يا شيخ! لكنني قلت في بعض تهويماتي: "قالوا: كل إناء بما فيه ينضح. قلت: ولكن بعض ما في الإناء يفضح".

فأجابني قائلا: لا، هم قالوا: كل إناء بما فيه ينضح. ثم رأيته بعد فترة طويلة؛ فشكرني على الكتاب وأثنى عليه ثناء عاطرا؛ فعلمت أن هذا اللطف والخلق الحميد قد أصبح طبعا لا ينفك عن الشيخ، ولا الشيخ ينفك عنه، وأن من الصعب أن أجاريه، فضلا عن أن ألحقه أو أكافئه، وأيقنت أن هذا من أساليبه الحسنة في الدعوة إلى الله تعالى.

فجزى الله الشيخ عمر عنا وعن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به." (٢)

---

(١) المداراة وأثرها في العلاقات العامة بين الناس محمد بن سعد آل سعود ص/٣٠٥

(٢) كلمات في مناسبات عبد الله الرحيلي ص/٨٦

"عبد الله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا يفيضون من قول أصحاب الإفك ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التنزه فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي فعثرت في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه ألم تسمعي ما قالوا فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم فقال كيف تيكم فقلت ائذن لي إلى أبوي قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أبوي فقلت لأمي ما يتحدث به الناس فقالت يا بنية هوني على نفسك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها فقلت سبحان الله ولقد يتحدث الناس بهذا قالت فبت الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم فقال أسامة أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال يا بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك فقالت بريرة لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأتي الداجن فتأكله فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول فقال رسول الله." (١)

"قال الإمام الغزالي: "اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأموال وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له".

وقرابة عام ٧٥٥هـ قدمت وجهة نظر ابن خلدون في أن القرآن الكريم هو أصل التعليم وأساس التنشئة. ويقول ابن خلدون: "إن الغاية من ذلك الوصول بالوليد إلى رسوخ العقائد الإيمانية في نفسه، وغرس أصول الأخلاق الكريمة عن طريق الدين، الذي جاء مهذبا للنفوس ومقوما للأخلاق باعثا على الخير".

ويقول ابن خلدون: "اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبني عليه غيره من العلوم. ولكل مصر وجهة في تعليمه للولدان، فأهل المغرب يقتصرون على تعليم القرآن فقط، ويأخذون في أثناء المدارسة بالرسم ومسائلة، واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه، لا بحديث، ولا فقه، ولا شعر ... وأهل الأندلس جعلوه أصلا في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية

---

(١) البكاء في الكتاب والسنة رقية المحارب ص/٩١

الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب، ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى عمر الشبيبة ... أما أهل إفريقيا فيخلطون في تعليمهم للولدان للقرآن بالحديث في الغالب، ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه".

ويؤكد ابن خلدون على الرحمة بالأطفال والرأفة بهم والإشفاق عليهم، والعمل على تهذيبهم باللين **واللطف**، لا بالشدة والعنف، لأن مجاوزة الحد مضرة." (١)

"ويتسبب تبول الطفل أو تبرزه في نفور كثير من الأمهات والأسر، ولا يليق الحديث عن ذلك أمام الغرباء، ويستغل هذا النفور لتأديب الطفل.

وتنام الأسرة كلها في غرفة واحدة عادة حتى وإن كانت في البيت غرف أخرى شاغرة. واستخدام العقاب يكون أشد عند الأسر الفقيرة.

٢- رعاية الأطفال من الوالدين:

الأمهات واعيات بمشكلة نقص الغذاء، ويولد الأطفال غالبا قبل تسعة أشهر لهذا السبب بالإضافة إلى ضعف الأم.

وفي المستشفى الخاص بالقرية تتمخض أغلب الأمهات، ويغذى الطفل من زجاجة في الثلاثة أيام الأولى بعد المولد وفي اليوم الرابع ترضعه الأم من ثديها، وتأخذه في أحضانها وتعينه على التقاط الثدي وتفعل ذلك بطيب خاطر وكثير من **اللطف**، وتدعه يرضع كلما أراد أو إذا بكى.

وإذا وصل الطفل عمر العام تترك الأم ثديها لطفلها، وهي غالبا ما تكون جالسة على مقعد منخفض جدا أمام منزلها ويرضع منها الطفل واقفا.

ويستمر غذاء الطفل بلبن الأم حتى الثانية أو الثالثة من العمر، وقد اعتادت النسوة دهن الثدي بمادة منفرة، فالأم لا ترفض تقديم ثديها للطفل بل عليها أن تجعله مصدر نفور لابنها بعد هذا العمر، وإن كان الطفل يبدأ في تناول غير لبن الأم قرب الشهر السادس من عمره، مثل الحساء ثم الأرز قرب الشهر العاشر.

وعندما تطعم الأم ولدها فإنها لا تكلمه وتقتصر على إدخال الطعام في فمه في البداية، ثم تضع الغذاء في يده دون أن تظهر اهتماما خاصا.

وفي عمر الثالثة يبدي بعض الأطفال غضبهم بقلب الطعام على الأرض أو تقديمه للحيوانات الأليفة، ويعاقب على هذا التصرف بأن يترك الطفل الذي يفعل ذلك بلا طعام سائر اليوم.

ومنذ الأيام الأولى تسعى أمه إلى تعليمه بالحركة والصوت والشعور بالحشمة نحو أعضائه التناسلية وإذا ما اقترب منه أحد

---

(١) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته زكريا الشربيني ص/٢٢

وهو مكشوف أو من غير سروال تقول له أمه "استح، استر نفسك" وذلك عندما يتمكن من المشي أما في سن الحبو فهم يتركون عراة دون سراويل.." (١)

"وتظل المدافن "القبور" كما كانت قديما، أفضل منتزهات الجدات، مصطحبين معهن الأطفال الذين يجرون فيها ويمرحون.

وفي الماضي لم يكن للوالدين من مكانة أو دور فعال أو تقارب مع أطفالهم مثل الجد أو الجدة ولكن الآباء استعادوا مكانتهم، وأصبح التقارب واضحا بين الآباء والأطفال ربما لظهور الأسرة النواة.

١- الأعراف والقيم الشائعة:

توصى الأمهات بإرضاع أطفالهن، أطول مدة ممكنة، وفي الغالب كان الطفل يفطم بعد عام أو عام ونصف على الأكثر. والطفولة ليس لها إلا عالم القرية المنغلق، فيه من المعارف والحكايات وفيه شيوخ يهتمون جدا بتربية الأطفال. ويقضي الأطفال أغلب وقتهم في قاعة البيت أو داخل الحي.

والمبدأ الرئيسي الذي يتخذ تجاه الأطفال هو بقاؤهم مشغولين بمهام يكلفون بها تجعلهم يبقون في مكان محدد وفي منأى عن التأثيرات الفاسدة التي تبدو على بعض القرويين، ذلك أن كل شيء ليس صالحا لأن يرى. ففي الماضي كانوا يوصون الأطفال بألا ينظروا إلى من كانوا على جانب كبير من البشاعة أو ضعاف العقول.

وعلى خلاف العلاقات المتوترة أحيانا بين الوالدين والطفل، كانت علاقات تتسم بالعطف **واللطف** تجمع الأجداد بالأطفال، وطوال مرحلة الطفولة يحتل الأجداد منزلة مهمة في التنشئة.

والمعلم له منزلة الاحترام في القرية، وخلال الأجازات لا ينفك عن مراقبة الأطفال بالصرامة التي تعودوها منه في المدرسة، ويخبر الآباء بسلوك أطفالهم. وعلى ذلك فهناك تكامل لإبقاء الأطفال تحت رقابة اجتماعية قوية وتنشئتهم من قبل الجدات والمدرسة والكنيسة.

ولذلك فإن ضبط النفس والالتزام واللطافة حظيت بالأولوية في تربية الصغار بالإضافة إلى مراعاة جداول الأعمال التي يكلف به كل طفل. أما حاليا." (٢)

"جني بعض الثمار ... وفي الوقت الحالي مثلما في الماضي تجمع الذكور والإناث أماكن وسط الحقول يلهون فيها ويبدءون أول مبادئ الإعجاب والعشق.

٤- المشاركون في التنشئة:

لقد كان في الماضي يعني بالرضيع أفراد مثل الجدة أو الأخت الأكبر أو إحدى الفتيات القريبات. وقد كان الأجداد يتكفلون بالطفل سواء كانوا يعيشون مع والديه بنفس المنزل أم لا، وبصحبة الجد أو الجدة يتدرب الطفل شيئا فشيئا على الحياة العائلية.

---

(١) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته زكريا الشربيني ص/١٩٣

(٢) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته زكريا الشربيني ص/٢٠٢

وبصحبة الجد أو الجدة يجوب الطفل الحي بأكملة متنقلا بين بيوت الجيران والأقارب، ومن هنا يتعلم سلسلة الأنساب، ويتعلم أخلاق القرية، وفي أحيان أخرى يرافق الجدة إلى المقابر ذلك المكان الذي تحب أن تتردد عليه كبيرات السن.

والأعمام في الغالب يتميزون **باللطف** مع الأطفال، وإن كان الأطفال يتمتعون بالقرب من الأجداد لأنهم يتيحوا لهم التحدث وتواصل الحوار عوضا عن الصمت والملاحظة التي يجب أن يتحلوا بها في حضرة آخرين.

لقد كان الأجداد ليسوا هم المربون فقط بل هم الملاذ والملجأ من صرامة الآباء أو للإصلاح بين الآباء والأبناء، إنهم وسطاء طيبون.

أما الأشخاص المراقبون والمؤنبون للطفل فهم كثيرون. فلقد كان المعلم يأتي إلى الآباء ليخبرهم بسلوكيات أطفالهم ومستواهم الدراسي بين حين وآخر. أما حارس الحقول الذي يقوم بدوريته كل يوم ليراقب تجاوز الحيوانات لحدود المراعي إلى مراعي أخرى. فلا يترك أي خطأ دون أن يتسبب على الأقل في تأنيب الأطفال الذين يجب أن يتابعوا الحيوانات. ولا تتهاون الكنيسة في متابعة الأطفال.

وفي الوقت الحالي، إذا كانت الأمهات مشغولات بالعمل، فإن أول ما تطلب رعاية للطفل فإنها تطلب من والدة الأم أو والدة الأب أو من الأخت للأم أو الأخت للأب. وعموما فقد أصبح الوالدان يمارسان دورهما الأساسي في تربية الصغار والعناية بهم، وبذلك فقد استعاد الآباء مكانتهم التي أوكلوها لغيرهم في الماضي، في لطف وهدوء.." (١)

---

(١) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته زكريا الشربيني ص/٢٠٦